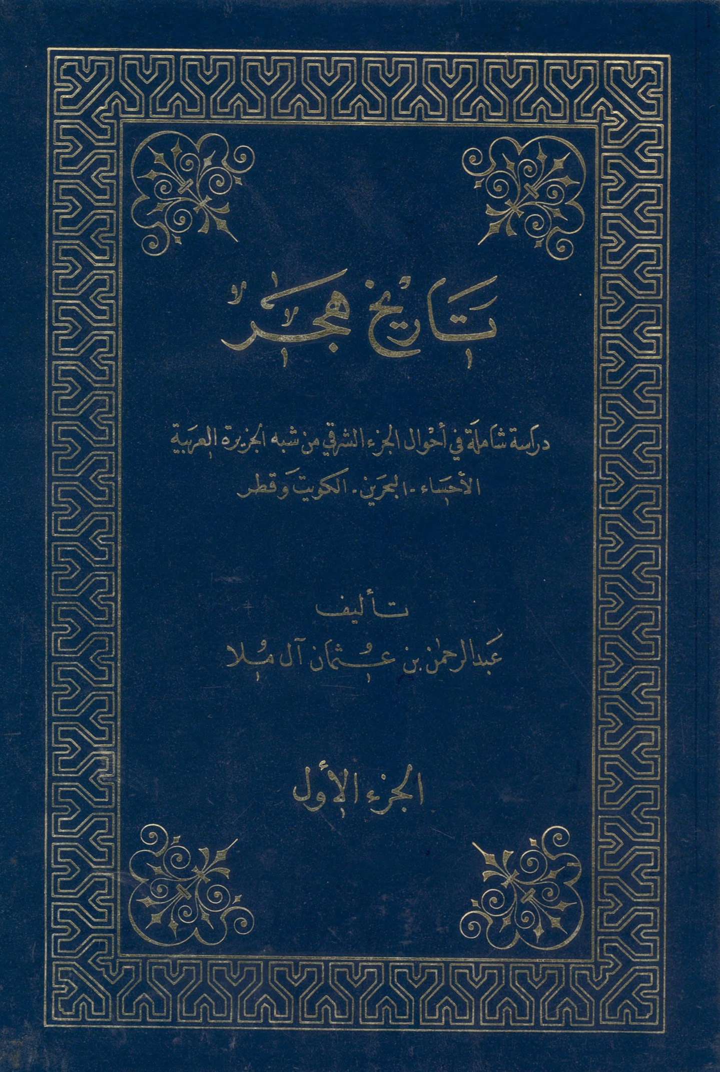

تاريخ هجر
دراسة شاملة في أحوال الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية
الأحساء - البحرين - الكويت وقطر
تأليف
عبدالرحمن بن عثمان آل ملا
الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يطلب من : مكتبة التعاون الثقافي - الأحساء - الهفوف

هاتف : ٥٨٢١٣٣٦

ص.ب : ٤٩

طبع بمطابع الجواد بالأحساء - ت : ٠٣٥٨٧٦١٨٠

﴿ تاريــخ هجــر ﴾

دراسة حضارية شاملة للأحوال العمرانية والسياسية والاقتصادية
بالجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية
(البحرين قديماً - الأحساء والبحرين والكويت وقطر فى العصر الحديث)

« الجزء الأول »

تأليف
عبد الرحمن بن عثمان بن محمد آل ملا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

مهما أحرزت أى بلاد من التقدم فى مضمار الحضارة ومظاهر المدنية فإن ذلك ولاشك يظل شيئا معلقا فى الهواء مالم تستند دعائمه إلى أسس صلبة من أمجاد الماضى وأصالة التراث . ومنطقة الخليج بما فيها هجر وهى تنعم اليوم بالكثير من مظاهر التقدم والازدهار بعد أن أخرجت أرضها أثقالها لا تشذ عن هذه القاعدة ولاتخرج عنها .
لذا فإن الوقت قد حان أن يتحمل أصحاب الأقلام من أبنائها مسئولياتهم فى وصل الحاضر السعيد بالماضى المجيد من خلال نفض الغبار عن تاريخ هذا الجزء من الوطن الكبير وإبراز معالم مسيرته الحضارية بكل ماتحمله تلك المعالم من مؤشرات الازدهار والقوة أو التقهقر والضعف ، فمن الأولى نستمد الثقة بالنفس والعزيمة فى مواصلة العمل ، ومن الأخرى نستلهم الدروس التى تحيل التجربة التاريخية إلى معطيات إيجابية تساعد على دفع عجلة النهضة المعاصرة فى الاتجاه الصحيح .

وانطلاقاً من قناعتى الراسخة بهذه الفكرة فقد ظل الشعور بواجب المشاركة فى كتابة تاريخ هذه المنطقة يلح علىَّ زمناً طويلاً ، إلا أن صعوبة السير في هذا السبيل المعتم ومايتطلبه البحث من جهود مضنية بسبب قلة المعلومات وندرة المصادر جعلتنى أتردد فى اتخاذ الخطوة الأولى فترة من الزمن ، ويشاء الله عز وجل أن ألتقى مساء ذات يوم من صيف عام ١٣٩٦هـ فى مدينة الرياض بنخبة من المثقفين وكان بين يدى أحدهم صحيفة محلية قرأ منها خبراً مفاده أن زائراً غربياً عثر فى المنطقة الشرقية فى الموضع المعروف بالحناءة على أحجار تحمل كتابات مدونة بالخط العربى القديم فأبدى أحد الحاضرين استغرابه لذلك الخبر وتساءل عن موقع تلك البلدة من المنطقة وعن مدى أهميتها من الوجهة التاريخية ، فأثار ذلك التساؤل شجون المتواجدين فى المجلس وكان بينهم من يعتبر العناية بالآثار والإلمام بتاريخ الجزيرة من أجل اهتماماته . لذا فقد تركز الحديث فى تلك الجلسة على استعراض تاريخ القسم الشرقي من الجزيرة العربية وهى الأراضى المعروفة بهجر أو البحرين ثم الأحساء وما كان لتلك الأراضى من إسهامات رائدة فى صياغة الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ ، وكيف كانت بفضل خيراتها وموقعها الاستراتيجي تمثل همزة الوصل بين مختلف الحضارات فى العالم القديم حيث كانت ملتقى للأجناس البشرية المختلفة ومسرحاً للعديد من البطولات والأحداث الجسام ومحفلاً للثقافات والأديان ، ثم ما كان لسكانها من شرف المسارعة لتلبية نداء الإسلام من غير حرب أو إكراه ، ناهيك عن الأموال الطائلة التي أسهم

بها خراج هجر فى إثراء خزانة الدولة الإسلامية الناشئة وتعزيز حركة الجهاد علاوة على إحرازها قصب السبق فى الإسهام بنشر الإسلام شرقا حيث انطلقت منها أولى قوافل المجاهدين فى فتح فارس وبعض جزر المحيط الهندى . ثم اتجه الحديث إلى ما منيت به الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى هجر من الارتباك والمعاناة حين أدار الخلفاء بعد صدر الإسلام وبخاصة فى العصر العباسى ظهورهم لأقاليم الجزيرة العربية تاركين تصريف شئونها لعمال لايعنيهم من أمرها سوى مايجبى إليهم من الخراج غير آبهين بالطريقة التى تتم بها إدارة هذه الأقاليم ، ثم مانجم عن تلك السياسة من اضطراب الأوضاع وقيام الانتفاضات وحركات التمرد المتعاقبة والتى كان أخطرها اندلاع فتنة الزنج فى العقد السادس من القرن الثالث الهجرى ، واستعار فتنة القرامطة فى العقد التاسع من القرن ذاته ، وهى الحركة التى كادت تسحب البساط من تحت قوائم العرش العباسى ، كما نجحت فى سلخ هذه البلاد عن جسد الخلافة العباسية ، حيث ظلت تحت سيطرة هؤلاء حتى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى عندما أطاح بهم آنذاك العيونيون ، ثم ماتلا ذلك من فترات الازدهار التى شهدتها هجر فى ظل سيادة الأقوياء من الحكام العيونيين ؛ وبنى عقيل والعثمانيين فى فترة سيادتهم الأولى ، حيث أصبحت هذه البلاد عندئذ مركزاً علمياً هاماً ؛ ودرعاً واقياً للمقدسات الإسلامية من غارات الاستعمار البرتغالى الذى لم يخف نواياه فى تدمير تلك المقدسات .

ثم أسهب المتحدثون فى شرح أحوال هذه البلاد بعد انحسار السيطرة العثمانية عنها ، وكيف تحولت فيما بعد إلى حلبة للصراع بين بنى خالد ، والسعوديين ؛ والمصريين ؛ والأتراك ؛ وماتركه ذلك الصراع من بصمات سلبية على سير الحياة فيها ، حتى أشرق فجر الاستقرار والنهضة بتسلم الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه – لمقاليد الحكم فيها ، ومد رواق الأمن عليها . ثم ماكان لاكتشاف الزيت بها من أثر عظيم فى النقلة الحضارية الهائلة التى تتفيأ المملكة ظلالها والتى أعادت لهذا الجزء من الجزيرة دوره الرائد فى دفع عجلة التطور البشرى ، حيث أضاء ولايزال بذهبه الأسود مشاعل الحضارة الإنسانية المعاصرة ، كما أضاء نحور الغوانى منذ آلاف السنين بلآلئه النادرة الوجود .

وقد أفضى هذا الحديث إلى التساؤل عن الأسباب التى جعلت أرباب الأقلام والمراكز العلمية فى بلادنا لا تولى هذا الجانب على أهميته ماهو به خليق من العناية والرعاية والبحث . وعما إذا كان من اللائق أن يظل المثقف من شبابنا يعرف من أمر رعاة البقر فى غابات العالم الجديد والمغامرين فى أدغال إفريقيا ومجاهلها أضعاف مايعرفه عن مدارج طفولته ومرابع صباه .

وإلى متى يظل عدد الكتب التى تعالج تاريخ الأراضى الشرقية من الجزيرة لايتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ؟

ولا أكتم القارىء سراً إذا قلت إن تلك الجلسة قد أذكت فى نفسى جذوة العزم على الكتابة فى تاريخ هذا الجزء من وطننا العزيز ، آملاً أن أضيف إلى خطى من سبقنى فى هذا الطريق الشائك ولو خطوة واحدة ، فركزت منذ ذلك اليوم جل طاقتى على جمع كل ما كتب عن هذه المنطقة من المؤلفات والبحوث والدراسات ، وطفقت أبحث عن كل ماله مساس بها من المعلومات فى تضاعيف كتب التراث العربى ، والأدب الشعبى ؛ ووثائق الأمم التى كانت هذه البلاد ضمن دائرة نفوذها فى يوم ما . كما دأبت على جمع الوثائق الرسمية ، والحجج الشرعية المحلية وتحليلها لاستنباط مابها من المعلومات المفيدة للبحث ، وعمدت إلى الاتصال بالثقاة من المسنين للحصول منهم على أخبار الحوادث التى عاصروها ؛ أو سمعوها من أسلافهم .

وقد توفر لى من تلك المصادر قدر كبير من المعلومات ، عكفت عدة سنوات على فرزها وغربلتها ؛ وتحليلها ؛ وتنسيقها إلى أن استصفيت منها مادة هذا الكتاب الذى أضعه بين يديك آملاً أن تجد فيه الفائدة التى توخيتها من وضعه وهي :

التعريف بالمسيرة التاريخية لإقليم هجر ، تلك المسيرة التى منيت بالإهمال والنسيان ردحاً من الزمن ؛ والتى لاتزال فى مسيس الحاجة للكثير ، والكثير من البحث والدراسة والتقييم بمايتناسب مع الدور الرائد لهذا الإقليم فى تأسيس وصياغة الحضارة الإنسانية قديما وحديثا .

وقد جاء هذا الكتاب فى جزأين ، اشتمل الأول منهما على اثنى عشر فصلاً ، تناولت البحث فى الأحوال الجغرافية الطبيعية ؛ والبشرية ؛ والاقتصادية ؛ والمنجزات الحضارية ؛ والعمرانية .

أما الجزء الثانى فيتكون من ثمانية فصول تضمنت البحث فى الأحوال السياسية لهذه المنطقة منذ فجر التاريخ إلى القرن الرابع عشر الهجرى .

وقد اشتمل الكتاب بجزأيه على بعض المعلومات التى لم يسبق نشرها ، كما تضمن تحليل بعض الآراء والحوادث ؛ ومناقشتها ؛ وتقويم بعضها ، وقد أرجح رواية على أخرى إما لوجود قرائن تحملنى على ذلك . أو أنها الأقرب إلى منطق الأشياء . وعندما يتطلب المقام الاستشهاد بقول ما . فإننى أورد ذلك بالنص كما جاء على لسان صاحبه ، بغية عرض الحوادث ؛ والوقائع والحقائق التاريخية بكل مايتضمنه البحث العلمى من أمانة وموضوعية ، وبعد عن التحيز لرأى شخصى ، أو اتجاه ، محدد مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية التسلسل الزمنى ؛ والترتيب المنطقى فى عرض الأحداث . وقد حرصت أن أعزو المعلومات والأخبار إلى مصادرها ، مثبتة فى هوامش الكتاب كلما أمكن ذلك .

وقد اقتضى منهج البحث أن أطلق على هذا الكتاب اسم « تاريخ هجر » أو « تاريخ البحرين »

فهما الاسمان اللذان كان يعرف بهما الجزء الشرقى من الجزيرة العربية موضع البحث . وبما أن البحرين أصبح علماً على أرخبيل الجزر التى تتألف منها دولة البحرين حالياً فإن هجر يظل الاسم الوحيد المناسب لنسبة هذا التاريخ إليه ، فهذا الاسم رغم عدم استعماله على المستوى العام منذ أمد بعيد لغلبة اسم الأحساء عليه ، فإنه لايزال حياً فى مجال الأدب والفكر موحياً بجلال الماضى وأصالة التراث . هذا وإننى حين أقدم هذا الجهد المتواضع ، أرجو من الأعماق أن يكون حافزاً لأصحاب الأقلام من شبابنا ، للنهوض بمسئولياتهم فى مواصلة البحث فى تاريخ كل جزء من أجزاء هذه الجزيرة ، والتنقيب فى آثارها ، للخروج من ذلك بعمل متكامل تتجلى فيه حقائق التاريخ ، ومعالم الحضارة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

عبد الرحمن بن عثمان آل ملا

﴿ الفصــــل الأول ﴾

الحيـــاة الطبيعيـــة لهجـــر

﴿ الحيـاة الطبيعيـة لهجـر ﴾

الاسـم والموقـع :-

يقسم البلدانيون العرب شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقاليم هى :

١ - تهـامة

٢ - الحجـاز

٣ - نجـد

٤ - عُمـان

٥ - العـروض

ويشمل العروض : اليمامة ، وهجر «البحرين» وتطلق هجر على الأراضى الواقعة شرق الجزيرة العربية على الشاطىء الغربى للخليج والجزر المقابلة له من البصرة شمالاً إلى عُمان جنوباً ، ومن الخليج شرقاً إلى الدهناء غرباً ، فتضم المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، وأراضى كل من دولة الكويت ، ودولة البحرين ودولة قطر . وللمؤرخين والبلدانيين أقوال متعددة ؛ وآراء مختلفة حول ماكان لعموم هذا الإقليم أو بعض أجزائه عبر العصور الماضية من أسماء . كهجر ؛ والبحرين ؛ والخط ؛ والأحساء . ويتناول الاختلاف بين الباحثين فى هذا المضمار الأصل والمنشأ لهذه الأسماء ، والعلاقة بين دلالتها اللغوية ، والواقع الطوبوغرافى لهذه البلاد ، ثم حدود النطاق الجغرافى لمدلول كل منها .
وعلى ضوء ما سنورده من الأقوال والآراء للمؤرخين والجغرافيين من القدماء والمحدثين فى المواضع المناسبة ، سيتبين لنا أنهم لم يكونوا على اتفاق دائم فى مدلول الاسم الواحد ، ففى حين يتسع مدلول هجر والبحرين والأحساء ليشمل الإقليم كله عند باحث كما هو الحال عند ياقوت (١) وأبى الفداء (٢) والدمشقى (٣) وابن خلدون . نجد الاسم ذاته يتقلص ويضيق ليقتصر على جزء من الإقليم ، أو على مدينة منه كما هو الحال عند ابن رستة (٤) وابن بطوطه

---

(١) معجم البلدان جـ١ ص ٥٠٦ : ٥٠٧

(٢) تقويم البلدان : ص٩٩

(٣) نخبة الدهر : ص١٢٠

(٤) العلاقة النفيسة : ص٩٦

اللذين يجعلان كلاً من هجر والبحرين مدينة قائمة بذاتها . ولعل الأصل فى كل من هذين الاسمين كان كذلك ، وأن ازدهار إحدى المدينتين ؛ وتعاظم أهميتها سياسياً ، أو اقتصادياً جعل اسمها إبان شهرتها يغلب على الإقليم كله ويصبح علماً عليه .

ومن هنا أطلقت المصادر على الإقليم اسم هجر باعتبار مدينة هجر قصبة الإقليم ، وأهم مدينة فيه ، وكذلك الشأن بالنسبة للبحرين .

وتسمية الإقليم باسم عاصمته أمر مألوف وليس بغريب ، ومن الشواهد الدالة على ذلك مانعرفه عن دولة الكويت ؛ ومدينة الكويت ؛ ودولة تونس ؛ وتونس العاصمة .

ويبدو أن التنافس على هذه الأسماء ظل جارياً بين مناطق هذه البلاد حتى اقتسمت هذه الاسماء فيما بينها ، فاختصت المدن الداخلية منها باسم هجر ثم الأحساء ، واقتصر الخط على القطيف والمدن الساحلية ، كما استأثرت جزيرة أوال باسم البحرين . ومهما يكن من شيء فإن كلاً من هجر والبحرين ؛كانت تطلق على البلاد الواقعة بين البصرة شمالاً ؛ وعُمان جنوباً ؛ والخليج شرقاً والدهناء غرباً ، فتشمل الأراضى الممتدة على شاطىء الخليج العربى ، ومايليها من جزره الغربية وكذلك أراضى هجر الداخلية ، وهجر هي قصبة البحرين وقاعدتها ، وقد يطلق اسم هجر على جميع أراضى البحرين ، كما تسمى الأراضى الممتدة على الشاطىء الخط ، وتشمل الكويت ؛ والقطيف؛والدمام ؛ والخبر ؛ والظهران ؛ ورأس تنورة ؛ والعقير ؛ وقطر وغيرها من المدن والقرى الساحلية من البصرة إلى عُمان ، وقد عرفها ياقوت فى معجم البلدان بقوله : «البحرين اسم جامع لبلاد على بحر الهند بين البصرة وعُمان ، قيل هى قصبة هجر وقيل هجر قصبة البحرين» .

وقال ابن خلدون : «البحرين بلاد واسعة على بحر فارس من غربيه ، وتتصل باليمامة من شرقيها والبصرة من شمالها ، وبعُمان من جنوبها ، وتعرف ببلاد هجر ، وقال أيضا : « البحرين إقليم يسمى باسم مدينته ، ويقال هجر باسم مدينة أخرى منه كانت حاضرة فخربها القرامطة»(١)

وقال البكرى فى ذكر البحرين وأعمالها : «هى بلاد واسعة شرقيها ساحل البحر ، وغربيها متصل باليمامة ، وشمالها متصل بالبصرة ، وجنوبها متصل ببلاد عُمان » .

ومما تقدم يتبين لنا أن هجر كانت فى معظم فترات تاريخها إقليماً مستقلاً له سماته البيئية والطبيعية والاجتماعية المتميزة عن سائر أقاليم شبه الجزيرة العربية ، وهذا ماسنراه فى الفصول اللاحقة من هذا الكتاب .

وقد ظل إقليم هجر « البحرين » معروفاً بالحدود السالفة الذكر حتى ظهور إمارات الخليج وانضمام منطقة الأحساء الى المملكة العربية السعودية .

---

(١) المعجم الجغرافى حمد الجاسر ص٢١٧

الأحوال الطبيعية

التركيب الجيولوجى :

من المسلم به وفق أحدث النظريات العلمية ، أن الكرة الأرضية كانت فى العصور الجيولوجية قبل ملايين السنين كتلة واحدة ، وصار تشكيل المحيطات والقارات عبر الأحقاب الجيولوجية يختلف اختلافاً بيناً من حقبة جيولوجية إلى أخرى ، وقبل أن تتخذ اليابسة شكلها الحاضر كانت جميع القارات قبل مئات الملايين من السنين كتلة واحدة ، (١) وبسبب عوامل كثيرة تفسخت ، وتباعدت إلى أن اتخذت صورتها الراهنة . ففى بداية الأمر كانت آسيا وإفريقيا وأوروبا ملتصقة بالأمريكتين وأستراليا ، فأمريكا الشمالية مع أوروبا لايفصل بينهما سوى بضع بحيرات ، وأمريكا الجنوبية مع إفريقيا بينما استراليا والهند وقارة القطب الجنوبى كانت جميعها ملتصقة بأقصى جنوب إفريقيا ، وكان فى وسط هذه القارات محيط كبير شاسع الأرجاء تعج مياهه بالكائنات الحية من حيوان ونبات ، وقد أطلق العلماء على ذلك المحيط بحر تيثوس ، وقد كان يتسع ويضيق تبعاً للتغيرات الجيولوجية على مدى العصور ، وفى أقصى امتداداته صار يغطى المنطقة الممتدة من السند حتى المغرب بما فيه البحر الأبيض المتوسط ولذلك فإن المنطقة بصورة عامة منطقة رسوبية . وقد تركز بحر تيثوس فى يوم ما على الخليج والمنطقة المحيطة به ، وهى القسم الشرقى من الجزيرة العربية والعراق وإيران . وفى عصر الميوسين والبليوسين (٢) حدث ارتفاع فى وسط آسيا نتيجة للتغيرات الجيولوجية أعقبه ظهور هضبة إيران من قاع البحر ، وبروز جبال زاغروس أيضاً . ونتيجة للضغط الهائل تمت عملية بناء الجبال ، وبروز تلك الأراضى فى العصر الكامريانى ، وهو العصر الجيولوجى البالغ القدم الذى تعرف منه الحياة ، فتكونت ترسبات كثيفة من كميات الملح استمرت على مدى أجيال تالية كامنة فى الصخور ، وقد أدى ضغط حركة بناء الجبال إلى دفع هذا الملح من أعماق الأرض ، فبرز إلى السطح فى عدد من الأماكن فى صورة أحواض اسطوانية ذات قطر يتراوح من ٤ إلى ٦ أميال . أما بعض المعادن كالحديد والنحاس الخام وكذلك الصخور البركانية وغيرها من الصخور فتعتبر عنصراً غريباً فى المواضع التى وجدت فيها من تلك المناطق ، وفى هذه الأثناء كان يوجد نشاط بركانى عظيم فى أواسط فارس والجزيرة العربية .

---

(١) مجلة المنهل عدد ذى القعدة سنة ١٣٩٠ هـ ص١٣٣٠

(٢) السير أرنولدت ويلسون : الخليج العربى ص ٥٨

كما استمرت طيلة العصر الجليدى الأخير حتى العصور التاريخية اندفاعات عظيمة لصخور من الحجر النارى فى المنطقة الممتدة من الشام إلى الحجاز . وهذه الصخور يعرفها العرب باسم الحرَّة . ومن هنا يمكن القول بأن جزيرة العرب تتألف من قسمين رئيسيين يفصل بينهما خط دائرى ، يبدأ عند خليج العقبة شمالاً ، ويتجه شرقاً باتساع حتى يصل غربى الرياض ، ثم يعود فيضيق تدريجياً حتى ينتهى شرقى اليمن الجنوبى ، فالقسم الغربى يسمى «الدرع» لكونه يتألف من صخور نارية متحولة تعتبر بقايا سلاسل جبال قديمة جداً قضت عليها عوامل التعرية المختلفة ، وجرفتها السيول الضخمة حتى ساوت قسماً كبيرا منها بالأرض ، وهذا القسم بلاشك جزء من الشمال الشرقى لإفريقيا ، وقد فصلها البحر الأحمر فى عصور جيولوجية متأخرة نسبياً .

أما القسم الشرقى من جزيرة العرب فهو يتكون من صخور رسوبية حديثة جداً جيولوجياً بالنسبة إلى « الدرع » وقد أدت حركة هذه الصخور عند تكوينها إلى ميلانها من الغرب إلى الشرق ، فأصبحت أكثر ارتفاعا عند سلسلة جبال طويق منها عند الخليج ، بحيث أصبح سمك الصخور الرسوبية تحت سطح الخليج العربى يتجاوز أربعين ألف قدم فى بعض الأماكن ، كما أدى الضغط على هذه القطعة الرسوبية إلى تكوين تحدبات وقباب جوفية فى غاية الاتساع والامتداد ، أشهرها وأكبرها تحدباً منطقتا الغوار فى اليابسة ، والسفانية تحت سطح الماء ، وكلاهما فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . كما حدث ضغط جوفى شديد نتيجة لتكوين جبال الهملايا فى شمال الهند ، مما أدى إلى تكوين إيران وجبال عُمان ، وحدث فى ذات الوقت هبوط فى صورة ثنيَّة مقعرة كونت الخليج العربى وامتداده فى أرض العراق ، وامتدت هذه الثنية من منطقة هيت بالعراق إلى جبال عُمان ، وكان هناك فى العصور الجيولوجية القديمة حاجز جبلى يغلق الخليج العربى ، ويفصله عن المحيط الهندى . وفى العصور الجيولوجية المتأخرة حدث هبوط الأرض فى منطقة عُمان ، وبذلك تكونت فتحة مضيق هرمز الذى ربط الخليج العربى بالمحيط الهندى .

أما المنخفض البحرى الممتد فى أرض العراق ، فقد أخذت تملؤه الرواسب التى جرفتها مياه الأنهار (١) المنحدرة من المرتفعات القديمة وأهمها آنذاك نهرا قارون وكرخى المنحدران من جبال زاغروس فى المشرق ، وكذلك المياه المنحدرة من وادى الباطن ، وتأتى من المرتفعات الوسطى فى شبه الجزيرة العربية إبان العصر المطير . فقد تعاونت هذه الأنهار معاً بما

---

(١) محمد متولى : الخليج العربى ص ٦٢ - ٦٣

كانت تحمله من رواسب على بناء حاجز مرتفع نسبياً فصل منخفض الخليج العربى عن منخفض العراق فأخذت مياه نهرى دجلة والفرات بما تحمله من رواسب تملأ منخفض العراق بالرواسب . ومن هنا تشكل الخليج العربى فى صورة بحيرة كبيرة داخلية تقع على مقربة من مدار السرطان ، ويتراوح عرض الخليج بين ٨٠ - ٣٠٠ كم ، وطوله ٨٠٠ كم من شط العرب إلى مضيق هرمز الذى يبلغ إتساعه ٨٠ كم ، والخليج قليل العمق ، وبه عدة جزر أكبرها جزيرة البحرين .

ومن هنا يمكن القول أن معظم أراضى قاع الخليج والمناطق المحيطة به تتكون من طبقات رسوبية تحولت بمرور الزمن إلى طبقات من الصخور الرسوبية .

وتتواجد هذه الصخور فى الأماكن التى يُعثر فيها على النفط، وبذلك نجد معظم أراضى هجر تتألف غالبا من طبقة رملية تغطى طبقات من الصخور هى أشبه ما تكون بإسفنجة تختزن المياه ، فتغذى الآبار والعيون من مياهها ، فى حين يكمن الزيت فى مسام طبقة رملية صخرية على عمق يتراوح بين ٥٠٠٠ - ٩٠٠٠ قدم ، ويعد العلماء وجود الزيت فى هذه الأراضى من أكثر البراهين دلالة على أنها كانت فى الأزمنة السحيقة جزءاً من بحر تيثوس هذا بالإضافة إلى براهين أخرى لوجود الرواسب البحرية التى تم العثور عليها ، ومن بينها عظام ديناصور وجدت بالقرب من مدينة النعيرية .

كما اكتشف برترام توماس (١) فى الربع الخالى بحيرة من الماء المالح يبلغ طولها سبعة أميال ، وبقايا حيوانات مبعثرة هناك ، وقد تأكد العلماء من أن تلك البحيرة كانت فى الماضى جزءا من الخليج العربى ، حيث كانت تلك الأراضى من المناطق التى تغمرها مياه بحر تيثوس .

---

(١) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الاسود ص١٨

السطح والتضاريس :

يتكون سطح هجر « البحرين » من :

(ا) سهول ساحلية ممتدة على طول الشاطىء التى تشكل السبخات المالحة معظم أجزائه . فهو عبارة عن سهل منخفض لايتجاوز ارتفاعه عن سطح البحر أكثر من مائتى متر غالباً .

(ب) السهول الوسطى : وهى التى تمثل الجزء الأكثر اتساعا وهى تنحدر من الغرب إلى الشرق .

(جـ) الصحارى : وتشمل الكثبان الرملية الصفراء التى يبلغ ارتفاعها أحيانا عشرات الأمتار وتتخذ أشكالها غالباً شكل حذوة الفرس ، وهى غير مستقرة ، فيسبب تحركها بفعل الرياح والعواصف كثيراً من المتاعب لسكان تلك المناطق حين يضطرهم زحف الرمال إلى التحول عن قراهم لمواضع أخرى ، ومن أهم هذه الصحارى صحراء الدهناء ، وهى بمثابة قوس من الرمال ، تصل بين صحراء النفوذ فى الشمال ، وصحراء الربع الخالى فى الجنوب بطول ١٠٠٠ كم وعرض يتراوح بين ٣٠ – ٧٠ كم ، وتظهر الطبقة الصخرية من خلال الكثبان الرملية ، ويطلق العرب على تلك المواضع اسم خبوب ، كما يطلقون على الكثبان الرملية الواقعة إلى الشمال من خط عرض ٢٦° اسم عروق (١) ويكون اتجاه الدهناء من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى ، إلا أنه عند خط عرض ٢٤° شمالاً يصبح من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى ، وتأتى هضبة الصمان بعد الدهناء (٢) باتجاه الشرق ، وتمتد من خط عرض ٢٧° شمالاً حتى واحة يبرين فى الجنوب بطول ٣٨٠ كم ، وعرض من الشرق إلى الغرب يتراوح بين ٨٠ – ٢٢٥ كم وقد سمى الصمان بهذا الاسم لصلابته ، وهو أرض واسعة بها حزوم مرتفعة ، وسهول وأودية ، وبه مراع جيدة ، وخبارى تجتمع فيها مياه الأمطار ، ومن مناطقه الصلب وهو حزم صخرى تكسوه رياض كثيرة العشب .

---

(١) محمود شاكر – البحرين ص١٢

(٢) تعرف الدهناء بجودة هوائها ، ومناخها الصحى ، لايسلو عنها من يألف النزول بها من العرب . تذكر المصادر أن العيوف وهى إحدى شواعر البادية ، تزوجت من رجل نقلها من الدهناء إلى العرج والروحاء من نواحى المدينة المنورة فلم تحتمل العيش هناك ، ونظمت فى حنينها إلى الدهناء ابياتا جاء فيها قولها :

خليلى قوما فارفعا الطرف وانظرا ... لصاحب شوق منظــرا متراخيــا
عسى أن نرى والله ماشاء فاعل ... بأكثبة الدهناء من الحى باديـاً
وإن حال عرض الرمل والبعد دونهم ... فقد يطلب الإنسان ماليس رائيـا
يرى الله أن القلب أضحى ضميره ... لما قابل الروحاء والعرج خاليـا

والصمان :متسع صخرى يمتد موازيا لساحل الخليج العربى بين الأحساء والدهناء ، وهو فى الشمال أعرض منه فى الجنوب والوسط ، ويتراوح عرضه بين ٥٠ إلى ٧٠ ميلا ، ويبلغ طوله ٢٥٠ ميلا ، وفى هضبة الصمان مساحات واسعة مؤلفة من سهول تنحدر تدريجيا فى هبوطها إلى الشرق ، وهو بصفة عامة منطقة جافة خالية من الماء سوى مايتجمع على أنماط منها الدحول وهى فجوات فى الأرض على أعماق مختلفة ضيقة فى الفم متسعة فى القاع تختزن الماء فيها ، وتكثر هذه الدحول فى الشمال غالباً .

(د) الجبـــال :-

فى هجر جبال كثيرة منبثة فى طول البلاد وعرضها ، وتتخذ شكل تلال منعزلة ، ومن أهمها :

١ - جبل الطف (١) : وهو مواز للساحل على بعد حوالى ١٠٠ ميل فى الداخل ، يبدأ من قصر صبيح شمالاً ، وينتهى عند جزيرة الزخنونية جنوباً ، وهو عبارة عن سلسلة جبال كبيرة تعد أكبر نظائرها فى هذه البلاد حيث يبلغ طولها ١٠٠ ميل تقريباً .

٢ - جبل الأربع : يقع على بعد خمسة أميال جنوب قرية الجشة ، وهو جبل منعزل ذو أربعة رؤوس يقع على الحد بين واحة الأحساء والحزمة .

٣ - جبل الدام : يقع على بعد أربعين ميلا فى الداخل شمال غربى دوحة رحوم ، وعلى بعد خمسين ميلاً جنوب غربى القطيف ، وستين ميلاً شمال شرقى الهفوف ، وهو جبل منعزل ، ويعتبر أحد المعالم الرئيسية وسط الأحساء ، ويبلغ طوله عدة أميال من الشمال إلى الجنوب ويعتبر جبل دام نقطة التقاء حدود خمس مناطق هى : حبل ، والبياض ، والجوف ، وأبو الدلاسيس ، وجو السعدان .

٤ - جبل أبوظهير : ويقع على بعد ٦٠ أو ٧٠ ميلاً فى الداخل باتجاه غربى الساحل بين المسلمية وجزيرة أبوعلى ، وهو سلسلة تلال طولها ٢٠ ميلاً من الشمال إلى الجنوب ويمثل امتداداً شمالياً لجبل الطف .

٥ - جبل أبوغنيمة : ويقع بين الهفوف والمبرز ، وهو سلسلة من التلال البيضاء اللون يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب نصف ميل .

٦ - جبل جو الدخان : ويقع على بعد ٩٠ ميلا جنوب غربى جبل أبوغنيمة

٧ - جبل غريميل : يقع على بعد أربعين ميلاً شمال مدينة الهفوف ، وهو جبل كبير منعزل .

---

(١) ج ج لوريمر : دليل الخليج القسم الجغرافى جـ٢ ص٨٤٠ -٨٤٤

٨ - جبل قارة الركبان : يقع على بعد ٢٠ ميلاً شمال الشمال الغربى لمدينة الهفوف ، وهو ذو ارتفاع ضئيل ، بيد أنه ذو دور مهم فى النزاعات والحروب التى كانت تقع بين القبائل على حد قول لوريمر .

هذا بالإضافة إلى وجود عدة تلال بالمنطقة منها :

جبل القارة ؛ وجبل بريجه ويقعان فى واحة الأحساء ، وجبل الغوار فى منطقة الغوار ، وجبل خرمة فى منطقة خرمة ، وكذلك جبيلة البحرى ، والظليفين ويقعان على الساحل ، والمباركية وقزين ويقعان بالداخل فى منطقة البياض .

٩ - جبل النعيرية : يقع على بعد ١٨ ميلا شمال الشمال الشرقى من نطاع .

١٠ - جبل الظهران بالظهران : وهو سلسلة جبلية موازية للشاطىء بين الدمام وقلعة الحصين التى تبعد حوالى ميلين إلى ثلاثة أميال عن البحر .

(هـ) السواحل والجزر :-

تبلغ سواحل هجر فى امتدادها من البصرة شمالاً إلى عمان جنوباً مئات الأميال ، ومعظم هذه السواحل تتكون من شواطىء رملية متعرجة تكثر فيها الشعاب المرجانية ، ويتخللها عدة خلجان وأخوار يصلح معظمها لاستقبال السفن ، منها خليج جرا وهو خليج كبير تقع فى مدخله جزر البحرين ، وفيه مرفأ العقير ، وهو قليل العمق تكثر فيه الصخور والشعاب المرجانية . ثم يليه خليج كيبوس المحاذى لمدينة القطيف ، وبه تقع جزيرة تاروت ، وهو غير صالح لرسو السفن الكبيرة ، ثم بعده إلى الشمال يقع خليج المسلمية قرب الجبيل ، وهو مسدود من ناحية البحر بجزيرة أبى على ، وفى وسطه تقع جزيرة جنة ، وعلى مقربة منها تقع جزيرة المسلمية وفى الشمال أيضا يقع خليج صغير بين منيفة ورأس التناقيب .

ويشذ عن امتداد الساحل رؤوس من أهمها :-

١ - شبه جزيرة قطر : وهى عبارة عن لسان كبير من اليابسة يتوغل داخل الخليج العربى بطول ١٣٥كم تقريباً وبعرض ٦٥ كم تقريباً وتقوم عليه دولة قطر .

٢ - رأس تنورة : ويقع فى الطرف الشمالى من خليج كيبوس ويتوغل داخل البحر إلى مسافة تمكن السفن التجارية الكبيرة وناقلات البترول من الرسو على مقربة منه .

٣ - رأس السفانية .

٤ - رأس مشعاب .

٥ - رأس الزور عند حدود الكويت .

وهناك رؤوس تقع فى الكويت نفسها وهى :-

رأس عجوزة ، وتقوم عليه مدينة الكويت ، ورأس الأرض ورأس القليعة فى الجنوب .
وتتناثر أمام هذه السواحل عدة جزر من أهمها :
مجموعة الجزر التى تتكون منها دولة البحرين ، وتقع فى الخليج الكائن بين شبه جزيرة قطر وسواحل الأحساء ، وأكبرها جزيرة البحرين ، ويبلغ طولها ٥٠ كم ويتراوح عرضها بين ١٣ - ١٦ كم ، وفى الشمال الشرقي منها تقع جزيرة المحرق ، وبالقرب منها جزيرة سترة ، وجزيرة النبى صالح ، وجزيرة أم نعسان الواقعة إلى الغرب من جزيرة البحرين . وهناك أرخبيل جزر حوار التى يبلغ عددها إحدى عشرة جزيرة وتتصل جزيرة البحرين بالمحرق عن طريق جسر يبلغ طوله ١٢ كم تقريباً ، كما أنشىء مؤخرا جسر طوله ٢٤ كم يربط البحرين بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . وهناك مجموعة جزر تقع ضمن حدود الكويت .
من أهمها :

١ - جزيرة فيلكا التي يبلغ طولها ١٣ كم .

٢ - جزيرة بوبيان ، ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٣٧ كم ويبلغ عرضها من الشرق إلى الغرب ٢٠ كم .

٣ - جزيرة وُربة . وهى عبارة عن مجموعة جزر تقع شمال جزيرة بوبيان ويبلغ طول أكبرها ١١ كم وعرضها ٦ كم .

المنـــاخ :

تقع هجر « البحرين » ضمن النطاق الصحراوى القارى ، ورغم امتدادها الطويل على سواحل الخليج فإن أثره على مناخها ضئيل جداً ، ويتميز مناخها شبه المدارى بعدة خصائص منها ارتفاع درجة الحرارة بصورة عامة ، وبخاصة فى المناطق الساحلية ، فيكون معدل متوسط الحرارة فى فصل الصيف الدرجة العظمى ٤٢° أما الدنيا فلا تنخفض إلى أقل من ٢٩° .

أما فى فصل الشتاء فتبلغ درجة الحرارة العظمى ٢١,٥°، والصغرى ٩,٥° ويلاحظ فى بعض الأحيان أن درجة الحرارة تتذبذب بين هبوط وارتفاع بمقدار ٥ درجات فى بضع ساعات خلال اليوم الواحد .

أما الرطوبة فإنها تكون مرتفعة فى فصل الصيف بسبب ارتفاع درجة الحرارة ، وقرب البلاد من الخليج ، فتصل درجة الرطوبة العليا إلى حوالى ٦٤٪ ولايتجاوز انخفاضها لأقل من ١٨٪ وفى فصل الشتاء تصل نسبة الرطوبة العظمى إلى ٥٢٪ ولاتنخفض عن ٤٥٪ ، وتكون نسبة الرطوبة فى المناطق الداخلية أقل منها فى المناطق الساحلية ، وذلك بتأثير قربها من الخليج وحين تتشكل الضغوط المنخفضة فى فصل الصيف على الحبشة ، وجنوب إيران ، وخليج عُمان

تنشأ رياح جنوبية غربية قادمة من المحيط الأطلسى والهند ، ولكنها لاتصل إلى هذه البلاد إلا بعد أن تكون قد أفرغت ماتحمله من رطوبة على جنوب غرب جزيرة العرب ، ويكون الضغط المرتفع المداري شمال الجزيرة ، فتهب رياح شمالية بحرية قادمة من البحر الأبيض المتوسط ، ولكن مرورها عبر مناطقْ حارة يجعلها جافة ضعيفة الأثر فى نشر الرطوبة ، وتساقط الأمطار .

أما فى فصل الشتاء فيكون الضغط المنخفض قد انتقل تجاه الجنوب ، وتشكل مركزا للضغط المرتفع فى وسط آسيا ، فتنشأ عن ذلك رياح شمالية شرقية تكون جافة ، وحين تمر عبر الخليج تحمل قليلاً من الرطوبة ، فتسقط بعض الأمطار على منطقة الأحساء .

أما فى فصلى الربيع والخريف ، فتكون هذه البلاد مجالاً لرياح محلية تثير الغبار ، وتهب الزوابع الترابية طيلة السنة ، وتزيد غالباً فى شهور الصيف بسبب سرعة الرياح وقوة اندفاعها فوق أراضٍ صحراوية رملية مجردة من الغطاء النباتى ، لهذا تحمل معها الأتربة والرمال . ومن هنا يمكن القول أن الأمطار قليلة بصفة عامة حيث يبلغ معدلها فى المتوسط أقل من ٢٥٠ مم ويهطل أكثرها فى فصل الشتاء .

الميـــاه :

نظراً لقلة الأمطار ، وندرة سقوطها على أراضى هجر «البحرين» فإنه لاتوجد بهذه الأراضى أنهار جارية على نحو ماهو معروف فى وادى النيل وبلاد الرافدين . غير أن العناية الإلهية قد حبت هذه البلاد بمقدار كبير من المياه الجوفية ، ورغم وجود هذه المياه فى أكثر أراضى هجر إلا أن الجزء الأعظم منها يتركز فى واحتى الأحساء والقطيف وجزر البحرين ، ففى هذه المناطق توجد المياه العذبة بين الصخور الرسوبية الكلسية ، ولكون هذه الرواسب آخذة فى الميل نحو الشرق ، فإن المياه الجوفية تتحرك فى هذا الاتجاه من خلال الشقوق الموجودة بين الصخور ، فتتخذ شكل أنهار مغمورة تحت سطح الأرض ، وحين تسمح لها الظروف الطبيعية أو الحفريات بالظهور على وجه اليابسة فإنها تندفع بفعل الضغط الشديد ، وتجرى على وجه الأرض فى صورة أنهار نسبية تختلف مقادير كميات مياهها من مكان إلى آخر ، ويستقر مخزون المياه الجوفية هذه فى ثلاث طبقات من عصر الأيوسين بعضها فوق بعض ، ويفصل كل طبقة وأخرى طبقة من الصخور الصلبة ، وأعمق هذه الطبقات الرسوبية وأغناها بالمياه (١) هو مايسمى بحقل أم الرضومة ، ويليه فى هذا المضمار حقل الخبر ، ثم حقل العلاة وهو أقرب الحقول إلى سطح الأرض ، وأكثر العيون المعروفة فى البلاد تستخرج مياهها من هذا الحقل ، وهى كثيرة جداً فى الأحساء والقطيف وجزر

(١) محمود شاكر : البحرين – ص٢٤

البحرين ، ويوجد فى قطر عدد من الآبار غير أن مياهها ضحلة لقلة المياه الجوفية هناك .
أما فى الكويت فتعتبر المياه من أقسى المشاكل التى عانى منها السكان قبل اكتشاف النفط واستثمار بعض عوائده فى إنشاء معامل التحلية لمياه البحر لتلبية حاجة المواطنين من المياه العذبة ، فالمياه السطحية فى الكويت معدومة ، والجوفية محدودة ، وأكثرها تغلب عليه الملوحة وأكثرها صلاحية للشرب مياه الروضتين ؛ والشقايا ؛ وحَولِيّ غير أنها قليلة ولاتفى بالحاجة المتزايدة للسكان من المياه .

ومن أشهر العيون القديمة فى الأحساء هى :

١ - عين هجر : سميت بهذا الاسم نسبة لهجر بنت المكفف من العماليق التى سميت مدينة هجر ، باسمها ، وتقع هذه العين بالأحساء (١) خارج أسوار مدينة هجر وقد نزلت عليها قبائل تنوخ حين قدومها إلى هذه البلاد من تهامة ، وهى عين فوارة ورد ذكرها فى شعر امرىء القيس فقال :

أطافت به جيلان عند قطاعه　　　تردد فيه العين حتى تحيرا

٢ - عين محلم : (٢) هى عين تقع فى الأحساء ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله ابن المحلم زوج هجر بنت المكفف ، وهى عين فوارة ماؤها عذب حار فى منبعه ،ذكر الأزهرى بأنه لم ير عيناً أكثر منها ماء .

كما يذكر الإخباريون أن هذه العين فى أرض العرب بمنزلة نهر بَلْخ فى أرض العجم وأن تبعاً نزل عليها ، فهاله كثرة مائها ، ويتدفق من هذه العين نهر كبير يتفرع منه عدة نهيرات تسقى بساتين نخيل جواثا وعسلج وبعض قرى هجر .
ومما تجدر الإشارة إليه أن عسلج موضع يقع فى قرية الجبيل من القرى الشرقية بمنطقة الأحساء ، وقد خفى أمره على الشيخ حمد الجاسر ، فذكر أن موضعه غير معروف ، وعين محلم هذه لايتفق الباحثون على موقعها من الأحساء لأن الأوصاف التى وردت عنها تنطبق على عدة عيون فى واحة الأحساء . وقد أورد الشيخ محمد العبد القادر احتمال كون المراد بعين محلم عين أم سبعة المعروفة .

٣ - بئر النقير : ذكر الهمدانى أنها تقع فى ناحية البحرين ويجتمع عليها كثير من وراد العرب وربما سقى عليها عشرة آلاف بعير .

---

(١) معجم البلدان : ياقوت الحموى جـ٤ ص ٩٥٣

(٢) دكتور جواد على : المفصل فى تاريخ العرب جـ١ ص ١٧٧ ، جـ٧ ص ١٦٣

٤ - عين الزارة : وتقع فى مدينة الزارة بالقطيف ، وهى عين غزيرة الماء ، وقد ورد ذكرها فى الحديث الشريف ، والأحاديث التاريخية الخاصة بحروب الردة وسيأتى تفصيل الحديث عن هذه العين وغيرها فى المواضع المناسبة فى الفصول اللاحقة من هذا الكتاب .
ومما تجدر الإشارة إليه أن العيون السالفة الذكر ، وعشرات العيون غيرها لايمكن تحديد مواقعها بصورة دقيقة لاعتبارات كثيرة منها :-

أن تكون هذه العيون قد طمرت ، وغمرتها الرمال حيث لايزال عمال الحفر يعثرون بين آن وآخر على عشرات العيون والآبار والمساقى المرصوفة بالجص تحت سطح الأرض .

أو أن تكون قد تغيرت مسميات هذه العيون فصعب على الباحثين معرفتها على وجه التحديد .
على أنه لايزال عدد كبير من العيون الجارية وغير الجارية فى واحات هذه البلاد وجزرها كواحة الأحساء ، وواحة القطيف ، وواحة الجوف ، وواحة وادى المياه ، وواحة الخن ، وواحة عقلة ، وواحة يبرين ، وجزر البحرين . وسوف يأتى الكلام عن هذه العيون فى المواضع الخاصة بها من فصول هذا الكتاب .

﴿ الفصـــل الثانـــي ﴾
الســـــكان والهجـــــرات

السكان والهجرات فى هجر «البحرين»

تدل النتائج المنبثقة عن الأبحاث الأثرية على أن البحرين ، والسواحل الأخرى المطلة على الخليج ، كانت من أقدم الأراضى التى عرفتها حياة الاستيطان البشرى منذ أقدم العصور .

ويرى بعض الباحثين أن جزيرة البحرين ، والشواطىء المقابلة لها من شبه الجزيرة العربية كانت مأهولة بالجنس البشرى منذ خمسين ألف سنة ، وقد درجت على هذه الشواطىء كما تذكر المصادر ثلاثة أجناس من الإنسان البدائى الأول وهم (١):-

١ - الجنس الدرافيدى : ويعود فى الأصل إلى السلالات الهندية .

٢ - الحامى : ويعود فى الأصل إلى السلالات الإفريقية .

٣ - المغولى : وينتمى إلى الأصول الآسيوية .

ويبدأ التاريخ المدون لهذه المنطقة على حد قول السيرويلسون منذ نحو سبعة آلاف سنة عندما زحف على إيران ، وشواطىء الخليج جنس طويل الرأس يرجح أنه من آسيا الوسطى ، ويتضح من مخلفات هذا الجنس المتراكمة ، كالخزف ، والأسلحة أن ثقافة هؤلاء المادية لابد أن تكون أقدم مارَسُبَ فى هذه المنطقة من الثقافات ، وليس من المعروف عما إذا كانوا قد طردوا أو امتصوا عنصراً أكثر بدائية منهم كان يقيم بهذه النواحى .

ويعتقد الباحثون أن شجرة النخيل ، وهى مما اشتهرت بزراعته هذه الأراضى من أهم العوامل التى ساعدت على استيطانها منذ العصور الموغلة فى القدم ، فقد كان من شبه المؤكد أنها أعظم عامل فردى فى حياة الإنسان الأول فى تلك الفترة ، ولسنين طويلة فيما بعد .

ويرجح العلماء أن شرق الجزيرة العربية وجنوبها الشرقى ، كان الموطن الأول للجنس السامى ؛ كالآراميين ؛ والفينيقيين ؛ والكلدانيين ؛ والآشوريين .

ويفرق بعض العلماء بين لفظتى بنى سام كما وردت فى العهد القديم ، وبين الساميين كما يستعملها علماء اللغة أو الأجناس .

فالأولى تعنى : الشعوب المنحدرة من أولاد سام وهم (٢): عيلوم ؛ وآشور ؛ وأرفخشذ ؛ ولود ؛ وآرام .

أما الثانية فتعنى : جميع الشعوب التى كانت تتكلم اللغة السامية ، وقد أطلق العرب على الساميين العرب البائدة .

---

(١) السير أرنولدت ويلسون : تاريخ الخليج ص٦٣

(٢) د / عبد الشافى غنيم عبد القادر : البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ص١٨٩

ورغم اختلاف العلماء حول المنبت الأصلى للساميين ، إلا أن الغالبية العظمى منهم ، وبخاصة ثقات المستشرقين يرون أن الجزيرة العربية تعتبر المنبت الأول للعناصر السامية ، فقد أشار المستشرق دى غوية إلى أن الجزيرة العربية كانت الموطن الأول للعناصر السامية ، وأنها هاجرت منها إلى كل من سوريا ؛ وبابل ؛ وعُمان ؛ واليمن ؛ وهى تدفع أمامها ماتقدَمَها من موجات الهجرة التى اتجهت نحو كردستان ؛ وأرمينية ؛ وإفريقية . كما عَّبر عن كون الجزيرة العربية الوطن الأول للساميين الدكتور شبرنجر ، وذلك فى كتابه عن جغرافية بلاد العرب القديمة ، وكذلك عدد من المستشرقين منهم : وليام رايت ، كرادر ، وهرين ، صمويل لانج . أما نولدكه - ويصفه الدكتور عبد الشافى غنيم بأنه أكبر ثقة فى هذا الموضوع - فقد جاء عنه فى دائرة المعارف البريطانية قوله (١) « يرى بعض كبار العلماء أن جزيرة العرب الموطن الأول للجنس السامى ، وهناك كثير من الأدلة تؤيد هذه النظرية ، ويحفل التاريخ بأخبار القبائل التى خرجت من جزيرة العرب ، وقد احترفوا الزراعة واتخذوها نظاماً لحياتهم »

وهناك كثير من الأدلة اللغوية تشير إلى أن العبرانيين والآراميين من أصل بدوى ، والحق أن جزيرة العرب وامتدادها الشمالى من بلاد الشام ، هى الموطن الحقيقى الملائم لشعب بدوى والمفروض أن العرب يمثلون الصفات السامية أصدق تمثيل ، وأن لغتهم أقرب إلى الأصل السامى من لغات الأجناس التى تشبههم ، ويستطرد قائلاً : ونحن نؤيد تأييداً تاماً هذه النظرية التى ترى أن جزيرة العرب هى الوطن الأول لكل الشعوب السامية ، لأنها نظرية جديرة بالتعضيد والتأييد .

ويرى الدكتور عبد الشافى غنيم بعد استعراضه لمجمل آراء العلماء السالف ذكرهم أن شبه الجزيرة العربية يعتبر الموطن الأول للعناصر السامية ، ومنها نزحوا إلى الأقطار المجاورة فعن طريق باب المندب وصلوا إلى الحبشة ؛ والصومال ؛ وشمال السودان ؛ ومصر ؛ وشمال إفريقية وعن طريق سواحل الخليج العربى وصلوا إلى بابل وأرمينيا ، ومن وسط شبه الجزيرة العربية وصلوا إلى سوريا ، وإن كان ذلك لايمنع أن هناك تطعيماً سامياً تم لسوريا من بابل والعكس . كما أن منطقة الهلال الخصيب لابد أن تكون قد زودت مصر وشمال إفريقيا بموجات سامية .

ويمكن أن نلخص الأدلة التى تؤيد وجهة نظر المؤرخين فى اعتبار شبه الجزيرة العربية الموطن الأول للعناصر السامية بما يلى :

---

(١) د / عبد الشافى غنيم عبد القادر : البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ١٩٦

١ - تعد اللغة العربيه أقرب اللغات السامية للأصل السامى الأول .
٢ - شهادة التاريخ بموجات الهجرة المرحلية التى خرجت من شبه الجزيرة العربية إلى البلاد المجاورة .
٣ - تشابه التركيب الجثمانى للعرب بما امتاز به الساميون من صفات بيولوجية .
٤ - إن الحياة البدوية التى يحياها قسم كبير من سكان شبه الجزيرة الحاليين هم أثر بدائى وقديم للمعيشة عند الساميين .
٥ - تأصيل بعض العادات السامية القديمة عند العرب الحاليين ، وفى مقدمتها الحرص على المرأة ، والإزورار عن مخالطة الأجانب ، والتعصب العقدي ، والصلابة الفكرية .
٦ - قصر خاصية التشبث بالأرومة السامية على العرب وحدهم دون غيرهم من الشعوب .

وبعد إقامة الشواهد على اعتبار أن شبه الجزيرة العربية هى الموطن الأول للساميين حاول العلماء البحث عن أى أجزائها كان مهدهم الأول ، وبهذا الصدد يقول الدكتور عبد الشافى غنيم عبد القادر ماملخصه : إن معظم المؤرخين والمستشرقين يذكرون أن الشعوب السامية الأولى بدأت فى البلاد الواقعة بين مصب الفرات وجنوب اليمن ، وعلى سواحل الخليج العربى ، وإذا كانت الهجرات التاريخية قد أثبتت حركات موجاتهم المرحلية فى كل اتجاه فليس من المعقول أن يتحدد وجودهم الأصلى بحضرموت والأحقاف ، وأنهم لابد أن يكونوا قد سكنوا كل هذه المناطق فى وقت ربما كانت فيه الظروف الطبيعية والمناخية تختلف عما هو عليه الآن ، بدليل أن القرآن الكريم وصف ، قوتهم المادية والعمرانية وصفاً يدل على ماكانوا يتمتعون به من قوة وازدهار .

هذا وقد ذكر المؤرخ الكلاسيكى جوزيف فى مؤلفه «آثار اليهود القديمة» : أن الأجناس السامية الأولى كانت تنتشر من الفرات حتى سواحل المحيط الهندى ، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الكتاب يعتبر أقدم مؤلف بعد العهد القديم ، وهو بمثابة تفسير للتلمود على حد قول بعض الباحثين .

ويجمع المؤرخون على أن قبيلة عاد تعتبر أقدم القبائل العربية البائدة ، ومن أعظمها قوة ونفوذا ، وقد تجاوزت سيطرتها شبه الجزيرة العربية ، فوصلت إلى بابل ؛ وسوريا ومصر ، وقد تحدث المؤرخ اليونانى إسترابون عن مستعمرة عربية أنشأتها عاد فى جزيرة أيوبا القريبة من السواحل اليونانية ، وقد رفع المؤرخون نسبة عاد إلى إرم بن سام بن نوح ، فقد جاء فى القرآن الكريم فى سياق خطاب الله لعاد قوله تعالى :

«واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح»(١)

(١) سورة الأعراف من الآية ٦٩

وتعنى كل من الكلمات : عاد ؛ وإرم ؛ وسام المرتفع الشهير وهى سامية الأصل انتقلت من اللغة السامية الأصلية إلى اللغة العربية .
وقد كان اقتران ذكر عاد بإرم فى قوله تعالى : « ألم تركيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد»(١) سبباً فى وقوع كثير من الإخباريين والمفسرين فى الخلط بين إرم كعلم لإرم بن سام وكمدينة اختلفوا حول تحديد مكانها ، فمن الإخباريين من يرى أنها تقع فى تيه أبين ، بين عدن وحضرموت ، ومنهم من يرى أنها تقع فى دمشق والاسكندرية ، وقد حاول كل فريق أن يدعم صحة رأيه بالأدلة والبراهين . ويتخذ الدكتور عبد الشافى غنيم من اختلاف الإخباريين على موضوع إرم دليلا على صدق ماذهب إليه المؤرخون من حقيقة الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية إلى الأراضى المحيطة بها ، ومحاولة بعض المؤرخين الربط بين عواصم هذه البلاد التى ارتحلوا إليها والعناصر السامية الأصلية .
ولست أرى مايحول دون اعتبار إرم اسما لأحد أبناء سام بن نوح ، واعتبارها فى نفس الوقت علماً على أحد الأماكن التابعة له أو من ذريته ممن حملوا اسمه ، فإطلاق اسم الأشخاص على الأماكن التى يقطنونها والعكس أمر مألوف ليس بغريب حتى فى هذا العصر ، وقد درج المؤرخون الكلاسيكيون على ذكر عاد فى مؤلفاتهم مقرونة بإرم ، كما أن كتب السير القديمة كانت تقرن عددا من القبائل بإرم بن سام ، فهى تقول عاد إرم ، وثمود إرم ، وطسم إرم ، وجديس إرم لذلك تتضح نسبة عاد إلى الأرومة السامية الأولى كأقدم الشعوب السامية كما ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، والشعر الجاهلى ، وكتب المؤرخين من غير العرب .
أما بداية نشأة عاد فى شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، فيدلل عليه الدكتور عبد الشافى غنيم بمايلى :
اولا : ليس هناك بعد القرآن الكريم دليل على صدق هذا الرأى حين نقرأ فى وضوح لا لبس فيه ولاغموض قوله تعالى « واذْكُرْ أخَا عَادٍ إذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ»(٢) والمقصود بالأحقاف الموضع المعروف بين حضرموت واليمن ، كما أن أخا عاد المقصود فى الآية هو نبيهم هود ، ولعل ذلك هو الذى حمل بعض المؤرخين على القول بأن إرم توجد فى الموقع المذكور ومما تجدر الإشارة إليه أن الاحقاف تشغل جزءاً واسعاً من الربع الخالى ، بحيث تتصل برمال يبرين ، وأن التمييز بين المواضع هناك من الناحية الطوبغرافية من الصعوبة بمكان ، وقد أشار قدماء المؤرخين إلى أن يبرين الواقعة إلى الجنوب من مدينة الأحساء تعد ضمن مواطن بنى سام بن نوح وقد سكنتها بعض بطون من عاد ، كما أن الكشوف الأثرية قد أيدت

---

(١) سورة الفجر الآيتان ٦ ، ٧

(٢) سورة الأحقاف - من الآية رقم ٢١

الاستيطان المبكر فى ذلك الموضع ، علاوة على وجود بعض الشواهد الأثرية والتاريخية أيضا على أن أقواما من عاد وإرم قد استوطنت مواضع فى البحرين ، منها ثاج حيث توجد هناك ركية تعرف بنسبتها إلى لقمان بن عاد ، كما أشار أحد الشعراء إلى قصر كان قد بناه بثاج من أحجار قديمة كانت إرم قد استعملتها فى بناءٍ لها هناك ، وقد جاء فى ذلك الشعر قوله :

بنيت بثأج مجدلاً من حجارة
لأجعله عزاً على رغم من رغم
أشم طوالاً يدحض الطير دونه
له جندل مما أعدت له إرم

وقد عدَّ «بليتس» فى جملة القبائل التى نزلت الخط ، وهى تنحدر من نسل إرم قبيلة كيبى ، وقد عُرف خليج القطيف باسمها ، حيث اطلقت عليه المصادر اسم كيبوس .

كما سكن البحرين من قبائل طسم ، وجديس المنتسبة إلى إرم بنوهيف ، وبنوزريق ، وبنو مطر على حد ماجاء فى كتاب القرون الخالية لابن جرير ، ومن بقاياهم الباقية فى البحرين عند ظهور الإسلام رجل سمته المصادر معاوية بن مرة الأيفلى (١) وهو الذى تولى قتل طرفة بن العبد بيده . ويذكر الألوسى بأن المريخات من قبائل قطر المتنقلة يعودون بأصولهم إلى طسم (٢) وتذكر المصادر أن من آثار طسم وجديس فى البحرين قصر المشقر ، كما ذكرت المصادر أيضاً بين سكان البحرين الأوائل من الساميين قوم عرفوا بالكنعانيين ، ومنهم العمالقة أولاد عمليق ابن لاود بن سام بن نوح ، ومن هؤلاء تنحدر قبيلة جاسم (٣) التى سكنت كلاً من البحرين وعمان . وإلى الكنعانيين هؤلاء ينتسب الفينيقيون الذين اتخذوا من جزر الخليج وسواحله الغربية سكناً لهم ، وذلك قبل نزوحهم إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط .
وقد جاء فى دائرة المعارف لفريد وجدى قوله : « أنه فى سنة ٢٥٠٠ ق . م » أخذت سواحل البحر الأبيض المتوسط فى آسيا تأهل بقوم نزحوا من الشرق ، وقالوا إنهم من الكنعانيين

وكانت مدائن الكنعانيين على سواحل الخليج فى إقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم القطيف أو البحرين ، ومن هنا نشأ الاعتقاد بأن البحرين تعتبر الموطن الأول للفينيقيين ، أو أنهم قدموا إليها من نواحى أخرى فكانت مهد إنجازاتهم الحضارية الرائدة فى ميدان الملاحة والتجارة وما نجم عنها من المعارف ، كابتكار الأبجدية فى الكتابة والتدوين ، وذلك قبل هجرتهم لمواطنهم الجديدة على سواحل البحر الابيض الآسيوية والإفريقية ، فقد دلت المقابر المكتشفة فى جزر البحرين على أن أصحابها كانوا من الفينيقيين لوجود الشبه الكبير بين هذه المقابر ومقابر

---

(١) الدكتور جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٣ ص٢٤٥
(٢) الألوسى : تاريخ نجد ص٩٢
(٣) القلقشندى : نهاية الإرب ص٢٠٢

الفينيقيين فى سواحل البحر الابيض .

يقول السير ويلسون (١) إزاء الحديث عن المقابر فى البحرين:« إن الخطة التى بنيت بموجبها الأضرحة ، تتفق بصورة واضحة مع الخطة المعروفة عند الفينيقيين » وقد لاحظ إسترابون هذا الشىء بنفسه حيث يقول:« إن لجزر تيدوس وآردوس هياكل تماثل هياكل الفينيقيين ، فاستعمال الغرفة المزدوجة ؛ أو الضريح المزدوج له شبه فينيقى لأن هناك أمثلة من الأضرحة ذات الطابقين فى مقبرة إمريت فى فينيقيا فى سردينيا ، وفى قرطاجنة ، كما أن التشابه فى أسماء الأمكنة فى تيريس «تردوس» وآردوس التى أعطاها إسترابو وبللينى للجزر فى الخليج العربى ، وصُور ، وأرادو ، وعلى الساحل الفينيقى هو أيضا جدير بالاهتمام »

أما المنقب الأثرى الإنجليزى تيودوربنت ، فقد اعتمد على هذه الحقائق وحدها ، ووصف الأضرحة بأنها فينيقية ، وذلك بعد حضوره للبحرين ، وزيارته لمنطقة المراقيب بالقرب من عالى سنة ١٨٨٩م ، وقد استند فى وصف هذه الأضرحة بأنها فينيقية على بعض القطع العاجية فى المتحف البريطانى ، وجدها لايارد فى الأصل فى نمرود ، وفُهمت على أنها فينيقية ، لأنه لم يكن معروفاً آنذاك أن أحداً غير الفينيقيين كان قادراً على إنتاج ذلك النوع من الفن ، وتاريخ تلك القطع يعود إلى خمسة آلاف سنة . كما جاء فى رسالة بعث بها أحد القادة اليونانيين إلى الإسكندر الأكبر : أنَّه إبان رحلته إلى الهند ، مرَّ بمدينة فينيقية على الساحل الغربى للخليج وأكبر الظن أن الفينيقيين بدأوا فى النزوح عن البحرين من نحو ثلاثين قرناً قبل الميلاد ، ولعل ذلك بسبب بعض الضغوط السياسية أو الاقتصادية ، فقدوم موجات جديدة من المهاجرين إلى البحرين من البيئات الصحراوية الطاردة من داخل الجزيرة العربية ، واهتداء الفينيقيين إلى أراضٍ أكثر خصوبة من أراضيهم ، من أهم العوامل التى شجعت الفينيقيين على مغادرة البحرين ، واستيطان شواطىء البحر الأبيض المتوسط حيث احتفظوا لمدنهم فى البحرين بالذكرى الطيبة فأطلقوا أسماءها على مستعمراتهم الجديدة فى الوطن الجديد ، كالجبيل ، وصور وعالى وغيرها .

وعلاوة على ماسلفت الإشارة إليه من القرائن الدالة على أن شبه الجزيرة العربية هو الموطن الأصلى للفينيقيين ، فهناك أيضاً دلائل أخرى تدعم هذا الرأى منها :-

أن اسم الفينيقيين مشتق فى الأصل من فينيقس وهو : لفظ يونانى يعنى النخل ، وكذلك اتخاذ الفينيقيين النخل شعارا لدولتهم ، كما تدل على ذلك الرسوم الموجودة على مسكوكاتهم مما يدل

---

(١) السير أرنولدت ويلسون : الخليج العربى ص ٧٩

على انتمائهم إلى أراضى شرق الجزيرة ، التى يعد النخل من أهم مميزاتها ، علاوة على ما ذكره هيرودوتس من القول إن الفينيقيين كانوا يسكنون فى بحر أريتريا - ويقصد بأريتريا الخليج العربى - وذلك قبل نزوحهم إلى سوريا واستيطانها .

ومن المعلوم أن الفينيقيين بعد أن استقروا فى سوريا ، قاموا برحلات تجارية واسعة فى البحر الأبيض المتوسط ، فوصلوا إلى مصر سنة ٢٢١٢ ق.م ، وأسسوا مدينة إيطانوس فى جزيرة كريت ، وأقاموا لهم مركزا فى جزيرة قبرص ، ومحطات تجارية فى سواحل كيليكيا ، ثم انطلقت أساطيلهم التجارية حتى وصلوا إلى البحر الأسود ، وأسسوا هناك بعض المراكز التجارية ، ثم داروا حول شواطىء إفريقيا الشمالية ، فأسسوا مدينة قرطاجنة بسواحل تونس التى مالبثت حتى صارت عاصمة لدولة فينيقية ، ظلت قائمة حتى بعد القضاء على دولتهم فى سوريا على يد الإسكندر .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الفينيقيين عندما تمكنوا من استعادة نفوذهم التجارى على أثر قيام شيشنق - فرعون - مصر باجتياح بلاد يهوذا فى فلسطين ، وعجز العبرانيين عن منافسة الفينيقيين فى ميدان التجارة فبعد هذا الحادث استعاد الفينيقيون نشاطهم التجارى ، فعبرت أساطيلهم البحر الأحمر والخليج للاتجار مع السكان هناك ، الأمر الذى أشكل على بعض الباحثين فى تحديد الموطن الأصلى للفينيقيين ، فزعموا أن لبنان هى الموطن الأول لهم ، إذ لم يفرقوا بين هجرتهم الأولى من الخليج ، وبين عودتهم إليه عبر البحر الأحمر لأغراض تجارية(١) .

ولعل فيما سلفت الإشارة إليه من القرائن دليلاً كافياً على اعتبار أن شرق الجزيرة العربية هو الموطن الأول للفينيقيين ، واستبعاد أى احتمال يخالف ذلك .

وكما كانت هذه الأراضى الموطن الأول للفينيقيين ، فقد كانت مهداً لشعوب أخرى كالسومريين ؛ والكلدانيين ومنها هاجروا إلى بلاد الرافدين ، فقد عثر فى مقابر البحرين - وفقاً لما ذكر ويلسون - على كتابة مدونة على حجر أسود بخط يشبه الخط المسمارى .

ويذكر الدكتور جواد على : أن هناك من يزعم أن السومريين قدموا إلى العراق من البحرين فى حوالى سنة ٣١٠٠ ق.م وكانت البحرين تعرف فى النصوص السومرية باسم ديلمون وكانت محطة مهمة ينزل فيها الناس فى هجراتهم نحو الشمال ، ويسود الاعتقاد اليوم بين علماء التاريخ القديم ، أن الكلدانيين الذين استوطنوا الأقسام الجنوبية من العراق ، إنما جاءوا إلى تلك الأراضى من شرق الجزيرة العربية الواقعة على الساحل الغربى من الخليج ، وذلك فى أواخر الألف الثانى قبل الميلاد ، ثم زحفوا نحو الشمال حتى وصلوا إلى بابل ، وقد وجد بعض الباحثين كتابات كلدانية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية القديمة «أى حروف المسند»

(١) ساحل الذهب الأسود محمد سعيد المسلم ص٦٨

واستدلوا من ذلك على أن أولئك المهاجرين الذين ربما كان أصلهم من عمان ، هاجروا إلى ساحل الخليج ، ثم انتقلوا منه إلى العراق ، فنقلوا معهم خطها القديم الذى تركوه بعد ذلك حينما استقروا بالعراق لتأثرهم بمؤثرات الثقافة العراقية ، والنماذج القديمة من كتاباتهم التى عثر عليها الباحثون ، وإن لم تتحدث عن أصل أصحابها ، إلا أن خطها المذكور يشير إلى أنه من العربية الشرقية .

وقد ذكر إسترابو : أن الجرهاء كانت فى الأصل موضعاً للكلدانيين ، وأن البحرين كانت فى حوالى سنة ١٧٥٠ ق . م فى يد قبيلة اسمها أجارم ، وأنها كانت تدفع الجزية إلى الملك أسرحدون ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن أجارم هم أهل مدينة هجر (١)وقد كانت الصلات التجارية وغيرها قائمة بين البحرين والعراق ، وقد نزلت جاليات عراقية فى البحرين ، كما هاجرت جاليات من البحرين إلى العراق ، وحين عرف اليونانيون السبيل إلى شواطىء الخليج أخذت تظهر على شواطئه عدة سلالات من أمم مختلفة ، يتألف معظم أفرادها من بقايا جيوش الإسكندر ، ومن جاء بعده من ملوك اليونان والرومان ، حيث أنشأت جيوشهم عدداً من المحطات على امتداد شواطىء الخليج ، وذلك لتزويد أساطيل السفن بما تحتاج إليه من المؤن والمياه ، وبمرور الأيام تحولت تلك المحطات إلى مراكز تجارية ، ومستوطنات لتلك الجماعات ، وعندما زال نفوذ الرومان بزوال الدولة السلوقية من الأراضى العراقية ضعفت تبعاً لذلك المراكز ، وتضاءل شأنها ، فغادرها بعض سكانها من الروم ، وانصهر من بقى منهم فى بوتقة عموم السكان المحليين ، وقد أزاحت الكشوف الأثرية الستار عن آثار الاستيطان السلوقى فى جزيرة فيلكا ؛ وثاج ؛ والحناءة وغيرها من المواضع على امتداد الساحل الغربى للخليج ، وقد سجل كل من إسترابو وبطليموس : أسماء عدد من تلك المستوطنات والقبائل التى تقطنها ، ومن القبائل المار ذكرها عند هؤلاء ، قبيلة كيتى وكانت تسكن الخط ، ومنها استمد الساحل اسم الخط ، وقبيلة زرازى أو زرارى التى يعتقد بعض الباحثين أن مدينة الزارة قد استمدت اسمها منها ومن تلك القبائل أيضاً قبيلتا جولوبس ؛ وخطى وكانتا تقيمان فى بلبانة الواقعة فى منطقة القطيف على سواحل خليج كيبوس ، ويرى شبرنجر أنه خليج القطيف ، وهناك قبيلة لينيتى التى كانت تسكن القطيف أيضاً ، وهى فرع من اللحيانيين على مايرى كل من كلاسر وشبرنجر . وقبيلة جالبوس وقبيلة تونلتا ، وهى فى نظر جواد على قبيلة تنوخ ، وكذلك قبيلة

---

(١) دكتور / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٥٤٥

أوباكون ، وهى على مايظن قبيلة عبد القيس ، وقد ذكرها بطليموس على أنها اسم لقبيلة أو موضع . أما قبيلة أجارم ، فهم سكان هجر ونظراً لموقع هجر فى ملتقى طرق التجارة ، وماتتميز به من نشاط اقتصادى فقد استقطبت العديد من الجاليات من مختلف الأجناس ، فكانت تشكل جزءاً من السكان المستقرين ، ومنهم تتألف الفئات العاملة فى مختلف المجالات الاقتصادية كالقطاع الزراعي ، والصناعي ، والتجاري ؛ كما تعود إلى أكثرهم ملكية معظم الأرض ؛ وذلك قبل أن تتغلب عليهم العناصر العربية فتصهرهم فى بوتقتها ومن تلك الجاليات :-

١ - النبط : وهم جيل من العجم كانوا فى الأصل يسكنون البطائح بين العراقين ، وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء .

ويذكر المسعودى (١)أن من الناس من يرى أن النبط هم النبيط بن ماش بن إرم بن سام ابن نوح ، ولعل هؤلاء ممن ظلت لهم بقايا فى البلاد حتى العصر الحاضر ، وقد عرفوا بنشاطهم فى مجال الفلاحة والزراعة .

٢ - السبابجة : ويقال عنهم السيابجة أيضاً ، وهم من بقايا الجيوش العاملة فى الأسطول الساسانى ، وكانت تقيم منهم فى الخط حامية عسكرية عند ظهور الإسلام ، كما كان يقوم بعضهم بأعمال الدورية على امتداد سواحل الخليج إلى جانب حراسة السفن من اللصوص وهجمات القراصنة ، وكانت رواتبهم ضئيلة جداً .

٣ - الزط : وهم جيل من الهند على مايروى الأزهرى عن الليثى واختلف فيهم ، فقيل هم السبابجة ، وقال القاضى عياض هم جنس من السودان طوال ، وذكر المدائنى أنهم كانوا يقيمون فى الطفوف على السواحل يتبعون الكلأ .

ويرى عبد الرحمن عبد الكريم النجم (٢) أن الزط سلالة هندية الأصل ، وأنهم كانوا من سكان بلوخستان ، وملتان والديبل ، والسند ، وماجاورها ، وقد هاجروا من الهند وانضم معظمهم إلى الجيش الساسانى منذ عهد قباذ ، ولعلهم كانوا يتجولون فى الخليج العربى قبل الإسلام .

٤ - الجرامقة : وهم جالية يتألف معظم أفرادها من العجم والنبط

٥ - الفرس : ويشكلون أهم هذه الجاليات لما كانوا يتمتعون به من نفوذ سياسي ، ومكانة اجتماعية متميزة ، وبخاصة حين كانت هذه البلاد مشمولة بالسيطرة الساسانية ، وقد ربطتهم بالعرب صلات التعاون والتناحر على السواء ، ومن أبرز رجالهم فى البحرين عند ظهور الإسلام ، فيروز بن جشيش الملقب بالمكعبر ، والمرزبان أسيبخت بن عبد الله وقد دخل الإسلام

---

(١) المسعودى - مروج الذهب - جـ٢ ص ٢٥ ـ ٢٦

(٢) عبد الرحمن عبد الكريم النجم - البحرين فى صدر الإسلام ص ٤٥

وكان لكل من الجاليات السالفة الذكر عادات وتقاليد ومعتقدات ، ظلوا يتعصبون لها ، ويحافظون عليها إلى مابعد ظهور الإسلام ، وكان بعض هؤلاء يتمتعون بالثراء والجاه والمراكز العالية والنفوذ . لذا لم يتقبل أكثرهم الدخول فى الإسلام حين دعوا إليه ، وآثروا دفع الجزية على النقيض من عرب البحرين الذين هدتهم سلامة فطرتهم وبساطة حياتهم إلى سرعة الاستجابة للدعوة الإسلامية ، والانضواء تحت رايتها .

وحين هبت زوبعة الارتداد عن الإسلام ، سارعت تلك الجاليات غير العربية إلى الانخراط فى ركاب المرتدين بقيادة الحطم ، وخاضت معه القتال ضد قبيلة عبد القيس التى ثبتت على إسلامها بتوجيه من زعيمها الجارود بن المعلى العبدى ، وحين انهارت آمال المرتدين فى إطفاء جذوة الإسلام ؛ وخسروا رصيدهم الاجتماعى ؛ وامتيازاتهم السياسية ؛ والاقتصادية ، سارع أكثرهم إلى النزوح عن البحرين ، حيث عاد بعضهم إلى موطنه الأصلى ، وانضم آخرون إلى المسلمين حين توجهوا لفتح فارس ، كما ألقت فئة منهم عصا التسيار فى البصرة لتعمل فى حراسة بعض المؤسسات الحكومية ، كدار الإمارة ، وبيت المال ؛ والسجن ؛ وكذلك المسجد الجامع فقد ذكرت المصادر أن أبا موسى الأشعرى قد أوكل هذه المهام لجماعة من الزط والسبابجة وفى ذلك يقول يزيد الحميرى :-

وطماطيم من سبابيج خُزْرٍ .:. البسونى مع الصباح القيودا

ومنذ ذلك الحين ، صارت الغلبة فى بلاد البحرين للعناصر العربية المؤلفة من قبيلة عبد القيس ، وبعض القبائل الأخرى كبنى تميم وبكر بن وائل ، حيث تحققت لهذه القبائل كامل السيطرة على الحياة فى البحرين من كافة جوانبها السياسية ، والاقتصادية ؛ والفكرية ؛ والاجتماعية فانغمست فى الحياة المدنية وبذلك اتخذ المجتمع الحضرى فى مدن البحرين وقراها شكلاً جديدا ، حيث صارت البطون والأفخاذ المنحدرة من القبائل العربية السالفة الذكر تمثل لحمتها وسداها .

هجرة القبائل العربية إلى البحرين

شهدت هذه البلاد قدوم موجات بشرية متتابعة من غرب وجنوب الجزيرة العربية ، وبخاصة فى الخمسة قرون السابقة على ظهور الإسلام ، وهى الفترة التى تزايد فيها نسل معد بن عدنان حتى ضاقت بهم مواطنهم فى الحجاز وتهامة ، كما اشتدت الحروب المتأججة بين مضر وربيعة ضراوة ، الأمر الذى دفع كثيراً من القبائل إلى النزوح عن مهدها الأول والتفرق فى البلاد ، فكانت البحرين من المواطن التى نعم فيها الكثير من هؤلاء بحياة الدعة والاستقرار ومن تلك القبائل :-

١ - الأزد :-

تعد هذه القبيلة من أقدم القبائل العربية التى استوطنت البحرين بعد هجرتها من موطنها الأصلى ، ولايوجد تاريخ محدد لهذا الحدث .

فقد ذكر اليعقوبى أن الأزد قد خرجت من اليمن على إثر انهيار سد مأرب ، حتى وصلت السراة ، فخرج بعض بطونهم منهم : الربيعة؛ وعمران بنو عمرو بن عدى بن حارثه بن عمرو بن عامر وهم : بارق ؛ وغالب ؛ ويشكر بن قيس بن صعب بن دهمان ، وقوم من عامر نحو عمان ، فلما صاروا بها انتشروا بالبحرين وهجر (١)

ويقول الهمدانى إن الأزد أقاموا بتهامه ، ثم وقعت الفرقة بينهم ، فصار كل فخذ منهم إلى بلد ، كما أورد الهمدانى فى صفة جزيرة العرب لشاعر يمنى قوله :-

وأزد له البَحْران والسيفُ كُلُه .:. وأرض عُمَانٍ بعد أرضِ المشقَرِ

وقد ذكرت المصادر من مناطق سكناهم أوال إذ كان فيها بنو معن ، كما حلت عشائر منهم القطيف مع عبد القيس بعد قدومها إلى هذه البلاد . لذا فإن نجدة بن عامر الحنفى حين فتح القطيف سنة ٦٧ هجرية ، بادرت جماعة الأزد فى القطيف بالترحيب به ومسالمته . كما كان على رئاسة الزارة الحسن بن العوام من الأزد ، عندما استولى عليها أبوسعيد الحسن ابن بهرام الجنابى سنة ٢٨٦ هجرية .

---

(١) اليعقوبى : التاريخ جـ١ ص ٢٣٢ - ٢٣٣

٢ - تنوخ :

كانت قبيلة قضاعة (١)من أقدم القبائل التى هاجرت إلى بلاد البحرين ، واستقرت بها ، كما لحقت بها قبيلة إياد ، بسبب الحروب ، حيث غادرت موطنها الأصلى فى تهامة ، واتجه قسم منها إلى العراق ، فنزلوا فى الأنبار ، وفى عين أباغ ، وسنداد ، وتكريت ، وبطن إياد ، وأماكن أخرى ، كما اتجهت عشائر منهم إلى بلاد الشام .

وقد ذكرت المصادر : أن عشائر من أولاد معد بن عدنان التى نزحت من تهامة ، وهم من بنى وبرة ، من تغلب ؛ من قضاعة ؛ قنص بن معد كلها ، ومن إياد بن نزار بن معد عندما نزلوا البحرين انضموا إلى جماعة من بنى فهم بن غنم بن دوس ، قوم جذيمة الأبرش ، من الأزد وكانوا يقيمون فى البحرين ، فتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام ، وتعاهدوا على التناصر ، فشملهم اسم تنوخ ، كما انضمت إليهم بطون من نمارة من لخم .

ويرى الإخباريون (٢)أن عشائر إياد ، التى استوطنت هجر (البحرين) قد اضطرت إلى مغادرتها ، والنزوح منها إلى العراق ، على إثر قدوم بنى عبد القيس إلى هذه البلاد .

٣ - كندة :-

تعد كندة من أقدم القبائل التى استوطنت البحرين وكان من مواضع سكناهم المشقر وقد اضطروا إلى مغادرتها إلى حضرموت على إثر مصرع ابن الجون ملك هجر ، وقد بلغ عدد النازحين من هذه القبيلة إلى حضرموت نيفاً وثلاثين ألفاً .

ويعد الشيخ حمد الجاسر (٣)هذه الهجرة على جانب كبير من الغرابة إذ المعروف فى اتجاه هجرات القبائل من الجزيرة الانحدار من اليمن أو الحجاز شمالاً أو شرقا إلى بلاد الريف فى جوانب الجزيرة لا العكس .

---

(١) يختلف النسابون فى أصل قضاعة ، فقد ذهب بعضهم إلى القول أنها قحطانية ، هاجرت من اليمن بعد انهيار سد مأرب ، وقال آخرون : إنها عدنانية الأصل ، وقد هاجرت من تهامة فى جملة القبائل التى هاجرت إلى البحرين فى أعقاب القرن الأول الميلادى ، مستبعدين كونها قبيلة قحطانية ، مستندين إلى عدة قرائن منها :-
أن انهيار سد مأرب رغم الاختلاف فى تاريخ حدوثه بين سنة ٣٠٠ - ٥٧٠ م كان فى عهد متأخر عن تأسيس الدولة التنوخية فى العراق التى أسسها التنوخيون هناك بعد نزوحهم من البحرين ، والتى دامت من ١٣٨ إلى ٢٦٨ م . إذ من ذلك يتعين انتساب قضاعة إلى العدنانيين ، وقد نص على ذلك عدد من النسابين .
(٢) الدكتور / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٤ ص٤٧٠ -٤٧١
(٣) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص٥٠

٤ - بكر بن وائل :

تعد قبيلة بكر بن وائل من جملة القبائل التى استوطنت البحرين قبل ظهور الإسلام وقد امتدت مساكن عشائر هذه القبيلة إلى اليمامة ، وأطراف العراق الغربية ، ومن بطون بكر التى استوطنت البحرين ، بنو قيس بن ثعلبة بن عكابة ، ومن مواطن سكناهم هجر ، السيدان ، والشيطان ، وثاج ؛ وعباعب ؛ وقد شاركتهم فى سكنى هذه المواضع عشائر من قبائل أخرى .

وبعد ظهور الإسلام طرأ تبدل طفيف فى مواطن قيس بن ثعلبة ، فقد أصبحت ثاج من منازل بنى سعد بن زيد مناة بن تميم (١).

ويرى بعض الباحثين : أن عشائر بكر المستوطنة فى البحرين ، قد احتفظت بطابعها البدوى فلم تساهم فى التجارة أو الصناعة .

٥ - تميم :

تعد تميم من أكبر القبائل العربية التى انتشرت فى هضبة نجد من الحجاز إلى الأطراف الشرقية ، وقد استوطنت بعض عشائرها البحرين قبل ظهور الإسلام ، وهى بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقد امتدت منازلهم من سفوان شمالاً إلى يبرين جنوباً ، ففى يبرين نزل بنو عوف بن سعد ، وبعض بنى عوف بن كعب ، وأخلاط سعد ، حتى خالطوا بنى عامر ابن عبد القيس فى بلادهم قطر ، كما سكن أخلاط من تميم الأحساء ، وتسمى أحساء بنى سعد ، والأجواف ، ووادى الستار ، بما فيه من قرى ومياه لأفناء سعد ، ولامرىء القيس بن زيد ، والقاعة ، والعتيد ، والطريفة لبنى مالك بن سعد ، التى انتزعوها من بنى عوف بن كعب ، وقريتا ثيتل ، والنباج لبنى مالك بن سعد ، والسيدان ، ومياهه الحمانية لبنى حمان ، والربيعة لبنى ربيع بن الحارث ، ويشتركون مع بنى الحرماز بن مالك فى مياه كثيرة ، منها مسلحة ، والوفراء ، وكاظمة .

وذكرت المصادر من منازل بنى سعد بن زيد مناة أيضا : المقر ؛ والفروق ؛ والقليعة ؛ وشفية والرمانتان ؛ ودارا ؛ وحمض ؛ ورهبى ؛ والسليت لبنى عطارد ، ومن بطونهم الأخرى بنودارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، ومن منازلهم الصمان لعبد الله ، ونهشل ابنى دارم مختلطين بضبة ، وكعب بن العنبر ، ولبنى عبد الله بن دارم مصنعة الخمة ، والقرعاء .

ولبنى مناف بن دارم : الرمادة التى يشاركهم فيها بنوفقيم بن جرير بن دارم ، وماء قنور وثبرة ، وركية فى طويلع . ولبنى فقيم بن جرير بن دارم نصف ماء طويلح والجرباء .

ولبنى ربيعة بن مالك بن دارم ركيتان فى طويلع ، واللهابة .

---

(١) عبد الرحمن عبد الكريم النجم - البحرين فى صدر الإسلام ص٤٢

ولبنى نهشل بن دارم : لصاف

أما بنو العنبر بن عمرو بن تميم فلهم وادى الخدادة بالصمان

ولبنى الحرماز بن مالك ثمد الفارسى

كما ذكرت المصادر أن البيضة «البياض» بالصمان لبنى دارم ، وأخاشب الصمان لبنى تميم دون أن تحدد من منهم يسكنها .

وبعد الإسلام طرأ بعض التبدل على بعض مواطن تميم فى البحرين ، فقد كانت مياه الشاجنة ، وهى اللهابة ، والقرعاء ،واللصافة ، والرمادة ، وطويلع لبنى مالك بن حنظلة ، فحدث نزاع عليها بين بنى فقيم بن جرير بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وكعب بن العنبر ، ورفع النزاع إلى مروان بن الحكم أمير البحرين ، فطلب من أحد الفريقين المتنازعين ترك المياه . فتركها بنوفقيم بن جرير بن دارم لبنى كعب .

ويلاحظ الباحث عبد الرحمن عبد الكريم النجم ، أن عشائر تميم المستوطنة فى البحرين بدوية فيما يظهر ، فلم يرد عن الإخباريين مايدل على مساهمتها فى التجارة ، أو الصناعة أو تنظيمات حضارية ، كما لم تكن لهم مدن ، وكانوا يقيمون فى البادية ، ويؤمون هجر فى المواسم للميرة واللقاط ، ولم يخضعوا لسلطة الفرس فى البحرين ، بل كانوا يغيرون على قوافل كسرى التى تمر عبر بلادهم ، مما حمل الفرس على الانتقام منهم ، والإيقاع بهم فى يوم المشقر المشهور .

ورأى الباحث السالف الذكر رغم ماينطوى عليه من الواقع إلى حد ما ، فإننا نلاحظ أن بعض بنى تميم فى هجر ، كانوا يتمتعون بمركز سياسي ، واجتماعي مرموق ، فقد كان أمير العرب فى البحرين عند ظهور الإسلام ، هو المنذر بن ساوى من تميم ، كما كان رهطه ملوك سوقي هجر والمشقر ، وقد كانوا يعشرون التجارة فيها ، مما يدل على مشاركة بعض جماعات من تميم فى الحياة السياسية ، والاقتصادية .

٦ - قبيلة عبد القيس :

تعتبر قبيلة عبد القيس من أهم القبائل العربية التى استوطنت البحرين ، وأكثرها نفوذا فى معظم فترات التاريخ وقد قدمت إليها من تهامة حين تفاقمت الحروب بين قبائل ربيعة هناك . فقد ذكر البكرى فى معجم ما استعجم : أن حرباً وقعت بين قبائل ربيعة ، فارتحلت عبد القيس وشن بن أفصى ، ومن معهم ، فاختاروا الإقامة بالبحرين ، وهجر ، وأخضعوا من بها من إياد ، والأزد وأوثقوا خيلهم بكرانيف النخل ، فقالت إياد : أترضون أن توثق عبد القيس خيلها بنخلكم ؟

فقال قائل : « عَرِفَ النخلُ أهلَه » فذهب مثلاً . وأجْلت عبد القيس إياداً عن تلك البلاد ، وكانت إياد يقال لها الطبق ، لشدتهم ، ولإطباقهم على الناس بعرامهم وشرهم فقال الشاعر :

لقيت شنٌ إيادا بالقنا طبقا وافق شنٌ طبقة

وقال عمرو بن أسوى الليثى من عبد القيس بعد ذلك بزمان :

شحطنا إياداً عن وقاع فقلّصت وبكراً نفينا عن حياض المشقَّر

وبعد أن استصفت عبد القيس أراضى البحرين ، تقاسمتها فيما بينها ، فنزلت جذيمة بن عوف الخط وأفناءها (١) ونزلت شن بن أفصى طرفها وأدناها إلى العراق ، ونزلت نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس وسط القطيف وماحوله ، والشفار ، والظهران إلى الرمل ، ومابين هجر إلى قطر ، وبينونة ، ونزلت عامر بن الحارث والعمور وهم بنو الديل ، ومحارب ، وعجل أبناء عمرو بن وديعه بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، ومعهم عميرة بن أسد بن ربيعة ، حلفاء لهم الجوف ، والعيون والأحساء حذاء طرف الدهناء ، وخالطوا أهل هجر فى دارهم ، وقد احتفظت عبد القيس بهذه المواضع حتى ظهور الإسلام ، وقد ذُكرت مناطق أخرى لعبد القيس دون أن يحدد أى عشائرها يسكنها ، منها : المشقر ، والصفا ، وجواثا ، وسماهيج ، ومحلم ، وقبة ، وعدد آخر من القرى ، كما ذكرت المصادر أيضا : عدداً من القرى لبنى عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو ابن وديعة بن لكيز بن أفصى ، وذكر الفقيه : أنها أضعاف قرى بنى محارب ، كما ذكر من منازلهم : قطر ، وجبلة ، وذكرت المصادر لبنى محارب عدداً كبيراً من القرى والمدن منها : هجر ، والعقير .

أما جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، فمن منازلها البيضاء ، وتسمى باسمهم ، وأحساء خرشاف ، وقرية أفار لجماعة من كلب بن جذيمة ، وصلاصل لبنى عامر بن جذيمة .

وقد جاء عن نصر قوله (٢) أن رهطا من عبد القيس ، قدموا على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحاكموا إليه ، فأنشده بعض القوم قول تليد العبشمى :

أتتنا بنوقيس بجمع عرمرم : وشن وأبناء العمور الأكابر

فباتوا مناخ الضيف حتى إذا زقى مع الصبح فى الروض المنير العصافر

مشينا إليهم وانتضينا سلاحنا يمان ومأثور من الهند باتر

شفينا الغليل من سمير وجعون وأفلتنا رب الصلاصل عامر

فقضى عمر رضى الله عنه لأولاد عامر .

---

(١) معجم ماستعجم جـ١ ص ٨١ - ٨٢

(٢) الشيخ محمد آل عبد القادر : تحفة المستفيد ص ١٨

وأوال : لبنى مسمار بن جذيمة ، وقد حدث بعض التبدل فى مواطن القبائل بعد الإسلام ، فقد أصبحت القطيف من منازل جذيمة بن عبد القيس ، وكانت رئاستهم فى بنى مسمار [1] وشفـار : لبنى عامر بن الحارث بن عبد القيس ، وصفوان «صفوى» : لبنى حفص بن عبد القيس وكانوا بها عندما دخلها القرامطة عام ٢٨٧ هجريا ، والظهران : لبنى سعد بن تميم ، وكانوا بها عندما فتحها أبوسعيد الجنابى عام ٢٨٧ هـ .

ويرجع عبد الرحمن عبد الكريم النجم : سبب هذا التبدل إلى وقوع الحرب بينهم ، فاضطروا إلى ترك منازلهم الأصلية إلى مناطق أخرى ، وإلى هجراتهم بعد الإسلام إلى البصرة والكوفة والموصل . ومما تقدم يتضح مدى سيطرة قبائل عبد القيس على معظم أراضى البحرين ، الأمر الذى حمل الأخنس ابن شهاب التغلبى على القول :

لكل أناس من مَعَدٍ عمـارة
عروض إليها يلجؤون وجانب
لكيز لها البحران والسيف كله
وإن يأتها بأس من الهند كارب

وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة حين زار الأحساء فى أول القرن الثامن الهجري : أن أهلها من عبد القيس على أنهم إبان تلك الفترة قـد تحضروا واستوطنوا المدن والقرى ، لأن بنى عامر قد تعاظم انتشـارهم فى بوادى الأحساء ، وصارت لهم اليد الطولى على غيرهم من القبائل .

ولعل من أهم أسباب تعاظم نفوذ عبد القيس سبقهم للدخول فى الإسلام ، والانضواء تحت رايته طوعاً حيث حققوا بذلك منزلة كريمة ، عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، حين وفدت عبد القيس إليه بقوله : «سيطلع عليكم ركب هم خير أهل المشرق ، لم يكرهوا على الإسلام ، فقد أنضوا الركائب ، وأفنوا الزاد ، اللهم اغفر لعبد القيس» .

٧ - بنو عُقيل :

كان بنو عُقيل من أكـبر القبائل وأكـثرها انتشـاراً فـى أراضـى كل من البحرين والعراق ، وهم ينتسبون إلى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وأشهر بطون بنوعقيل هم : بنو عبادة ؛ وبنو المنتفق ؛ وبنو خفاجة ؛ وبنو عامر ، وقد استقرت هذه البطون فى أراضى البحرين والعراق بعد نزوحها من نجد فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وأوائل القرن الرابع الهجرى ، وقد تواكب ظهور عقيل فى البحرين مع بداية ظهور حركة القرامطة فيها ، وذلك بعد أن تحالفوا معها وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير فى حوادث سنة ٢٨٦ هجرية الموافق ٨٩٩م أن عقيل عامر كانت فى جملة القبائل التى حظى أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى بمؤازرتها .

(١) - المسعودى - التنبيه والإشراف ص ٣٥٦

كما أشار ابن خلدون إلى أن كثيرا من بنى عقيل وبنى سليم قد صاروا حلفاء وجنوداً لأبى طاهر سليمان ، حين خلف أباه في قيادة القرامطة ، فى أول القرن الرابع .

ويرى الدكتور عبد اللطيف الحميدان : أن هجمات قرامطة البحرين المتكررة على عُمان وبلاد الشام ، وأرياف العراق ، خلال القسم الأكبر من القرن الرابع الهجرى ، الموافق العاشر الميلادى ، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية ، رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بنى عقيل فى هذه المناطق ، وقد لعبت هذه البطون أدواراً مهمة فى هذين الإقليمين ، وكثيراً مايطلق اسم بنى عقيل على بطن أو أكثر من هذه البطون ، الأمر الذى يثير بعض الإشكال للباحثين فى التمييز بين الفرع والأصل ، وهذا مايحدث كثيراً عندما يشار لبنى عامر فى البحرين ببنى عقيل ، ويبدو أن ذلك راجع لتجاورهما فى المسكن ، واختلاط بعضها ببعض والواقع أن بنى عامر يمكن اعتبارهم أهم القبائل العربية فى البحرين بعد قبيلة عبد القيس من حيث القوة ، ووفرة العدد ، وسعة الانتشار ، والاستئثار بالسيطرة السياسية ، والاقتصادية فى البلاد خلال فترة طويلة من تاريخها .

أما الشيخ حمد الجاسر (١) فيرى : أن بنى عامر فى الأصل من بنى عبد القيس ، غير أن إقامة بطونٍ من بنى عامر بن صعصعة فى هذه النواحى ، وإتفاق اسم القبيلتين سبب اختلاطها وتكون من ذلك بروز بطون من مختلف تلك القبائل عرفت باسم بنى عامر ، ثم ببنى خالد فى عصور متأخرة منذ القرن الحادى عشر الهجرى إلى منتصف القرن الثالث عشر .

والواقع أن بطون بنى عقيل ، وبخاصة المنتفق ، وعامر ، واللتان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامة ، كانوا متداخلين فيما بينهم ولعل التقارب فى الاصل والموطن هو الذى حمل البعض على أن يطلق اسم أحد البطون على الأخرى ، أو أن يستعمل اسماً جامعاً لكافة هذه الفروع فى هذا الامتداد الجغرافى ، والقبلى المتصل ، وهذا ماعبر عنه ابن فضل الله العمرى فى القرن الثامن الهجرى - الرابع عشر الميلادى حينما قال :

إن عرب عقيل المنتمين لعامر والمنتفق وغيرهما يعبر عنهم بعرب البحرين ، ومن أشهر بطون عامر فى البحرين الشبانات المنسوبين إلى زعيمهم شبانه ، والقديمات المنسوبين إلى زعيمهم قديمة ، والغُفَيْلات المنسوبين إلى زعيمهم غفيلة أو عقيلة (٢) كما ذكر القلقشندى من بطونهم أيضاً : النعايم ، وبني دهمان ، وبني قيس ، وقد شغلت مضارب عشائر عامر مناطق واسعة من بوادى البحرين ، فقد قال الشريف الإدريسى فى القرن السادس الهجرى

---

(١) - الشيخ حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٥٧

(٢) - ابن لعبون - تاريخ ابن لعبون ص ١٨

« ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة بر متصل لا عمارة فيه ، أى ليس فيه حصن ، ولامدينة إنما به أخصاص لقوم من العرب ، يسمون عامر ربيعة » فهذا الوصف يعكس بجلاء المدى الواسع لانتشار بنى عامر فى أراضى البحرين ، بحيث أصبحوا يشكلون الجزء الأعظم من سكانها ، والقوة القادرة على النهوض بالأعباء السياسية فيها ، وبخاصة فى القرنيين السادس والسابع الهجريين .

٨ - بنوخالد :

ينتسب بنو خالد إلى بني عقيل بن عامر بن ربيعة بن عبد القيس ، وتعد هذه القبيلة من أشهر القبائل فى الأحساء ، وأوسعها انتشاراً ، وقد تعاظم نفوذ هذه القبيلة فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى ، حين نجحت بقيادة زعيمها برّاك بن غرير فى الاستيلاء على مقاليد الحكم بهذه البلاد ، ومن أشهر بطون بنى خالد : أبناء عثمان بن محمد بن مسعود بن ربيعة ، وهم آل حسين وآل غرير ؛ والجبور ؛ والمهاشير ؛ وآل شباط ؛ وآل هزاع ؛ والقرشة ؛ وآل كليب ؛ ولاتزال لهم بقايا يقطنون الأحساء حتى العصر الحاضر ، وقد أفضت شهرة هذه القبيلة وسعة نفوذها إبان سيطرتها على مقاليد الحكم فى الأحساء إلى انضواء عدد من القبائل العربية الضعيفة تحت جناحها ، وممن ينتسب إليها من العشائر : العمور ، وآل مسلم ، وآل صبيح ؛ وآل خالد ؛ وبنو نهد ؛ وآل دعم الضبيعات ، وآل منيخرة ، وقد كانت من القبائل الرحل ، غير أن قسماً منها قد تحضر وسكن المدن والقرى ، ومن مواضع سكناهم جزر المسلمية ، وجنة ، وتاروت ، وقصر الصبيح وقرية الكلابية ؛ والجشة بالأحساء ؛ وأم الساهك وعنك فى القطيف ، أما موطنهم فى البادية ، فيمتد على ساحل الخليج من وادى المقطع شمالاً إلى طرف البياض جنوباً ، وقد وصفهم ج ج لوريمر (١) فى بداية القرن الرابع عشر بأنهم وقورون ومحترمون فى صلاتهم ، ونصيب المرأة فى حياتهم الاجتماعية يكاد يكون محدودا للغاية ، كما أن خيامهم فى البادية أضخم من خيام البدو الآخرين ، كما أنه يرى أن بنى خالد أحسن منظراً ، وأفتح بشرة ، وهم أقرب إلى العرب المتحضرين ، وملابسهم جيدة ، ولهم طريقة متميزة فى وضع غطاء الرأس (الغترة) حتى أنه يخفى جزءا من الوجه ، ولهم لهجة محلية تكاد تكون غريبة ، وينزل بنو خالد الرحَل فى شهور البرد الثلاثة القرى ، ويحافظون على زراعة النخيل التى يملكونها فى الأحساء والقطيف والحرف الرئيسية لهم تربية الخيول والماشية ، وزراعة النخيل والقوة المحاربة لقبيلة بنى خالد باستثناء الأقسام التى انفصلت عنها وكونت قبائل مستقلة يبلغ عددها أربعة آلاف

---

(١) - ج ج لوريمر - دليل الخليج - القسم الجغرافى جـ٣ ص ١٢٥٢

رجل ، وعدد أفراد القبيلة كلها نحو ثمانية عشر ألف نسمة .
أما الآن فإن قبائل بنى خالد قد تحضرت (١) واستوطنت المدن وتوزعت بين الأحساء والقطيف ونجد والكويت وقطر والبحرين .
أما فؤاد حمزة فقد قدر عدد أفراد قبيلة بنى خالد بزهاء إثنى عشر ألف نسمة .

٩ - العُجمان وآل مرة :

ينتسب العجمان وآل مرة (٢) إلى قبيلة يام من همدان من قحطان ، وقد قدموا إلى الأحساء من مواطنهم فى جنوب الجزيرة العربية فى أواخر القرن الثاني عشر الهجرى ، حيث مكنهم ظهور الضعف فى بنى خالد من الاستئثار بالحظ الأعظم من بادية الأحساء ، فأزاحوا من سكان البادية كل من لم يخضع لسيطرتهم ، وقد انتشروا هناك فحلت قبيلة العجمان فى وسطها وأريافها ، ونزلت قبيلة آل مرة فى ناحيتها الجنوبية فى أطراف الرمال ، وفيما بين الأحساء وشبه جزيرة قطر ، وقد قدَّر عدد العجمان فى القرن الرابع عشر الهجرى بزهاء خمس وأربعين ألف نسمة ، أما آل مرة فقد قدر عددهم بنحو ثمانية آلاف نسمة .

١٠ - بنو هاجر :

تعتبر بنو هاجر إحدى القبائل التى لاتزال بعض عشائرها تحتفظ بالطابع البدوى ، وقد شغلت مواضع مجاورة لمضارب قبيلة العجمان من ناحية الجنوب فى الجوف ، وأطراف وادى المياه - الستار قديماً - وعين دار ، والجهات القريبة منها ، وامتدت بطون منها إلى شبه جزيرة قطر ، وتقدر المصادر عددهم فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى بستة آلاف نسمة .

١١ - قبائل أخرى :

أما قبائل الدواسر - السهول ، ومطير ، وسبيع ، وغنيمة ، وقحطان - فبالرغم من أن المصادر لاتعدهم ضمن قبائل الأحساء الدائمين ، لكونهم يؤُمُونها لأغراضهم الخاصة ، إلا أن بعضهم قد شغل بعض المواضع فيها فى الآونة المتأخرة ، فقد انتشرت فروع من مطير فى الجانب الغربى من بادية الأحساء فى الصمان ، ونواحى وادى الباطن ؛ وفى اللهابة ؛ واللصافة ؛ وماحولهما ، كما نزلت فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر بطون من قبيلة سبيع من بنى عامر بن صعصعة غرب بلاد مطير فى شرق الدهناء فى معقلة وحزو والسبية وماحولها وفى الجانب الشمالى الموالى لحدود الكويت تحل أفخاذ من قبيلة العوازم فى النقَّار - النقيرة - ونقير وثاج والنواحى القريبة منها .

---

(١) عبد الله الشباط : جريدة اليوم عدد ٣٩٧٩

(٢) الشيخ حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٥٨

وفى الجانب الشمالى عند حدود العراق ، شمال وادى الباطن - فلج قديماً - استقرت فروع من قبيلة الظفير فى هجرة الصقيرى (١) الكائنة شمال مدينة الخط ، على بعد خمسة عشر كيلاً منها ، كما سكنت زِغْبُ وهى بطن من قبيلة سليم ، كانت ذات ثروة فى العدد والقوة والنفوذ ، غير أن الضعف أدركها فحلت بجوار قبيلة مطير فيما بينها وبين قبيلة العجمان .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الهجرات إلى بلاد البحرين لم تكن قاصرة على القبائل البدوية فحسب ، بل إن كثيراً من السكان المتحضرين فى نجد قد اضطروا إلى النزوح عن مواطنهم واتجهوا صوب الأحساء ، ونواح أخرى تحت وطأة الظروف السياسية ، كهجرة الأسر النجدية إلى الأحساء إبَّان زحف إبراهيم محمد على باشا على الدرعية ، ومنهم آل وُدي من الجبور (٢) وآل حويدان المعروفين بآل ابراهيم (٣) ، أو لظروف اقتصادية ، كأن يعم القحط والجدب أراضى نجد بسبب قلة نزول الأمطار ، فيفضى ذلك إلى إرغام الكثير من السكان على ترك مواطنهم ، والنزوح صوب الأراضى الخصبة ، ومن ذلك على سبيل المثال ، أنه فى سنة ألف وخمس وثمانين هجرية ، اجتاح أراضى نجد قحط شديد سمى بجراداان اضطر على إثره عدد كبير من أهل نجد للهجرة إلى الأحساء ، ومن ضمنهم هجرة الفضول (٤) وفى سنة ألف وسبع وثمانين هجرية ، اجتاح الجراد مناطق نجد ، فنجم عن ذلك وفاة عدد كبير من السكان لشدة مالحق بهم من الجوع والغلاء والقحط ، فهاجر مانع بن عثمان من آل حديثة التميمى بأهله ، وجماعة من قومه أهل القارة المعروفة فى سدير وأموا الأحساء (٥)

وفى سنة ألف ومائة وست وثلاثين للهجرة عم القحط والغلاء نجد ، واليمن ، فغارت مياه الآبار حتى لم يبق فى كل من بلدى العودة والعطار سوى بئرين ، فهلك الحرث والنسل ، فشحت الأرزاق ولاذ أهل البادية بالمدن ، وهاجر أقوام كثيرة من أهل نجد إلى الأحساء ، والبصرة والعراق ، ولم يظل فى بلد العطار سوى أربعة رجال ، وفى السنة التى تلتها نزح أيضاً عدد كبير إلى العراق والأحساء ، وهلك كثير من عربان قبائل حرب ، والعمارات من عنيزة ، وبنى خالد وغيرهم ، وقال شاعر من سدير فى تلك المناسبة قصيدة منها قوله :

---

(١) - حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٥٩

(٢) - الجبور بطن من عقيل بن عامر دخلوا فى عداد بنى خالد بالمصاهرة

(٣) - ينتمون إلى عنترة بن أسد بن ربيعة

(٤) - الفضول : أبناء فضل بن ربيعة الطائى ومنهم من يقول من بنى خالد - سمير عبد الرازق : أنساب العرب ص ٢٣٤ ، فؤاد حمزة قلب جزيرة العرب ص ١٩٥

(٥) - خلف بن دبلان بن خضر الوذينانى - رسالة ماجستير بعنوان الأحساء فى القرن الثانى عشر الهجرى ص ١٠١

غدا الناس أثلاثا فثلث شريدة

يلاوى صليب البين عار وجائع

وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت

وثلث إلى الأرياف جالٍ وناجع (١)

وفى سنة ألف ومائة وإحدى وثمانين هجرية أصاب الناس فى نجد القحط والغلاء المسمى سوقه فهلك عدد كبير منهم بسبب الجوع والوباء ، فاضطر عدد كبير من السكان إلى النزوح إلى البصرة والزبير ، ثم إلى الأحساء ، وقد استمر ذلك الحال حتى نهاية سنة ألف ومائة واثنتين وثمانين هجرية (٢) وكان طابع العلاقة بين أهل نجد والأحساء إبان تلك الهجرات يتسم بالمودة ، ويرجع الباحثون أسباب ذلك للتكامل الجغرافى بين إقليمى نجد والأحساء من ناحية ، ولكون السكان فى كل منهما ينحدرون من أصول عربية واحدة من ناحية أخرى ، كما أن استقبال الأحسائيين وإكرامهم للوافدين عليهم من نجد يعود لما طُبع عليه العرب من كرم الضيافة (٣) .

ومما تقدم يمكن اعتبار العامل الاقتصادى ، ومايشكله من ضغوط على سكان وسط الجزيرة حين يحل بها القحط ، أهم العوامل التى ترغم أفواجاً كثيرة منهم على النزوح إلى الأحساء فى مختلف فترات التاريخ .

أما أسباب الهجرة بسبب الضغوط السياسية ، فقد تدفع جماعات من جهات أخرى أيضا إلى النزوح إلى الاحساء ، ومن الأمثلة على ذلك نزوح عدد كبير من سكان واحة البريمى إلى الدمام على إثر رفع يد السلطة السعودية عنها ، وإلحاقها بأبوظبى سنة ١٣٧٣ هجرية . كما أن الظروف العصيبة والأزمات السياسية الحادة التى مرت بها الأحساء قبل تسلم الملك عبد العزيز لمقاليد الحكم فيها ، وما نجم عن ذلك من استتباب الأمن قد أفضت إلى نزوح عدَّة جماعات منها إلى أقطار مختلفة ، كالزبير ، والبصرة ، وبغداد ، ولنجة وغيرها ، ولايزال فى لواء المنتفق بالعراق جالية من أهل القطيف يزيد عدد أفرادها على عشرين ألف نسمة ، يقطنون حيا يعرف باسمهم (٤) وإن بدا أن بعض المهاجرين من الأحساء يسارعون فى العودة إليها كلما سنحت الظروف لهم بذلك ، لأن تعلق أفئدة المغتربين عن الأحساء ببلدهم ، وحرصهم على الرجوع إليها من الأمور المعروفة ، ولايزال الأدب الشعبى حافلاً بالأمثلة المعبرة عن هذه الحقيقة . كما يصفهم الشيخ محمد آل عبد القادر بأنهم أقصر الناس غربة وأسرعهم إلى أوْبة (٥)

---

(١) خلف بن دبلان بن خضر الوذينانى – رسالة ماجستير بعنوان الأحساء فى القرن الثانى عشر الهجرى ص ١٠٣

(٢) ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث فى نجد ص ١١٣

(٣) أبو حاكمة : تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ٦٤ – ٦٥

(٤) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ص ٩٩

(٥) محمد آل عبد القادر : تحفة المستفيد ص ٢٩

ومـن الجـدير بالذكر أن انتقال بعض الأسر من جهة إلى أخرى ، كالانتقال مـن الأحسـاء إلى البحرين ؛ وقطر ، والكويت ، أو العكس ، أمر ملحوظ على مر التاريخ ، لان معالم الوحدة بين سكان هذه الجهات - رغم احتفاظ كل منها بكيانه السياسي المستقل - لاتزال ملموسة فى كافة النواحي البيئية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والتبادل التجاري ، وتطابق العادات والتقاليد ، والأحوال المعيشية ، وصلة الرحم ، وكثرة المصاهرة حتى أنك لاتكاد ترى أسرة فى جزء ، إلا ولها فى الجزء الآخر أقارب أو أصهار ، وقد كان سكان كل قُطْر من هذه الأقطار دائماً موضع اهتمام ورعاية السكان فى القطر الآخر على المستويين الرسمي والشعبي ، فعناية حكومات الخليج بعلماء الأحسـاء وإجـلالهم واستقدامهم للعمـل فى أعلى المناصب الدينية فى أقطارهم من الأمور المعروفة التى لايحتاج إثباتها إلى دليل كما أن احتضان الأحساء لطلاب العلم الوافدين إليها من مختلف إمارات الخليج ، وكذلك تعاطف الأسرة السعودية المالكة منذ تسلم الملك عبد العزيز مقاليد الحكم مع شعوب أقطار الخليج ، والأسر الحاكمة فيها ، من الأمور المعروفة هي الأخرى ، ومن الشواهد على ذلك ترحيبه بعشيرة الدواسر (١) التي أعربت له عن رغبتها فى النزوح من جزيرة البحرين إلى الدمام والخبر سنة ١٣٤٢ هجرية بسبب أزمة حادة نشبت بين هذه العشيرة والحكومة المحلية هناك ، وقد كانت لاستجابة الملك عبد العزيز وترحيبه بوفود هذه العشيرة وقعا طيبا فى نفوس أهل الأحساء ، فعبر شاعرهم الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك فى هذه المناسبة بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

هل من يجيب إذا دعوت الداعى ؟ .·. ويعى الخطاب وأين منى الواعى ؟

وقد أشاد فيها بأريحية الملك عبد العزيز ، وحميته ، كما انتهز هذه المناسبة لدعوة العرب للتضامن ، والتآخى ، ونبذ الفرقة والخلاف لتحرير الأجزاء المستعمرة ، ومحاربة الفقر والجهل والمرض عن طريق نشر العلم ، وإرساء دعائم النهضة الصناعية ، والزراعية ، بغية الوصول بالأمة العربية الى المستوى المشرف .

وبعـد هذا الاستطراد الذى أخالني بعدت به قليلاً عن الموضـوع نعـود إلى الحديث ، فأذكر أنه مما مضى يمكن القول ، أن السكان فى هذه البلاد فى الوقت الحاضر يتشكلون من سلالات عناصر عريقة الاستيطان فى هجر ، ومن الموجات التى تدفقت إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها على مر العصور ، وخاصة بعد اكتشاف الزيت بها ، حيث أخذ طلاب الرزق وعشاق الثراء يتهـافتون علـى البـلاد من كل حدب وصوب حتى أنه لم يبق من عشائر الجزيرة العربيـة

---

(١) يرى الشيخ حمد الجاسر : أن الدواسر هؤلاء ، قد يكونون من بقايا بنى سعد بن زيد مناه بن تميم ، فقد ذكر الأزهرى فى التهذيب ، وغيره من علماء اللغة : أن بنى سعد يقال لهم دوسر - المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٦٠

إلا ونزح منهم إلى هذه المنطقة كثير أو قليل .

ولذلك فإن معظم السكان فى الأحساء ، والكويت والبحرين ، وقطر ينحدرون من أصول عربية صريحة ، إلى جانب بعض السلالات المنحدرة من شعوب آسيوية ، وإفريقية ربطتها بهذه البلاد علاقات اقتصادية ، وسياسية فى الأزمنة المتعاقبة وإن بدا من غير السهل ربط كل جنس بالشعب الذى قد انحدر عنه ، أو كل أسرة بالفرع الذى تنتمى إليه من قبيلتها ، لأن تشابه الأسماء ، وتداخل مواطن سكن القبائل ، وأسباب أخرى كالأحلاف التي تبرم بين العشائر ، ومايجرى بينها من تصاهر ، وكذلك انضواء القبيلة الضعيفة تحت جناح من تفوقها فى القوة والبأس ، أمور تؤدى إلى الخلط فى الأنساب ، وتجعل من العسير على كثير من الجماعات أن تحتفظ بسلسلة متصلة الحلقات ، تربطها بأرومة العشيرة التى تنتهى إليها . والغالب بين العشائر أن تحتفظ أفخاذها بالاسم العام للقبيلة ، أو اسم من يشتهر من بطونها أو أفخاذها . وإذا كان هذا الأمر مما قد يلحظ حتى فى بعض المجتمعات القبلية التى لاتزال تحتفظ ببداوتها ، وخصائصها العشائرية ، فإنه فى الأسرة التى تقطن المدن والقرى أكثر صعوبة لأن الانصهار فى بوتقة المدنية ، والتحضر ، تذيب فى نفس الحضرى النزعة العشائرية ، وتضعف فى ذاكرته فكرة الانتماء إلى القبيلة ، وبمرور الزمن يصعب عليه تسلسل نسبة ، وإرجاعه إلى فرع معين من قبيلته الأولى ، وبذلك حلت الأسرة فى المدن ، والقرى مكان العشيرة ، والقبيلة وتلك حتمية تاريخية فرضتها مقتضيات التحضر والمدنية .

فالحضرى يعيش فى ظل مجتمع مستقر منظم ، تُسَيِّر أعماله أجهزة متخصصة ، وتقوم بحمايته ترتيبات أمنية منظمة ، لايحتاج معها إلى العمل الجماعى ، والاعتماد على القوة الذاتية للعشيرة فى تحقيق الحماية والاستقرار ، كما أن شمولية النظرة لدى الحضرى ، واتساع دائرة اهتماماته الاجتماعية ، والثقافية ، وتطور مفاهيمه للقيم الاجتماعية ، واشتغاله بمتطلبات أسرته اليومية ، كلها أمور تضعف من تشبث الحضرى بكثير من القيم العشائرية المتوارثة .

ونظرا للنهضة العلمية والحضارية التى تمر بها البلاد بعد اكتشاف الزيت بها ، وصرف بعض عوائده على مختلف النشاطات التنموية ، ومانجم عن ذلك من وفرة فرص العمل فى صناعات الزيت ، والأعمال المساندة له ، فإن كثيرا من الأسر البدوية أخذت فى التخلى عن حياة البداوة ، فانغمست فى الحياة الحضرية ، والانخراط فى الأعمال الوظيفية ، والصناعية ، والتجارية ومختلف ألوان النشاط الاقتصادى . كما أخذت أعداد السكان بصورة عامة فى التزايد والنمو كنتيجة طبيعية لتحسن الأحوال البيئية ، والصحية ، والمعيشية ، وانتشار الوعى ، وتوفر أسباب العلاج والوقاية من الأمراض والأوبئة ، وقد جاءت تقديرات السكان فى الأحساء – المنطقة الشرقية – خلال القرن الرابع عشر الهجرى على النحو التالي :

قدر حافظ وهبة [1] عدد سكان الأحساء بنحو مائتين وخمسين ألف نسمة فى الحضر والبدو ، وذلك فى كتابه جزيرة العرب .

أما فؤاد حمزة فقد ذكر فى كتابه قلب جزيرة العرب ، أن عدد السكان قدر بثلاثمائة ألف نسمة يشكل الحضر ثلث هذا العدد .

وقد قدَّر Manral de Giographie - L.Duberet et. T. Vubsse.

عدد سكانها ٥٠٠,٠٠٠ ألف نسمة

وقد جاء فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية أن جملة سكان المنطقة الشرقية [2] يقدرون بـ ٧٦٢٠٣٧ نسمة منهم ٤٢٨٥١٣ ذكور ، ٣٣٣٥٢٤ إناث .

---

(١) – عمر رضا كحاله – جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ٢٤١

(٢) – حمد الجاسر – المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٣٨

﴿ الفصل الثالث ﴾

دلائل الاستيطان المبكر

دلائل الاستيطان المبكر

تعبر الآثار أصدق تعبير عن الحقائق التاريخية والحضارية للأمم منذ العهود السحيقة . لذا سيكون للمزيد من التنقيب عنها فى هذه البلاد أعظم الأثر فى إزالة العتمة ، وإجلاء الغموض عن جوانب متعددة من تاريخها الإنسانى والحضارى عبر العصور المختلفة ، وبالرغم من قلة الآثار التى تم اكتشافها حتى الآن فإن كثيراً من العلماء والباحثين يرون أن شرق الجزيرة العربية ، ومن ضمنها إقليم هجر – البحرين –من أقدم مواطن الاستيطان البشرى ، ولابد أن تكون مهد حضارات بالغة القدم ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل من أهمها :

١ – خصوبة هذه الأراضى ٢ – وفرة مصادر المياه بها ، ٣ – توسطها بين مراكز الحضارات القديمة (١)

٤ – إشرافها على جزء كبير من ساحل الخليج العربى ، الذى لعب فى العهود السحيقة دوراً هاماً فى مجال الاتصالات البشرية ، والتجارية ، والعسكرية بين شعوب تلك الحضارات منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، فقد انطلقت من شرق الجزيرة إسهامات ثقافية امتزجت مع ثقافات الأقطار المجاورة ، فانبثقت عنها دوائر حضارية ، كان لها شأن كبير فى تاريخ الشرق القديم ، فهى بذلك تمثل مجالاً بكراً لإجراء العديد من الدراسات الحضارية للإنسان منذ أيام حياته البدائية . والذى يذهب إلى هذا الرأى من العلماء والباحثين انما يستند على ماتوحى به تركات الأجناس التى حفلت بها هذه البلاد منذ أقدم العهود ، والتى تم اكتشافها إما عن طريق البعثات العلمية (٢) أو بصورة عرضية عن طريق السياح ، وعمال الحفر أثناء التنقيب عن الزيت .

ونظراً لقلة هذه المكتشفات ، وخلوها من الكتابات التى توضح بدقة هوية أصحابها ، وأماكن إقامتهم ، والفترات الزمنية التى واكبوها ، فإن من غير الممكن إعطاء فرضية أركلوجية دقيقة عن أسماء الأجناس البشرية ، وطريقة حياتهم فى هجر ، فى فترة ماقبل التاريخ المدون ، وفى العصور الحجرية ، وماتلاها من العصور . غير أن ماتم اكتشافه من الآثار حتى الآن يمثل حوافز مهمة للبحث والتنقيب سعياً وراء الكشف عن المجهول من تاريخنا فى أحشاء هذه البلاد العريقة .

---

(١) – د / عبد الله مصرى : مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص ٣٦

(٢) – د / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٥٣٢

فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن أراضى الساحل الغربى للخليج ، والجزر المقابلة له ، كانت مأهولة بالسكان من نحو خمسين ألف سنة ، وهى الفترة المواكبة للعصور الجليدية المتأخرة فى أوروبا .

كما يرى الباحثون أن جزر البحرين كانت متصلة بشبه جزيرة العرب الأم ، يؤكد ذلك أن كل جزء من هذه الجزر يشترك مع مايقابله من أراضى شبه الجزيرة فى طبيعة تكوينه الجيولوجى ، ويشير تقرير مسح المنطقة الشرقية ، الصادر سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م أن تسجيل الاستيطان القديم بدأ فى منطقة الأحساء منذ زمن بعيد فى العصر الجليدى الأخير (١) فقد عثر عند عيون المياه فى الهفوف على عدة مواقع خزفية ، تتميز بنقاطها البارزة من شفر ومقاشط ، وغيرها من الأدوات المصنوعة من حجر الصَّوان .

أما السكان فكانوا فى بدء استيطانهم جماعة من الصيادين والرعاة الذين ظلوا ردحاً من الزمن يعيشون على ماتصل إليه أيديهم من حيوانات وأسماك (٢) ، وقد كان الصيادون ، ثم الرعاة بعدهم آنذاك يتنقلون صوب الأودية وشواطىء البحار ، ولم يزل السواح وخبراء التنقيب عن الزيت يعثرون بين الوقت والآخر على بعض مخلفات أولئك الصيادين والرعاة .

مؤشرات الاستيطان فى العصور الحجرية :-

لقد تم العثور فى السواحل الشرقية للجزيرة العربية ، وجزيرة البحرين على عدد كبير من الأدوات المصنوعة من حجر الصوان التى استخدمها أولئك القوم فى صيد فرائسهم ، وتقطيع لحومها ، وهى تشبه أدوات مماثلة من أواسط العصور الباليوثيكية ، تم العثور عليها شمال العراق ، وفلسطين ، وفى شمال غرب الهند . الأمر الذى يحمل على الاعتقاد أن الأدوات المشار إليها تعود إلى هذا العهد أيضاً ، كما عثر فى جزيرة البحرين على عدد منرؤوس حراب وسكاكين ، صنعت من صخور صوانية ، يترواح عمرها فى تقدير الباحثين مابين عشرة آلاف واثنتى عشرة ألف سنة ، فهى بذلك ترجع إلى أواخر أيام الرعى ، وابتداء عهد الاستيطان ، والاستقرار ، والاشتغال بالزراعة ، ومن ضمن تلك الأدوات أحجار سنت ، وشذبت لتصبح آلات لحصد المزروعات ، وإجتثاث الأعشاب ، وإن من أقدم الآثار التى أمكن العثور عليها آثار تعود

---

(١) أطلال : العدد الأول عام ١٣٩٧ ص ٢٥

(٢) : د / جواد على - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٥٣٤

لأيام الأدوار الأولى من أدوار حضارة العصر الحجرى المعروفة لدى علماء الآثار باسم كيليان . كما عثر على أدوات عصر الكاثوليك ، وهى من النوع الذى عثر عليه فى فلسطين ، وقد اكتشفت أدوات من العصور الحجرية فى عدة مواقع من واحة الأحساء ، وبخاصة على مقربة من عيون المياه الكبرى ، ولو أن أكثر تلك المواقع يرقد تحت القرى والبساتين التى تحف بمدينتى الهفوف والمبرز ، وقد طمرت الأدوات الحجرية التى تم اكتشافها هناك ، والمتمثلة فى الشفر ، والسكاكين ، ورؤوس السهام المصنوعة من حجر الصوان ، وحجر الألباستر والاستيتايت بما يتجاوز ٦٥٠٠ عام .

وفى واحة يبرين الواقعة فى الطرف الشمالى الغربى من الربع الخالى ، على بعد حوالى ٢٦٠ كم جنوب واحة الأحساء ، أشار تقرير المسح الأثرى الأول الصادر سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م إلى وجود استيطان بشرى محدود من حيث اتساع رقعته ، إلا أنه أطول عمراً ، وهناك كثير من التلال الرملية المطلة على المنخفض تغطى هاماتها رواسب من حجر الصوان ، وبها مخلفات ، وأطلال مصنعة من حجر الصوان ، وهى منتشرة على نطاق واسع ، منها رقائق كبيرة ومجموعات قليلة من الآلات الحجرية المتميزة بطبيعتها ذات الحدين من النمط الآشورى تم العثور عليها فى أربعة مواقع على الأقل ، ويعد الموضع المعروف بالضبطية - الذى يشغل تلاً على أرض الوادى - الموقع النموذجى لتلك المصنوعات ، حيث تغطى ذلك التل صخور بارزة من الصوّان الأبيض ، والوردى من النوع الممتاز ، كما وجد هناك أيضا فؤوس ؛ وشفر ومقاشط ، وسكاكين ، وأغلب تلك الأدوات من ذات الحدين كاملة التهذيب ، وقد تأكد للمنقبين وجود استيطان من العصر البليستوسينى المتأخر ، وتوحى تلك الأماكن بوجود استيطان فى باطن الوادى ، فضلاً عما وجد فيه من الأدوات الحجرية المنتشرة هناك ، وكذلك النقاط البارزة التى تكون أجزاء من مجموعات أخرى متأخرة ، والتى عثر عليها مع رواسب الاستيطان الكثيف ، والحجر الجيرى حول الآبار وقد كان من المتوقع العثور على مجموعات لم تمس لعدم إجراء أى تنقيب هناك .

كما أشارت التقارير إلى آثار رسوم لعمائر سكنية مبنية من الآجر ، وقد أثرت فيها عوامل التعرية ، حيث أطاحت الرياح بطوابقها العليا ، كما عثر فى تلك المنطقة على كسر فخار من مختلف العصور . ويعتبر الباحثون وادى الصهباء من الأماكن التى جذبت مستوى أعلى من الاستيطان البشرى أثناء العصر البليستوسينى (١) حين كان ذلك الوادى مستمر الجريان

(١) أطلال : جـ١ ص ٣٣ - ٣٤

على مدار العام تقريباً ، يؤكد ذلك الدلائل التى أسفر عنها المسح ، فقد عثر هناك على دليل مادى لاستيطان نسبى قام فى منتصف العصر البليستوسينى ، يتمثل فى العثور على سبع محطات لتشكيل الأدوات ذات السمات المشتركة ، فى حين ثمة موقع ثامن يضم سكاكين صغيرة متأخرة إلى حد ما ، ولم يتم العثور إطلاقاً على آثار الانتفاع ببطن الوادى ، أو المناطق المحيطة به إبان العصر البليستوسينى المتأخر . وهناك صناعات حجرية فى مجموعات صغيرة من الأدوات فى المرتفعات ، والتلال الحصبائية التى تشرف على الوادى ، ومن تلك الأدوات مقاشط بدائية ثقيلة ، وأوعية مرممة ، ورقائق شفرية صنع بعضها من الصوان البلورى العادى ، والبعض الآخر من الصوان البلورى الشفاف ، كما عثر فى المنطقة الأثرية جنوب الظهران على آثار من مختلف العصور يرجع أقدمها إلى العصر الحجرى الحديث ، ومن تلك الآثار رؤوس سهام حجرية وكسر فخار موغلة فى القدم .

وتعتبر شبه جزيرة قطر من أهم وأقدم مواقع الاستيطان البشرى فى هذه البلاد حيث كانت مهدا لأقدم الحضارات الإنسانية التى أسفر التنقيب عنها فى منطقة الخليج حتى الآن ، فقد تمخضت جهود البعثة الدنمركية التى قامت بالتنقيب عن الآثار هناك عن حصر زهاء مائتى موقع أثرى ، تعود إلى فترة ماقبل التاريخ ، بينها زهاء ١٣١ موقعاً ترجع إلى العصر الحجرى وهى تمثل آثار ذلك العصر فى فتراته المختلفة ، ومن تلك الآثار أدوات حجرية بينها شظايا مصقولة ، ورؤوس سهام ذات أنصال صغيرة مع بروز عند أحد الجوانب الأمامية ، ومن أشهر المواقع الأثرية التى وجدت بها تلك المخلفات موقع الوصيل (١) الكائن على بعد ٢٥ كم شمال مدينة الدوحة ، ومن أهم تلك الآثار ، نصل له لسان غير مكتمل ، يبلغ طوله ٧سم ، ونصل مثلث الشكل . وقد اختارت البعثة الدنماركية لعملها ٦٨ موقعاً خاصاً بحضارات العصر الحجرى ، وذلك تبعاً للتدرج التقنى لصناعة الأحجار الظرانية ، بدءاً بالصناعة البدائية البسيطة وحتى بلوغها الذروة فى الجودة والاتقان المتمثلة فى صناعة الرقائق الحجرية الممتازة كالفؤوس ، والمعاول ؛ ورؤوس السهام الكبيرة ؛ والصغيرة ؛ والمخارز الصغيرة الدقيقة نسبياً .

ولم يستطع الباحثون الجزم بأن ذلك التطور التقنى المتدرج قد حدث خلال الانتقال من مرحلة حضارية إلى أخرى ، أو أنه جاء نتيجة لتعاقب مجتمعات بشرية مختلفة ، أوقبائل مهاجرة استقرت لفترات طويلة أوقصيرة ، كما لم يتسن للباحثين التمييز بين المجموعات الحضارية بصورة دقيقة ، ذلك لأن الحضارات المختلفة تختلط مع بعضها فى نفس المواقع الأثرية .

---

(١) د / سليمان سعدون بدر : منطقة الخليج العربى خلال الألف الرابع والثالث ق . م ص ١٤٦

لقد لعبت صفات الظران ونماذجه دورا بارزاً فى تقسيم الآثار الإنسانية المادية إلى هذه المجموعات التى تتميز عن بعضها البعض فى مجال الصناعة الحجرية ، وهذه المجموعات هى(١) :-

المجموعة الأولى :

وهى أقدم الحضارات ، حيث تمثل حضارة العصر الحجرى المبكر ، وتضم ١٠٨٧ أداة و ١٨١٦ قطعة من الشظايا ، وهى عبارة عن فؤوس يدوية ، وأزاميل خشنة ، ونماذج على شكل سكاكين ، وتتواجد فى سطوح الهضاب الصخرية وسفوح قمم الجبال .

المجموعة الثانية :

وتسمى حضارة رؤوس السهام ، وتمثل العصر الحجرى الأوسط ، وفيها عثر على ٢٤٨١ أداة و ٩١٩٧ قطعة من الشظايا التى لم يتم تحديد أصلها ، وتتسم أحجارها بالتناسق الذى يسمح بتحويلها إلى رقائق وقد أستعملت كأسلحة جيدة ، وتشتمل على العديد من رؤوس السهام ذات الألسن ، ولكن بدون شوكة خلفية ، وتتواجد هذه المجموعة فى محاذاة الشريط الساحلى ، حيث تتوفر الصخور المنخفضة .

المجموعة الثالثة (٢) :

وتمثل حضارة العصر الحجرى الأوسط ، وتضم ٢٢٣٠ أداة و ٣٨٩٦ قطعة من الشظايا ، وتعرف بأنها حضارة مكاشط ، أو محكات ، وفيها مايشبه المخارز ، أو الكتل الحجرية الصغيرة المكورة التى ربما استخدمت كآلات قذف ، أو كأسلحة رمى ، كما يوجد بين تلك المجموعة رؤوس سهام بدائية التشكيل بها نتوءات قصيرة ، وتتواجد تلك الآثار على ارتفاع ٢٥-٤٠ قدماً فوق سطح البحر وعادة ماتكون ملاصقة للساحل ، ومن أهم مواقعها رأس عوينات علي ؛ ودخان ؛ وجليحة ، والجبيجت ، ونخشر .

المجموعة الرابعة :

وتمثل حضارة العصر الحجرى الحديث ، وتضم ٥٢٣٠ أداة و ٤٩٥٣ قطعة من الشظايا ، وكسر غير مصنعة ، وتسمى هذه المجموعة بحضارة الشظايا المضغوطة ، وتتميز بدقة صناعة الرقائق والشظايا التى تتخذ أشكالا متعددة ، فيها كثير من الجمال ، يظهر بينها لأول مرة

---

(١) - المرجع السابق - ص ١٤٦-١٤٩

(٢) - المرجع السابق - ص ١٥٠ ، ١٥١

الفأس اليدوى ، والشظايا المجنحة ، كما أن رؤوس السهام فى هذه المجموعة متنوعة من حيث الشكل والحجم ، وتتواجد تلك الأدوات الأثرية قرب الساحل فى موقع دخان .

ويرى «كابل» بأن هذه الأدوات ربما تمثل ظاهرة محلية بحتة ، وقد أطلق عليها أدوات قرميدية ، ويدل تواجد مثل هذه الأدوات على وجود الصوان القرميدى المحلى .

مما تقدم يرى الباحثون أن الآثار المادية التى خلفها إنسان حضارات قطر المختلفة تقتصر على تلك الأدوات الحجرية التى استخدمها الإنسان لأغراضه الخاصة ، حيث تدل هذه الآثار على أن العصر الحجرى قد امتد لفترة طويلة فى المنطقة ، ولم يصل إنسان حضارات قطر إلى الإستقرار ، والزراعة ، والشىء الوحيد الذى يشير إلى احتمال توصله إلى ذلك ، يتمثل فى طاحونتين حجريتين تم العثور عليهما فى جنوب دخان ، وهو دليل غير كاف للقطع بتوصل الإنسان القطرى إلى حياة الاستقرار إذ قد تكون تلك الطاحونتان عائدتين لفترة لاحقة .

ومهما يكن من شىء فإن إنسان تلك المنطقة قد أحسن استغلال ما فى بيئته الصحراوية من المواد الخام اللازمة لصناعة الأدوات الحجرية على اختلاف أنواعها ، حيث يوجد هناك حجر الصوان ، والكوارتز ، والكوارتيزايت ، والأحجار الخضراء الجميلة ، والحجر الصوان الصلد الزجاجى الشبيه بالأحجار الكريمة .

آثار حضارة العُبيد :

يعتبر الفخار الملون الخاص بفترة العبيد من أبرز دلائل الاستيطان المبكر لهذه البلاد ، حيث تم العثور عليه فى عدة مواقع ، أهمها موقع الدوسرية ، وابوخمسين برأس الزور ، وسبخة مرير ، وجزر الباطنة ، والمسلمية ، وجنة وجميعها فى منطقة الجبيل إلى الشمال من واحة الأحساء ، وقد حفلت هذه المواقع بمؤشرات استيطان من عصور مختلفة أهمها فترة العبيد (١). كما تم العثور فى واحة الأحساء عند عين قناص ، وقرية المحترقة ، وعلى مقربة من مراح مستوطنات سكنية عكست آثار الفترة المبكرة لحضارة العبيد ، الأمر الذى حمل بعض الباحثين على الاعتقاد أن تلك الحضارة نشأت (٢)أولا فى واحة الأحساء ، ثم انتقلت منها إلى المواقع الأخرى فى اتجاه الشمال ، حتى وصلت إلى بلاد الرافدين ، لتتبلور هناك ، وتكون الركيزة الأولى للحضارة السومرية .

ومما يعزز هذا الاعتقاد أن جميع المواقع العبيدية التى تم اكتشافها فى الشمال ترجع إلى فترات لاحقة

---

(١) – سميت بذلك نسبة الى تل العُبيد بجنوب العراق وهى فترة تمتد من ٤٥٠٠– ٣٥٠٠ سنة ق . م ، وأبرز دلائلها الفخار الملون ذو الطابع الفريد الخاص بتلك الفترة

(٢) – مجلة المجلة : العدد ٤٦٨ من ٢٥ – ٣١ يناير سنة ١٩٨٩م

لتلك التى اكتشفت فى واحة الأحساء . وتعد هذه الفترة المرحلة الانتقالية للإنسان من حياة الصيد والرعى إلى حياة الاستقرار والاستيطان وتشييد القرى .

آثار العصور التاريخية المبكرة :

يبدأ التاريخ المدون للاستيطان البشرى منذ استطاع الإنسان الانتقال من مرحلة التقاط الطعام وجمعه إلى مرحلة العمل على إيجاده وتوفيره عن طريق زراعة الأرض ، وتدجين الحبوب ، وأشجار الفاكهة وترويض الحيوانات وتربيتها للانتفاع بلحومها وألبانها وأوبارها وأصوافها فى أغراضه المعيشية والحياتية المتنوعة مما أفضى إلى حياة الاستقرار ، وبناء القرى ، وتكوين المجتمعات الصغيرة وظهور العادات والتقاليد ، وكذلك اكتساب الخبرات والمهارات التى مكنت تلك المجتمعات من تطوير أساليب حياتها ، حتى أنشأت المدن ، وأرست دعائم الحضارة ، ففى ظل الحياة المدنية استطاع المجتمع البشرى أن يتجه إلى التخصص فى الوظائف والأعمال ، بحيث أصبح لكل نوع من العمل فئة متخصصة فى النهوض به دون غيره ، وقد ساعد هذا بدوره على الابتكار والإبداع ، وإتاحة الفراغ الكافى لظهور الفنون والآداب ، كما واكب ذلك ظهور النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى اقتضتها طبيعة التحضر والمدنية ، فأخذت الأساليب المعيشية ، والتقاليد الاجتماعية ، والعقائد الدينية فى التبلور والنمو ، فانعكس ذلك على الصناعات وإنشاء المعابد والمدافن ، ووسائل التعبير عن الفكر الإنسانى والدينى والثقافى ، وقد كان ذلك أولاً من خلال التعبير بالرمز والصورة ، ثم بالكتابة والرسم والنحت وغير ذلك من الفنون

وقد دفعت المصالح المشتركة المجتمعات فى مختلف مواطن الحضارات القديمة بالشرق إلى إقامة الصلات الاقتصادية فيما بينها عن طريق وسائل النقل والاتصال المتاحة آنذاك ، والمتمثلة فى السفن والحيوانات المدجنة ، فأدى ذلك بدوره إلى التفاعل والتمازج بين ثقافات تلك المجتمعات فانبثق عنها قيام حضارة إنسانية شاملة ، احتفظ فيها كل مجتمع بخصائص وسمات محلية ، تميز هويته وتحدد مافى حضارته من أصالة واستقلال .

وقد أسفر الكشف الأثرى الذى قامت به البعثة الدنمركية الموفدة من متحف ما قبل التاريخ بالدنمارك إلى منطقة الخليج ، وكذلك البعثات العالمية والمحلية فى أقطار الخليج عن نتائج هامة حددت مئات المستوطنات الأثرية فى مختلف مناطق هجر « البحرين » وقد اشتملت تلك المستوطنات على العديد من المعثورات ، والمعالم الأثرية المادية منها والفكرية المتمثلة فى المنشآت السكنية ، والأدوات والمدافن والمعابد والكتابات والنقوش التى تعبر عن المسيرة الحضارية بهجر « البحرين » منذ فجر التاريخ المدون وحتى ظهور الإسلام . وتنتشر المواقع الأثرية فى جميع أراضى هجر «البحرين» وبخاصة فى واحتى الأحساء ؛ والقطيف ، وجزر تاروت ،

وجنة ، والمسلمية ، ومنطقة الجبيل ، وجنوب الظهران ، وجزر البحرين وجزيرة فيلكا ، حيث تحفل هذه المواقع بعناصر حضارية ذات سمات وخصائص متشابهة تؤكد الوحدة العضوية لهذه الأجزاء ، وتعكس الأصالة الحضارية المحلية ، كما تحمل بعض سمات التشابه مع الدوائر الحضارية فى الأقطار الأخرى ، وبخاصة العراق وعمان وجنوب الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر ووادى الأندوس وإيران .

ولكى تكون الصورة عن حضارة هجر (البحرين) فى الفترات السالفة الذكر واضحة فسنلقى الضوء على تلك المعثورات ، والمعالم الأثرية فى المواضع السالفة الذكر بصورة مجملة ، وبالقدر الذى يحدد أصالة هذه الحضارة ، ويبرز سمات التشابه بينها وبين سائر الحضارات ، وذلك من خلال نتائج الحفريات التى تم إجراؤها على أيدى البعثات الأثرية ، وفرق التنقيب المحلية ، وفى هذا الإطار تجدر الإشارة إلى بعض الجهود الفردية والجماعية التى حاولت إزاحة النقاب عن آثار هذه البلاد ودراسة تاريخها القديم ، ففى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى قام الكابتن دوراند (١) بفتح إحدى المقابر بجزيرة البحرين ، ثم تلاه تيودوربنت ، فأماط اللثام عن بعض المقابر الواقعة بالقرب من قرية عالى بالبحرين أيضاً .

وفى مطلع القرن العشرين قام الميجور بريدو (٢) بفتح ٦٧ تلا من تلال البحرين ، كذلك عثر الكابتن شكسبير بموقع ثاج على لوحتين تحملان كتابة بالخط المسمارى .

وفى عام ١٩٤٠م زار الأستاذ / بيتر كروموال بعض المناطق الأثرية الواقعة فى أراضى الساحل الغربى للخليج ، فعثر بالقرب من القطيف على لوحة أثرية ، كما كتب عن المنطقة الأثرية جنوب الظهران بحثاً قام بنشره سنة ١٩٤٦م .

وفى أواخر عام ١٩٥٣م أرسل متحف آثار عصور ماقبل التاريخ فى أرهوس بالدنمارك (٣) بعثة علمية إلى البحرين كان لها فضل كبير فى إزاحة الستار عن حقائق مهمة من تاريخ هذه البلاد ، ومن أهم ماعثرت عليه فى المواقع الأثرية بجزيرة البحرين مدينة دلمون الأثرية وأطلال معابد «باربار» وبعض التلال الجنزية ، وامتد نشاط هذه البعثة إلى دولة قطر حيث كشفت عن مواقع أثرية ، وآثار تمثل حضارة العصر الحجرى ، وذلك فى مكان غرب قطر يعرف بمرو ، وفى جملة ماعثر عليه آثار مدينة يرجع عهدها إلى منتصف الألف الأول ق . م كما اكتشفت فى الكويت آلات حجرية ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ ، وخاصة العصر الحجرى القديم ، إلى جانب الكشف عن معابد فيلكا ، وجملة الآثار النفيسة التى يرجع تاريخ

---

(١) الوثيقة - العدد التاسع : شوال ١٤٠٦ هـ - يوليو ١٩٨٦م ص ١٧٧

(٢) د / سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى خلال الألف الرابع والثالث ق . م ص ١٠١

(٣) الوثيقة : العدد التاسع - شوال ١٤٠٦ هـ يوليو ١٩٨٦م ص ١٧٨

بعضها إلى العصر البرونزى وماتلاه من العصور التى تشير إلى صلات هذه البلاد بما سواها من البلدان ، وبخاصة بلاد الرافدين ، حيث تعاقب (١) على استيطان فيلكا عدة جماعات من الكلدانيين والآشوريين والإغريق والفرس .

أما فى أراضى الساحل الغربى للخليج فقد اكتشفت البعثة الدنمركية بعد مسح أثرى أجرته هناك فى أكثر من عشرين موقعاً تعود إلى فترات زمنية موغلة فى القدم ، وقد تركزت أعمال البعثة على اكتشاف المستوطنات فى كل من ثاج والعقير ، وفى شمال العقير على الساحل أشارت البعثة الدنمركية إلى وجود آثار تدل على قيام الزراعة فى تلك المنطقة على نطاق واسع فى الأزمنة السحيقة ، وقد تم فحص تلك المنطقة بدقة ، فعثر فيها على آثار هامة لفترة ، ماقبل الإسلام .

وقد لاحظ الباحثون (٢) أن تلك البعثة رغم عملها فى المنطقة فترة طويلة ، فإنها لم تنشر نتائج اكتشافاتها إلا فى أضيق الحدود ، وقد أعقبت أعمال هذه البعثات نشاطات تنقيبية علمية نظمتها حكومات المنطقة فى كل من الكويت ، والبحرين ، والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

ففى الكويت ، نظمت وزارة الإعلام هناك فى أوائل عام ١٩٧٢م بعثة علمية برئاسة الأستاذ / رشيد الناضورى (٣) حيث تمكنت تلك البعثة من الكشف عن بعض المواقع الأثرية المنتمية إلى العصر الحجرى القديم بفتراته المختلفة ، ومن تلك المواقع الصليبيخات ؛ ووارة ؛ والبرقان وجليعة العبيد ؛ ووادى الباطن ؛ وكاظمه ؛ وجزيرة أم النمل ؛ وجزيرة مسكان علاوة على دراسة مواقع جديدة فى جزيرة فيلكا .

كما قامت الحكومة فى البحرين بتنظيم عدة بعثات ، منها بعثتان أثريتان قامتا بالتنقيب فى قرية مقشع ، وكارزكان (٤) وذلك سنة ١٩٧٨م .

وقد أسفرت تلك الجهود الفردية والرسمية عن اكتشاف العديد من الملتقطات ، والشواهد الأثرية كالجرار الخزفية ، والأوانى الحجرية المزخرفة ، والتماثيل ، وبعض الكتابات والأختام .

أما فى المنطقة الشرقية فقد أجرت الإدارة العامة للآثار والمتاحف مسحا أثريا للمنطقة فى العامين ١٩٧٦ و ١٩٧٧ م سجل مايربو على ٣٠٠ موقع أثرى ، منها ماأمكن إرجاعــه إلى فترات زمنية معينة ، ومنها مالايمكن إرجاعه إلى فترة زمنية بعينها .

---

(١) - د / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام - جـ٢ ص ٣١

(٢) د / سليمان سعدون البدر - منطقة الخليج العربى خلال القرنين الثانى والأول ق.م ص٢٦

(٣) المرجع السابق - ص ٢٦

(٤) - الوثيقة - العدد السابع - شوال ١٤٠٥ هـ - يوليو ١٩٨٥ م ص ١٩٥

العناصر الحضارية فى ضوء نتائج الحفريات :

تتمثل العناصر الحضارية المادية منها والفكرية فى المنشآت العمرانية ، كالمدن ، وشبكات الرى والمعابد ، والمدافن ، والمخلفات الأخرى كالأدوات المستعملة فى الحياة اليومية ، إلى جانب التماثيل والنقوش ، والأختام وغير ذلك مما تحفل به المواقع الأثرية المنتشرة على الساحل الشرقى للجزيرة العربية والجزر المقابلة له ، ومن أهم تلك الآثار التى سنسلط عليها الأضواء هى :

أولا المدن :

لقد أسفر التنقيب الأثرى عن عدد كبير من المدن التى عكست آثار الاستيطان فى مختلف الفترات التاريخية ، بدءاً من الألف الثالث ق.م ، وحتى مابعد ظهور الإسلام ، مما يؤكد استمرارية الاستيطان ، والمسيرة الحضارية فى هذه البلاد .

وفى غياب الدراسة الدقيقة للتفاصيل العمرانية لتلك المدن ، فلايسعنا سوى عرضها فى صورتها الإجمالية ، ومن أهم تلك المدن التى تم الكشف عنها فى الساحل الشرقى :-

١ - المدينة الأثرية بالموقع الكائن جنوب مطار الظهران : وهى تضم أحياء سكنية ، وشوارع وبعض المنشآت الدفاعية ، ومن أكثر تلك المعالم وضوحاً بعض الغرف المتخلفة عن مدينة إسلامية .

كما أظهرت رسوم العمائر ، وشظايا الأدوات الحجرية ، وكسر الفخار الموغل فى القدم والمنتشر على سطح الموقع أن أقدم المستوطنات السكنية هناك (١) ترجع إلى الألف الثالث ق.م ، وهى الفترة التى تم فيها بناء المدافن الدلمونية المنتشرة بذلك الموقع ، ويرى المنقبون أن تلك المستوطنة السكنية المصاحبة للمدافن ، ربما تقع على الشاطىء الجنوبى لمدينة الثقبة والخبر وهى المعروفة قديماً بالسبيخة ، وتمتد إلى المنطقة الغربية ، لمدينة الثقبة حتى عين السيح جنوباً وربما امتدت حتى شملت أطراف السبخة الجنوبية الغربية ، حيث تم اكتشاف مواقع قديمة بها ففى عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م تم تحديد مواقع بالغة القدم منها ، موقع المونة المنتمية للعصر الحجرى الحديث وفترة العبيد ، ومن ضمن ماتم العثور عليه فى تلك المستوطنة : رؤوس سهام حجرية ، وكسر فخارية مبكرة ، وأصداف قوقعية ، وقطع من البرونز ، وأساسات جدران ، ويرجع بعض تلك الآثار إلى الألف الثالث ق.م وبداية الألف الثانى ، على حين ترجع بقية تلك الآثار لفترات لاحقة مما يشعر باستمرار الاستيطان إلى مابعد ظهور الإسلام .

---

(١) - الأستاذ / على صالح محمد المغنم أمين المتحف الإقليمى - ترجمة بحث عن الخواتم مقدم إلى المؤتمر العالمى الثامن عن آثار جنوب آسيا أقيم فى متحف موسكار فى مدينة أرهوس من ١-٥ يوليو سنة ١٩٨٥م

٢ - تاروت :

تقع جزيرة تاروت على بعد ٨ كم شمال شرق مدينة الدمام ، وتعتبر من أهم المواقع الأثرية لما تحتويه من مؤشرات حضارية تعبر بجلاء عن عراقة الاستيطان بهذا الموقع منذ فجر السلالات الأولى للإنسان وحتى العصور الإسلامية .

وتبدو مدينة تاروت التاريخية فى صورة تل ، تعلوه قلعة قام البرتغاليون ببنائها سنة ٩٢٧هـ ١٥٢٠ م وقد قامت البعثة الدنمركية (١) بالتنقيب فى ذلك التل فكشفت ، عن أربع طبقات سكنية تتألف جدرانها من كتل حجرية مربعة الشكل ، كما تم العثور على بئر عميقة تنصرف مياهها إلى حوض حجرى واسع ، كما ينتشر على أرض الموقع عدد كبير من الكسر الفخارية ، وقد أظهرت دراسة الفخار أن تلك الكسر تعود إلى عصر حضارة باربار ، كما دلت الحفريات فى الطبقات السفلى للتل أن بعض الفخار يرجع إلى فترات سابقة لحضارة باربار ، كما تم العثور فى تلك الطبقات على رؤوس سهام وكسر حجرية كالسكاكين والمقاشط ومائتى كسرة فخارية من النوع الخفيف الأصفر المائل إلى الخضرة والمزدان بأشكال هندسية ذات لون بنى غامق ، وقد أوضحت دراسة تلك الكسر أنها تعود إلى عصر حضارة العُبيد ، كما تضم الجزيرة مدينة «دارين التاريخية (٢)» الرابضة على الساحل الجنوبى ، وقد شيدت على أطلال أبنية قديمة ، وفيها تتواجد أكمات بدائية المنظر ، وشاذة التكوين يعتقد أنها بقايا مدافن .

٣ - الجبيل :

تقع على الساحل بالقرب من خليج المسلمية ، وتعد من أهم المواقع الأثرية ، وتشتمل على آثار من مختلف العصور التاريخية ، وعلى بعد ٧ أميال إلى الجنوب من مدينة الجبيل القديمة ثمة مدينة مهجورة (٣) تقوم على قمة أحد التلال ، وقد تم الكشف فيها عن أنقاض منازل حجرية مستطيلة الشكل تفصل بينها شوارع منظمة بصورة نموذجية . وقد درست البعثة الدنمركية ذلك الموقع حيث عثر فيه على طبقة سطحية تكسوها الرمال ، إلى جانب العثور على كتل حجرية كبيرة ، ونقوش لحيوانات ومصائد أسماك وأشكال هندسية تغطى المنحدرات العلوية لذلك التل .

---

(١) د/ سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى فى الألفين الرابع والثالث ق.م ص ١٤٠

(٢) بيتركروموال : البحث عن ماضى جزيرة العرب - ترجمة محمود محمد مصطفى الشهاب - مجلة البعثة إدارة بعثات الكويت بمصر - العدد السادس - القاهرة يوليو ١٩٥٣ ص ٤٤

(٣) د / سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى فى الألفين الرابع والثالث ق.م ص ١٤٢

٤ -ثـــاج [١]:

تقع ثاج على بعد ٩٥ ميلاً من الجبيل ، وعلى بعد ١٥٠ ميلا من الظهران ، ويوجد بها أكبر مدينة هيلينستية فى المنطقة ، وقد أسفر البحث الأثرى الذى أجرى هناك عن وجود مدينة مربعة الجوانب ، يحيط بها سور ضخم ، يبلغ طوله زهاء ٣ كم ، يقوم فى أحد أركانه برج عالٍ وتبدو أساسات المدينة واضحة ، وعلى مايظهر مبنية من الحجر الجيرى .

وقد قامت البعثة الدنمركية بالتنقيب فى ذلك الموقع ، فعثرت على مجموعة كبيرة من الكسر الفخارية المنتشرة على السطح ، بينها نوع من الفخار النقى ، إلى جانب مجموعة كسر من التماثيل الطينية ، وكذلك على كسر أوانى من حجر الإستيتايت ، علاوة على بعض التماثيل الإنسانية والحيوانية ، ولم تستطع البعثة تحديد زمن معين لتلك المعثورات ، ولو أن أكثرها يشير إلى الفترة الهيلينية ، وهى آخر مراحل العهد الإغريقى الذى أعقب ظهور الإسكندر الأكبر فى نهاية القرن الرابع ق.م ، ومن أهم المدن التجارية التى عاصرت الفترة الهيلينية والتى تنتشر فى السواحل الشرقية للجزيرة العربية ، ولاتزال آثارها بادية للعيان : الحناءة [٢] ويوجد بها آثار مدينة إغريقية تضاهى مدينة ثاج فى الكبر ، كما تنتشر معالم مدن مماثلة فى عدة مواقع بالقطيف ، وعلى إمتداد الساحل وفى الموضع المعروف بالبرقاء «أبوالدلاسيس» بالأحساء توجد رسوم مدينة كبرى بادية للعيان .

ومن أهم المدن التاريخية فى أرض هجر مدينة الجرهاء التى اكتسبت شهرة واسعة فى العصر الإغريقى كمركز تجارى هام ، حيث امتد نشاطها إلى جنوب الجزيرة العربية ، وإفريقيا ، وبابل والهند ، واقتنى أهلها الذهب ، والفضة ، والمصنوعات الذهبية ، والفضية كالأرائك والسرر والأوانى ، وإزدانت منازلهم بالزخارف الجميلة ، فكانت الأبواب ، والجدران تطعم بالعاج ، والذهب والفضة ، والأحجار الكريمة .

وعلاوة على ماسبقت الإشارة إليه من المدن الأثرية التاريخية ، فقد أشار تقرير المسح [٣] الأثرى الصادر سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م إلى وجود مواقع استيطانية أخرى منها ١٤ موقعاً تضم آثاراً هلينستية بمنطقة عين دار فى اتجاه الجنوب الشرقى ، كما تشكل المنطقة التى تقع حول عين جاوان مركزاً استيطانياً رئيسياً .

---

(١) جيمس ماندفيل : ثاج من الناحية الأثرية والتاريخية - ترجمة عبد الرزاق الريس - مجلة العرب جـ ٧ السنة الثانية ١٩٦٨م ص ٦٣٠

(٢) المرجع السابق

(٣) أطلال - العدد الثانى ص ١٠ - ١٣

ويبدو أن المنطقة قد شهدت نشاطا على جانب كبير من الأهمية ، حيث كشف العديد من المواقع عن نسبة عالية من الكسر الهيلينستية على الخط الساحلى من خور لودان شمالاً حتى رأس القرية جنوباً ، ويدل هذا العدد الكبير من المواقع على طول الساحل الشرقى على أن تجارة الخليج فى تلك الفترة كانت تجارة موانىء .

كما أشار التقرير السالف الذكر إلى وجود مستوطنات تعكس آثار الاستيطان الساسانى وهى تتمثل فى مواقع دفاعية متقدمة ، وموانىء ، وبعض الأحياء والضواحى المتاخمة للسواحل حيث لايوجد مايشير إلى استيطان من هذا النوع فى المناطق الداخلية . ولعل أكثر مناطق الاستيطان كثافة تلك التى تقع جنوب الجبيل ، علماً بأن كثيرا من المواقع الاستيطانية قد توارت تحت كثبان الرمال المتحركة ، وكذلك المد العمرانى المعاصر .

وكما استطاع الإنسان منذ أقدم العصور الانتفاع بما تُوفر له واحات هذه البلاد ، وأوديتها من دواعى الاستقرار ، وإعمار المدن والقرى ، استطاع أيضاً الانتفاع بما تتميز به جزرها من موقع استراتيجى فى مجال الاتصال بين مراكز الحضارات ، ومايتوفر فى تلك الجزر من مقومات التحضر ، والازدهار الاقتصادى ، كوجود المياه العذبة بها ، وقربها من مغاصات اللؤلؤ ومن أهم تلك الجزر : جزيرة البحرين ، وجزيرة فيلكا . ففى جزيرة البحرين أقام الإنسان منذ أواخر القرن الرابع ق.م مدينته الأولى بكل ماتشتمل عليه المدينة المتحضرة من المساكن والمرافق ، والمعابد ، والمدافن والمنشآت الدفاعية ، فقد تم الكشف عن أطلال تلك المدينة المبكرة فى أسفل القلعة البرتغالية هناك ، وهى على مايرى الباحثون (١) البقية الباقية من ست مدن تمثل طبقاتها المختلفة فترات زمنية متعاقبة .

فالمدينة الأولى : أسست فى حوالى أوائل الألف الثالث ق.م ، وهى أقدم من معابد باربار .

أما المدينة الثانية الكائنة فى شمال القلعة : فربما تأسست سنة ٢٣٠٠ ق.م وذلك فى إثر تدمير المدينة الأولى ، على حين تعود المدينة الثالثة للعصر الكاشى . أما المدينة الرابعة فتمثل الفترة من ٩٠٠ - ٦٠٠ ق.م .

وقد أسفر التنقيب الأثرى الذى تم إجراؤه هناك عن وجود جزئين من سور دفاعى ، بالإضافة إلى منازل ؛ وشوارع ، ومرافق كالأفران وأحواض المياه والآبار (٢) ، وقد استخدم فى بناء تلك المدن الأحجار المحلية ، والمونة الطينية الخضراء ، كما استعمل فى بناء الجدران الخارجية

---

(١) د / سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى فى الألفين الثانى والأول ق . م ص٣١

(٢)د / جواد على - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٥٧١

حجارة الفرش المستخرجة من البحر ، حيث تم تثبيتها بالجبس ، وقد اشتملت على بعض البوابات .

وفى جزيرة فيلكا (١) تم العثور على منشآت عمرانية شملت أطلال منازل وحجرات كثيرة أقيمت فى صفوف ، تأخذ اتجاهاً نحو الشمال الشرقى والجنوب الغربى ، حيث تبلغ مساحة الغرفة ٩م٢ وقد استعمل فى بنائها الحجارة والجص ، كما غطيت من الخارج بطبقة من الكلس ، وهناك جدران تحمل قليلاً من الطلاء الأحمر وبعض الجدران مطلية بالقار .

ويستدل الباحثون من المخلفات الأثرية الموجودة بداخل المنازل أن كل غرفة قد استعملت لغرض خاص ، فقد عثر على أفران من الحجارة والطين تم بناؤها بداخل إحدى الغرف ، كذلك عثر على أربعة أفران مبنية من الحجر ، ويوجد إلى الشمال منها مبنى فريد يختلف عن المنازل السابقة الذكر حيث تتسم جدرانه بالضخامة ، كما أن مساحته أكثر اتساعاً ، وقد دكت أرضيته بالحجارة وبه مصطبتان من الحجر تعلو إحداهما الأخرى ، ربما كانتا قاعدة العمود ، كما يوجد فى الناحية الجنوبية الشرقية من المنازل السكنية أفران مبنية من الحجارة المربعة ، ومطلية بالقار ، وعليها آثار احتراق ، كما عثر فى تل آخر بفيلكا على أطلال منشآت سكنية يعتقد أنها بقايا قرية يعود تاريخها إلى الألف الثالث ق.م ، وقد شملت تلك الأطلال أسس جدران ومبان تعود إلى فترات زمنية مختلفة ، بينها مبنى يضم أربعة أعمدة ، وساحة ، وغرفة ، كما يوجد هناك فرنان مستديران مبنيان من الحجر .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يتم الكشف فى جزيرة فيلكا عن وجود مدافن تابعة لتلك المستوطنة ويرجح الباحثون أن الدفن كان يتم بالساحل ، كما يعتقد أن المدافن توجد فى الجزء الجنوبى من الجزيرة فى الموضع المعروف بشبيجه ، كما توحى بذلك مجموعات من التلال المنفصلة نسبياً عند السفوح الصخرية .

وبصورة عامة ، فإن هذه الجزيرة قد زخرت بالعديد من الآثار ، فإلى جانب المعالم السالفة الذكر ، هناك الأوانى الحجرية ، والفخارية ، والتماثيل ، والزخارف ، والنقوش ، والكتابات ، والأختام المتنوعة ، وتمثل تلك الآثار فترات تاريخية مختلفة تعود بتاريخ الجزيرة إلى العصر البرونزى ، وهى تنفرد بموقع متميز فى مجال الاتصال الحضارى ، حيث كانت حلقة وصل بين الخليج وجنوب بلاد الرافدين ووادى السند وشرق أفريقيا .

ويعتقد د/ رشيد الناضورى : أن منطقة الخضر تعتبر الميناء التى يتم من خلالها الاتصال بتلك الحضارات

---

(١) – د / سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى فى الألفين الرابع والثالث ق . م ص ١٠٤

ثانيا : التماثيل والرسوم :

يعتبر الباحثون النحت والرسم من أبرز وسائل التعبير عن المفاهيم الإنسانية والفكرية ، ويعد النحت من أهم الفنون التى شاع استعمالها بين المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور . ومن هذا المنطلق نجد إنسان هذه البلاد قد اتخذ من نحت التماثيل والرسم على الأوانى وسيلة للتعبير عن إبداعه الحضارى ، فصنعها من مختلف المواد المتاحة ، كالرخام ، والأحجار بأنواعها والطين المحروق ، والمعادن كالذهب والنحاس إلى غير ذلك ، فقد عثر فى تاروت على تمثالين أحدهما من الذهب الخالص ويعتقد أنه لعشتروت معبودة الفينيقيين (١) ، والآخر من الحجر يشبه التماثيل السومرية (٢) التى يعود تاريخها إلى ٣٠٠ ق.م .

كما عثر فى تاروت على مجموعة رسوم منها صورة أسد منقوشة على قطعة من الحجر الصابونى ، وصورتان لوجه إنسان ، وخلفه وجه أسد ، وذلك على جزء من آنية حجرية ، وصورة لأربعة نسور حفرت على قطعة من الحجر الصابونى (٣) ، وجميع هذه الرسوم يعود تاريخها إلى ٢٥٠٠ ق.م .

كما عثر فى ثاج : على عدد من التماثيل لنساء فى وضع ركوع ، وتماثيل لجمال وأبقار .

وفى مدينة المبرز بواحة الأحساء : عثر على مخبأ به عدد كبير من التماثيل المصنوعة من الحجر مختلفة الأحجام وذلك تحت أحد المساجد هناك .

أما فى جزيرة البحرين : (٤) فقد عثر فى عدد من المواقع الأثرية على مجموعة من التماثيل والرسوم المنقوشة ، ففى موقع «ديراز» الأثرى : عثر على تمثالين من الحجر الجيرى وفى أحد المعابد بباربار عثر على تمثال من النحاس لرجل عار ، يقف على قاعدة منحوتة ، ويبلغ ارتفاعه ١١سم ويداه مضمومة إلى الصدر ، وهو يشبه التماثيل فى بلاد مابين النهرين ، كما يشبه أيضاً تماثيل نحاسية تم العثور عليها فى مدينة سوسة فى منتصف الألف الثالث ق.م ، كما عثر أيضاً على تمثال نحاسى لطير يشبه الحمامة ويبلغ ارتفاعه ١٢,٨ سم ، كما عثر على تمثالين أحدهما من مادة التراكوتا يمثل ثوراً ، والآخر من مادة البرونز يمثل رأس ثور .

وعلاوة على هذه التماثيل ، فقد عثر فى باربار أيضا : على طراز فريد من النحت يتمثل فى مقبض لمرآة على هيئة إنسان وقد ثبت ذلك المقبض فى فتحة منحنية عند القاعدة ويعود تاريخه إلى النصف الثانى من الألف الثالث ق.م .

---

(١) محمد سعيد المسلم – ساحل الذهب الأسود – ص ٥٣
(٢) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية – ص ٤٤
(٣) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية – ص ٦٢
(٤) د / سليمان سعدون البدر / منطقة الخليج العربى فى الألفين الرابع والثالث ق.م ص١٢١

ويرى «راو» أن المقابض التى على هيئة تماثيل إنسانية لم تعرف إلا فى عهد الأسرة الثانية عشرة فى مصر ، ومنطقة جنوب غربى آسيا .

ويعتبر المقبض السالف الذكر الذى عثر عليه فى باربار ، المثل الثانى لمقبض بمرآه على هيئة إمرأة تم العثور عليه فى موقع « مهى » المنتمى إلى حضارة كولى .

ويستدل الباحثون من وجود هذه المقابض المتشابهة فى كل من حضارة باربار وحضارة السند على قوة الاتصال الثقافى بين تلك البلاد .

وفى موقع القلعة بجزيرة البحرين : عثر على تمثال لامرأة واقفة ، يحتضنها شخص آخر فى وضع يعبر عن عملية الإخصاب .

وفى جزيرة فيلكا : (١) تم العثور على مجموعة تماثيل يظهر عليها أثر الفن اليونانى ، بينها تمثال صغير صنع من الطين المحروق يمثل أفروديت ، يرجع تاريخه إلى ٣٠٠ ق.م وتمثال لرأس الإسكندر تحيط به الهالة ، وعدد من القوالب الجيرية لصنع التماثيل ، سكبت فى أحدها مادة فتحولت إلى تمثال له شبه بوجه الإسكندر الأكبر .

ثالثاً : الأدوات والأواني والحلي والأسلحة :

عرف الإنسان فى هذه البلاد صناعة الأدوات والأوانى اللازمة لشئون حياته اليومية على اختلاف أنواع تلك الأدوات والأوانى ، ولم يقتصر فى سبيل تلك الصناعة على استخدام المواد الأولية المتوفرة فى بيئته المحلية ، بل عمد إلى استيراد مايحتاج إليه من المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة من الأقطار الأخرى .

ففيما يتصل بالأدوات والحلى والأسلحة ، فقد تم العثور على عدد منها فى مختلف المواقع الأثرية السالفة الذكر . فقد عثر فى مدافن جنوب مطار الظهران على بعض (٢) الخرز المصنوع من العقيق ، وشذرات من أسورة رصاصية ، وشظايا لسيوف حديدية . كما عثر فى مدافن جاوان (٣) غرب رأس تنورة على حلى ذهبية ، ولآلىء على شكل قلائد تعود إلى العصر الهيلينى ١٠٠ سنة ق.م .

أما فى جزيرة البحرين : (٤) فقد عثر فى موقع الحجر بإحدى المدافن على بعض الرقائق الذهبية فى أشكال مختلفة يعتقد أنها بقايا قلادة ، ومجموعة من الخرز بينها أصناف من العقيق

---

(١) - د/ جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٢ - ص ٣١

(٢) - على صالح المغنم : ترجمة بحث الخواتم

(٣) - مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص ٥٠

(٤) - سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى فى الألف الرابع والثالث ق.م ص ١٢٢

وحجر اللازورد ، وكذلك عثر على أدوات مصنوعة من البرونز منها خلاخيل ، وخناجر .

أما فـى موقـع بـاربار : فقد عثـر فـوق الـتل علـى كسر صغيرة من النحاس والبـرونز ، ومن أهمها مسامير تشبه العصا ، ويتراوح طولها من ٢,٥ – ٣,٥ سم ، وقد تبين من تحليل تلك المسامير كيميائياً أنها تحتوى على نسبة كبيرة من النحاس ، ونسبة قليلة من القصدير والرصاص ، والفضة ، والحديد ، كما عثر أيضاً هناك على كسر من حجر اللازورد ، وخرز اسطوانى طويل .

أما فى موقع القلعة : فقد عثر على كسر من الخرز الزجاجى ، وعقود زجاجية ومساحيق التجميل ، وكتل من المواد المطلية باللون الأحمر ، وبعض الأوزان المكعبة من حجر الاستيتايت من النوع المستعمل فى بلاد السند ، وكذلك رأس سهم من النحاس يبلغ طوله ٣١سم .

أما فيما يتصل بصناعة الأوانى : فقد عمد سكان هذه البلاد القدامى إلى استغلال كل مافى بيئتهم من المواد الخام ، كالطين الأخضر ، وحجر الصوان ، كما استوردوا حجر الاستيتايت والألباستر والرخام لتلك الصناعة ، وذلك منذ الألف الثالث ق.م فقد تم العثور فى موقع باربار على مجموعة من الكسر تمثل أوانى مختلفة ، وكذلك أوانى كاملة من حجر الاستيتايت يبلغ ارتفاع إحداها ٢٧,٨سم ، ولها رقبة ضيقة ، وحافة رأسية قطرها ١٢,٥ سم والقاعدة ١٣,٥ سم ، وآنية أخرى يبلـغ ارتفاعهـا ١٢سم وقطرها ١٢,٣سم ، وبجانبها غطاء سمكه ٢سم وقطره ١٠سم ، وله بروز داخلى ، وآنية ثالثة ارتفاعها ١٧,٥سم لها رقبة واسعة تأخذ شكلاً دائرياً عند الحافة يبلغ قطرها ١٣,٥سم ، وتقل عند القاعدة فيبلغ ١٢,٥سم ، ويعود تاريخ هذه الأواني إلى منتصف الألف الثالث ق.م

وفـى موقـع الحجـر تـم العثـور علـى آنـية من الرخام لها قاعدة مستديرة ، بالإضافة إلى مجموعة من الأوانى المصنوعة من حجر الاستيتايت بعضها ، مزخرف بخطوط عمودية وبعضها بمثلثات ودوائر منقطة .

ورغم أن مواد تلك الأوانى قد تم استيرادها من أماكن أخرى كعُمان ، أو جبال إيران فإن تصنيعها قد تم محلياً .

يؤكد ذلك وجود الدوائر المنقطة التى تزدان بها تلك الأواني وهى تشبه مايرسم عادة على الأختام الدلمونية .

أما فى جزيرة فيلكا (١) فقد عثر على بعض الأوانى المصنوعة من حجر الاستيتايت

---

(١) – رشيد سالم الناضورى : تقرير علمى عن المواقع الأثرية فى دولة الكويت مقدم إلى وزارة الاعلام

وأخرى حجرية بها زخارف ورسومات .

كما عثر فى ثاج : (١) على كسر أواني من حجر الاستيتايت وحجر الألباستر ، ومن أهم ماتم العثور عليه هناك كسرة من آنية كبيرة من حجر الألباستر يبلغ ارتفاعها ١٤سم ولها غطاء دائرى به مقبض يشبه الأسد الرابض ، وأكثر آثار ثاج تعود للفترة الإغريقية .

ولأن الفخار من أهم المؤشرات الدالة على الاستيطان ، حيث يتم بواسطته تحديد الفترات الزمنية للمستوطنات السكنية فقد اهتم المنقبون بدراسة الفخار الذى تغطى كسره معظم المواقع الأثرية فى البلاد ، حيث يعكس الفخار فترات تاريخية متعددة ، وأنماط أدت دراستها إلى معطيات زمنية لتحديد تاريخ المواقع والسمات الحضارية لها .

وإلى جانب الكسر الفخارية الخاصة بفترة العُبيد ، والتى يكثر تواجدها فى العديد من المواقع الأثرية فهناك أوان وجرار تعود إلى فترات متعاقبة ، منها مايحمل خصائص محلية تميز الموضع الذى صدرت عنه ، ولاتزال بعض القرى فى واحة الأحساء وجزر البحرين تشتهر بصنع أنواع من الفخار المميز لها ، ومن أشهر أنواع الفخار فى هذه البلاد ذلك النوع الذى يعرف باسم «الفخار الباربارى» الذى يعود تاريخه فيما بين ٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق . م وهى الفترة المعروفة لدى الباحثين بحضارة باربار ، وجميع الأوانى الفخارية التى تم العثور عليها فى جزيرة البحرين ، تعود إلى تلك الحضارة ، وهى ذات طراز فريد يعكس أصالة الصناعة المحلية ، ومن سماتها المتميزة أنها متسعة الوسط وضيقة العنق ، وبعض الأوانى تتخذ شكلاً دائرياً ، وذات لون أحمر مبيضة بالجبس ، ومنها ماهو مغزلى الشكل ، وبعضها يرتكز على قاعدة ذات كرسى ، وهى متجانسة ومن النوع الرقيق الأحمر ، وتزدان بخطوط أفقية ، وتتخذ الأوانى قواعد مستديرة كروية الشكل ، وقد لاحظ الباحثون (٢) فى أوانى باربار ظاهرة فريدة حيث تتواجد الأوانى فى صورة مجموعات تتألف كل مجموعة من سبع أوانى وتتخذ شكلا مخروطيا وقاعدة مستديرة ، تشبه فى مظهرها الخارجى المباخر ، وتخلو من الحزوز والزخرفة .

أما فى موقع القلعة فقد عثر على أوان فى شكل توابيت من الفخار وهى سميكة الجدران وبها حزوز بارزة وذات قاعدة مربعة وقد طليت بالقار من الداخل والخارج ، وقد عثر

---

(١) جيمس ماندفيل - ثاج من الناحية التاريخية والأثرية - ترجمة عبد الرزاق الريس - مجلة العرب السنة الثانية جـ٧ سنة ١٩٦٨م ص ٦٣٠

(٢) د/ سليمان سعدون البدر - منطقة الخليج العربى فى الألف الرابع والثالث ق . م ص ١١٥ ، ١١٦

فى تلك التوابيت على بقايا هيكل عظمى متكوم فى القاع .

أما فى فيلكا : فقد تم اكتشاف عدد من الأوانى الفخارية المتميزة بطلائها الناعم ، ويحمل بعضها حزوزاً ، وتتخذ شكلاً دائرياً ، وهى تعكس فترات تاريخية مختلفة يعود أقدمها إلى الألف الثالث ق.م (١) كما عثر على مخازن للأوانى الفخارية ، والجرار المختلفة الأحجام والأشكال منها جرة بيضاوية الشكل يبلغ ارتفاعها ٨٥سم ، وهى تعود إلى فترة تاريخية متأخرة نسبياً .

أما فى أراضى شرق الجزيرة العربية ، فقد تم اكتشاف عدد من الأوانى الفخارية .

وفى تاروت (٢) عثر على آنية فخارية هيلينية من سنابس ، وهى متسعة الوسط لها قاعدة مستديرة ، وعنق ضيق طويل ، وبه مقبض ، إلى جانب كمية كبيرة من كسر الفخار المنتمى إلى فترات زمنية يعود أقدمها إلى عصر العُبيد .

كما عثر فى مدافن الملح (٣) بجنوب بقيق على أوان فخارية كبيرة تعود الى ٢٤٠٠ ق.م . كما عثر فى الموقع الأثرى جنوب مطار الظهران (٤)على عدد من الأوانى فى شكل أباريق وجرار وكسر من الفخار المنتمية إلى مراحل حضارية مختلفة ، منها نوع يعرف بفخار دلمون ذو الحافة الحمراء ، وهو عبارة عن قارورة سمراء ، تضرب إلى اللون الأصفر ، يشبه فخار بلاد مابين النهرين .

وقد أشار تقرير مسح المنطقة الصادر سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م إلى عدد من المواقع الحافلة بالمواد الخزفية عند عيون المياه فى واحة الأحساء ، ومعظم الفخار يتكون من أوان سوداء ذات أفواه مثقبة ، وتوجد فروق نمطية تحمل سمات محلية تختلف من موضع إلى آخر ، ولاتزال فى حاجة إلى المزيد من الدراسة . كما عثر على مواد خزفية فى مواقع أخرى دقيقة التفاصيل يرجع معظمها إلى مصانع محلية متشابهة يعود تاريخها إلى فترات الديناستيك (٥) وإلى عصر الأكاديين فى بلاد مابين النهرين ، وإلى الألف الثالث ق.م فى جزيرة البحرين ، وقد عثر على الفخار بهذه المواصفات فى روابى صغيرة منخفضة مجاورة للقنوات الضحلة ، كما يوجد دليل على انتشار بعضها بشكل ملحوظ فى مستوطنات واسعة ، حال دون الوصول اليها زحف التلال الرملية ، كما ظهر أن الفخار الأسود الهش المائل الى الحمرة ، والأحمر أيضا الموجود

---

(١) دليل المتحف الكويتى : وزارة الاعلام بالكويت ١٩٧٠م ص ١٨

(٢) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص ٤٨

(٣) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص ٤٢

(٤) أطلال : العدد الثانى ص ١٦ ـ ١٩

(٥) أطلال : العدد الأول سنة ١٣٩٧ هـ ص ٢٩

بواحتى الهفوف ، ويبرين ، وجنوب منطقة بقيق يشكل فى بعض حالاته مؤشراً زمنياً سمح للمنقبين بإرجاع تاريخه إلى الألف الثالث ق.م ، ومن بين ذلك النوع الفخار الدلمونى الأحمر الفوهة ، منها أوان فخارية تستعمل للطهى وذلك فى المنطقة الكائنة بين الخبر والدمام إلا أنها ليست على الساحل مباشرة .

ويشير فهرس الألف الثالث ق.م للخزفيات : إلى أنها كانت من النوع الأسمر غير المزخرف الضارب إلى اللون الأصفر جيد الاحتراق ، تشبه كثيراً خزفيات بلاد مابين النهرين كما تم الكشف عن الكثير من تلك الكسر من بقايا جرار تماثل الجرار الكروية قصار العنق ذات الشفاه الملتوية إلى الخارج .

وكان افتقار هذه المواد للتشابه مع أكثر الخزفيات التى تم الكشف عنها أثناء مرحلة المسح من أهم الأسباب التى حملت المنقبين على إرجاع تاريخها إلى الزمن المبكر ، باعتبار تلك المواد بديل من حيث المظهر بما يسمى خزف ماقبل باربار .

أما كسر الفخار الهيلينية فقد لوحظ انتشارها فى كثير من المواقع ، وخاصة على امتداد الساحل حيث كان نشاط المراكز التجارية المنتشرة هناك فى أوج ازدهارها ، ولم يكن من السهل على المنقبين (١) التمييز بين الفخار من العهد الساسانى ، والفخار الإسلامى والبارثى المتأخر ، وتوجد نماذج تحمل سمات التشابه مع الفخار الساسانى من حيث الشكل لامن نفس مادة الفخار . وتتركز مواقع تلك الفترة فى الشريط الساحلى ، حيث لم يتم العثور على كسر من الفخار المنتمية إلى الفترة الساسانية فى أى من المناطق الداخلية ، كما عثر فى معظم المواقع على عدد كبير من كسر الفخار الإسلامى الذى يسجل فترات استيطانية مختلفة .

رابعاً : شبكات الري :

من مؤشرات الاستيطان آثار آبار المياه وشبكات الرى وهى أنواع منها :-

الآبار النفقية : وقد تم العثور عليها فى عدة مواقع بجزيرة أوال ، وعلى امتداد الساحل الغربى للخليج ، ومواضع أخرى تعتبر الآن فى جملة الأراضى الصحراوية الخالية من الاستيطان فى الوقت الحاضر ، مما يدل على اتساع الرقعة الزراعية فى تلك العصور الغابرة .

ولتقييم هذا النمط العمرانى من الوجهة الأثرية قام فريق من المنقبين بمسح تلك الآثار فى منطقة القطيف ، حيث تشغل هذه الآبار مساحة ١٢ كم٢ فى توازٍ غير تام للساحل على مساحة ٣,٥ كم

---

(١) أطلال : حولية الآثار العربية السعودية – العدد ٢ – ص ١٣

من الشاطىء ، وقد تم حصرها لأول مرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٧٧ م ثم تم رسم خرائط لعدد منها فى ٢٨ فبراير ، وتتصل آبار الإمداد مع أبراج التنظيف الملحقة بها من منشآت متفاوته فى الحجم والارتفاع ، ولكل منها فتحة يدخل منها الرجل للقيام باعمال التنظيف ، وتظهر هذه الآبار فى شكل مجموعات أو وحدات منفصلة عن أبراج التنظيف المستقيمة التى كانت يوماً ما متاخمة لينابيع المياه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه الآبار لاتزال مستعملة حتى العصر الحاضر ، على حين اندثر أكثرها أو توارى تحت اكوام الرمال ، ويرجع المنقبون تاريخ تلك الآبار إلى الفترات السابقة على الإسلام ، معتمدين على معطيات زمنية بينها التفاصيل العمرانية التى شوهدت فى قاع أبراج التنظيف السالفة الذكر بأن علامات خطوطها الأولى تشير مبدئيا إلى العصر السلوقى ، أو البارثى المبكر ، ونظام الآبار النفقية هذه له نظائر على نطاق واسع فى كل من سوريا وإيران ، ويلاحظ فريق من المنقبين أن معظم الآبار التى تم التنقيب فيها قد استصلحت بالترميم أو الإعادة التامة للبناء خلال فترات مختلفة من تاريخها ، كما شملت عدداً قليلاً من الآبار العمودية الصغرى .

ومن الجدير بالذكر على حد قول المنقبين : أن هذه الآبار على مختلف محتوياتها تستحق دراسة تفصيلية فى المستقبل للكشف عن تفاصيلها المعمارية الفريدة .

وهناك آبار ينبوعية عمودية كبيرة الحجم ، مستديرة الأركان ، وقد عثر على مجموعة من الخزف عند بعض الآبار ، أكثرها غير قابل لتأريخ محدد ، بيد أن معظمها يعود إلى العصر الهيلينى والإسلامى ، ولايزال المنقبون فى انتظار المزيد من الاكتشافات بالنسبة للآبار غير المستعملة لإلقاء مزيد من الضوء على ماتفصح عنه معطيات زمنية لتاريخ إنشائها المبكر . ومن دلائل اتساع العمران ، وانتشاره فى هذه البلاد ، بالإضافة إلى ماسبق ذكره من مؤشرات الاستيطان البشرى .

هناك النصب الإرشادية والشارات العشائرية التى اعتادت القبائل رسمها على المواشى لتمييزها ، وقد شوهد الكثير منها مرسوما على صخور بعض الجبال .

ولاشك أن إجراء المزيد من الدراسات على هذه المعالم ستضيف الكثير من المعلومات عن الحقائق التاريخية فى هذه البلاد .

ومما تقدم يمكن القول أن هذا العدد الكبير من المدن ، والقرى المنتشرة على مساحات واسعة من هذه البلاد ، وماتحفل به من معثورات كالخزفيات والأدوات والمسكوكات تدل بوضوح على أن هذه البلاد كانت آهلة بالسكان ، وأن الزراعة والعمران فيها كانتا على نطاق بالغ الاتساع والازدهار ، ولعل ذلك من أهم الأسباب التى حملت الباحثين على القول أن أراضى شرق

الجزيرة العربية كانت مهداً لشعوب عريقة فى الحضارة منذ بداية التاريخ المدون .

خامساً : المدافن :

تعد المدافن من أهم دلائل الاستيطان البشرى التى تلقى الضوء على جوانب متعددة من حياة الاستيطان . لذا فلا بد من الإشارة إلى بعض المدافن فى البحرين ، والظهران ، والهفوف ، ويبرين وجاوان وغيرها من المواضع فى هذا الإقليم .

المدافن فى جزيرة أوال :

تضم جزيرة البحرين «أوال» أكبر مقبرة فى العالم على أصغر مساحة فى المعمورة ، حيث تقدر بما يتراوح بين ٥٠,٠٠٠ – ١٠٠,٠٠٠ ضريح ، وتنتشر على مساحة تقدر بزهاء ٢٠ ميلاً مربعاً (١) وهى على صنفين إحداهما مدافن كبيرة ذات طابقين ، والصنف الآخر مدافن صغيرة ذات طابق واحد ، وتقدر قاعدة الصغيرة منها بعشرين قدماً ، أما الكبيرة فتتجاوز قاعدته خمسين قدماً وقد أثرت عوامل التعرية فى هذه القبور تأثيراً واضحاً بحيث صارت حالتها تزداد سوءاً كلما زاد ارتفاعها ، وذلك بسبب تعرضها للرياح التى تزيل طبقة التراب من فوق الحجر ، فيؤدى ذلك لسقوط الأحجار العلوية فى داخل القبر ، مما يفضى إلى تخريب القبور ذاتها ، وتشغل هذه القبور عدة مواقع ، ففى شمال غرب عالى توجد هضاب على مساحة تقدر بميلين مربعين ، وفى الجنوب الغربى من القلعة البرتغالية على بعد ميلين هناك قباب صغيرة فى مساحة ميل مربع ، كما يوجد فى الساحل الشمالى على بعد ميل غرب القلعة البرتغالية ستة مدافن فى صف واحد ، كما يوجد مثل هذا العدد على مقربة من المسجد ذى المنارتين ، ومعظم هذه القبور ذات طابق واحد ، وكان أول من لفت أنظار العلماء إلى هذه المقابر «السير دوراند»(٢) حيث أثارت كثرة هذه المقابر اهتمامه ، فعقد العزم على سبر أغوارها ، فبدأ بالتنقيب فى أحد القبور الصغيرة منها لكى يتسنى له معرفة أفضل السبل لحفر أكبرها، وقد اكتشف بعد الحفر أن تلك الهضبة الصغيرة كانت فجوة ذات سطح مستو ، وضريح حجرى ، وفجوتين إلى جانب القبر فى وسط الحجرة ، وعثر هناك على هيكل عظمى لإنسان جالس فى الفجوة الشمالية الشرقية ، ووجد فى الفجوة المقابلة لها عظام حيوان ربما لماعز

---

(١) – التقرير الرئيسي عن اكتشاف القبور المقبية بالبحرين – الوثيقة – العدد الثالث رمضان ١٤٠٣هـ – يوليو ١٩٨٣م ص ١٥٩ – ١٧٢

(٢) السير دوراند . من أبرز رجال الانجليز المهتمين بالآثار ، أقام فى البحرين سنة ١٩٧٨م بصفته مساعد للمقيم السياسى هناك

أو غزال ، كما عثر على مجموعة من العظام فى جزء آخر من القبر ، وإنائين من الفخار وشذرات من العاج ، والخشب ، والنحاس بنوعيه الأصفر والأحمر ، كما تبين من فحص الهضبة الثانية أن الخرسانة وجذوع النخيل قد استخدما فى بنائها .

وفى ربيع سنة ١٨٨٩م زار البحرين كل من السيد والسيدة تيودوربنت ففتحا هضبة كبيرة وجدا فيها قبراً من طابقين فى حالة جيدة ، وقد وجدا فى الطابق العلوى بعض شذرات من العاج ، وقلائد ، وفخاراً ، وأجزاء من أوان ، وصناديق دائرية الشكل ، وجزء من تمثال صغير ، وقشر لبيض النعام تحمل بعض النقوش ، وقطع من المعادن المصقولة ، وبعض عظام الجربوع ، وعظام لحيوان كبير ربما كان حصاناً . وفى الطابق السفلى عثر على عظام لإنسان وبعض المنسوجات المحلاة بالرسوم ، كما تحمل بعض الصور التى تتدلى من أوتاد خشبية من مقاس أوتاد الخيام .

وفى سنة ١٩٠٦ م والسنين التى تلتها قام الضابط الانجليزى «بليدو» المستخدم بالوكالة الإنجليزية بالبحرين بحفر عدد من المدافن ، وذلك بتكليف من الحكومة الإنجليزية فى الهند فى منطقة عالى ، وقد جاء فى تقريره عن ذلك ماملخصه أن الهضبتين اللتين رمز إليهما بالحرفين ا ، ب قد بنيتا بحجر الصوان المخلوط بالتراب ، وهى تظهر فى شكل أكوام غير منتظمة بفعل عوامل التعرية ، بحيث أصبح ارتفاعها لايزيد عن ١٥ قدماً ، وقد وجد قطعاً من الفخار يرجع تاريخها إلى عصر صنع القبور ، بينها إناء فخارى أحمر ، بقاعدة مستديرة محيطها حوالى ٦٠ بوصة ، وبخط دائرى غليظ عند الرقبة ، وإناء آخر مصنوع من الطين الأصفر ، ذو فوهة صغيرة ، يحيط بها ٢٤ ثقبا صغيرا بمقاس قلم الرصاص ، وقد تحدث عن الخطوات التى تم اتباعها فى تصميم وإشادة هذه القبور ، فجاء عنه فى وصف بناء أحدهما ماملخصه : أنه قد تم نقل التراب من فوق الأرضية الصلدة ، ووضعت الخرسانة بمقاس ٦ بوصات عليها ، ثم وضعت أحجار ضخمة كقاعدة للجدران ، وقد عنى البناؤون بنعومة الوجوه الداخلية دون الاهتمام بالوجوه الخارجية ، وقد استعين على بناء الجدران بإقامة منصة من التراب من الخارج والداخل حسب تقدم العمل فى بناء القبر ، كما تم استخدام المنصة الترابية فى رفع وتثبيت الأحجار الصغيرة ، والألواح ، لذلك ازدادت المنصة ارتفاعاً إلى أن تجاوزت ارتفاع الهضبة نفسها بعدة أقدام .

أما بالنسبة للقبو ذى الطابقين فقد استعين فى بنائه بمنصة خشبية ، وسلالم كما يبدو من تصميم بعض الهضاب . كما بدا من الملاحظ أن بعض أصحاب هذه القبور اتخذوا من الطابق العلوى مخزنا ومن الطابق السفلى سكناً مؤقتاً ، خاصة فى فصل الشتاء ، وأن المتوفى كان

يدفن فى الطابق الأسفل ، كما كانت تدفن معه بعض الأمتعة والأدوات والمواد الغذائية حسب التقاليد المتبعة آنذاك ، وكانت القرابين تذبح على سطح الهضبة ، كما كانت المدافن تحشى بالتراب والحجارة بعد إغلاقها ، وقد تم العثور فى إحدى الهضاب على أسنان يبدو أنها سقطت من الأعلى ، ربما كانت لعبد ذبح قرباناً ، علاوة على ماتم اكتشافه فى بعض الهضاب من عظام لمختلف الحيوانات، وكذلك بعض الحلى والأطعمة والأوانى ، كما لوحظ فى إحدى الهضاب أن الميت كان راقداً على ظهره ورأسه موجـه ناحية الشرق . وقد عُد من سوء الحظ أن معظم الأوانى التى تم اكتشافها هناك لم تكن فى حالة سليمة ، ومن أنفس ماتم العثور عليه قطعة مصنوعة من العاج فى شكل قيثارة ، وكان العاج منحوتا على شكل قدم ثور فى آخرها ظلف أظهرت مهارة كبيرة فى النحت ، وكانت الأضرحة فى كل هضبة متشابهة تقريباً ، ففى بعضها مشكاة ، كما كان بعضها مغطى بألواح حجرية ثقيلة ، يتراوح سمكها بين ١٨ – ٢٤ بوصة ومقاس القبور ٦ أو ٧ أقدام طولاً و٣ أو ٤ أقدام عرضاً فى ارتفاع مماثل ، كما وجدت فيها الهياكل العظمية فى أوضاع مختلفة ، منها جثة كانت رجلاها وساقاها مشدودتين للجسد وأخرى فى وضع جلوس .

وفى ربيع عام ١٩٠٨م عاد «بليدو» للبحرين لمواصلة العمل على نفقته الخاصة ، ففتح هضبتين كانت إحداهما ذات طابقين بلغ ارتفاع الطابق العلوى ٤ أقدام ، أما السفلى فهو بارتفاع ٧ أقدام ، وعثر كالمعتاد على قطع من الفخار والعاج والمعادن والعظام ، ولايشك (بليدو) أن المستكشفين القدماء قد تمكنوا من الدخول فى إحدى الهضاب باتباع طريقة مناسبة لدخولها ، ولعلهم كانوا إما من الضباط المصريين ، أو البرتغاليين الذين كان لديهم الفراغ اللازم لاكتشاف الثروات فى مثل هذه الأماكن فى القرن الثالث عشر الميلادى .

أما البعثة الدنمركية : فقد أسفرت أعمالها فى البحرين فى العقد السادس من القرن العشرين عن وجود أربع مقابر تبين بعد الفحص أن تاريخ بنائها يرجع للألف الثالث ق.م وهى كسائر قبور البحرين المقببة سالفة الذكر ، وهى عبارة عن رواب من صخور وضع بعضها فوق بعض لتكون مبنى من طابقين ، مدخلها من ناحية الغرب ، والطابق الأعلى أقل ارتفاعا من الطابق الأسفل ، وفى كلا جانبى الطريق المتجه للشرق غرف هيئت لحفظ توابيت الموتى ، ويبلغ قياس بعض الغرف من الجانبين فى هذه القبور ٧ أقدام طولاً و ٣ أقدام عرضاً و ٧,٥ ارتفاعاً وعلى مقربة من تلك الغرف توجد فتحات صغيرة تسمح بوضع قضبان فيها لكى تعلق عليها القرابين والنذور . أما أسقف الأضرحة فتتألف من كتل منبسطة من الصخور مغطاة بالجص وقد أهيل عليها التراب بعد إحكام إغلاقها ، فاتخذت شكل تلال ، وتبلغ قاعدة

بعضها ٥٠ ياردة عرضاً و ٤٠ ياردة ارتفاعاً . وقد قدر كل من جيفرى بيبى ، وبيتر ويلهلم جلوب (١) هذه المدافن بحوالى ١٠٠ ألف تل ، وذلك من خلال النظر فى رسوم أخذت من الجو لجزيرة البحرين .

وقد تم العثور فى إحدى المدافن على عظام بشرية ، وغير بشرية وشذرات من ثور عاجى وصناديق دائرية ، وأوانٍ خزفية مطرزة بخيوط سوداء من طراز فريد .

ويوجد لهذه المدافن نظائر فى مواضع متعددة من أراضى الساحل الغربى للخليج . وقد قدر كروموال ماعثر عليه منها فى حافة جبل المادرى الشمالى ، وجبل المادرى الجنوبى بالألوف (٢) ، كما أشار أيضا إلى وجود مدافن فى موضع الرديف الواقع على بعد ١١٠ أميال من شمال غرب الدمام ، وفى موضع آخر يقع شمال عين السيح على بعد ٤ أميال يبلغ قطر إحداها ٣٣ ياردة وارتفاع ١٣ قدما ، وقد عثر هناك على هيكل عظمى ، وفخار ، وشذرات من العاج وأسلحة مصنوعة من البرونز ، كما تضم إحدى المقابر التى تنتشر جنوب الظهران عـدداً من التوابيت تشبه إلى حد كبير مقابر المدينة الرابعة (٣) فى جزيرة البحرين ، وهى التى وافق ظهورها الفترة البابلية الحديثة . علماً بأن التقارير قد أفادت أن هذه التوابيت ليست قاصرة على الفترة المذكورة ، حيث أخذت فى الظهور بمدينة بابل ونيبور فى القرنين التاسع والثامن ق.م ، وهى الفترة الآشوريه الجديدة ، كما لوحظ ظهورها فيما بعد بالورقاء ، وأور ، ولكن بشكل محدود وقد استمر استخدامها فى الفترتين البابلية والأخمينية حتى العصر السلوقى .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لايزال يوجد فى جنوب الظهران مايربو على ١٥٠٠ من المدافن المهمة ، وقد جاء فى التقرير المبدئى للمسح فى وصف إحداها ماملخصه : أن غرف الدفن تأخذ شكل حرف T ، وتبلغ مساحتها ٨,١٤ × ٦,٥ أمتار ويبلغ عرض القسم الأكبر من المقبرة ٢,٢٥ متر ، وارتفاع مدخلها ١,٨ متر ، ورغم أن بعض مداخلها قد تعرضت للنهب والتخريب فقد عثر فيها على بعض الألحاد التى لم تمـس وبقيت على هيأتها ، وقد وجدت فيها عظام فى موضع جانبى ، وقد لوحظ أن أكثرها قد تهتك مع قطع الآثار ، وإن ظلت بعض العظام الطويلة متصلة المفاصل ، ولم يتضح توجيه لوضع الجثث من ناحية الشرق ، وكان بين الجماجم التى تم العثور عليها جمجمة تخص طفلاً ، وعدد من خرز العقيق والأمشتيت ، وحلقتان من الرصاص ، وحلقة من النحاس ، واثنتان من الأساور الرصاصية ، وشظايا سيف

---

(١) - الوثيقة : العدد التاسع - شوال ١٤٠٦ هـ يوليو ١٩٨٦م ص ١٧٨

(٢) - د / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - جـ١ ص ٥٣٧

(٣) - أطلال : العدد الثانى - ص٢٠

حديدى ، وجرة زجاجية كاملة ، تصميمها من النوع المظلل بخطوط عرضية ، وإبريقان مصقولان لونهما أخضر يميل إلى البياض قد أعيد تشكيلهما ، وبعض الكسر المختلفة التى اتضح مصاحبتها للهياكل البشرية .

كما أن التلال الجنزية (١) الواقعة شمال المستوطنة بذلك الموقع الأثرى مختلفة الأحجام بينها الكبير البالغ ارتفاعه ٥ أمتار ، والمتوسط الذى يتراوح ارتفاعه من ١ - ٢ متر وما دون ذلك .

وقد جسدت الحفريات أنماطا من المدافن ، منها الجماعية والفردية ، ومن تلك التلال مايحتوى على عدة مدافن متوازية ، وتوجد عدة أنواع من المدافن المتميزة من الناحية المعمارية ، وقد استخدمت تلك المدافن فى فترات تاريخية مختلفة يتزامن أقدمها مع الحضارة المبكرة فى بلاد الرافدين ، وتحتوى تلك المدافن على طبقات متباينة بدءاً بالطبقة الثالثة التى عثر عليها فى معبد باربار فى جزيرة البحرين حتى الفترة الساسانية . لذا فإن فترات تاريخية قد تعاقبت على تلك المنطقة ، تؤكد ذلك نتائج الحفريات التى تنتمى للحضارات التى سادت منطقة الخليج العربى ، وتنوع ماعثر عليه فى منطقة جنوب الظهران يوثق علاقة هذا الجزء بسائر أجزاء شرق الجزيرة العربية والجزر المقابلة لها ، كما يوثق علاقة شرق الجزيرة بالحضارات الأخرى فى بقية أنحاء الجزيرة كالحضارة فى الجنوب ، فقد اكتشف بأحد التلال جنوب الظهران شاهد قبر يحتوى على كتابة بحروف خط المسند ، إلى جانب بعض الأدوات الفخارية ، والمباخر ، وأدوات الزينة فى المدافن بحضارتى شرق الجزيرة وجنوبها .
وعلاوة على هذه المواقع فإن جزيرة جنة وعين جاوان (٢) ومواقع أخرى لاتزال حافلة بالعديد من المدافن التى تعود إلى فترات مختلفة ، كان آخر ماتم العثور عليه منها ضريح هام يعتقد أنه من العصر الهيلينى .

كما تحدث بعض الثقاة عن قبور تم العثور عليها فى حى الرفعة الوسطى لمدينة الهفوف دفن فيها الأموات وهم وقوف . وقد أشار تقرير سابق للمسح الأثرى فى المنطقة الشرقية إلى أهمية الأطلال فى واحة الأحساء ، حيث تتضمن رجم قبور فى عدد من المواقع بالقرب من الهفوف والمبرز ومواضع أخرى ، ويوجد النمو العددى (٣) لهذه المقابر فى اتجاه

---

(١) على صالح محمد المغنم : أمين المتحف الإقليمى - ترجمة بحث عن الخواتيم مقدم إلى المؤتمر العالمى الثامن من آثار جنوب آسيا : أقيم فى متحف موسكار فى مدينة أرهوس من ١ - ٥ يوليو ١٩٨٥م
(٢) مقدمة آثار المملكة العربية السعودية - ص ٥٠
(٣) أطلال - العدد الأول : ص ٣١

الشمال وتتكاثر فى ناحية بقيق ، وجميعها واطئة غير منتظمة ، وهى تبدو فى شكل قباب مستديرة بصخور جلمودية ضخمة ، ويوجد فى بعضها الخزفيات التى يمكن معرفة التاريخ بواسطتها ، ولكنها تشير إلى الألف الثالث ق . م والعصر السلوقى فى نهاية الألف الأول ق . م ، وجميع هذه المدافن قد انتهبت أحجارها ، كما أشار هذا التقرير أيضا الى عدد من القبور التى تم اكتشافها فى واحة بيرين (١) وقد تم حصر ٦٦٠٠ من هذه القبور التى قام أكثرها على طول أطراف التلال الرملية المشرفة على أرض الوادى ، خاصة من الغرب والجنوب ، وقد عثر على مجموعات أقل عددا فى أماكن أقل ارتفاعاً ، وكل ما فى أرض الوادى يعتبر من القبور الهامة ذات الشواهد الحجرية الضخمة ، أما المتبقى فلايزيد قطر الواحد منها على عدة أمتار ، كما لايزيد ارتفاعها عن مترين أو أقل ، وقد وجدت جميعها مفتوحة حيث انتهبت جميع أحجارها . كما أفادت التقارير أن بعض القبور المنفردة قد أعيد استعمالها وهى تشير إلى طور كثيف من النشاط العمرانى ، والاستيطانى الواسع النطاق نسبياً الأمـر الذى حـال دون التمكن من الحصر الكافى للمواضع ذات الاستيطان الدائم ، ولعل التعاقب الظاهرى المتفق عليه سوف يوضح أن ممارسة أعمال الدفن تحت الرجم الحجرية قد استمر لآلاف السنين ، وهى تشمل المجموعات دائمة الاستيطان ، وتلك التى تميل للهجرة على السواء ، ومع افتراض أن المقابر كانت مستعملة لفترات طويلة إلى حد بعيد ، فقد كان من المتوقع إمكان تمييز نوع من الرتابة فى شكليات القبور ، ومواصفاتها الإنشائية فى أزمانها المتعاقبة . بيد أن ذلك لايزال قيد البحث فى الوقت الحاضر على حد ماجاء بالتقرير السالف الذكر وهى تمثل أحد خيوط الأمل المرجو فى استقصاء أو كشف فى المستقبل .

وتذكرنا هذه المدافن بما لها من نظائر تم اكتشافها فى قطر ، وفى مدينة أور بالعراق وفى جزيرة أم النار بأبوظبى ، حيث عثر هناك على مقابر مهمة ، بها خرز وفخار يحمل رسوماً ، وقد غطيت تلك المدافن بأحجار منحوته ، حفرت عليها صور حيوانات مختلفة ، منها جمال وثيران وقد نحتت واجهة الحجر المحيط بالصورة حتى تبدو بارزة ، وقد دلت دراستها على أنها من أيدٍ أتقنت مهنتها ، وأجادت فى فنها بالقياس إلى الفنون فى تلك الأزمنة السحيقة .

ومما تقدم يتضح أن معظم المدافن التى تم اكتشافها تتكون إما من حفائر أرضية أو أضرحة مبنية أو منحوته (٢) ، ومنها ما وجد فى شكل جرار وأحواض فخارية ، وأكثر هذه المدافن تشتمل على أدوات وأمتعة شخصية ، كالحلى ، والأسلحة ، والأوانى ، وألوان من الأطعمة ، وأختام دائرية

---

(١) أطلال - العدد الأول - ص ٣٣

(٢) لجنة تدوين تاريخ قطر - جـ ١ ص ٧٠

واسطوانية وحيوانات ، وقد أمكن إرجاع تاريخ بعضها إلى ماقبل ٣٠٠٠ سنة ق . م فتشمل العصر الحجرى ، والعصر البرونزى ، والعصر الحديدى ، وحتى العصر السلوقى مروراً بالعصور التالية :-

- عصر باربار سنة ٢٣٠٠ ق . م إلى سنة ١٨٠٠ ق . م
- عصر الكاشيين سنة ١٨٠٠ ق . م إلى سنة ١٣٠٠ ق . م
- عصر الآشوريين سنة ١٢٠٠ ق . م إلى سنة ٦٥٠ ق . م
- عصر بابل الحديث سنة ٦٥٠ ق . م إلى سنة ٤٥٠ ق . م
- العصر الهيلينى سنة ٤٥٠ ق . م إلى سنة ٢٠٠ ق . م

وبرغم أن معظم الأدوات المكتشفة فى تلك المدافن ليس بها كتابة ، ولاتاريخ ، فإن بعض المنقبين والباحثين قد توصلوا إلى جملة معلومات ، أمكن من خلالها وضع تصور عن الأقوام التى قبرت فى تلك المدافن ، وشىء من معتقداتهم ، وأحوالهم الدينية ، والاجتماعية ضمن الدراسات التى لاتزال فى أول الخطى عن المواد ، والأدوات فى المدافن المذكورة .

وبالرجوع إلى النصوص والألواح المسمارية القديمة ، خرج العلماء ببعض النتائج التى يمكن حصرها فيما يلى :

أن سكان هجر فى تلك الفترة كانوا من الفينيقيين ، وأن مقابر جزيرة البحرين على وجه الخصوص كانت لرؤسائهم (١) حيث كان لتلك الجزيرة آنذاك مكانة دينية سامية ، كما يستشف من الأساطير التى أحاطتها بهالة من القداسة والإجلال . لذا فقد أصبحت مدفناً مقدساً ربما نقلت إليه الجثث من البر الأصلى فى شرق الجزيرة ، وقد أورد هذا الاحتمال عدد من الباحثين منهم : مستر «مانثى» الذى قام باستقصاء تلك المدافن ، وفى رأيه أن طبيعة الخزف ، والوضع المشوش للعظام ، وغلبة وجود بقايا الذكور ، أمور تشير إلى هذه النتيجة إلا أن اعتبارها مدفناً مقدساً لايمنع قيام نشاط عمرانى فى جزيرة أوال ، وهو ماتؤكده رسوم المدن ، ومؤشرات الاستيطان هناك ، كما أمكن التعرف على التقاليد التى كانت تمارس أثناء الدفن بتلك الأضرحة . وبالرغم من أن الموتى فى تلك المدافن قد شوهدت فى أوضاع مختلفة ، إلا أن الميت فى أغلب الحالات كان يوضع على جانبه الايمن بعد أن تمد رجلاه ، ويوجه وجهه شطر المشرق ، وقد حمل وضع الميت على هذه الصورة الباحثين على الاعتقاد بأن هذه هى الطريقة المتبعة غالباً فى دفن الموتى آنذاك ، ويعد ذلك دليلاً على أن أولئك القوم

---

(١) السير أرنولدت ويلسون – الخليج العربى – ص ٧٧ ، ٧٨

قد بلغوا مرحلة متقدمة من مراحل التفكير الإنسانى ، ولابد أنهم قد اعتنقوا ديانة من نوع ما.(١) فتصميم المدافن على نماذج متشابهة ، ومواراة الموتى بتلك الصورة ، ووضع الأمتعة والأطعمة والحيوانات معها فى الأضرحه أمور تدل بوضوح على أن إنسان ذلك العصر المبكر ، قد عرف فكرة الخلود والحياة الأبدية ، فالغرض من موارة تلك الأمتعة مع الميت هو أن يستفيد منها فى العالم الثانى وفق العقيدة السائدة لدى عدد من الشعوب من نحو ٢٨٠٠ ق . م كما استشف الباحثون من وجود المدافن ذات الطابقين ، والأخرى ذات الطابق الواحد ، وما يلاحظ بين مقتنيات كل منهما من التفاوت فى القيمة إلى أن النوع الأول قد يكون لأصحاب المناصب العليا فى المجتمع وأهل اليسار منه ، أما النوع الثانى فللأقل حظا فى هذا المضمار ، كما فهم الباحثون من آثار القرابين التى كانت تنحر على أسطح المدافن ، ومن شظايا أوان فخارية تم تكسيرها بصورة متعمدة ، ورماد لوحظ نثره فى أماكن متعددة بغير انتظام إلى أن أولئك القوم كانوا يتبعون بعض العادات ، والمراسيم ، والطقوس أثناء دفن الموتى بمثواهم الأخير ، وهذا بدوره يستلزم وجود فئة متخصصة هم الكهنة وسدنة القبور ، ولابد أن هؤلاء كانوا يتمتعون بمنزلة متميزة فى مجتمعهم .

ولاشك أن عبث الطبيعة بتلك المدافن وإنشاء المستوطنات فى العديد من مواقعها فى الأزمنة المتعاقبة ، وتعرضها لنهب الطامعين ، وعبث الهواة ، قد أفقدنا الكثير جدا من محتوياتها التى تفيد كثيراً فى عملية تسجيل التاريخ ورصد مظاهر الحياة فى هذا الإقليم .

ومهما يكن من شىء فإن جميع المدافن السالفة الذكر جديرة بالدراسة والتقييم لكونها من أهم المؤشرات الحضارية التى تعبر بجلاء عن الروابط الفكرية ، والعقائدية بين الشعوب والأمم فى تلك الحقبة الزمنية السحيقة مهما تباينت مواقعها ، وإن قوماً لهم هذه الهمة فى إشادة تلك المدافن ، لابد أن يكونوا على جانب كبير من الحضارة الإنسانية المتطورة بالقياس لتلك الأزمنة .

سادساً : المعابد :

تعد المعابد من أبرز دلائل الاستيطان البشرى القديم فى هذه الربوع ، كما يبرز وجودها أحد الجوانب الحضارية والسمو الفكرى الذى حققته تلك الشعوب منذ زمن بعيد ، وتوجد المعابد فى أماكن متعددة من إقليم هجر ، ومن أهمها فى جزيرة أوال معبد «سار» ومعبد «دراز»

(١) - لجنة تدوين تاريخ قطر - جـ١ - ص ٧٢

ومعابد باربار (١) التى تم اكتشافها سنة ١٩٦٢ م على يد البعثة الدنمركية . وتبين بعد الكشف والتحليل الأثرى أنها مؤلفة من ثلاثة معابد ، بنى كل منها فوق الآخر ، وذلك أن المعبد حين يتعرض للهدم والتخريب ، يعاد بناؤه بصورة أكثر اتساعاً وتعقيداً ، وأول هذه المعابد وأصغرها يقع فى أسفل التل ، وقد بنى من الأحجار المحلية . أما المعبدان الثانى والثالث فقد بنيا من أحجار تم جلبها من جزيرة جدة الكائنة عند الساحل الشمالى الغربى لجزيرة البحرين وذلك بعد قطعه ، وصقله ، ونحته بحيث يصبح ناعماً مربعاً صالحاً للبناء.

ويتألف تصميم كل من المعابد الثلاثة (٢) من هيكل تكتنفه ردهة واسعة ، وقد حفرت فى الزاوية الجنوبية من المعبد بئر يبدو أنها كانت موضع عناية أصحاب المعابد ، وعلى مقربة منها من جهة الغرب توجد بركة صغيرة يتم الوصول إليها بواسطة بضع درجات ، وكانت مياهها على مايظهر تستعمل للتطهر والتبرك ، وفى خارج المعابد من جهة الشرق هناك أسوار بيضاوية الشكل تحيط بمصاطب القرابين . أما ممارسة الطقوس الدينية فقد كانت تجرى داخل المعبد ، وهى فى الغالب تختص بالخصوبة على مايرى بعض العلماء مستدلين على ذلك بوجود تماثيل ورسوم تعبر عن ذلك عثر عليها بالمعبد .

ويرجح هؤلاء العلماء أن هذه المعابد قد شيدت للإله « إنكى » إله المياه العذبة (٣) أو لابنه « إنزاك » الذى ولد فى دلمون وعينه والده حاكماً عليها على ماجاء فى الألواح السومرية .

وقد استشف العلماء من دراسة هذه المعابد أن أقدمها(٤) قد تم بناؤه فوق مصطبة من الصلصال وعثر فيه على جملة معثورات ، منها طوق ذهبى رقيق وأوعية مزخرفة ، وبعض المصنوعات النحاسية .

أما المعبد الثانى فيبدو أنه بنى بصورة أكثر تعقيداً من بناء سابقه ، فهو على هيئة هيكل مستدير ، وقد بنى بحجر مصقول ، وعثر فيه على قيثارة من النحاس جميلة الصنع ، يرجع تاريخها إلى ٢٤٠٠ ق . م يؤيد ذلك نظائر لها تم اكتشافها فى مدينة أور التاريخية بالعراق وهيكل هذا المعبد يقوم على قاعدة مربعة الشكل ، وجد أمامه قرابين وهدايا عبارة عن تماثيل نحاسية منها تمثال لكاهن وآخر لطائر ، وكذلك حلى من أحجار كريمة ، ومزهريات من الرخام وأشياء أخرى تشير بوضوح إلى وجود علاقة بين هذه المعابد فى العراق ، ووادى الأندوس وربما بمصر أيضاً .

---

(١) لجنة تدوين تاريخ قطر – جـ١ ص ٧٣

(٢) د / سليمان سعدون البدر – منطقة الخليج العربى خلال الألف الرابع والثالث قبل الميلاد ص ١٢٤

(٣) الوثيقة – العدد السابع – شوال ١٤٠٥ هـ يوليو ١٩٨٥ م – ص ١٩٢

(٤) لجنة تدوين تاريخ قطر ص٧٣

أما المعبد الثالث : فهو أكثر من سابقيه علواً وإتقاناً ، وقد أصاب جدرانه ومداخله السفلى التخريب ولم يسلم منه سوى منطقة الهيكل التى يظهر أنها لم تمس ، وقد جاء هذا التخريب نتيجة دخول الكاشيين دلمون فى النصف الأول من الألف الثانى ق . م ، أو نتيجة انقلاب عقائدى تغيرت فيه أنماط العبادات آنذاك (١) ويمثل هذا المعبد أرقى مراحل الحضارة الدلمونية ، وقد طمرت أطلال المعابد كلها بأكمة من الحجارة والأتربة ، ويعود تاريخ أقدمها إلى الألف الثالث ق . م . وقد أشارت الأبحاث الأثرية إلى وجود معابد فى جزيرة فيلكا بالكويت حيث اكتشف فى مواجهة بعض منازل المدينة الدلمونية (٢) التى تم العثور عليها بأحد التلال الأثرية هناك فناء واسع مساحته زهاء ٢٠٠م٢ به خمسة أعمدة مكعبة الشكل من أصل ستة أعمدة ترتكز على قواعد ، كما عثر به أيضا على أربعة مذابح إحداها قرب الجدار الغربى للفناء ، ويرجح الباحثون أن ذلك المكان هو المعبد الذى بنى للإله «إنزاك» كبير آلهة دلمون . ومما تجدر الإشارة إليه أن جزيرة فيلكا كانت خلال الألف الأول ق . م عامرة ، فقد أشار إريان اليونانى الذى أطلق على هذه الجزيرة اسم كايروس (٣) نسبة إلى جزيرة تحمل هذا الاسم فى بحر إيجه . فقد ذكر نقلا عن رجال الإسكندر الذين شاهدوا تلك الجزيرة عن كثب أنها كانت جزيرة صغيرة عامرة ، وبها أشجار من كل نوع ، وبها معبد للإله «أرطميس» يعيش الناس حوله . وتمرح الحيوانات ، وتسرح دون أن يجرؤ أحد على مسها بسوء ، لأنها فى حمى المعبد ، فهى حرام على الناس . كما تمكنت البعثة الدنمركية من اكتشاف أطلال معبد يونانى أقامه جنود الإسكندر عندما نزلوا بجزيرة فيلكا واستقروا بها ، وفى جملة ما عثر عليه فى أطلال ذلك المعبد أعمدة استخدمت فى رفع سقفه ، وأحجار مزخرفة ، وبعض الكتابات ، وخربشة جميلة تمثل شجرة يظهر أنها أستعملت فى تزيين الواجهة العليا للمعبد وقد تجلى أثر الفن اليونانى فى تلك المكتشفات . .

وإلى جانب معابد جزيرة البحرين وجزيرة فيلكا ، هناك معبد لمعبودة الفينيقيين عشتروت موجود فى جزيرة تاروت ، والذى استمدت الجزيرة اسمها منه حيث دلت التماثيل التى تم اكتشافها هناك على وجود المعبد المذكور الذى لايزال فى انتظار البحث والتنقيب لإزاحة الستار عما به من المدخرات الأثرية . ولعدم وجود كتابات على الملتقطات الأثرية فى هذه

---

(١) – د / سليمان سعدون البدر – منطقة الخليج العربى فى الألف ٣،٤ ق . م – ص١٢

(٢) – د / سليمان سعدون البدر – منطقة الخليج العربى فى الألف ٣،٤ ق . م – ص ١١٠ – ١١١

(٣) – د / جواد على / المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام – جـ٢ ص٧

المعابد لايمكن القطع بنوع العبادة التى كانت تمارس بها فى تلك الأزمنة الغابرة إلا أنها كانت على شىء من التنظيم . كما يستشف من بعض النصوص التى أشارت إلى وجودها ، وإلى كهنتها وإيراداتها المالية ، والرسوم ، والضرائب التى كانت تقتطع من تلك الإيرادات لحساب الحكومات آنذاك .

سـابعاً : النقـوش :

تمثل النقوش أهم السجلات لرصد وقائع التاريخ فى أدواره المبكرة ، لما تحفل به عادة من معلومات غزيرة عن حياة السكان ، وعقائدهم ، وأساليب معاشهم ، والمكتشف من هذه النقوش فى إقليم هجر « البحرين » قليلاً جداً بالقياس إلى ماتم اكتشافه من النقوش فى مواطن الحضارات المجاورة ، كبلاد الرافدين ، وجنوب الجزيرة العربية ، وقلة المكتشف من هذه النصوص فى هجر لايفقدنا الثقة بأن حضارة عريقة تضاهى الحضارات فى الأقاليم المجاورة قد نشأت منذ أقدم العصور على صعيد هذه الأرض ، وأن عوامل كثيرة طبيعية ، وبيئية ، واجتماعية أدت إلى ضياع الكثير من أدلتها ، ومن أهمها النصوص الكتابية . وبالطبع لسنا بصدد حصر لجميع النقوش التى تم العثور عليها . لذا سنكتفى باستعراض بعض نماذج منها ، متوخين من ذلك إعطاء ولو فكرة محدودة عن أنماط الكتابة المستعملة فى هجر ، وبخاصة إبان الحضارتين الدلمونية والجرهائية ، مع الإشارة إلى المواد التى كانت مستعملة فى الكتابة ، وأنواع الخط والنقوش التى ظهرت عليها ومدى تأثر هذه النقوش بخطوط الحضارات المجاورة ، كالحضارة السومرية والأكادية فى وادى الرافدين ، والسبئية ، والمعينية فى جنوب الجزيرة ، وحضارة الموهنجودارو بوادى الأندوس فى باكستان ، وكذلك إبراز سمات الحضارة المحلية ، وتحديد خصائصها التى تميزها عن تلك الحضارات لذلك ستكون النصوص التى نستعرضها فى هذا الفصل متنوعة ، ومن مواقع أثرية متعددة ، ولفترات زمنية مختلفة لأنها مجرد نماذج للنقوش والكتابات المتوفرة مما تم اكتشافه فى هذه البلاد ، وليس حصراً لها .

أ - النقوش على الأختام :

لقد استخدم الإنسان منذ العصر المبكر للاستيطان البشرى الأختام للتعبير عن المفاهيم الإنسانية والعقائدية ، وفى مجال النشاط الاقتصادى . فاستخدم فى صناعتها جميع المواد المتاحة كالأحجار الصوانية ، وأحجار الكوارتز ، والاستيتايت ، والعقيق ، والرصاص ، والأصداف البحـرية والفخار ، وقد ظهرت الأختام فى أشكال متعددة منها : الأسطوانى ، والهرمى ، والدائرى ، والمربع ، وعلى شكل خرز وقد استخدمت تلك الأختام فى غرضين رئيسيين :-

الأول اتخاذها كتمائم ، وتعاويذ تجلب لصاحبها السعادة ، واليمن ، وتحميه من الأرواح الشريرة .

أما الثانى : فهو غرض اقتصادى محض ، حيث يكون استعمالها بصورة شخصية فى مجال التجارة . لذا حفلت الأختام بمزيج من شعارات اسطوريه ، وأشكال متنوعة ، وقد تم العثور على هذه الأختام فى عدة أماكن بحفريات شرق الجزيرة ، ومن أحدث ما تم اكتشافه منها فى دوحة رحوم بالظهران ختمان من حجر الكوارتز فى حالة جيدة ، أحدهما أسطوانى يرجع تاريخه إلى الألف الثانى ق . م ، والآخر دائرى لم يتم تحديد تاريخه . كما تم اكتشاف كثير من الأختام فى جزيرة فيلكا بالكويت ، وجزيرة البحرين ، ومدينة أور جنوب العراق ، وفى مدن حضارة وادى الأندوس بما فيها منطقة لوثال فى جنوب (تب يحى) جنوب شرق إيران .

وليس ثمة إحصاء رسمى لعدد الأختام التى عثر عليها حتى الآن ، بيد أنها تقدر بزهاء سبعمائة ختم ، منها أربعمائة من الكويت ، بينها ثمانية ذات وجهين ، و٢٣٠ ختما فى البحرين كما يوجد زهاء ٣٥ ختما من العراق ، وخمسة أختام من (تب يحي) فى إيران ، وختم واحد من وادى الأندوس من باكستان . وقد اهتم الباحثون بدراسة الأختام التى تم العثور عليها فى كل من الكويت والبحرين ، وكانت السيدة / «بورادا» فى [1] مقدمة من اهتم بدراسة تلك الأختام فى القطرين المذكورين ، حيث خلصت إلى تحديد الفترات التاريخية التى تنتمى إليها بعض الأختام فى جزيرة البحرين ، وقد وصف أحد تلك الأختام بأنه دائرى به جزء مكسور وله حدبة عريضة منخفضة ، وحافته دائرية ضيقة ، ومصنوع من حجر الاستيتايت ، ويحمل نقشا ربما يمثل مذبحاً أو حرماً مقدساً تحيط به شجرتان عريضتان ، وثعبان ، وتحيط به دائرة من الخطوط الناتئة المدببة ذات الشكل الإسفينى ، وتعطى هذه الخطوط هالة مثل هالة القمر ، ويشبه هذا الختم ، ختما تم العثور عليه فى الكويت لإنسان جالس فى قارب ، كما قامت بدراسة أحد الأختام الأسطوانية التى عثر عليها فى البحرين أيضاً ، وهو يشبه أختام مرحلة حضارة « جمدة نصر » بالعراق ، وعليه نقوش لأسد ذى رأسين ، ويحمل ثورين لهما سنامان ، ويضع مخالبه على جسد إنسان جاثم ، وترجع « بورادا» تاريخه إلى الألف الثانى ق . م . كما قامت أيضا بدراسة ختم يحمل صورة إنسان رافعاً يديه ، ويرتدى لباساً ذا أهداب ، ويظهر أمامه رأسا حيوانين لهما قرون ، وترى «بورادا» بأنه ينتمى إلى ٢٠٠٠ ق . م

ومن بين الأختام التى تم العثور عليها فى كل من جزيرتى البحرين وفيلكا أختام تحمل نقوشاً لحيوانات متشابكة الرقاب ، وكذلك أختام تصور رجلا واقفا داخل إطار وتحيط به حيوانات أو ثعابين أو طيور . كما عثر فى الموقع الأثرى فى باربار على ختم مصنوع

---

(١) د / سليمان سعدون البدر - منطقة الخليج فى الألف الرابع والثالث ق . م - ص ١٣٤

من حجر الاستيتايت ، ويظهر على هذا الختم شكل عين تتوسط الجزء العلوى من وجه الختم وتظهر عليه صورة رجلين متشابهين ، ويحمل كل منهما رمحاً ، ويمسكان ترساً مشتركاً . أما فى أسفل الختم فهناك طائر يسبح ، وخلفية الختم مقببة ، وبها ثقب ، وتحمل زخرفة هى عبارة عن ثلاثة خطوط متوازية وأربع عيون ، ويحيط بالزخرفة إطار دائرى ، ولهذا الختم نظائر ثلاثة عثر عليها فى جزيرة فيلكا . ويعد الباحثون هذا الختم من ظواهر الحضارة الدلمونية التى سادت المنطقة فى الألف الثالث ق . م ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الحضارة قد انفردت بالأختام الدائرية وهى تصنع فى الغالب (١) من حجر الاستيتايت الصابونى الأخضر نصف الشفاف ، أو الأخضر القوى الصلد ، وبه نقط وردية ، ويتراوح حجم (٢)أكثر هذه الأختام من ١٨ – ٣٦ مم ماعدا ختم واحد يبلغ قطره ٦٥مم ومعظمها منحوت من جانب واحد ، على حين يوجد على الجانب الآخر ثلاثة خطوط وأربع نقاط داخل دوائر وبكل ختم ثقب يربط به خيط لتعليقه بعنق أو ذراع صاحبه .

وتحمل الأختام الموجودة فى كل من البحرين والكويت ٤١ شكلا ، والرموز فى هذه الأشكال متفاوته عن بعضها بصورة كلية أو جزئية ، ويتكرر بعضها على الأختام من ٢ - ٧ مرات وتستأثر آلهة الشمس ، والمعابد ، والمعارف المتصلة بثقافة ذلك العصر بأكبر عدد من رموز الأختام ، وقد قدر عدد الرموز التى تحمل نقوش لعين آلهة الشمس بـ٧٣ رمزاً ، وتوجد لهذه الرموز نظائر مماثلة للوظائف ذاتها فى الحضارات الأخرى ذات الصلة بالحضارة الدلمونية ، والتأثير المتبادل بين مختلف الثقافات وفى جميع العصور من الأمور الضرورية ، لأن الحضارة كائن حى لا يتحقق له النمو والازدهار إلا بالتفاعل مع الحضارات الأخرى .

ومن خلال الدراسة والتحليل لرموز الأختام الدلمونية ، وبعد مقارنتها بنقوش الثقافات المجاورة خرج بعض الباحثين بعدة نتائج هامة ، من بينها التعرف على مايعتقد أنه أسلوب الكتابة المتبع إبان تلك الحضارة .

ويرى الدكتور على أكبر بوشهرى : أن لدى الدلمونيين (٣) أربعة أنواع من الكتابة والنقوش ، منها نوعان عراقيان ، وهما الكتابة التصويرية ، والكتابة المسمارية . وأما النوع الثالث فهو الكتابة على طراز الخط المتبع فى وادى الأندوس . أما النوع الرابع فهو ماأطلق عليه بعض الباحثين الكتابة الدلمونية المدمجة ، وهو نظام اخترعته هذه الحضارة انطلاقاً

---

(١) بحث علي صالح محمد المغنم فى أختام الخليج

(٢) الوثيقة – العدد السابع – شوال ١٤٠٥ هـ يوليو ١٩٨٥ م – ص ١٩٣

(٣) الوثيقة – العدد السادس – ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ يناير ١٩٨٥م – ص ١٢٢ـ ١٣٠

من نظام الكتابة التصويرية التى هى عبارة عن مجموعة صور ترمز كل واحدة منها إلى كلمة دون تحديد طريقة النطق بتلك الكلمة . وكانت الكتابة التصويرية هذه مستخدمة فى بلاد الرافدين ودلمون ، ونظرا لصعوبة قراءة النصوص المدونة بهذه الطريقة وبالتالى صعوبة فهمها ، فقد طورها السومريون إلى الكتابة المسمارية أما الدلمونيون فقد استنبطوا خطاً جديداً من فن الكتابة ، فعملوا على تبسيط ، وتيسير الكتابة التصويرية ، وذلك عن طريق تخفيض عدد الخطوط فى كتابتها ، ورغم صعوبة إدراك الأصل التصويرى لهذا الخط من الكتابة ، إلا أن الباحث على أكبر لايرتاب فى أن أصل الكتابة الدلمونية كان سومرياً ، كما يورد احتمال كون الدلمونيين قد نطقوا بلغة سومرية أو بلغة مأخوذة ، أو مطورة من تلك اللغة ويبدو هذا الاحتمال معقولاً إلى حد كبير ، وبخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار تجاور الحضارتين وتأثير كل منهما فى الأخرى فى أكثر من مجال ، حيث أصبح التأثير والتأثر ببعضهما البعض مستمراً وثابتاً ، لذلك ظهرت الكتابة السومرية فى دلمون ممثلة فيما نقش على الأختام والأحجار والألواح ، إلى جانب نظام الكتابة الدلمونية المدمجة وبالإضافة إلى القطع الأثرية المسمارية التى سيتم استعراضها هناك بين مجموعة الأختام المحفوظة فى المتحف الوطنى بالكويت ٤ أختام ذات نقوش مسمارية ، اثنان منهما متشابهان وفى حالة جيدة ، والثانى غير سليم ، أما الرابع فجزء منه مفقود ، ومن الواضح أن الكتابة المسمارية كانت حينذاك نظاماً مفيداً للتبادل الفكرى والثقافى بين الحضارتين . ونظراً إلى العلاقة الوطيدة بين هاتين الحضارتين والحضارة فى وادى الأندوس ، فإن نقوش الحضارة الأخيرة قد ظهرت فى كل من سومر ودلمون ، فقد أشارت المصادر أن أختام الحجر الصابونى الدائرية ، والمكتشفة فى البحرين تحمل نقوشاً من كتابة وادى الأندوس ، وأن أحد تلك الأختام من نفس النوع الذى عثر عليه فى الموهنجودارو . وهناك ثمانية أختام عليها نقوش وداى الأندوس منها ٧ عثر عليها فى الكويت ، والثامن فى البحرين ، وجميعها تحمل نقوشاً مسمارية ، وهذا يعكس قدم العلاقات بين كل من دلمون ، وبلاد الرافدين ، ووادى الأندوس ، حيث يعود تاريخ الأختام التى عثر عليها فى الكويت وتحمل نقوشاً من وادى الأندوس إلى ٢٤٠٠ ق . م ، علاوة على أنه من المحتمل أن تكون جالية من أبناء وادى الأندوس قد قطنت دلمون وعاشت بها ، وأن من رجالها من مارس عمل الوساطة التجارية بين القطرين . ومن هنا يمكن القول أن الدلمونيين قد استخدموا شيئاً من الكتابة السومرية ، وشيئا من الكتابة المستعملة فى وادى الأندوس ، كما مارسوا الكتابة السومرية التصويرية ، وقد تعرض هذا اللون من الخط إلى مزيد من التحسين والتطوير فى كل من العراق ودلمون ، ففى العراق تم تطوير الكتابة التصويرية إلى نظام الكتابة المسمارية . أما دلمون فقد أضافت إليها الكثير من التعديل والابتكار وذلك بإعادة

هندسة هذه الكتابة ، وإخراجها فى صورة جديدة مع المحافظة على أشكالها الرئيسية ، ومن المحتمل أن تكون هذه الكتابة قد اقتصرت على التمثيل الدينى والفنى ، فى حين ظلت الكتابة المسمارية مستخدمة فى السجلات التجارية المستمرة مع وادى الرافدين ، كما أن كتابة وادى الأندوس قد استخدمت فى التبادل التجارى مع تلك الجهة .

وهذه الأنواع الأربعة من الخطوط توفر للباحثين مصدرا ثرياً للبحث فى زهاء ٧٠٠ نقش دلموني ، يمكن من خلالها التعرف على عقائد الدلمونيين ، وعباداتهم وطقوسهم الدينية ، إلى جانب الوقوف على مالديهم من معارف فى العلوم الطبيعية ، والفلكية ، والرياضية ، والملاحية ومالديهم من الأزياء ، والسلع ، والحيوانات المحلية ، والمستوردة ، وأساليبهم فى الحياة بصورة عامة ، والصناعات وبخاصة صناعة السفن ، وكذلك صلاتهم التجارية بالأمم الأخرى . وهذا ماسنأتى على إيضاحه فى المواضع المناسبة من هذا الكتاب .

ب - النصوص الكتابية :

لقد تم العثور على عدد من النقوش القديمة فى أماكن متفرقة من البلاد ، بعضها مدون بالخط المسمارى ، والبعض الآخر يحمل خطوطا مختلفة ، بينها الخط العربى الجنوبى القديم والخط الكلدانى ، والآرامى ، وخط من طراز فريد متميز عن الخطوط الأخرى ،يحمل سمات وخصائص حملت بعض الباحثين على وضعه عند تصنيف الخطوط فى فئة خاصة به وقد أطلقوا عليه اسم الخط الأحسائى ، ومن أقدم الخطوط المسمارية التى أمكن اكتشافها نقش على حجر أسود إكتشفه الكابتن دوراند سنة ١٨٧٩م ، وهو فى الأصل جزء من قاعدة معبد يبلغ طوله قدمين وبوصتين ، وقد أرجع بعض الباحثين تاريخه إلى سنة ١٨٠٠ ق . م أو إلى النصف الثانى من الألف الثانى ق . م وهى فترة الكاشيين ، وفى هذا النص يشير الحاكم «ريموم» إلى قصره وإلى نفسه بأنه خادم «أنزاك أجارو» .

ويظهر أن «ريموم» هذا كان حاكما لدلمون إبان الفترة الكاشية ، ويستنتج أحد الباحثين من هذا النص بأن أنزاك كان الإله الرئيسى لدلمون ، وهو ماتؤكده حرفياً[1] مصادر وادى الرافدين ، وقد أشارت نقوش أحد الأختام المكتشفة فى فيلكا إلى هذا الإله «أنزاك أجارو» وأجارو هذا على مايرى بعض الباحثين اسم موضع فى دلمون بمعناها الواسع ، وقال آخرون اسم لإحدى القبائل التى كانت تقيم فى هجر ، أو هو مشتق من « أجرم » إحدى القبائل الهجرية ، ومن النقوش التى تعود إلى فترة الكاشيين أيضاً نشر « جلوب » نصاً منقوشا

---

(١) الوثيقة - العدد الرابع - ١٤٠٤ هـ ص ١٧١

على لوح طينى (١) ويظهر أن النص كان وثيقة اقتصادية تذكر لقب اثنتين من آلهة دلمون هما «سيدة الخبز» «وسيدة الشرب» ، ومن الكتابات المسمارية ما وجد منقوشا على المخلفات الأثرية فى مدينة فيلكا ، ومن بينها كتابة مسمارية على جزء من آنية مصنوعة من الحجر الصابونى ، وعليها نص مسمارى عثر عليها فى الناحية الجنوبية من المعبد تحت حائط القلعة والآخر جزء من آنية مصنوعة من الحجر الصابونى ، وعليه كتابة مسمارية ، واسم شخص «أيامى» بيد أن معظم الأوانى التى عثر عليها هناك كانت مكسورة .

ومن النقوش الكلدانية نقش على حجر كان لدى القبطان «و. أ . شكسبير(٢)» وقد قام بتصنيفه أحد الباحثين باعتباره نقش كلدانى ، أو نص كلدانى عربى الأصل ، وقام هذا الباحث أيضا بتحديد نقش كان قد تم العثور عليه أثناء التنقيب فى إحدى المقابر «بعين جاوان» على أنه نقش كلدانى ، أو عربى قديم ، ومن هذا الصنف كذلك نقش عثر عليه فى واحة الهفوف وهو عبارة عن حفر على الصخر يعود تاريخه إلى القرن التاسع ق.م وهناك نقش آرامى من واحة القطيف (٣) عثر عليه فى سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م ولم يكن فى حالة جيدة ، وقد تعرف الباحثون فى سطريه الأخرين على أرقام وملاحظات عن إقامة عيد ودفع نقود ، وقد لوحظ أثر اللغة الآرامية به فى ثلاث نقاط هى :

١ - كلمة حما ٢ - استعمال المفرد فى حالة الأرقام ٣ - استخدام الواو والنون فى نهاية بعض الكلمات .

وهناك جملة نصوص قيمة تم التقاطها من ثاج ، والحناءة يسجل معظمها عبارات جنائزية دُون بعضها بالخط الحميري القديم ، والبعض الآخر دُون إما بالخط الأحسائى أو الخط الآرامى وقد لوحظ أن نصاً من هذا الصنف جاءت فيه بعض الكلمات مرتبة وفق الطبيعة العرقية للحضارة الآرامية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض تلك النصوص المكتشفة فى ثاج قد جمعت بين الخطين الآرامى والأحسائى ، وفى أحد النصوص من هذا النوع استطاع « ستيهل» أن يلاحظ بين بعض الأسطر المدونة باللغة الأحسائية سطراً منقوشاً باللغة الآرامية ، وقد رجح بأن فيه مايوحى بوجود صلة بين اللغتين الأحسائية والنبطية (٤) وذلك بمقارنة حرف اللام فى كلمة «أفكل» التى تعنى فى كلتا اللغتين عائلة أو عشيرة .

ونظراً لقرب شرق الجزيرة العربية من الإقليم النبطى ، فقد رأى «ستيهل» أن الكلمة قد اشتقت من اللغة السومرية أفكل وأبكالو الأكادية عن اللهجات الآرامية الشرقية كما هو معروف

---

(١) الوثيقة : العدد السابع - شوال ١٤٠٥هـ - يوليو ١٩٨٥م - ص ١٧١
(٢) أطلال : جـ٧ - ص ٧٠
(٣) أطلال : جـ٧ - ص ٧٣
(٤) أطلال : جـ٧ - ص ٧٤

فى حترا . ومهما يكن من شيء ، فإن النصوص من هذا النوع ، ونظائرها مما تم العثور عليه فى الهفوف ، والقطيف ، وعين جاوان ، والورقاء قد تميزت بسمات وخصائص ، حملت بعض الباحثين على اقتراح وضعها فى فئة خاصة بها عند تصنيفها ، وذلك لوجود الاختلاف بينها وبين النقوش الكلدانية أو العربية القديمة ، ومن هنا أطلق عليها اسم النقوش الأحسائية ، وكان أول من اقترح لها هذا الاسم « ليبارون بوين » [1] . وكان وينيت قد لاحظ من قبل الخاصية التى تتميز بها هذه النصوص ، لذا فقد اقترح وضعها فى فئة خاصة بها ، بحيث لاتلحق بأى فئة أخرى ، كما استخدم نفس التسمية أيضاً «أ . جام » حيث نشر لأول مرة ١٧ نصاً من الجنوب الشرقى للملكة العربية السعودية ، وقد جاراه فى هذه التسمية كل من : روبين ، وفون ويسمان ، وبيستون ، وقد خصوها بجزء من الاهتمام فى دراساتهم . بيد أن أ. جام : يشير إلى تأثر بعضها بالنصوص السبئية ، والمعينية ، والحميرية ، ولكن ألثيم ، وستيهل لم يسلما بالتأثير النبطى ، ويفضلان البحث عن تأثير الآرامية الشرقية . وقد قام « س . روبين » بتحليل مطول للخصائص اللغوية التى تميزت بها اللغة الممثلة فى ٢٧ نصا أحسائيا حيث لاحظ فيها وجود خصائص تميزها عن ماعداها من النقوش ، كما تُلاحظ هذه الخصائص فى قليل جداً من نقوش حضارة جنوب الجزيرة ، وهى ترجح أن عبارات الاهداء الواردة فى تلك النقوش كان قد قام بنقشها فى الجنوب عرب من الشمال . ويقترح «فون ويسمان» عقد مقارنة مع النقوش المعينية الشمالية التى تمثل هى والنقوش الأحسائية فرعين من النصوص العربية الجنوبية . ويرى « أ . ف . ل بيستون» أن النقوش الأحسائية متماثلة من الناحية اللغوية إلى حد ما . بينما يؤكد « و . و . مولر» بأنه بالرغم من ندرة هذه النصوص ، إلا أنها تشكل أغنى مجموعة من النصوص العربية الشمالية فى النصوص العربية الجنوبية المتوفرة لدى الباحثين ، وبالنسبة لتحديد تاريخ هذه النقوش فيذكر « دانيال بوتس » أنه موضع نقاش له أهيمته فيرى « أ . جام » أنها ترجع إلى القرن الرابع ق . م « أما روبين » فيضع تاريخها فيما بين عام ٣٠٠-١٣٠ ق.م . فى حين يرى «فون» أنها تقع فى العهد السلوقى تأسيساً على علم دراسة النقوش القديمة ، علاوة على اكتشافات « بيبى » الناتجة عن المجس المتزامنة مع عصر الجرهاء .

أما « وينيت » فيرجح أنها تعود إلى تاريخ متأخر ربما فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين .

ومما يلاحظ أن محتويات تلك النقوش محدودة جداً ، لاتتعدى الأسماء الشخصية ، وبعض أسماء

---

(١) أطلال : جـ ٧ - ص ٧٢

العشيرة ، وهى فى الغالب نقوش على أحجار المقابر . على حين أن نظائرها من النصوص الأحسائية التى عثر عليها فى الجنوب أكثر منها ثراءاً فى المعلومات .

وهناك نص نفيس (1) عثر عليه بالكويت ، وهو عبارة عن كتابة مدونة على حجر ، تتكون من ٤٤ سطراً ، تفيد أن ملكا قد بعث برسالة إلى أهل « إيكاروس » (فيلكا) بخصوص عزمهم على إقامة معبد فى تلك الجزيرة ، ورغبتهم فى تعيين كهان له ، وتبين موافقة الملك على مطلبهم ، كما تحدد الأجور والنفقات التى يلزم صرفها وبيان مقدار حصة الحكومة من تلك الواردات وكيفية جبايتها إلى غير ذلك من الشروط ، وهى رسالة حال دون حل رموزها كسر فى الحجر وزوال حروف بعض الكلمات ، وهى على مايعتقد من أيام «سلوقيوس الثانى» المعروف بكلينيكيوس ، ويرجع تاريخ تدوينها إلى سنة ٢٣٩ ق . م ، وقد وجدت فى فيلكا أيضاً كتابة يونانية على حجر تعود لأيام خلفاء الإسكندر وهى عبارة عن جزء من رسالة كتبها أحد المواطنين الأثينيين واسمه « سوتيلس » والجنود إلى « زيوس المخلص » وإلى «بوزيدون» وإلى « أرتيمس المخلصة »

وبعد هذه الجولة فيما تم اكتشافه من الآثار فى هجر ، من خلال المدافن ، والمعابد ، والأدوات والنصوص الكتابية ، والنقوش على الأختام ، والألواح ، والأحجار ، والأوانى التى ألقت الضوء على تتبع المسيرة الحضارية فى هذه البلاد منذ أقدم العصور ، أمكننا القول أن هذه الربوع شهدت الاستيطان البشرى فى أول مراحله ، وأنها كانت مهداً لميلاد العديد من الإنجازات والاختراعات المهمة للإنسان فى مسيرته نحو التطور والارتقاء . فإلى سكان هذه البلاد تنسب المصادر الكثير من الإسهامات الرائدة فى الإنجاز الحضارى للإنسان ، فهم أول من شرع الشراع ، ومخر العُباب ، وأدخل الحروف الأبجدية فى أوروبا ، كما أنهم أول من غرس شجرة النخيل التى تعد من أهم دواعى الاستقرار والاستيطان وإعمار القرى . كما أن شعوب هذه المنطقة يعتبرون فى طليعة من نجح فى تدجين العديد من الحيوانات والنباتات ، ومن بينها الجمال والحبوب ، وهم أول من عرف الغوص على اللؤلؤ ، وتاجروا فيه .

ولعل هذه الإسهامات الحضارية ، هى السبب وراء مانسجته النصوص الأكادية ، والألواح الآشورية والبابلية ، وأدبيات اليونان والرومان حول بلادهم من أساطير وقصص ، وما أسبغته عليها من تقديس وإجلال .

ومن كل ما مضى يمكن أن نخلص إلى أن سكان هجر من أقدم الشعوب التى أسهمت

---

(1) د / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - جـ٢ - ص ٣٢

فى صنع الحضارة الإنسانية وتطويرها ، وأن هذه الشعوب مع غيرها من شعوب الأمم الأخرى القريبة منها والبعيدة تشترك فى قيم وخصائص حضارية مختلفة .

ومن بين تلك السمات المشتركة : نظام تعدد الآلهة حيث كان لكل قطر إله رئيسى ، وعدد من الآلهة الثانوية .

وقد كان هذا النوع من العبادات يمثل إحدى الظواهر التى سادت الديانات فى المنطقة ، وذلك قبل بلورة الديانات السماوية ، وكذلك فى كثير من الأساطير التى نسجت حول تلك الآلهة والعقائد التى سادت المنطقة ، وفى العديد من الرموز الفلكية ، والنقوش ، والعادات ، وبعض الصناعات . ولكى تكون الصورة واضحة ، فلا بد من تناول بعض تلك السمات المشتركة بين حضارة هجر ، وسائر الحضارات الأخرى بشىء من الإيضاح .

صلة الحضارة الهجرية بغيرها

١ – صلة الحضارة الهجرية بالحضارة فى العراق :

كانت الصلات بين الحضارتين فى كل من هجر والعراق فى منتهى القوة والرسوخ ، فظهرت الخصائص المشتركة بين هاتين الحضارتين فى جميع الجوانب الحياتية ، فقد تعبد الناس فى البلدين لآلهة مشتركة مثل « نابو » « وإنزاك » « وميس كيلاك » « وشولو خيتو » وغيرها .

وقد وردت الإشارة إلى الكثير من الحقائق المتعلقة بالحضارة الدلمونية فى عدد من النصوص الأكادية ، والآشورية ، والبابلية ، كما كانت الصلات التجارية بين القطرين على جانب كبير من القوة وفى أكثر من ميدان .

٢ – صلة الحضارة الهجرية بحضارة الجنوب العربى :

من المعلوم أن منطقة هجر كانت همزة الوصل فى التبادل التجارى بين المناطق المحيطة بها ، وبفضل الاتصال التجارى بين الهجريين ، وإخوانهم المعينيين والسبئيين فى الجنوب ظهرت عدة خصائص مشتركة فى الحضارتين ، وبدا ذلك واضحاً فى ظهور النقوش والنصوص الجنوبية فى عدد من مدن هجر ، كما ظهر الخط الأحسائى فى مناطق الجنوب ، كما وجدت فى البلدين الخزفيات المتشابهة من العصور المختلفة ، وكذلك التقاليد المتبعة فى أساليب دفن الموتى .

٣ – صلة الحضارة الهجرية بالحضارة فى وادى النيل :

من الثابت تاريخياً أن سفن الهجريين وصلت إلى مصر ، وكان الاتصال التجارى بين البلدين قائماً ، وقد تجلت بعض الخصائص المشتركة فى حضارة القطرين كالرموز الفلكية .

فيذكر بعض الباحثين أن مصر قد استخدمت بعض نقوش ورموز آلهة الشمس التى كانت دلمون تستخدمها كرمز لعين الإله «رع إله الشمس» ، فبعض تلك الرموز متشابهة إلى حد كبير ، والبعض الآخر متشابـه مع وجود بعض التعديلات البسيطة . وهناك شبه بين خطوط الصناديق التى تعبر عن الإله «رع آمون» وبين الخطوط المنقوشة على أختام دلمون .

ولقد قامت بعثة آثار عربية بالتنقيب فى منطقة «كرزكان» سنة ١٩٧٨م فوجدت فى إحدى المقابر حجر ختم خنفس مصرى أسود ، كان يستخدم بكثرة فى مصر القديمة ، وقد دونت عليه كتابة هيروغليفية ، يعود تاريخها إلى العهد البابلى الأخير ، إلى جانب بعض الأحجار والجعارين المصرية،كما قام متحف البحرين الوطنى سنة ١٩٧٨م بالتنقيب فى قرية «المقشع»(١) فى شمال البحرين فعثر هناك فى إحدى المقابر على جعران وفخار مصرى ، كما عثر فى فيلكا (٢) على ختم يشبه الجعران المصرى ، وفى ذلك دلالة واضحة على وجود علاقة بين الحضارتين فى كل من مصر ودلمون . ولاشك أن الإيمان بحياة أخرى بعد الموت التى يعبر عنها دفن الأموال ، والأمتعة فى القبور مع الموتى فى القطرين ، يدل على عقيدة مشتركة بين الشعبين ، ويرجح أن تلك العلاقة بين الحضارتين قد نشأت فى عهد الأسرة الخامسة فى مصر .

٤ – الحضارة الهجرية وصلتها بحضارة فينيقيا :(٣)

يذكر بعض الباحثين أن نقوش عين إله الشمس الفينيقية تتشابه مع مثيلتها فى دلمون فى أغلب الحالات ، وكذلك رموز وادى الرافدين .

ويذكر « بول جيروم » (٤) أن معظم العناصر التشكيلية فى الأختام تتشابه إلى حد كبير فى كل من فيلكا وسوريا . كما ذهبت «أديث بورادا» (٥) إلى القول أن ثمة تشابه كامل من الناحية التعبيرية فى الأختام بالحضارات فى البحرين ، وفيلكا ، وسوريا ، وبلاد الرافدين .

٥ – الحضارة الهجرية وصلتها بحضارة وادى الأندوس :

لقد أظهرت دراسات الأختام ، والنقوش ، والخزفيات وجود علاقة مشتركة بين الحضارة الهجرية وحضارة وادى الأندوس ، فهناك على حد قول الباحث – على أكبر بوشهرى :– خمسة رموز دلمونية تشبه إلى حد كبير الرموز فى خضارة وادى الأندوس ، على حين أن بقية الرموز فى البلدين تتشابه مع شىء من التعديل الطفيف ، وكذلك النقوش المخططة

---

(١) الوثيقة – العدد السابع – شوال ١٤٠٥هـ – يوليو ١٩٨٥ م – ص٧٥

(٢) د / سليمان سعدون البدر – منطقة الخليج العربى فى الألف ٤ ، ٣ ق . م ص ١٦

(٣) الوثيقة – العدد السابع – السنة الرابعة – شوال ١٤٠٥ هـ – يوليو ١٩٨٥م ص ١٩٥

(٤) على صالح المغنم – بحث مقدم للمؤتمر الثامن عن آثار جنوب آسيا–

(٥) د / سليمان سعدون البدر – منطقة الخليج العربى فى الألف الرابع والثالث ق . م ص ١٠٧

أى الصناديق ، كما أن هناك عدة شواهد تؤكد قيام علاقة تجارية وثيقة بين البلدين ، فقد اكتشف فى جزيرة البحرين فخار بارباري من وادى الأندوس ، وذلك فى قبور يرجع تاريخها إلى فترات ٣٠٠٠ ، ١٩٠٠ ، ١٧٠٠ ق . م ، هذا بالإضافة إلى تأثر منطقة هجر بحضارة العبيد التى ذهب بعض الباحثين إلى القول أنها ربما تكون أم جميع الحضارات فى المنطقة الممتدة من هجر إلى وادى الأندوس .

وفيما تقدم دلالة واضحة على متانة الصلات التجارية بين شعوب هذه الأراضى .

٦ - صلة الحضارة الهجرية بحضارات أخرى :

يلاحظ الباحثون وجود تشابه بين الرموز والنقوش فى دلمون ، والرموز والنقوش فى ثقافات أخرى بعيدة عنها رغم عدم وجود دلائل تثبت قيام اتصال مباشر بتلك الثقافات فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية . ولعل هذا التشابه يعود إلى أن تلك الرموز قد اتخذت صبغة عالمية أو أنها انتقلت إلى تلك الشعوب عن طريق رحلات الفينقيين التجارية ، كما لوحظ وجود تشابه طفيف بين الرموز فى دلمون والرموز الصينية .

وبعد أن اتضح مدى الروابط والسمات المشتركة التى ظهرت بين حضارة الهجريين والحضارارت المختلفة الأخرى ، ومدى تأثر كل من هذه الحضارات بغيرها ، فلا بد أن نسلط الأضواء على الخصائص والمميزات التى انفردت بها الحضارة الهجرية عما سواها من الثقافات الأخرى المعاصرة لها ، ومن أهم هذه الخصائص :-

أ - المقابر المقببة :

عرفنا فيما تقدم من هذا البحث أن الهجريين إبان الحضارة الدلمونية درجوا على وضع موتاهم فى القبور المقببة التى يمكن مشاهدتها فى جزيرة البحرين ، مابين قرية «عالى» وقرية «سار» وإلى الجنوب حتى قرية «دار كليب» وكذلك فى جنوب مطار الظهران فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، وفى أماكن أخرى من هجر ، وهذا النوع من المدافن من العلامات المميزة التى انفردت بها الحضارة الدلمونية ، إذ من المعلوم أن سكان ، وادى الرافدين قد درجوا على إقامة قبور الموتى داخل البيوت . على حين كانت مقابر وادى السند توجد عادة فى الحقول ، والمزارع خارج المدن ، حيث يدفن الموتى أو يتم إحراقهم .

ب - نوعية الفخار :

امتازت صناعة الفخار فى هجر بطراز فريد يتمثل فى القلال والأوانى التى تم العثور عليها فى هذه البلاد ، وتعود إلى عصور موغلة فى القدم ، وقد تميزت بالأصالة والأناقة ، ويرجع

الاستاذ عبد الرحمن سامح السبب فى ذلك : لغنى تربة هذه البلاد بالعناصر المناسبة لهذه الصناعة وكذلك للمحاولات المبكرة التى قام بها سكان هذه البلاد فى ممارسة صناعة الفخار ، حيث انتهت بهم تلك المحاولات إلى الإجادة والاتقان ، ويتجلى ذلك فى طرازها الفريد المتميز فى تشكيلها وزخرفتها ، بحيث يستطيع الدارس لها أن يميزها عن غيرها من أوان صنعت فى مواطن أخرى كبلاد الرافدين ، وبلاد السند ، ولاتزال هذه الصناعة معروفة فى العصر الحاضر فى عدد من قرى هذه البلاد ، كقرية «القارة» فى واحة الأحساء ، وفى قرية «عالى» بجزيرة البحرين .

جـ - الأختام الدلمونية :

تعد هذه الأختام من أبرز السمات المميزة لحضارة دلمون ، إذ من المعلوم أن تصميم الأختام فى كل من العراق ووادى الأندوس تختلف عن أختام دلمون ، فقد كانت الأختام فى العراق ذات شكل أسطوانى ومربعة فى وادى الأندوس ، أما دلمون فقد استخدمت نوعاً متميزاً خاصاً بها وهى على ماوصفنا سلفاً قد صنعت من حجر الإستيتايت الصابونى بشكل دائرى صغير ، يحمل رموزاً ونقوشاً تعكس أسلوب تلك الحضارة فى التعبير عن إنجازاتها المادية والفكرية ، فقد تضمنت رسوماً لبعض المشاهد الواقعية لنمط الحياة اليومية السائدة آنذاك ، كصور أشخاص يقدمون القرابين فى المعبد ، إلى جانب صور لحيوانات ، كالغزلان والأبقار ، والعقارب ، والطيور ،والنخيل والقوارب .

وهذه الأختام تبلغ زهاء ٧٠٠ ختماً تم العثور عليها فى أماكن متعددة من الساحل الشرقى للجزيرة العربية ، وجزيرة البحرين ، وجزيرة فيلكا بالكويت ، وقد حظيت أختام فيلكا بدراسة ألقت الضوء على كثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بحضارة هذه المنطقة .

أما الأختام فى جزيرة البحرين فسيجرى المزيد من دراستها ، وإعادة تقييمها لمعرفة ماتحتوى عليه من المعلومات .

بالإضافة إلى ماسبقت الإشارة إليه من العلامات والسمات التى انفردت بها الحضارة الهجرية ثمة ميزتان هما :-

الكتابة المدمجة التى عمد الدلمونيون إلى تطويرها من الكتابة التصويرية ، والخط الأحسائى الذى استعمله الجرهائيون فيما بعد ، وقد تقدم الكلام عن هاتين الميزتين فيما تقدم من هذا الفصل .

وبعد هذا العرض لما تمت الإشارة إليه من الآثار والإنجازات التى أسهمت بها هذه البلاد فى مضمار الحضارة الإنسانية منذ أقدم العصور ، يلاحظ أن سكان هذه البلاد قد واكبوا التطور الحضارى تدريجياً منذ العصر الحجرى القديم إلى مرحلة الاستقرار والزراعة وما نجم عن ذلك من تطور حضارى على المستويين المحلى والخارجى ، حيث استغلوا مهارتهم فى الاستفادة

من طاقات أرضهم ، فزرعوا المزارع ، وأقاموا القرى والمدن ، وصنعوا الأدوات اللازمة لحياتهم اليومية ، وعبروا عن مفاهيمهم الفكرية والمادية من خلال الرسوم والنقوش والتماثيل ، كما أخذوا يتطلعون إلى خارج بلادهم ، فركبوا البحار واتصلوا بغيرهم من الشعوب القريبة منهم والبعيدة حيث أقاموا معها أوثق الصلات التجارية والثقافية ، فأثروا فيها وتأثروا بها ، فتمخض عن ذلك كله ميلاد حضارتين عريقتين هما : حضارة دلمون وحضارة الجرهاء . وإذا كانت المعلومات المتوفرة حالياً عن هاتين الحضارتين قليلة وقاصرة تتمثل فيما توحى به الآثار التى تم اكتشافها فى مواقع متعددة من هجر ، وكذلك ما أوحت به النصوص الأثرية فى ثقافة وادى الرافدين ، إذا كان علمنا لايتعدى ماجاء فى هذين المصدرين فحسب ، فإننا لانشك بأن هناك دواع أدت إلى ضياع أهم مصادر حضارة هذه البلاد ولعل أهم تلك الأسباب :-

أولا : زحف الرمال المتحركة بفعل الرياح العاتية التى كثيراً ماتسببت فى دفن عدد من القرى والمدن ، حيث اضطر أهلها إلى التحول عنها بما خف حمله وغلا ثمنه من الأموال والأمتعة .

ثانيا : أن سكان هذه البلاد ربما دونوا معارفهم ونتاجهم الحضارى على مواد سريعة التلف وأن حرارة الجو وتشبع بعض الأراضى بالمياه قد تسبب فى إتلاف تلك المادة ، وهو ماأشار إليه بعض الباحثين .

ثالثا : إن إعادة البناء والعمران فى الموضع الواحد يؤدى إلى تعرض محتوياته للنهب والسرقة ، وقد دل المسح الأثرى فى الأحساء على أن عدداً كبيراً من المقابر والرجم قد تعرضت للنهب والسلب .

رابعا : إن عمل هواة جمع الآثار من موظفى أرامكو وغيرهم قد أدى إلى إتلاف وضياع الكثير من الآثار القيمة ، وأدلة الاستيطان ، لأن ممارستهم لهذه الهواية عشوائية ، وغير منظمة تنظيماً علمياً ، فبدت بعض المواقع الأثرية من جراء ذلك فى الأحساء ، وكأنها قد كنست بمكنسة ضخمة على حد ما جاء فى تقرير المسح الأولي لمنطقة الأحساء .

خامساً : إن تعرض هذه البلاد فى مختلف الأزمنة السابقة إلى العديد من هجمات الحكومات الأقوى المجاورة فى وادى الرافدين ، وبلاد فارس ، قد أدى إلى إتلاف وتدمير العديد من المعالم الأثرية بها . هذا ولايزال القيام بتنقيب أثرى جاد فى منطقة الأحساء يمثل أحد خيوط الأمل المرجو فى إزاحة الستار عن الصفحات المطوية من تاريخ هذه البلاد منذ الأزمنة المبكرة .

﴿ الفصـــل الرابـــع ﴾

الحضـــــارات القديمـــــة

دلمـــون
الحضـــارة الدلمـــونية

بعد حل رموز الكتابة المسمارية القديمة ، وقراءة الكم الهائل من ألواحها لفت انتباه العلماء أسماء مواضع تصلها بحضارة وادى الرافدين وشائج اقتصادية ، وثقافية ، ودينية ، وسياسية هامة ، وتقع هذه المواضع وهى : دلمون ، ومجان ، وملوخا فيما تسميه تلك المصادر «البحر الجنوبى - البحر الأدنى - البحر التحتانى - البحر المُر - البحر الذى تشرق منه الشمس» وقد أكد الباحثون على أن المراد بذلك هو الخليج العربى .

وقد لاحظ بعض الباحثين ماتضفيه بعض هذه النصوص على دلمون من صبغة دينية مقدسة ، ومايوجد بها من آلهة كان يتعبد لها أهل العراق . ومن هنا بدأ عدد من الباحثين يهتم بالبحث عن تحديد مواضع هذه الأماكن ، وبدلمون على وجه الخصوص ، فشرعوا فى البحث عنها على طول سواحل الجزيرة العربية الواقعة على الخليج (١) وفى جزره القريبة والبعيدة ، فبدأوا بالمسح الأثرى للمنطقة ، وقد أسفرت تنقيبات البعثة الدانمركية بمساعدة الدكتور «جيفرى بيبى» وكذلك جهود الدكتور «بيتر كورموال» عن تعيين موقع دلمون على الساحل الشرقى للجزيرة العربية ، والجزر المقابلة له ، حيث تمثل هذه الجزر دلمون العاصمة .

أما مجان وملوخا فيستشف من أقوال الباحثين أن مدلولهما يختلف من حقبة زمنية إلى أخرى والمختصون فى تاريخ الآشوريين ولغتهم متفقون فى الوقت الحاضر على أن معنى كل من ملوخا ومجان هما : العلوي والسفلي ، كما يعبر عن مصر بمصر السفلى ، ومصر العليا ، أو وصفهما معاً بلغة ثنائية باسم واحد ، وعلى هذا الاعتبار كانت توجد ملوخا : ومجان غربية ، وأخرى شرقية كمينائين فى الخليج ، وقد كانتا مجاورتين للبحرين . وقد بحث «هنكلر» عن موضع مجان ، ويقع فى رأيه فى الأقسام الشرقية من جزيرة العرب ، كما ينبه على اقتران اسم ملوخا باسم مجان ، وهما فى رأيه اصطلاحان يقصد بهما فى البابلية بلاد العرب ، ويراد بمجان القسم الشرقى من جزيرتهم من أرض بابل إلى الجنوب . وأما ملوخا : فيراد بها القسم الشرقى من جزيرة العرب ، وتشير النصوص التى اكتشفت فى مدينة أور إلى طريق كانت تسلكه القوافل القادمة من سوسه إلى مجان مما يبعث على الظن فى أن أرض مجان وملوخا المذكورتين فى نصوص الألف الأول قبل الميلاد أنهما تقعان على الخليج .

وأما «هومل» فيرى أن مجان فى الأقسام الشرقية من جزيرة العرب ، وأن ملوخا تقع فى غرب

---

(١) - لجنة تدوين تاريخ قطر ص ٥٩

جزيرة العرب ، أو فـى القسم الشمالى منها . وذهب «جيسمن»(١) إلى احتمال وقوع مجان على مقربة من ساحل الخليج فى موضع فى الرمال جنوب يبرين يعرف باسم مجيمنه ، وهو كما يلاحظ قريب من مجان ، ومما تجدر الإشارة إليه أنه يوجد جنوب قطر شرقاً موضع لايزال يعرف باسم المجان (٢) أو مجان ، أو نيجان ، وتحده منطقة السبخة الواسعة المعروفة باسم «ماتى» وقد أشار «فليبى» إلى وجود أطلال أثرية بتلك المنطقة على اعتبار أنها قريبة من وادى سبها أوسبهان . وتبين الخرائط الحديثه لهذه المنطقة خشوم المجان ، وبطن المجان كمكان مرتفع ، ومكان منخفض فى مجان ، هذا فضلاً عن المجان التى تطلق على المنطقة نفسها ، ومن ملاحظة إطلاق اسم مجان على هذا الموضع يمكن القول أنه يمثل جزءاً من مكان أوسع فى شرق الجزيرة . ، كان يحمل اسم مجان فى يوم ما ، قد يكون هذا الاسم كل الأحساء وغمان ، أو إحداهما ، فهو فى جميع الأحوال يثبت ماذهب إليه بعض الباحثين من كون مجان وملوخا فى موضع على الساحل الشرقى لجزيرة العرب وقد مال إلى هذا الرأى عدد من الباحثين فيهم «أوليرى» (٣) وتقع ملوخا فى رأيه فى غمان جنوب الأحساء ، مستدلاً على ذلك بنص دُون فى عهد «سرجون» فيما بين ٧٢٢ - ٧٥٥ ق . م جاء فيه أن مملكته بلغت مسيرة ١٢٠ بيرو أى ١٢٠٠ ميل من مصب نهر الفرات من ملوخا على ساحل الخليج ، وأن موضع دلمون يقَع على بعد ٣٠ بيرو أى ٣٠٠ ميل من رأس الخليج ، فيجب أن يكون موضع ملوخا بعد موضع دلمون ، ولما كان موضع دلمون هو تيلوس فى رأى العلماء أى البحرين ، فإذن تكون أرض مجان وملوخا فى العرض وفى المواضع المذكورة ، ولقياس المسافة بين جزيرة البحرين ، ورأس الخليج قام «بيتر كورموال» (٤) برحلة بين الموضعين بواسطة الملاحة التقليدية القديمة ، فأثبت بالتجربة العملية أن المسافة بين رأس الخليج ، وجزيرة البحرين مطابقة لما جاء فى النص المدون من أيام سرجون والمؤرخ فيما بين ٧٢٢ - ٧٥٥ ق . م على اعتبار أن المراكب الشراعية القديمة تقطع فى الساعة خمسة أميال ، وبما أن البيرو ساعة مزدوجة أى ساعتين ، فهو يساوى عشرة أميال ، وبذلك تكون المسافة بين جزيرة البحرين ورأس الخليج ٣٠ بيرو أى ٣٠٠ ميل تقطعها المراكب فى خمسة أيام .

وفى ضوء ماأوردناه للعلماء من آراء فى تحديد مواقع دلمون ومجان وملوخا يمكن القول بأن مجان وملوخا كانتا فى إحدى فترات التاريخ تطلقان على مواضع فى شرق الجزيرة العربية

---

(١) - د / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - جـ ١ ص ٥٥٨

(٢) - الأطلال : العدد السادس ص ١٠٠

(٣) - د / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - جـ١ ص ٥٦٠

(٤) - لجنة تدوين تاريخ قطر جـ١ ص ٦٢

ولم يزل مدلولهما فى تغير بين اتساع وانحسار ، حتى اقتصر اسم مجان على عُمان ومواضع فى هجر . وبالنسبة لملوخا فربما أصبح اسماً لعُمان ، أو لموضع آخر فى جزيرة العرب ، وقد اشتهر هذا المكان بوجود الذهب فيه وبالخشب الثمين .

أما دلمون : فقد كاد إجماع العلماء ينعقد على أن المراد بها جزيرة البحرين ، والساحل الغربى للخليج ، وذلك لانطباق الأوصاف الواردة لدلمون فى كتابات حضارة بلاد الرافدين على هذه المنطقة ، فقد نصت تلك الكتابات على أن دلمون التى عرفها سكان العراق القديم ، وأقاموا معها أوثق الصلات التجارية والسياسية والثقافية والروحية هى :

اولا : جزيرة تقع فى وسط البحر السفلي - البحر المُر - البحر الذى تشرق منه الشمس . ومن الثابت لدى الباحثين أن النصوص السومرية والآشورية قد أطلقت هذه الأسماء على الخليج العربى .

ثانياً : ذكرت النصوص أن دلمون تقع على بعد ٣٠ بيرو أى مايساوى ٣٠٠ ميل من رأس الخليج وهى نفس المسافة التى تفصل جزر البحرين عن ذلك الموضع .

ثالثاً : تؤكد النصوص أن دلمون كانت مركزاً تجارياً هاماً يزود أسواق العراق بالعديد من السلع ، ومنها التمور واللؤلؤ ، ومن المعلوم أن هاتين السلعتين كانتا إلى عهد قريب تمثلان عصب الحياة الاقتصادية فى الأحساء وجزر البحرين .

رابعاً : وصفت النصوص أرض دلمون بكونها أرض النظافة والطهارة ، كما وصفتها بغزارة الماء وظاهرة تقديسه ، وغني عن البيان أن هجر «البحرين» من أغنى البلاد بالمياه النقية العذبة ، حيث تنتشر العيون ، والينابيع فى واحاتها ، وفى قاع الخليج ذاته ، كما كان للماء فى نظر سكان هذه البلاد إبان تلك العصور ضرباً من القدسية ، يؤكد ذلك المكانة التى يتبوؤها «إنكى» إله المياه العذبة فى ثقافتهم ، علاوة على تواجد الآبار المقدسة فى معابدهم كتلك التى تم اكتشافها فى معبد باربار بجزيرة البحرين .

خامسا : إن موقع هجر فى ملتقى الطرق التجارية البرية منها والبحرية ، وكثرة موانئها وماعرفت به من نشاط تجارى ، وقربها من العراق ، أمور تحتم قيام صلات وثيقة بين القطرين كتلك التى تحدثت عنها نصوص ثقافة العراق عن دلمون .

هذه العوامل مجتمعة هى التى حملت الباحثين على الاعتقاد بأن دلمون الوارد ذكرها فى نصوص حضارة بلاد الرافدين إنما يراد بها جزيرة البحرين والساحل الغربى للخليج ،

ولم يشذ عن ذلك الإجماع سوى الأستاذ صمويل كريمر[1] فقد جاءت آراؤه حول تحديد موقع دلمون مضطربة ومتباينة ، فقد اعتبرها أولاً البحرين مع احتمال أنها كانت تضم منطقة فى باكستان والهند ، ثم زعم أنها لابد أن تكون فى وادى السند وذلك تأسيسا على ماجاء فى نصوص ثقافة العراق من وصف دلمون بالنظافة ، والطهر ، وغزارة المياه ، والنشاط التجارى وهى أوصاف تنطبق على المواقع الأثرية بوادى السند ، حيث تكثر فيها الينابيع والحمامات علاوة على وجود الموانىء التجارية هناك .

بيد أن كريمر لم يلبث حتى نادى برأى آخر مفاده : أن دلمون تقع جنوب شرق إيران فى الساحل الشرقى للخليج ، مستنداً على ماجاء فى أسطورة الطوفان من كون دلمون تقع إلى الشرق فى بلاد سومر ، فهو يستصعب أن يخفى أمر موقع البحرين على السومريين مع قربها من بلادهم ، ووقوعها إلى الجنوب منها ، بحيث يعتبرونها فى ناحية الشرق ، كما أن دلمون وُصفت فى النصوص الأثرية العراقية بأرض الأرز ، وقد استبعد كريمر أن تكون أرض البحرين غنية بالأرز ، وزعم أن بعض الباحثين قد أشكلت عليهم قراءة كلمة إيرين Erin التى تعنى أرزا فقرؤوها على أنها جسمار Gisimmer التى تعنى شجرة النخيل للتشابه بين الكلمتين ، مما حملهم على اعتبار دلمون هى جزيرة البحرين .

بيد أن هذه الآراء رغم ما لصاحبها من وزن راجح فى البحث فى حضارة العراق القديم ، فإنها لاتستطيع الصمود أمام الحقيقة الثابته ، والمدعمه بالأدلة المتعددة ، وذلك لأن رأيه الأول يمكن الرد عليه بما تقدمت الإشارة إليه من السمات التى تميزت بها منطقة البحرين من وفرة المياه وكثرة الموانىء ، والصلات التجارية بينها وبين بلاد الرافدين .

وأما الرأى الثانى فلا يظل قائماً إذا وضعنا فى الاعتبار أن الخليج كان يقع فى نظر السومريين إلى الشرق من بلادهم ، وهذا واضح فيما ذكره سرجون الأكدى حيث قال إنه عبر البحر إلى الشرق .

أما فيما يتعلق بالعلامتين السومريتين فيمكن القول : أن الأرز كان يزرع فعلاً فى هذه المنطقة على نطاق واسع ، وقد كان إلى عهد قريب يشكل أهم المحاصيل الزراعية فى الأحساء بعد التمور . ومن هنا نخلص إلى القول بأن جميع السمات الخاصة بدلمون تنطبق على المنطقة التى تشمل الساحل الشرقى للجزيرة العربية ، والجزر التابعة له من الخليج ، ويؤكد ذلك التشابه الكبير فى الآثار التى تم العثور عليها فى المستوطنات الأثرية بجزر البحرين وفيلكا وتاروت والظهران وواحة الأحساء وقطر ، ومن أهم تلك الآثار الأختام الدائرية والأوانى

---

(١) - د / سليمان البدر : تاريخ الشرق الأدنى القديم فى الألفين الثانى والأول ق.م ص ١٥ ، ١٦

الخزفية ، والحجرية ، والمنشآت العمرانية ، والمدافن ، والأساليب المتبعة فى الدفن ، فقد جاء عن «بيتر كروموال» وهو بصدد الحديث عن مقابر الظهران مامل‍خصه : أن ثمة آثار لبناء حجرى مدور عظيم ، تعلو سطوح منحدراته الخارجية آلاف المدافن ، من النمط الذى يرجع إلى العصر البرونزى الذى سبق ذكر وجوده فى جزيرة البحرين ، فكل مدفن له رصيف وجدران تحيط بأطرافه بطول ٦٠ قدماً ، وتتجه إلى الشمال ، وهى تزدحم فى بعض الأماكن ، وتتقارب فتكون أشبه بمدينة الأموات ويذكر أنه بعد أشهر قضاها فى الحفر ، وعدة سنوات أمضاها فى البحث والاستقصاء خرج بحقيقة مفادها أن أصحاب تلك المقابر هم الدلمونيون ، وأن ملكهم كان يحكم الأحساء وجزر البحرين معاً .

ويأتى دور التنقيب الأثرى المنظم فى هذه المدافن ، والمواقع الأثرية الأخرى شرق الجزيرة ليؤكد شمولية الحضارة الدلمونية لتلك الأجزاء من أراضى شرق الجزيرة العربية ، والجزر المقابلة لها ، فعلاوة على مايلاحظه الباحثون من تشابه كبير بين المدافن التى أنشئت فى أماكن مرتفعة لكل من الظهران (١) وجزيرة البحرين أسفرت حفريات الظهران عن تماثل تام مع ما تم اكتشافه فى البحرين على مدى عصور فترة الحضارة الدلمونية ، وقد عثر فى الموقع الأثرى بجنوب الظهران على عناصر حضارية لها شبه كبير بالعناصر الحضارية التى تم اكتشافها فى المدينة الثالثة بقلعة البحرين المعاصرة للكاشيين فى الفترة من ٢٠٠٠ - ١٠٠٠ ق.م ، كما عثر فى المواقع الأثرية بجزيرة تاروت على مقتنيات أثرية تشابه تلك التى تم اكتشافها فى المدينتين الأولى والثانية بقلعة البحرين ، وهى فترة دلمون المبكرة ، والمعاصرة لحضارة الوركاء والأكاديين فى الفترة من ٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م .

وإذا كانت المؤشرات الأثرية قد أوضحت بجلاء أن دلمون تشمل الساحل الشرقى للجزيرة العربية وجزر البحرين ، فإن هذه الجزر على وجه الخصوص تعتبر العاصمة التجارية والدينية لدلمون ، حيث تم العثور هناك على آثار حضارة الدلمونيين .

سكان دلمون :

عندما أصبحت الحضارة الدلمونية من القضايا المسلم بها عند العلماء ، حاول بعض الباحثين التعرف على الشعب الذى صنع تلك الحضارة ، فخلصوا إلى القول أن ذلك الشعب كان يعرف فى الكتابات السومرية باسم ألك دلمون (٢) وقد توارى ذلك الشعب تحت ثرى تلك التلال والآكام

---

(١) الأستاذ / على صالح المغنم : بحث عن أختام منطقة الخليج العربى وجنوب الظهران مقدم إلى المؤتمر العالمى الثامن عن آثار جنوب آسيا المنعقد فى متحف موسكار بمدينة أرهوس فى ٥ يوليو سنة ١٩٨٥م

(٢) - لجنة تدوين تاريخ قطر جـ١ ص ٦٢

المنتشرة بين مساكن قرية «عالى» ، وعلى امتداد سطح الجزيرة وفى الظهران وتاروت وعشرات المواضع الأثرية فى الأحساء ، وقد كشف البحث والتنقيب عن آثار ذلك الشعب فعثر على عاصمته بالقرب من قلعة البحرين . وعلى معابده فى قرية « باربار» بالبحرين أيضاً وفى فيلكا بالكويت وجزيرة «تاروت» الواقعة فى القطيف .

ورغم أن أعمال التنقيب لم تجر إلا فى نسبة محدودة جداً فى جزيرة البحرين ، وأقل من ذلك فى شرق الجزيرة العربية ، فإن نتائج هذا التنقيب أكدت بما لايدع مجالاً للشك أن هذه الأراضى كانت مهد حضارة دلمون ، وذلك من خلال اكتشاف القبور المقببة ، وقد ضمت فى أحشائها الكثير من الأشياء ، كالتماثيل والأوانى الخزفية والأختام الدائرية وكذلك ماعثر عليه فى المواقع الأثرية المتعددة من رسوم مدن تضم قرى وشوارع ومعابد ودوراً وقبوراً وقلاعاً تؤيد ماذهب إليه الباحثون من أن حضارة راقية سادت هذه الأراضى منذ العصر البرونزى هى حضارة دلمون ، ونظراً لخلو تلك الآثار من الكتابات التى تحدد هوية الأقوام التى صنعت تلك الحضارة ، فقد خرج عدد من الباحثين ببعض الاجتهادات ، معتمدين على مقارنة المدافن والنقوش بما سواها فى الحضارات الأخرى ، وكذلك على ماورد من إشارات إلى الاقوام التى كانت تعمر هذه المنطقة ، فخلص بعضهم إلى القول بأن سكان هجر «البحرين» إبان تلك الفترة هم من الفينيقيين ، وأن ثلاثا من المقابر التى عثر عليها فى جزيرة أوال مقابر فينيقية لأن الخطة التى بنيت عليها تلك المقابر تشابه مقابر الفينيقيين فى فينيقيا إلى غير ذلك من القرائن التى تؤكد هذه الحقيقة ، فكثير من المتخصصين فى التاريخ القديم يرون أن أصل الفينيقيين كان من شرق الجزيرة العربية ، وهم فى نظر المؤرخين ينتسبون إلى الأقوام السامية التى ينسب إليها معظم سكان العراق ، وسائر أراضى الهلال الخصيب ، كالسومريين ومن تلاهم من الأقوام . واستناداً إلى النقوش الكتابية التى وجدها الكابتن « الآن سير » أى . إل . « دوراند » على الحجر الأسود المكتشف فى البحرين جزم « لورلنسون » بأن القبيلة (١) التى استوطنت جزيرة أوال وماجاورها هى قبيلة عقير ، وهذا الاسم كما هو معروف من أشهر المواضع الساحلية فى الأحساء ، كما لم يستبعد بعض الباحثين أن جماعة من وادى الأندوس قد استوطنت جزيرة البحرين ، وأقامت بها منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

وفيما يتصل باللغة التى تحدث بها الدلمونيون ، ساد الاعتقاد أنهم ربما نطقوا بلغة شعب سومر أوبما يشابهها ، كما أصبح وجود شىء من الشبه بين لغة الدلمونيين ، ولغة أهل وادى الأندوس من الاحتمالات الواردة ، وقد سبقت الإشارة إلى أن أهل دلمون قد استعملوا

---

(١) الوثيقة : العدد الثالث - رمضان ١٤٠٣ هـ - يوليو ١٩٨٣م ص ١٥٣

بجانب الكتابة المدمجة الخاصة بهم نوعين من الكتابة السومرية هما : الكتابة التصويرية والكتابة المسمارية ، كما استعملوا شيئاً من كتابة وادى الأندوس ، وفى النقوش والأختام التى تم العثور عليها فى جزيرة البحرين وجزيرة فيلكا والمواقع الأثرية الأخرى العديد من النماذج للكتابات السالفة الذكر .

الثقافة الدلمونية وأساليب الحياة فى دلمون من خلال الأختام الدائرية :

استطاع الباحثون التعرف من خلال الأختام الدائرية على العديد من جوانب الحضارة الدلمونية ، وثقافتها ، وأنماط الحياة فيها ومن ذلك .

أ- الفلك : فى ميدان العلوم الفلكية أظهرت الأختام مايربو على ٤١ رمزاً فلكياً يرتبط أكثرها بآلهة الشمس والحب والأرض ، بيد أن غالبيتها يتعلق بإله الشمس «أوتو» ذلك لأن إله الشمس يتبوأ مكانة متميزة فى أساطير ورموز دلمون ، وقد استخدم الدكتور على أكبر بوشهرى (١)فى بحث أعده حول معارف الدلمونيين فى علم الفلك الأثرى خمسة من الرموز أوردها على سبيل المثال كدليل على تواجد المعلومات الأثرية لدى دلمون ، وقد اختار هذه الرموز لتشابهها مع نظائرها فى الثقافات الأخرى ، ومن تلك الرموز الحلزونيات (المتقاطعات) بالممسات لدى زواياها ، وكذلك السماء والأرض ، وقد استخدمت هذه الرموز لدى ثقافات أمم متعددة ولوظائف متنوعة جميعها لها علاقة بالفلك والشمس والقوى الخفية والأرواح ذات الارتباط بالماء والمطر والخصب .

وينبه الدكتور بوشهرى على أن معرفة مدى مالدى سكان بلاد الرافدين من ثقافة فلكية ومقارنة رموز دلمون الفلكية برموز هذه الثقافة سيساعد كثيراً على معرفة مقدار حظ الدلمونيين من المعلومات فى هذا المجال ، علاوة على دراسة الرموز المشابهة لرموز الدلمونيين فى الحضارات الأخرى بمصر والموهنجودار فى باكستان .

ب - الأزيــاء : فى إطار الأزياء وتسريحات الشعر أعد بوشهرى عن أزياء دلمون بحثاً أتى فيه على تحديد خمسة أزياء لأهل دلمون هى :

١ - زى سومرى قديم : وهو عبارة عن رداء من الصوف الغليظ ، يتكون من ثلاث أو أربع طبقات ، يرتديه الرجل ، حيث يغطى أسفل الجسم دون الكتف .

٢ - زى عادى من الصوف : يتكون من ثلاث طبقات ، يرتديه الرجال والنساء على الطريقة السومرية .

٣ - قبعة طويلة تتخذ شكلاً مخروطياً كلما اتجهت إلى الأعلى وتسمى : قبعة المثلث المقدس لشبهها بقبعة إله الشمس أوتو .

---

(١)- الوثيقة : العدد الأول - رمضان ١٤٠٢ هـ - يوليو ١٩٨٢م ص ١٩٥

٤ – قبعة من أصل بابلى تسمى : قبعة الملك لأن استعمالها مقصور على رجال المناصب العليا والآلهة على حد زعمهم .
٥ – قبعة جلجامش : وعثر عليها فى ثلاثة أختام .
٦ – قبعة كوديا آخر ملوك السومريين وهى : تشبه العمامه المستعملة لدى علماء الدين الإسلامى .
٧ – زى اللباس المعروف بالإيزار : وقد ظهرت صورته على ختم واحد ، وهو على مايعتقد من أصل سومرى .

جـ – تسريحات الشعر :(١)

أظهرت الأختام أنماطا من تسريحات الشعر المتبعة لدى الدلمونيين سواء مايتصل منها باللحية أو شعر الرأس ، فقد عثر على نقش فى ٢٤ ختما تبدو فيه اللحية طويلة ، خفيفة ، مثلثة الشكل ويخف عرضها عند إرسالها إلى أسفل ، ومن المعلوم أن استرسال الشعر من الأساليب المتبعة لدى السومريين ، والأكاديين ، وقد استعمله منهم سرجون الأكدى الكبير .

أما نمط الشعر الذى كان شائعاً فى دلمون : فهو شعر طويل مخروط ملموم فى خصلات تشبه الضفيرة : تلف حول الرأس ، وهذا النمط من أصل سومرى ، ثم أكادى ، كما كان حلق الشعر من الأساليب المتبعة فى دلمون ، وبخاصة مع استعمال العمامة .

د – صناعة السفن : (٢)

وفى مضمار صناعة السفن أظهرت النقوش على الأختام صوراً لثلاثة نماذج .

النموذج الأول : وجد على ختم واحد وهو صورة سفينة مصنوعة من القصب ، لها رأسان ويطفو جزء كبير منها ، ولها سارى فى الوسط ، ودفة فى طرفها ، وليس بها أربطة ، وقد وجدت فى نقش يعود تاريخه إلى الألف الثالث ق.م .

النموذج الثانى : شكل سفينة على طراز السفينة السابقة ، بيد أنها مصنوعة من الخشب وبها نقش لطائرين ، وسارية قائمة فى المؤخرة ، يمر بها حبل متجه إلى رأس السارية الرئيسية وقد ظهرت على ختم يرجع تاريخه إلى الألف الثالث ق.م .

النموذج الثالث : صورة لسفينة يعتقد أنها مصنوعة من جريد النخل بعد تجريده من الخوص

---

(١) الوثيقة : العدد الأول – رمضان ١٤٠٢ هـ – يوليو ١٩٨٢ م ص ١٩٩
(٢) الوثيقة : العدد السابع – شوال ١٤٠٥ هـ – يوليو ١٩٨٥ م من ص ١٩٨ – ٢٠٠

وهذه السفن البدائية لها مقدمة ومؤخرة وعمودان يحملان شعارا يشبه رأس الحيوان ، وحبال السفينة تدل على أنها مصنوعة من رزم القصب أو جريد النخيل . وهذه الأنواع من السفن لاتزال معروفة فى جزر البحرين ، وبعض المناطق المجاورة .

هـ - الآلات الموسيقية :[1]

تأتى رسوم الآلات الموسيقية الدلمونية على الأختام لتضيف بعدا حضاريا جديدا لما بلغه المجتمع الدلمونى فى مضمار التحضر والمدنية ، وقد لاحظ الباحثون ثلاثة أنواع من الآلات الموسيقية فى مجموعة من النقوش على الأختام ، وهى تظهر الآلات الموسيقية ، والموسيقيين وهم فى حالة استرخاء ، بجانب بعض من الحيوانات الأليفة كالغزال والعجل وهذه الآلات هى :

١ - المزمار : وهو آلة موسيقية مكونة من أنبوبة ينفخ فيها ، وتعرف بمزمار القربة ، وكان لدى الدلمونيين من المزامير ثلاثة أشكال تكررت نقوشها ١٥ مرة فى ١٢ ختما .

٢ - الكنارة : وهى من الآلات الموسيقية الوترية ، يعزف عليها بريشة من العاج ، أو الخشب المصقول ، أو بالأصابع ، وهى مجوفة تتكون من ثلاثة أجزاء هى : صندوق الموسيقى ويتخذ شكل إناء ، وذراعان أماميان .

٣ - الجك : وهذه الآلة مصنوعة على شكل حرف ، (واو) له ذراع واحدة تتجه إلى الأعلى ، ويعزف عليه بالأصابع .

ويعتقد أن مصدر هذه الآلات بلاد الرافدين . هذا إلى جانب ما أظهرته نقوش الأختام من العادات والأساليب المتبعة فى العبادات آنذاك ، فقد حملت بعض الأختام صور أشخاص يقدمون القرابين فى المعبد ، كما ظهر على أختام أخرى صور لرجل وامرأة يشربان من جرة واحدة ، مما يشير إلى قوة الرابطة الأسرية فى المجتمع ، وقد يكون فى ذلك تعبير عن وحدة المصير المشترك بينهما .

ومما تقدم يمكن القول أن المجتمع الدلمونى قد حقق قدراً كبيرا من التقدم والرقى فى مضمار الحضارة والمدنية ، وذلك بفضل استثماره الواعى لما خصت به العناية الإلهية وطنه من ثروة طبيعية ، وموقع إستراتيجى هام ، مكنه من إقامة أفضل الصلات الثقافية والفكرية والاقتصادية مع الحضارات الأخرى ، وإن بدا أن صلته بحضارة بلاد الرافدين ووادى الأندوس أكثر وضوحا ، وذلك للدور الذى لعبته إمارات الخليج ، وفى مقدمتها دلمون ومجان وملوخا من دور هام فى الوساطة التجارية بين مراكز الحضارات فى الشرق الأدنى القديم ، وبخاصة بين وادى الأندوس والعراق القديم . الأمر الذى حمل حكومات العراق على إقامة أوثق الصلات بين بلادهم وتلك الإمارات .

---

(١) الوثيقة : العدد الثانى - السنة الأولى - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ يناير ١٩٨٣م ص ١٢٦

العلاقات الدلمونية العراقية :

نظراً للدور الحيوى الذى تضطلع به دلمون ومجان وملوخا فى تزويد الحياة الاقتصادية فى العراق بكل مايلزم لنموها وازدهارها من السلع والمواد الأساسية ، فقد دأب ملوك بلاد الرافدين على توثيق الروابط بين بلادهم وبين تلك الإمارات . بيد أن تلك الصلات تتخذ أحياناً طابعاً ودياً أساسه المصلحة المشتركة والمنفعة المتبادلة . بينما تتخذ فى أوقات أخرى نهجا عدوانياً يتمثل فى الغارات والحملات التى يشنها حكام العراق القديم على الممالك المجاورة لهم بما فيها إمارات الخليج . فقد جاء فى وثائق الألف الثالث ق . م أن الملك «لوجال راجيزى» قد أخضع بالقوة لحكمه جميع الملوك من البحر السفلى إلى البحر العلوى(١)

كما قام الملك سرجون الأكدى بعبور البحر باتجاه الشرق ، وبسط سيطرته على الأقطار الممتدة من البحر العلوى إلى البحر السفلى ، واستولى على دلمون ، وحمل الغنائم إلى بلاده ، كما أن «مانشيتوسو» حفيد سرجون قد عبر البحر السفلى ، واصطدم بعدد من الملوك تجمعوا لمقاومته فهزمهم .

وتتحدث النصوص أن الملك «نارام سن» اتجه لمحاربة ملك مجان وهزمه ، وألقى القبض عليه كما حارب عدة ممالك فيما بين الخليج والبحر الأبيض المتوسط ، وقد تمخضت تلك الحملات عن نجاح ملوك بلاد الرافدين فى فرض السيطرة على الأقطار الغنية بالمواد الأساسية اللازمة للحركة الصناعية والتجارية فى العراق ، وكذلك السيطرة على الطرق التى يتم عبرها نقل تلك الثروات .

أما الألف الثانى ق . م فقد اتخذت العلاقات بين العراق وإمارات الخليج طابعاً ودياً صرفاً يقوم على المصلحة المشتركة فى مجال التجارة ، ويتجلى ذلك بوضوح فى كتابات جوديا وأونامو ، وأبى سن ، وفى وثائق أور الثالثة ، وبخاصة فى عهد الملك أبى سن ، حيث نشطت حركة التصدير والاستيراد بين العراق ودلمون ومجان وملوخا .

ويعلل الدكتور سليمان سعدون البدر الأسباب الكامنة وراء تضاؤل الأعمال الحربية فى تلك الفترة بدخول عصرها الذهبى لاستكمال قوتها ، وبسط سيطرتها على الخليج وجزره حتى الساحل الشرقى ، حيث كان لها السيادة على هذا الطريق التجارى الهام ، والإشراف على السفن المارة عبره ، وجباية الرسوم والإتاوات منها ، كما أصبحت دلمون آنذاك محطة تجارية هامة تستقبل البضائع من مجان وملوخا ، ثم تستأنف تصديرها مع منتجاتها المحلية إلى العراق

---

(١) - د سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول ق.م ص ١٣٠ - ١٣٥

والبلاد الأخرى حيث امتد نشاطها التجارى إلى مارى عبر أراضى بلاد الرافدين ، وإلى سوسة عاصمة عيلام ، كما تدل على ذلك وثائق أرشيف القصر الملكى فى مارى ، ووثيقة أمير سوسة كوترناخونتى ، وقد ساعد ذلك النشاط التجارى على تعميق الروابط وتوثيقها بين دلمون والعراق ، ويؤكد هذه الحقيقة ماتزخربه وثائق بلاد الرافدين خلال الألف الثانى ق.م من الدلائل على قيام العديد من الصلات التجارية والفكرية والثقافية والدينية بين القطرين فقد قام واردسن بتشييد معبد فى مدينة أور أطلق عليه اسم معبد دلمون ، كما كان التجار الدلمونيون يقدمون عشر دخولهم من التجارة للإله «ننجال» مما يدل على قيام صلات فكرية نجمت عن وجود الروابط الطيبة بين دلمون وأور ، وعمل رام سن على توثيق العلاقات التجارية بين بلاده وبين دلمون كما يتضح من رسالة بعث بها إلى أحد التجار البحرانيين وقد استمرت هذه الصلات التجارية حتى العصر الكاشى ، حيث تذكر وثائق هذا العصر أن دلمون قد زودت بلاد الرافدين بالعديد من السلع ، فى جملتها أنواع خاصة من التمور بالإضافة إلى الحبوب ، والذهب ، والفضة ، واللؤلؤ ، والعاج ، والنحاس ، والأخشاب ، والأثواب ، وأنواع مختلفة من الأحجار ، وكانت هذه المواد موزعة بين البيئات الثلاث . وهئ : بلاد الرافدين ، ومنطقة الخليج ، وبلاد السند ، مما حتم قيام علاقة تجارية وثيقة بين هذه المناطق ، لعبت فيها امارات الخليج دوراً بارزاً لاضطلاعها بمهام التصدير والاستيراد بين مراكز الإنتاج والتسويق فى تلك الأقطار .

وفى ظل هذا النشاط التجارى المتميز تضاءلت الأعمال الحربية فى الألف الثانى ق . م ويعزز هذا الاعتقاد كثرة النصوص التى أشارت إلى وجود مثل هذا النشاط .

أما ماجاء ضمن ألقاب «توكولتى نينوتامن» الآشورى من الزعم بأنه ملك دلمون وملوخا لايستند على أساس ، فهو لايعدو كونه مجرد لقب فخرى يضاف إلى اسم الملك ضمن الألقاب التى درج ملوك الرافدين على توارثها .

وكنتيجة لهذا النشاط التجارى المتميز بين مراكز الحضارة القديمة تطورت إمارات الخليج وقامت بدور حيوى فى إمداد بلاد الرافدين بالعناصر الأساسية التى ساعدت على تطور وازدهار الحضارة هناك ، إلا أنه بعد قيام الإمبراطورية الآشورية التى اعتمدت التوسع العسكرى أساساً لسياساتها فى أواخر الألف الثانى ق.م أخذ الضعف يتسلل إلى مملكة دلمون نتيجة للحملات العسكرية المتكررة التى شنها عليها ملوك تلك الامبراطورية ، فقد أشار نص آشورى للملك شلما نصر الثالث إلى غارة عسكرية قام بها على الكلدانيين ، حيث أخذ الجزية من بيت أياكين ، كما جاء فى كتابات سرجون الآشورى وخلفائه مايشير إلى تلك الهجمات المستمرة على إمارات الخليج ، ومن ذلك زحف سرجون على بيت أياكين على ساحل البحر

المُر حتى حدود دلمون ، كما فرض آسرحدون الجزية على كانايا ملك دلمون ، كما هاجم آشور بانيبال مجان وملوخا وبسط سيطرته على المنطقة الممتدة من البحر العلوى إلى البحر السفلى . ويبدو أن منطقة الخليج على مايرى الدكتور سليمان البدر قد فقدت أهميتها الاقتصادية فى مجال التجارة الدولية فى نطاق المنطقة بعد أن توسعت الامبراطورية الآشورية وأصبح اقتصاد بلاد الرافدين يعتمد أساساً على بلاد الأناضول وسوريا ولبنان ، كما اصبحت الطرق البرية الشمالية أكثر ملاءمة من طريق الخليج ، حيث تحول الخليج بالنسبة لبلاد الرافدين إلى منطقة نفوذ تحصل منه على المواد المتوفرة فى هذه المنطقة .

بيد أن دلمون لم تكن دائمة الإذعان للسيطرة الآشورية ، فقد كانت تحتفظ بكيانها المستقل وتحاول تعزيز قدراتها الذاتية ، وذلك حينما تكون حكومة العراق مشغولة عنها بإخماد الثورات المحلية ، أو الحروب مع جيرانها . الأمر الذى يفرض على تلك الحكومات إقامة الصلات الودية مع دلمون ، وسائر إمارات الخليج . ومن الإشارات الدالة على ذلك ماجاء فى رسالة الملك الآشورى «آشور بانيبال» إلى قائده «ببل - إبنى» حيث يذكر أنه استقبل « أى - أيدرو» سفير الملك «خوندارو» ملك دلمون .

ومما تقدم يستنتج الباحثون أن الكيان السياسى فى دلمون ظل قائما ولو نظرياً رغم امتداد النفوذ الآشورى مستدلين على ذلك إضافة إلى ماسبق بما جاء فى النصوص الآشورية من ذكر لملوك دلمون وهم :

١ - خوندارو المعاصر للملك شلما نصر الثالث من ٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م .

٢ - أوبيرى المعاصر للملك سيرجون الثانى من ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م .

٣ - كانايا المعاصر للملك آسرحدون من ٦٨٠ - ٦٦٩ ق . م .

أما فى العصر الكلدانى فقد أشارت المصادر إلى تجدد النشاط الحربى ضد إمارات الخليج ، بحيث أصبحت دلمون خاضعة للامبراطورية الكلدانية ، حيث قام الملك «نابونيد» بتعيين ممثل عنه فى حكمها .

بيد أن حكم الكلدانيين كان قصير الأمد ، فقد تم تصفيته على يد الدولة الفارسية الأكمينية .

ومهما يكن من شىء ، فإن الدور الذى قامت به دلمون فى إثراء الحضارة العراقية بكل أسباب النمو والازدهار قد انعكس بجلاء على الفكر الأدبى والدينى فى الحضارة هناك ، وليس أدل على ذلك من صفات التمجيد والإجلال التى أسبغتها على دلمون أساطير الثقافة السومرية وماتلاها من الثقافات فى وادى الرافدين ، ومنها على سبيل المثال أسطورة الفردوس

أو أسطورة أرض المشرق (١) التى تقع وراء الأفق البعيد ، وأسطورة الإله «إنكى» الذى اتجه إلى دلمون ليقضى بها حياة الخلود فى إثر نجاته من الطوفان الشهير ، وكيف سعى إليه «جلجامش» بطل السومريين ليحصل منه على سر الحياة ، ويتعلم منه أسرار الخلود فى دلمون فأفاده عن كيفية موته تحت قاع البحر الذى يمتزج بمياه عيون عذبة ، حيث توجد بداخل العيون زهرة بيضاء ، هى زهرة الخلود ، وأنه متى حصل عليها تحقق له الخلود الأبدى .
حينئذ بذل «جلجامش» كل مافى وسعه للحصول على تلك الزهرة إلى أن ظفر بها .
بيد أن الثعبان بادر إلى خطفها منه ، فكتب له حياة الخلود المتمثلة فى قدرته على تبديل جلده رمزاً لتجديد شبابه ، ولم تزل تلك الأساطير تسبغ على دلمون صفات القداسة والتعظيم حتى جعلت منها أرض السلامة والطهارة ، الأرض التى لاتعرف المرض ، ولا الشيب ، ولا الهرم ، الأرض التى لاينعب فيها غراب ، ولاترفع الطيور أصواتها بعضها فوق بعض ، والتى لاتفترس أسودها ، ولايأكل ذئب فيها حملاً ، أرض النظافة واليمن إلى غير ذلك من النعوت والأوصاف .

وقد ظل صدى تلك الأساطير يتردد فى ثقافة العراق القديم حتى بعد زوال دلمون بمئات السنين . فهذا نص بابلى يرجع تاريخه إلى سنة ١٣٧ ق. م يشير إلى أرض تقع فى القسم الشرقى من جزيرة العرب بين مجان وبيت «نيسانو» وتدعى تلك الأرض «برويسو» وتقابل هذه الكلمة بلديش Pildash وبردى parades بالعبرانية ، وفردوس فى العربية ، وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير بأن ما ورد عن جنة عدن فى التوراة إنما أريد به هذه المنطقة التى تقع فى القسم الشرقى من جزيرة العرب على سواحل الخليج(٢)

زوال دلمون :

فى ظل الظروف العصيبة التى مرت بها مملكة دلمون أخذ الضعف يدب فى أوصالها تدريجيا إلى أن منيت الحياة الاقتصادية فيها بالارتباك نتيجة لتكرار الحملات العسكرية عليها من ناحية ، وتعرض المناطق التى تغذى أسواقها بالمواد التجارية للاحتلال والأزمات السياسية من ناحية أخرى . فكان من جراء ذلك أن أخذت دلمون تفقد بالتدريج مقومات وجودها حتى أصيبت بالشلل التام ، وآلت إلى السقوط فى القرن الخامس ق . م ممهدة لقيام حضارة جديدة هى حضارة الجرهائيين ، وقد دلت نتائج الحفريات على أن حضارة دلمون مرت عبر تاريخها الطويل بثلاثة أدوار رئيسية هى : (٢)

---

(١) البحرين عبر التاريخ ص ١٧

(٢) لجنة تدوين تاريخ قطر جـ١ ص ٦٣

١ – دلمون الأولى وقد نشأت فيما بين ٢٦٠٠ – ١٩٠٠ ق . م .
٢ – دلمون الثانية فى الفترة مابين ١٩٠٠ – ١٢٠٠ ق . م .
٣ – دلمون الثالثة فى الفترة مابين ١٢٠٠ – ٥٠٠ ق . م .

وبالنظر لضآلة المساحة التى تم فيها الحفر والتنقيب عن آثار الثقافة الدلمونية فى البحرين ، والتى لم تتجاوز نسبة ١٪ فإن العلماء لايزالون ينتظرون بأمل العثور على بعض الكتابات والرموز التى تلقى المزيد من الضوء على الحقائق والمعلومات المتعلقة بدلمون .

ولتمييز هذه الحضارة عما سواها من الحضارات التى واكبتها ، وتفاعلت معها ، كحضارتى العراق ، ووادى الأندوس ، فقد تلمس العلماء السمات التى تنفرد بها الحضارة الدلمونية عما عداها من الحضارات الأخرى فخلصوا إلى نتائج أهمها :

أن الحضارة الدلمونية رغم تمازجها وتفاعلها مع سائر الحضارات القريبة منها والبعيدة ، وأن قيما مشتركة أمكن ملاحظتها بين حضارة دلمون وحضارات شعوب لايمكن تصور الاتصال المباشر بها . بالرغم من ذلك فإن لدلمون خصائص فى حضارتها ليس لها نظير فى مكان آخر ومن أهم هذه الخصائص :-

المدافن المقببة ، والأختام المستديرة ، والفخار الدلمونى المتميز بدقة صناعته وألوانه التى ليس لها نظير فى أماكن أخرى ، واتخاذ الغزال وشجرة النخيل شعاراً يميزها عن ماعداها من الحضارات .

الجرهاء والجرهائيون

انتهى عهد ديلمون وغارت تلك الحضارة الديلمونية فى أحشاء أراضى هجر لتظل ضمن ذخائرها تنتظر الباحثين والمنقبين ليزيحوا الستار عن حقيقتها وسمات شخصيتها من خلال ماسيجدونه من آثار فى المعابد والمقابر الخاصة بالديلمونيين ، وعلى أنقاض تلك الحضارة قامت حضارة الجرهاء التى ملأت شهرتها أسماع الدنيا القديمة لما كان يتمتع به أصحابها من غنى واسع وثراء عريض ، فقد بلغت هذه المنطقة آنذاك من الغنى والثراء حداً يضاهى ماتتمتع به الآن من شهرة فى هذا المجال . بيد أن مصدر تلك الثروة فى ذلك الزمان لم يكن الذهب الأسود بطبيعة الحال بل كان مصدره نهوض الجرهائيين بأعباء الوساطة العالمية فى التجارة والملاحة والنقل .

فقد كانت هجر «البحرين» على مر العصور تتبوأ مركز الصدارة فى هذا المضمار بفضل موقعها المتميز فى الإشراف على طرق التجارة البرية والبحرية بين أهم المراكز التجارية النشطة فى جنوب الجزيرة العربية ووادى الرافدين ، علاوة على مايتمتع به الجرهائيون من خبرة فائقة ونشاط عظيم فى سبر أغوار البحر وفهم أسراره والسيطرة على عبابه ثم الانتفاع من ذلك كله على أحسن صورة ، فقد اكتشفوا أهم مغاصات اللؤلؤ القريبة من سواحل بلادهم واستخرجوا منها أجوده ، كما عرفوا منافذ البحار وأكثر طرقها أمنا واستوعبوا أسرار الرياح الموسمية التى تكاد تشبه الساعة فى دقتها وانتظامها ، فصنعوا السفن الشراعية وركبوها وعبروا بها الخلجان والبحار فوصلوا إلى أعالى الفرات وشواطىء البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط واقتحموا المحيطات حتى وصلوا إلى الهند والصين ، فامتلكوا ناصية الملاحة ولعبوا دوراً بارزاً فى التبادل التجارى والنقل البحرى بين الأمم فحققوا من ذلك عائدات مالية ضخمة تمكن الجرهائيون بواسطتها من السيطرة على طرق التجارة البرية أيضاً حيث أصبح فى استطاعتهم أن يقدموا الأموال ويرسموا الجرايات لرجال العشائر التى تقع الطرق التجارية فى نطاق تهديدهم فيضمنوا بذلك ولاءهم ومساعدتهم فى تأمين سير القوافل ، ومن هنا ازدادت التجارة فى الجرهاء نمواً وازدهاراً وأصبحت هذه البلاد بمثابة وكالة تجارية عالمية وسوقاً ضخماً يعج بمختلف السلع الصادرة والواردة من تمور وعطور وبخور ولبان ومُر وعقاقير طبية وحديد ونحاس وأخشاب . ولانعدو الصواب فى اجتهادنا إذا افترضنا أن يكون مجتمع الجرهائيين قد أصبح محط آمال الباحثين عن الربح وطلاب الثراء ، فوفد على الجرهاء كثير من الراغبين فى الحصول على فرص العمل ومزاولة التجارة فانتعشت الزراعة لتغطية حاجة المجتمع المتنامى للمنتجات الزراعية كالتمور والحبوب والبقول

وألوان الخضروات والفاكهة والقطن ، كما انتعشت الحياة الصناعية وازدهر فى أراضى الجرهاء عدد من الصناعات من أهمها صناعة السفن فى جزر البحرين وسواحل الجبيل والعقير وقطر ، وصناعة المنسوجات القطنية والصوفية فى الهفوف والظهران وقطر ، وصناعة الأسلحة فى الخط ، وصناعة الأوانى المعدنية والفخارية ولوازم الفلاحة والحياة البرية والبحرية .

وصفوة القول أن نشاط الجرهائيين فى التجارة والملاحة والنقل البحرى تمخض عنه ميلاد وتطوير عدد من المراكز التجارية الواقعة على طول الساحل الممتد من البصرة شمالاً حتى عُمان جنوباً . بحيث أصبح كل من هذه المراكز فيما بعد مدينة قائمة بذاتها . فقد سجل بطليموس فى جغرافيته علاوة على مدينة الجرهاء مدينتين ساحليتين إحداهما «بليانة» وهى على مايرى شبرنجر تقع فى القطيف ، كما أورد نجيل جروم احتمال وقوعها فى منطقة الظهران أو فى منطقة دوحة ظلوم حيث أشارت البعثة الدينماركية إلى وجود آثار سابقة على الإسلام هناك . ولعل «الزبانات» الموجودة هناك هى اسم مشتق من لبناته «بلبانة»

وأما المدينة الأخرى فهى «مجند ناته» حيث يذكر نجيل جروم بأن هناك موقع من الواضح تقريباً أن يكون هو مجند ناته (١) ولايزال معروفاً باسم المجان أو مجان أو نيجان جنوب شبه جزيرة قطر شرقاً حيث تحدها منطقة السنجة الشاسعة المعروفة باسم ماتى والتى تشكل الحدود الطبيعية لها . كما سجل أيضاً مدينة داخلية تعرف باسم «ساتا» إلى الجنوب من مجند ناتا بحوالى خمسين ميلاً وتقع على مايعتقد شبرنجر عند الطرف الجنوبى لخليج البحرين بالقرب من مدينة سلوى ، ويرى شبرنجر أن كلمة ساتا محرفة عن كلمة صفا نسبة إلى قبيلة الصفونيتا المار ذكرها عند بطليموس . وعلم فليبى بوجود أطلال أثرية قريبا من وادى سبها أو سبهان ، ويتطابق اسم سبها مع صفا وصوفانيتا تماماً ، ومع ذلك هناك مجال لاختيار أماكن بهذه الأسماء ، فقد تكون امتداداً لتل رملى يقع بين نيجان وقطر وتسمى رملة الصفوية ويوجد فى هذه المنطقة واحدة من المدن التى ذكرها بطليموس ولم يشر إليها شبرنجر وتسمى دومانا . أما إسترابون فقد اقتصر على ذكر جرهاء ، وتيروس ، وأرادوس ، وماتا وهى كما يرى فى مواضع تقع على ساحل العروض وهو الساحل الشرقى لجزيرة العرب المطل على الخليج . وفى مدينة الجرهاء من جهة البحر وعلى مسافة خمسين ميلاً منه تقع جزيرة تيلوس المشهورة باللؤلؤ .

ويلاحظ الدكتور جواد علي وجود شبه بين تيلوس وتيلمون أو ديلمون المار ذكرها فى

---

(١) - نجيل جروم : أطلال - العدد السادس عام ١٤٠٢ هـ ص ١٠٠

النصوص الآشورية ، كما أشار الباحثون إلى أن تيروس هى جزيرة من جزر البحرين وهى تاروت التابعة للقطيف .

ويرى الباحثون أنه على ضوء دراسة كسر الفخار من ثاج أصبح من الواضح أنها كانت إحدى مدن الجرهائيين وأنها من أهم المواقع التجارية لهم ، ولقد بلغت ذروة اشتهارها فى النصف الأول من القرن الثالث الميلادى .

ويورد الدكتور توفيق فهد احتمال كون الموضع المعروف بأمات جرَّة عند قرن أبى وائل فى قطر كان إحدى مدن الجرهائيين .

ومن مراكز الجرهائيين التجارية الهامة ميناءان رئيسيان على شاطىء الخليج عند النقطة التى بدأت منها رحلتهم إلى أعالى الفرات وقد سجلتا تحت اسم أبولوجوس بالقرب من لسان نهر الفرات ، وعُمانا وكانتا تستقبلان البضائع الواردة من جنوب الجزيرة العربية ومن ثم تنقل عبر أراضى الهلال الخصيب إلى بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط .

أين الجرهاء

إن تعدد المراكز التجارية والمدن الهامة الواردة فى كتب جغرافيِّي ومؤرخى اليونان والرومان على أنها من أراضى الجرهاء من أهم الأسباب الكامنة وراء اختلاف الباحثين فى كثير من الحقائق المتعلقة بالجرهاء والجرهائيين ، ومن بين ذلك اختلافهم فى تحديد موقع مدينة الجرهاء الرئيسية على خارطة أراضى هجر كما سنرى فيما بعد ، فقد اختار كل فريق من الباحثين مدينة من مدن هجر القديمة ورشحها موقعاً محتملاً لمدينة الجرهاء الرئيسية التى استمدت المنطقة اسمها منها وإليها نُسب الجرهائيون جميعاً ومن أهم المواقع المرشحة لذلك فى نظر الباحثين مايلى :

(١) موقع مدينة هجر .
(٢) الجرعاء بالقرب من البطالية .
(٣) القـــارة .
(٤) الهفوف أو قريباً منها .
(٥) العقير أو أبو زهمول على بعد ٣٥ كم جنوب العقير .
(٦) الموقع الكائن شمال العقير المعروف بساحل هجر .
(٧) القطـــيف .
(٨) الظهـــران .
(٩) دوحـــة ظـــلوم .

(١٠) مدينة ثاج الأثرية .
(١١) منطقة سلوى القريبة من قطر .
(١٢) أمات جرَّة فى قطر .

وأياً كان الصواب فى أقوال الباحثين فى موقع الجرهاء فإن الذى لاجدال فيه هو أن هذه المدينة التجارية الهامة تقع ضمن أراضى هجر وأن حضارة جرهائية استقرت جذورها فى أحشاء تلك الأراضى التى لاتزال تنتظر البحث والتنقيب وهذا مانأمل حدوثه فى المستقبل المنظور .

بيد أننا سنحاول التعرف على الملامح البارزة لهذه المدينة من خلال الشذرات الواردة فى المصادر ومادار حولها من أقوال آملين أن يساعد ذلك فى سلوك أفضل السبل المؤدية إلى الكشف عن موقع هذه المدينة المفقودة .

الجرهاء فى المصادر القديمة

ورد اسم الجرهاء والجرهائيين فى عدد من المصادر القديمة من أهمها :-

(١) – المخطوطات البردية التى تحمل اسم الزينون وزير مالية الملك بطولمايوس فلادلفوس ولقد ورد فيها اسم الجرهاء مرتين.

(٢) – ورد اسم الجرهاء فى جغرافية آسيا وتاريخها للمؤرخ اليونانى أغاثر خيداس كاتب هركليداس لامبوس الذى عاش فى الشطر الأول من القرن الثانى قبل الميلاد .

(٣) – ورد اسم الجرهائيين ضمن أسماء عربية فى نقوش يونانية يعود تاريخها إلى القرن الثانى قبل الميلاد وعثر عليها فى دالوس.

(٤) – من المصادر التى تشير إلى تاريخ الجرهاء رسالة أو بحث لملك موريتانيا الجغرافى جوبا ٥٠ ق.م إلى ١٩م . وقد نقل بللينى وهو بصدد الحديث عن معالجة موضوع الأشجار فى كتابه التاريخ الطبيعى فقرة مقتبسة من رسالة جوبا حيث أشار بللينى فى سياق حديثه عن ممارسة العرب لتجارة نوع من الأشجار طيبة الرائحة قائلا [١]: (فتح العرب بتجارتهم هذه مدينة قارة التى هى بمثابة سوق المدينة بالنسبة لهذه الأجزاء ، ففى السابق اعتاد كل فرد الذهاب إلى جاباً عن طريق قارة ، المسير فى رحلة لمدة عشرين يوماً ثم إلى فلسطين فسوريا . لكنهم على حد قول جوبا ملك موريتانيا بدؤا الاتجاه إلى كاراكس فمملكة البارثين لتجارة العطور).

---

(١) نجيل جروم : أطلال – العدد السادس عام ١٤٠٢ هـ ص٩٧

ويعد الاستاذ / نجيل جروم ذلك أحد المراجع التى تشير إلى مدينة الجرهاء فهو يقول : من الواضح أن بلليني كان بصدد وصف تجارة تخص عرب إحدى مدن الجزيرة العربية وإنهم كانوا يأخذون المر والعطور إلى سوريا وفلسطين وباريثيا ، كما كانوا يستوردون الصمغ وغيره من أخشاب العطور من كارمينيا وسوسترانا ولابد أن تكون مدينة الجرهاء هى المقصودة بذلك .

(٥) – ورد اسم الجرهاء عند إسترابون الرحالة اليونانى المتوفى سنة ٢١ – ٢٥م

(٦) – جاء ذكر الجرهاء عند الطبرى تحت اسم جرة وذلك فى أثناء حديثه عن غارات أردشير مؤسس الدولة الساسانية فى سنة ٢٢٦م ومصدره فى ذلك على مايبدو كتاب (خَوَادى نامة) الخاص بسير ملوك العجم المدونة بالفهلوية فى عهد كسرى أنوشروان الذى قام بترجمته إلى العربية ابن المقفع ، وهو كتاب مفقود توجد شذرات منه عند بعض مؤرخى العرب كاليعقوبى وابن قتيبة والمسعودى والثعالبى .

الوصف العام للجرهاء

كان أول وصف للجرهاء قد جاء فى فقرة من معجم استرابون الجغرافى الذى نقل عن أراتوسينيس ٢٧٦ – ١٩٦ ق.م على الوجه التالى :

يستطيع الإنسان أن يصل إلى الجرهاء بعد مسيرة ٢٤٠٠ إستيديا على طول ساحل الجزيرة العربية حيث تقع هذه المدينة على خليج عميق يسكنها الكلدانيون وكذلك المنفيون من بابل ، وبأرض هذه المدينة أملاح ، كما يعيش الناس فى منازل من الملح . الأمر الذى يعرض ألواح الملح إلى الذوبان نتيجة لاستمرار الحرارة المحرقة لأشعة الشمس وبالتالى سقوط هذه المنازل ، ويعمد الناس إلى رش المنازل بالماء لتظل الجدران متماسكة ، وتبعد هذه المدينة ٢٠٠ إستيديا عن ساحل البحر ، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المسافة تعادل ٣٨٤٥٠ مترا حسب معيار أولمبيا

كما اشترط إسترابون فى تحديد موقع جرّه أوجرهاء وجودها فى واحة خصبة وهو الأمر اللازم لقيام مدينة مزدهرة كالجرهاء . بيد أن المصادر التاريخية الأخرى قد أغفلت ذكر هذا الشرط . أما بللينى فقد أضاف شرطاً آخر هو كون الجرهاء تقع على خليج يسمى باسمها وأن محيطها يبلغ خمسة أميال ، وبها أبراج مربعة مبنية من كتل الملح ، كما تقع على بعد خمسين ميلا من الساحل منطقة تدعى أتئة ، وفى مقابل مدينة الجرهاء من ناحية البحر وعلى بعد مسافة خمسين ميلاً تقع جزيرة تيلوس «البحرين» المشهورة باللؤلؤ .

أما المؤرخ بوليبيوس ٢٠٨ - ١٧٦ ق . م فقد سجل وصفاً لجزء باق من ممر كان يحيط بالجرهاء جاء فيه قوله :« إن كاتينيا . الخط» فى الخليج الفارسى هى المنطقة الثالثة التى تنسب للجرهائيين ، ومع أن هذه المنطقة فقيرة فى نواحى أخرى إلا أن القرى والأبراج الموجودة بها تشير إلى الجرهائيين .

ويذكر بطليموس أن الجرهاء تقع على الدرجات ٨٠°طولاً و ٢٠ـَ ٢٣°عرضاً ، وأن الخط يقع على الدرجات ٨٢ْ طولاً و ١٥ َ- ٢٣° عرضاً .

ومما تقدم يتضح أن الجرهاء فى نظر الكتاب المعاصرين لها تقع على الساحل الشرقى لجزيرة العرب المطل على الخليج ، أسسها كلدانيون فى أرض سبخه وقد بنيت بيوتها من حجارة الملح ، وأنها كانت مركزاً من المراكز التجارية الهامة وسوقاً من أكثر الأسواق فى بلاد العرب رواجاً بمختلف البضائع وذلك لموقع الجرهاء المتميز الذى جعل منها ملتقى طرق القوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية ومن الحجاز والشام والعراق ، كما أنها كانت سوقاً من أسواق التجارة البحرية فتستقبل تجارة إفريقيا والهند واليمن وتعيد تصديرها إلى مختلف الأسواق عن طريق القوافل البرية حيث تُرسل عن طريق حائل وتيماء إلى موانىء حوض البحر المتوسط ومصر ، أو إلى بلاد الشام مروراً بالعراق براً ، وقد ترسل بالسفن إلى سلوقيا أو بابل فى زباسكس ومنها بالبر إلى موانىء البحر الأبيض المتوسط .

ويقول الدكتور جواد علي وهو بصدد الحديث عن الجرهاء أنها كانت تستقبل تجارة البحر المتوسط والعرَاق والاسواق التى تعاملت معها لتتوسط فى تصديرها إلى العربية الجنوبية وإفريقيا والهند وربما إلى ماوراء الهند فى عالم ينتج ويستهلك أيضاً . فالجرهاء سوق وساطة والوسيط يصدر ويستورد وبعمله هذا يكتنز الثروة والمال .

ويتاجر الجرهائيون مع حضرموت فتصل قوافلهم إليها فى أربعين يوماً وهى محملة بحاصلات العربية الجنوبية وحاصلات إُفريقيا المرسلة بواسطتها وهى بضاعة رائجة ذات أثمان عالية فى الأسواق التجارية فى ذلك العهد .

لقد كان الجرهائيون من كبار الرأسماليين فى العربية الشرقية ، نافسوا السبئيين وكانوا هم ومنافسوهم أبناء سبأ من أغنى شعوب الجزيرة .

موقـع الجرهــــاء

تعد الجرهاء واحدة من عدة مدن مفقودة فى جزيرة العرب بعامة وفى أراضى هجر بخاصة والعثور عليها لايزال أمل المهتمين بهذا الجزء من جزيرة العرب ليس لما نسجته حولها أقلام الكتَّاب الكلاسيكيين من قصص خلابة فحسب ، بل لأن العثور عليها سيثرى التاريخ الإنسانى بمعلومات هامة عن مدينة أسهمت بالكثير فى صنع حضارته قديماً وحديثاً . ولعل فى هذا وحده سبباً كافياً يجعل المستشرقين يولون هذه المسألة بعض الاهتمام معتمدين على ماسبق من إشارات واردة فى كتب أسلافهم من الجغرافيين والمؤرخين اليونان والرومان . فكُتب هؤلاء وحدهم تمثل المصدر الأساسى فى البحث عن مدينة الجرهاء ، لذلك أول مايجب علينا ونحن بصدد البحث عن هذه الضَّالة المنشودة ألا نتقيد كل التقيد بحرفية الأسماء الواردة فى كتب الأجانب فنقطع بسلامة جميع حروفها لما قد يعترى بعض حروف تلك الأسماء من تبديل وتغيير تمليه طبيعة الوظائف الصوتية لأصحاب تلك اللغات عند النطق بالأسماء العربية .

لذلك قد تكون الجرهاء أو جرَّة هى ذاتها الجرعاء أو القرحاء أو القارة أو العقير وجميعها لمواضع ضمن النطاق الذى يجرى فيه التنقيب عن موقع مدينة الجرهاء فلا بد إذن أن يضع المنقبون عن الجرهاء فى اعتبارهم جملة حقائق من أهمها :-

١ - التقارب اللفظى بين الأسماء المذكورة سلفاً .

٢ - كون هذه المدينة تقع فى وادٍ عميق على بعد قرابة ٣٩ كم من شاطىء البحر فى الجزء المقابل لجزر البحرين التى ينبغى ألا يزيد بعدها عنه على ٣٩ كم أيضا على وجه التقريب ، كما يلزم أن يشتمل ذلك الجزء من الشاطىء على خليج .

٣ - موقع الجرهاء فى أرض سبخة وعلى الدرجات ٨٠ طولاً و ٢٠-٢٣ عرضاً ومنطقة الخط على ٨٢ طولاً و ١٥-٢٣ عرضاً شرق الجرهاء على حد قول بطليموس .

٤ - محيط المدينة المذكورة فى حدود ٥ أميال .

٥ - إن وجود مدينة الجرهاء فى واحة تتوفر فيها مقومات النمو والازدهار للمدن أمر لاغنى عنه .

٦ - استبعاد احتمال بناء المدينة بحجارة من الملح إذ لاشك أن الزعم بأن بناء بيوت الجرهاء بحجارة الملح وهْم وقع فيه بللينى واسترابون ومن حذا حذوهما لجهل هؤلاء بالمواد التى اعتاد

أهل هذه المنطقة بناء بيوتهم منها ، لقد خفيت عليهم خبرة أهل هذه البلاد بصناعة الجص الأبيض الناصع الذى اعتاد الموسرون استعماله فى بناء بيوتهم الفاخرة لكونه المادة اللازمة فى إقامة الأساطين وصنع الأقواس ونقش الزخارف وطلاء الأسوار .

وقد نبه على هذا الوهم الذى وقع فيه الباحثون الأغراب عن هذه المنطقة الشيخ محمد بن عبد القادر فى تاريخ الأحساء ، وكل من الاستاذين عبد الله بن خالد الخليفة وعبد الملك يوسف الحمر فى كتابهما البحرين عبر التاريخ ، كما أشار هذان الأستاذان إلى مادة أخرى اعتاد الناس فى هذه البلاد استعمالها فى طى آبار المياه ومجاريها وهى الجص الحكري ، وهذه المادة تتخذ من طين مجارى مياه الرى والصرف حيث تصنع أقراص ثم تحرق فتصبح بعد ذلك مادة شديدة المقاومة للرطوبة والمياه . هذا وإن بناء الجرهاء بحجارة الملح لايتناسب مع ماتنوه به المصادر من عمران تلك المدينة ومانسجوا حول بذخها وثراء أهلها من أساطير وقصص . فقد جاء فى تلك المصادر أن البيوت فى الجرهاء كانت على جانب كبير من الأناقة والرقى ، فقد استعمل الجرهائيون الذهب والفضة والعاج والأحجار الكريمة فى زخرفة الأبواب والجدران لبيوتهم ، كما كانت آنية تلك البيوت تتخذ من الذهب والفضة .

فقد ذكر استرابون أن الجرهائيين والسبئيين كانوا من أغنى أمم الأرض جميعاً فقد كانت لديهم أدوات ومعدات من الذهب والفضة مثل الأسرة والحوامل الثلاثية الأرجل والأوعية فضلاً عن أوانى الشراب ، والمنازل باهظة التكاليف أبوابها وأسقفها مطعمة بالذهب والعاج والفضة كما شوهدت مجموعة من الفضيات والأحجار الكريمة لديهم ، وقد كانت هذه الثروة جزءاً من الأسطورة التى كانت متداولة فى العصور اليونانية والرومانية الغابرة عن الجزيرة العربية .

ولاشك أن قوماً لهم مثل هذا الذوق وعلى جانب من هذا الثراء لن يكون من العسير عليهم جلب الأحجار والصخور والمواد الصالحة للبناء فيكونوا بذلك فى غنى عن إستعمال حجارة الملح التى ابتدعتها مخيلة الرحالة الأجانب .

إن الأخذ بهذه الحقائق مجتمعة مع مراعاة ماطرأ من تغير فيزيقى على طبوغرافية المنطقة عبر ألفى عام مضت ستكون فيما أرى أفضل السبل المتاحة للسير فى البحث والتنقيب عن موقع مدينة الجرهاء الرئيسية التى ستظل إلى أن تأتى فيها كلمة الحسم من المنقبين وعلماء الآثار حلماً ذهبياً يداعب الطامعين فى المال والطامحين للمعرفة على السواء إذ فى غياب البحث الأكاديمى والعمل فى التنقيب المنظم عن الآثار بواسطة أجهزة متخصصة مدعومة بالإمكانات المادية والمعنوية ليس لنا إلا هذا السبيل .

إن عدم الأخذ بالحقائق التى أسلفت ذكرها مجتمعة ، وكذلك تعدد مدن الجرهائيين ومراكزهم التجارية المنتشرة فى أراضى هجر جعلت الباحثين على قلتهم فى حيرة من أمر موقع مدينة الجرهاء ، فرشح كل واحد أو كل فريق من الباحثين واحدة من مدن الجرهاء العامرة فى تلك الفترة معتمداً فى بحثه على صفة أوصفتين فحسب من مجموع تلك الصفات التى أشرت إليها فيما مضى من هذا الحديث ، وهى التى أشارت إليها كتب اليونان والرومان . فعل ذلك فريق من المستشرقين وجاراهم فيه الكتاب العرب الذين تناولوا هذا الموضوع فى كتاباتهم . ونظراً لما تتطلبه مدينة كالجرهاء من أسباب النمو والازدهار فقد أورد أكثر الباحثين احتمال وجودها فى واحة الأحساء ، فقد كانت واحدة من أهم الواحات فى الجزيرة العربية قديماً كما هو الحال الآن ، حيث حبتها العناية الإلهية بخصوبة التربة وغزارة المياه فاشتهرت بإنتاج أجود التمور وأكثرها ، كما اشتهر أهل هذه الواحة بالعمل فى مختلف الحرف كصناعة العباءات المطرزة بخيوط الفضة والذهب والحرير ، كما اشتهروا بصناعة المعادن النفيسة وصناعة النحاس والأوانى المعدنية ، واشتغل تجارها قروناً طويلة فى الاتجار بهذه المنتجات وغيرها من الأوانى الفخارية ، وامتدت تجارتهم إلى كل من فارس والهند والعراق والشام ، وكانت عمارتهم متطورة ومتميزة باستخدام الأقواس .

ومن الواضح على حد قول بلجريف أن أحوال الأحساء زودت أهلها بكل المقومات الفعلية لإنشاء رابطة تجارة رائجة وقوية وواسعة الانتشار ، وربما يفسر ذلك ازدهار مدينة الجرهاء فى القرون الأولى ولو لم تتوفر مثل هذه الأحوال لظل قيام قوة تجارية كالتى توفرت للجرهاء فى غير إطراد على الإطلاق . ولنا أن نتساءل والكلام هنا لنجيل جروم كيف لايتسنى لنشاط تجارى على النحو الذى وصفه بلجريف أن يعكس انتقال هذا التقليد من جيل إلى جيل ؟ ومن هنا يكون لدينا العديد من الأسباب التى تجعل من الجرهاء مدينة داخلية فى واحة الأحساء ويعمل فى خدمتها ميناء يحمل نفس الاسم بصورة ما . فقد إشترط إسترابون فى تحديد موقع «جرَّة» وجود واحة معروفة ، كما تكلم بوضوح عن مدينة برية تبعد عن البحر بمائتى استاديون كما أن الكاتب الرومانى بلينيوس الأصغر ذكر الخليج الجرهائى وذكر مدينة الجرهاء البرية وكون الجرهاء اسم للموقعين ربما يفسر وقوع المكانين بالأحساء أحدهما داخل الواحة فى إحدى المواقع المرشحة لذلك كهجر والجرعاء والقارة وغيرها ، والآخر على الساحل أو قريباً منه كالعقير وأبى زهمول وسلوى وساحل هجر . ومن هنا ذهب شبرنجر إلى القول أن اسم الجرهاء فى الأصل من الجرعاء على اعتبار أنها مدينة كبرى كانت فى الأحساء وليس لديه أدنى شك بأن الجرهاء المار ذكرها عند بطليموس الكائنة على الساحل هى العقير نفسها

إذ أن ذلك يبين أنه لم يكن هناك مكان هام فى نفس الدرجة كواحة ومركز تجارى آهل بالسكان سوى الأحساء .

ويرى نجيل جروم أن ماذهب إليه شبرنجر فى هذا الصدد يفسر الاحتمال القائل بأن الجرهاء كانت مدينة داخلية وميناء ، كما يفسر الشكل المحير لخريطة بطليموس الذى لم يميز بين الجرهاء الداخلية والجرهاء الميناء . وربما يرجع سبب استبعاد بطليموس لهذه المدينة كمدينة داخلية لإخفاقه فى التدقيق فى بيانات جمعها ماديفوس من مصدرين مختلفين ، ومما لاشك فيه أن المصادر الرئيسية للمعلومات عن هذه المنطقة الواقعة على الخليج العربى هم البحارة الذين أمدوه بتفاصيل المواقع على امتداد الساحل والتى قد تشمل ميناء الجرهاء ، وقد تكون مصادره عن المناطق الداخلية عن الساحل هم التجار المحتمل أن يكون بعضهم من الجرهاء الداخلية ذاتها . وربما افترض بطليموس وجود مدينة واحدة باسم الجرهاء فحسب وذلك لإخفاقه فى التمييز بين ثنائية الاسم على نحو مافعله بللينى وإسترابون .

وإذا سلمنا بكون الجرهاء اسم لمدينتين إحداهما العاصمة داخل الواحة والأخرى ميناؤها على ساحل الخليج فإن علينا أن نحاول تحديد موقعى المدينتين بالداخل والساحل ، ولعل أفضل مايمكن ترشيحه للجرهاء العاصمة هو موقع مدينة هجر الأثرية القديمة ، أما الأخرى فعلى الساحل المعروف باسم ساحل هجر لأن جميع السمات المار ذكرها فى وصف الجرهاء ينطبق على هذين المكانين أحسن انطباق ، فهجر أولاً تشكل باسمها الحالى اسماً لمدينة من أشهر المدن السابقة على الإسلام فى شرق الجزيرة العربية إلى حد أن المنطقة استمدت إسمها منها ثم تلتها مدينة أخرى بعد اندثارها باسم الأحساء أصبح اسمها علما على المنطقة كلها فيما بعد .

ويذكر نجيل جروم أنه طبقا لخريطة رمز إليها بالحرف «D» فإن بعض الباحثين سجل كلاً من هجر والأحساء القريبتين من بعضهما البعض فى منطقة البطالية على مسافة ميل أو مايزيد قليلاً شمال شرق المبرز حيث توجد أطلال كثيرة حول حطام موقع يعرف بالبهيتة .

إن المسافة التى ذكرها إسترابون بين الجرهاء ، وساحل البحر والبالغة نحو ٤٠ كم تساوى المسافة بين موقع مدينة هجر والساحل المذكور تقريباً .

إن نسبة تأسيس الجرهاء للكلدانيين الهاربين من بابل وفقاً لما ذكره إسترابون ، ونسبة تأسيس هجر إلى هجر بنت المكفف الكلدانية وفقا لقول ياقوت الحموى تقوى بدون شك احتمال كون مدينة الجرهاء هى مدينة هجر القديمة ذاتها وهذا ماصرح به الشيخ محمد آل عبد القادر

فى كتابه تاريخ الأحساء فهو يقول مانصه (١) : « وقد تحدث إسترابون عن مدينة حول الساحل الشرقى من جزيرة العرب أسسها مهاجرون كلدانيون من أهل بابل فى أرض سبخة وبناؤها من حجارة الملح وتبعد عن سيف البحر مائتي إستاديون كل إستاديون أربعمائة ذراع فتكون المسافة بينها وبين البحر ثمانون ألف ذراع » قلت هذه المدينة التى أشار إليها إسترابون هى مدينة هجر لأن الأزهرى قدَّر المسافة بين بحيرة هجر وبين البحر الأخضر(٢) عشرة أميال والميل ستة الآف ذراع فيكون مابين البحيرة (٣) والبحر ستون ألف ذراع ، والبحيرة تقع شرق هجر فيكون بين هجر والبحر ثمانون ألف ذراع ، وقول إسترابون أسسها كلدانيون مهاجرون من بابل يشير إلى أن أول من سكنها قوم من الجرامقة من سكنة الموصل منهم هجر بنت المكفف التى سميت هجر باسمها . وكانت تسمى قبل ذلك مجان ، ومابينهما وبين عُمان يسمى ملوخا .

يعتبر الباحثون التقارب اللفظى بين اسم الجرهاء وأسماء بعض المواضع فى الأحساء كالجرعاء والقارة والعقير من أهم المؤشرات الدالة على تحديد موقع المدينة المفقودة وجميع هذه الأسماء لاتخرج عن كونها أعلاماً على بعض أحياء وأسواق هجر العاصمة سوى العقير فهو اسم لاحدى الموانىء العاملة لخدمتها لذلك كاد إجماع الباحثين ينعقد على أن المراد بالجرهاء فى كتب اليونانيين والرومانيين هى الجرعاء ذاتها وهى جزء من مدينة هجر فحروف الاسمين واحدة وإبدال العين هاء فى لسان غير العرب شىء مألوف . لذلك قال سيتنجر أن اسم الجرهاء جاء فى الأصل من الجرعاء .

أما الدكتور جواد على فقد قال بهذا الصدد أن من رجَّح الجرعاء رأى أنها قريبة جداً فى لفظها من جرها وجرهاء وموضعها قريب منها ولسبب آخر هو ورود اسم تامون «تامونيا» مع جرعاء وتينيا هو تميم فى نظر الباحثين وقد اقترن اسم الجرعاء بتميم ، فقد ذكر الهمدانى الجرعاء فقال : «ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبنى تميم ثم لسعد من بنى تميم وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتبايع فيه الناس » وإلى هذا الرأى ذهب الشيخ حمد الجاسر(٤) تأسيساً على نص الهمدانى هذا وغيره من النصوص وماتكرر فى شعر

---

(١) - تحفه المستفيد ص ٥٥

(٢) - يقصد بالبحر الأخضر الخليج

(٣) - قصد بالبحيرة تلك البحيرة المعروفة باسم بحيرة الأصفر التى تتكون مياهها من مياه الصرف وكانت تقع شرق مدينة الهفوف قرب قرية العمران وقد جفت تماماً بعد إنشاء مشروع الرى والصرف .

(٤) - حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية ص ٣٨٣

ابن المقرب وشروحه عن الجرعاء حيث يقول وهو بصدد الإشارة إلى كلام الهمدانى السالف الذكر هذا النص صريح فى أن سوق مدينة الأحساء يسمى الجرعاء ، وقد يكون هذا السوق موجودا قبل إنشاء مدينة الأحساء فى أول القرن الرابع الهجرى حين كانت مدينة هجر هى القاعدة ، والهمدانى كما هو معروف من أهل القرن الرابع الهجرى وقريب من ذلك العهد ، جاء ابن حوقل فأوضح أن الجرعاء كانت من المواضع المشهورة إذ قال فى الكلام عن القرامطة ولاة الأحساء فى ذلك العهد وكان من رسومهم ركوب مشائخهم وأولادهم فرادى فيجتمعون إلى قبلة الأحساء فى المكان المعروف بالجرعاء ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً فى غاية التواضع وقد لبسوا البياض لاغير وكان من رسومهم أن تقع شوراهم فى الجرعاء .

ويستنتج الشيخ حمد من كون الجرهاء قبلة الأحساء أن موقعها غرب عين الجوهرية الواقعة فى وسط مدينة الأحساء القديمة فيما بين موقع مدينتى المبرز والهفوف خارج مواقع النخيل ومجارى المياه حيث تتسع الأرض البراح لسباق الخيل ولاجتماع العدد الكثير من الناس وهنا يستعرض الشيخ حمد اسم الجرعاء المتكرر فى أكثر من موضع من شعر ابن المقرب المتوفى سنة ٦٣١ هـ فقد جاء فى شرح ديوانه (١) :-

أغـارت عـلى درب الجنـائد غـارة . .

يطــير الحصــا مــن وقعهـا والجنــادل

لهــا فيـلق بالجــوّ ذي النخــل كــامناً . .

وريعانهـا للمســـجد الفــرد شــاملُ

الجو ذو النخل يعنى أرضاً تعرف بالمحرقة شمالاً من الجرعاء التى تعرف بالجعلانية والمسجد مسجد الجعلانية ويعرف بمسجد الأميرة وهى بنت الأمير عبد الله بن على .

وفى موضع آخر من شرح ديوان ابن المقرب جاء فيه قوله (٢) :-

مـنّا الـذى عـام حـرب النـائلى جـلا . .

يـوم السـبيع ويـوم الخائـس الغمـمـا

السبيع هو سبيع بن غفيلة ، والخانس بستان من بساتين الأحساء دارت فيه موقعة عنيفة بين الأمير العيونى شكر بن على بن عبد الله وَالي الأحساء من قِبَل عمه أبى سنان وبين جماعة متمردة بقيادة حماد النائلى من الأحلاف كانت قد أغارت على البلاد واقتحمتها فتصدى الأمير أبو مقدم للمغيرين

---

(١) ديوان ابن المقرب ص ٣٤٥

(٢) ديوان ابن المقرب ص ٥٤٦

وانتهز فرصة اشتغالهم بالنهب فحمل عليهم حملة عظيمة وقتل عدداً كثيراً منهم فانهزموا فتبعهم حتى أخرجهم من الجرعاء وقتل منهم مالايحصى ، وبعد تلك الواقعة أيسوا من البلاد وبعثوا يطلبون الصلح فصالحهم وسمى ذلك البستان بالخائس من كثرة القتلى فيه إبان تلك الواقعة ، وبسبب الرائحة المنبعثة من جثث القتلى سمى المكان بالخائس وهو حقل نخيل لايزال معروفا ويقع قريباً من البطالية وفى هذا دلالة واضحة على قرب الجرعاء من موقع مدينة الأحساء القديمة التى درست ولم يبق منها إلا بعض أطلال فى منطقة البطالية .

وقد أشار ابن المقرب إلى الواقعة سالفة الذكر مرة أخرى ولكنه أورد اسم الجرعاء مصغراً حيث يقول (١) :-

منّـا الثلاثـة والفرد الذين لقـوا . كتائباً كـأبى السيال حـين طمـا

تدعـو عجيبـة أحيانـاً وآونــة أم العَجَرَّش والجحّاف بينهمـا

يـوم الجريعـاء ماخافـوا وماجبنوا بل كلهـم يصطلى نيرانهـا قدمـا

وقد جاء فى شرح هذه الأبيات أن الجريعاء مكان يعرف بأم الدجاج وهو على مايفهم من تفاصيل الوقعة المشار إليها قريب من الأحساء القديمة وجاء فى شرح ديوان ابن المقرب على قوله (٢)

وهل أينع الوادى الشمالى واكتست عثاكيل قنوان حدائقه الـغلب

عن الحى بالجرعاء هل راق بَعْدَنا لهم ذلك المرعى ومورده العذب

والجرعاء هنا محلة بالأحساء معروفة وبها منزل أهله من الشمال ، والوادى مطمئن من الأرض يعنى بها قرية من سواد الأحساء تسقيها عين تسمى بالسحيمية وبتلك القرية أكثر أملاكه المغصوبة .

لاتزال عين السحيمية معروفة فى الأحساء وهى لاتبعد كثيراً عن البطالية وقد حدثنى

---

(١) - ديوان ابن المقرب ص ٥٥٢

(٢) - ديوان إبن المقرب ص ٢٧

الاستاذ عبد الله عبد الرحمن الشعيبى (١) وهو أحد المهتمين بجمع المسكوكات الأثرية .. أنه حصل على قطع فضية من حِرْزٍ عُثر عليه فى منطقة عين السحيمية مما يدل على أثرية هذه المنطقة وكونها جزءاً من الأماكن العريقة الآهلة بالسكان .

وقال ابن المقرب فى مدح الأمير على بن ماجد بن محمد بن عبد الله العيونى (٢)

ولولاك بالأحساء لم تحد نحوها .
قلوصى ولم يصهل بجرعائها مُهرى

وجاء فى شعره أيضاً إسم الجرعاء مضافاً إلى المصلى(٣)

ويوم علا بجرعاء المصلى
عجاج غاب فيه المسجدان

ألم يلق الردَى منه بقلب
على الأهوال أثبت من أبان

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ حمد الجاسر بعد أن أتى على ذكر هذا الشعر لابن المقرب وشروحه علق عليه بما نصه (٤) : «ويظهر أن سوق الجرعاء أهمل قبل عهد هذا الشاعر وقد بقى اسم الجرعاء يطلق على موضع السوق إلى عهد قريب حيث اتسع العمران حتى شمله وماحوله وكاد يتصل فيما بين مدينتى الهفوف والمبرز »

وقال الأستاذ رشدى ملحس : «ولكن اليونانيين القدماء ذكروا سكان هذه المناطق ووصفوا ماكانوا عليه من الترف والبذخ وسموهم الجرعاويين نسبة إلى مدينة جرعاء التى كانت عاصمة هذه البلاد وهى اليوم مزرعة تقع بين قريتى المبرز والبطالية » .

وما المانع – والكلام للشيخ حمد الجاسر من تطبيق أقوال متقدمى المؤرخين من يونانيين وغيرهم على هذا الموضع إذا صح أن اسمه فى تلك الأقوال الجرعاء فقربه من الواحة بل توسطه فيها وهى غالباً مقر السكنى وأكثر ملاءمة للاستقرار وأقرب إلى الطرق التى تخترق الجزيرة متجهة شمالاً وغرباً مما يجعل تلك النصوص أكثر انطباقاً عليه من موقع العقير أو المواضع التى بقربه .

والذى يفهم من كلام الشيخ حمد أنه مع ترجيحه لكون المقصود بقول الجرهاء هى

---

(١) – من أسرة الشعيبى المعروفة بالأحساء والتى تنتمى إلى سُبيع قدم جدهم عبد الرحمن بن محمد الشعيبى إلى الأحساء من رنية فى أول القرن الثالث عشر الهجرى تقريباً

(٢) – ديوان ابن المقرب ص ٢٠٥

(٣) – ديوان ابن المقرب ص ٦٢٩

(٤) – المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية البحرين قديما جـ١ ص ٣٨٧ الشيخ حمد الجاسر

الجرعاء الواقعة وسط واحة الأحساء ، فإنه لم يأخذ فى الإعتبار وجود مدينتين تحملان اسم الجرهاء إحداهما العاصمة التى ينبغى أن تكون فى الواحة والأخرى ساحلية ربما تكون فى منطقة العقير أو فيما جاورها وهو ماذهب إليه بعض الباحثين المحدثين وفى مقدمتهم نجيل جروم حيث اعتبر الجرهاء علماً على مدينتين إحداهما العاصمة وتقع قريبة من الهفوف فى موضع مدينة هجر التاريخية ، والأخرى ميناء تعمل فى خدمتها وتقع على الساحل أو قريباً منه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مدينة هجر كانت فيما مضى عاصمة إقليم البحرين ومدينته العظمى ، وكانت على مايظهر تحتل مساحة شاسعة وتشمل عدَّة أحياء أو ضواح قد تكون متصلة الأجزاء أو منفصلة عن بعضها البعض وقد أشار إلى ذلك ابن الفقيه حيث يقول : إن قصبة هجر هى الصفا والمشقر والشبعان ، والشبعان كما هو معلوم الجبل المعروف باسم جبل القارة مما يعنى أن هذا الجبل والقرى المحيطة به كانت تكون حياً أو ضاحية ضمن أحياء أو ضواحى هجر ، ولعل قرية القارة هى البقية الباقية من ذلك الحى . وتأسيساً على ذلك ذهب نجيل جروم إلى القول (١) : ولعل حروف الهجاء لاسم جرهاء والتى شاعت لدى أخصائيي الآثار والمؤرخين هى ترجمة لنطق الاسم كما ورد فى النصوص القديمة «جرهاء Gerrha» وقد يكون حرف h أو هـ مجرد نطق دارج لحرف «r ر» المكرر هكذا أو «r r» فى اليونانية وتوحى اللهجة المحلية أن حرف «g» الذى يبتدأ به الاسم ربما كان فى الاصل «j» أو «g» من حيث الأصل الهجائى . ويؤيد اسم قارة «Carra» الذى أورده جوبا فى هذا المقام وعلاوة على ذلك فإن حرف الـ «r» المشددة أو a «ألف alif» التى تسبق الـ «r» فى الترجمة اليونانية واللاتينية وكان لهذا وقعه فى الآذان الأجنبية مما قد يجعل المقطع الصوتى غير متشابه . وتسرى هذه القواعد على دراسة اسم « القارة alqarah» جغرافيا . ويقصد بكلمة قارة «Qarah» التل أو الجبل المعزول ، وفى الأحساء تسمى سلسلة المرتفعات القريبة من الهفوف «جبل القارة jabal al qarah» ولكن القارة أيضاً هى اسم قرية عند سفح ذلك الجبل ، ومن الواضح أنها كانت ذات أهمية وكان يقام بها سوق أسبوعى كبير على الأقل حتى وقت قريب خارج المدينتين الكبيرتين اللتين تضمهما الواحة .

ولاحظ فيلبى أن «قرية المركز al - Markaz» بنفس المنطقة كان يطلق عليها مركز القارة Markaz al - Qaraha سابقا وأصبح اسم قارة Qarah على الساحل أكثر أهمية ، تبين أنه

---

(١) نجيل جروم - أطلال - العدد السادس ص ١٠٤

يشغل منطقة محدودة جداً تمتد لمسافة تتراوح بين ١٣ ميلاً جنوب العقير وهناك خليج صغير هو الآن عبارة عن سبخة يبدو أنه كان فى استطاعة الإنسان أن يسبح فيها عندما كانت جرهاء قائمة .

وقد اعتقد سيتنجر وفيليبى وكرموال أن من الممكن العثور على بقايا الجرهاء الساحلية فى الشاطىء الممتد من العقير حتى أبى زهمول معتمدين فيما يبدو على التقارب اللفظى بين اسمى الجرهاء والعقير «أو العجير» كما فى اللهجة المحلية وانطباق الوصف الطبوغرافى للجرهاء على هذا الموقع . غير أن نتائج كشوف البعثة الدانمركية برئاسة الدكتور بيبى لاتشعر بوجود آثار لبقايا مدينة سابقة على الإسلام فى هذا الجزء من الساحل . ومن هنا ينبغى أن تتركز اهتمامات المنقبين عن الجرهاء الساحلية على الشاطىء شمال العقير ، ولعل الجزء المعروف من هذا الشاطىء بساحل هجر هو المكان الأمثل لموقع المدينة المنشودة فبالاطلاع على أسماء المواضع الواقعة على الطريق الساحلى بين البصرة وعمان يتبين أن ساحل هجر يقع شمال العقير ، فإن ابن خرداذبه يورد الطريق على النحو الآتى : من البصرة إلى عبدان ثم إلى الحدوثه ثم إلى عرفجه ثم إلى الزابوقة ثم إلى المقر ثم إلى عصى ثم إلى المعَرس ثم إلى خليجة ثم إلى حسَان ثم إلى القرى ثم إلى مسيلحه ثم إلى حمض ثم إلى ساحل هجر ثم إلى العقير ثم إلى قطر ثم إلى سبخة ثم إلى عُمان وهى صحار .
وقدامة بن جعفر يصف هذا الطريق من الجنوب إلى الشمال بنفس الترتيب .

ومما يذكر بهذا الصدد أن البعثة الدانمركية قد اهتمت بموقع فى ذلك المكان ربما يضم المدينة المفقودة . وهو عبارة عن منطقة رمال قاحلة وسبخة على الساحل إلى الشمال من العقير التى كشفت عن شواهد لقيام زراعة فيها على نطاق واسع فى الأزمنة الغابرة ، وقد جرى فحص هذه المنطقة بدقة وعثر فيها على آثار هامة من فترة ماقبل الإسلام ، ومع أنه لاتوجد أى شواهد على اكتشاف مدينة ما فإن المنطقة التى تقع على جانب الأراضى الداخلية للخليج تسمى دوحة ظلوم وهى مقابلة للسان الأرض الداخل إلى البحر وتسمى رأس القرية وبالرغم من وجاهة الأسباب التى ترجح احتمال وجود الجرهاء فى واحة الأحساء وشبه الإجماع من الباحثين على أن الجرعاء هى الجرهاء ذاتها ويتبعها على الساحل أو بالقرب منه ميناء يعمل فى خدمة العاصمة ويحمل نفس إسمها . على الرغم من ذلك فقد ذهب بعض الباحثين إلى ترشيح أماكن أخرى للبحث عن بقايا الجرعاء ، فأورد الباحث الألمانى «هيرمان فون ويسمان» احتمال وجود الجرهاء فى واحة القطيف . كما وجدت السيدة إستيهل خرائب حسبتها الجرهاء بالقرب من مكان يسمى جبل القرين على حد قولها يقع غربى شمالى - غربى القطيف على بعد ٣٧كم .

ولاشك أن واحة القطيف من أكثر الأماكن ملاءمة للتنقيب عن بقايا مدينة الجرهاء فيها لعدة أسباب ترشحها لولا أن الباحثين عدوا هذه الواحة جزءاً لايتجزأ من الخط الذى يعتبر فى نظرهم هو الإقليم الثالث من مملكة الجرهائيين والذى ينبغى أن تكون مدينة الجرهاء على بعد ٤٠ كم إلى الغرب منه .

وورد أيضاً ترشيح ثاج لتكون هى الجرهاء نفسها لأهميتها الأثرية لولا أنها تقع إلى الداخل بعيداً عن الساحل وفى محيط مايزيد عن ٢٥٠ قدماً الأمر الذى يجعل من المستبعد أن تكون ميناءاً ، وربما جاء الاعتقاد بأنها كانت عاصمة الجرهائيين بسبب وجود ميناء على الساحل قريباً من جزيرة أبو على ، ومثل هذا الموقع الكائن على مسافة تزيد عن ١٠٠ ميل إلى الشمال من البحرين يتناقض مع ماورد بتقرير بوليبوس عن محاولة أنطيوخس الثالث لغزو مملكة الجرهائيين حيث جاء فى ذلك التقرير قوله : أن أنطيوخس أبحر بعد مصالحته للجرهائيين إلى جزيرة تيلوس «البحرين» ثم سلوقيا . إذ من هذا التقرير استنتج الباحثون أن هذا الملك الرومانى رسا بأسطوله قبالة شواطىء الإقليم الثالث للجرهائيين عند نقطة قد تكون مثلا فى ساحل هجر أو العقير أو سلوى وجميعها مناطق أدرجها الباحثون فى قائمة الأماكن الصالحة للبحث عن بقايا الجرهاء الساحلية .

أما الدكتور توفيق فهد (١) فإنه عندما اطلع على أسماء المواضع فى إمارة قطر بدا له أنه من الممكن أن تقع جرَّة فى العريق بجوار قرن أبى وايل فى مكان يدعى حتى الآن «أمات جرَّة» حيث توجد رياض فسيحة تجاورها رياض أخرى غنية بالمياه والنخيل وأشجار أخرى فى السكك وروضة الفرس وروضة كظيم ، فعلاوة على الغنى الزراعى كان سكان هذه الناحية ينعمون بالسلام بفضل انحرافهم عن طريق البحر ووعورة الطرق الموصلة إليهم وحمايتهم الطبيعية إذ كانوا من قمة قرن أبى وايل يستطيعون الإنذار بكل خطر من شأنه أن يهدد سلامتهم .

زد على ذلك أن المسافة بين الشاطىء وأمات جرَّة تتجاوب مع ماقاله إسترابون ، كما أن الموقع فى وادٍ عميق يتجاوب معه أيضاً من جهة المسافة فإن فون ويسمان الذى يستنتج من معطيات بطليموس أن جرَّة كانت على شاطىء البحر ويتبع رأى شبرنجر الذى يجعل من هذا الاسم مدلولاً على مرفأ جرَّة وعلى مدينة جرَّة فى الوقت نفسه .

وبالرغم من أهمية المعلومات والإشارات التى أثرى بها هذا البحث إلاَّ أننى لا أتفق معه

---

(١) – البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ٣٤

فى كون منطقة العريق هى المكان الأمثل لمدينة الجرهاء لأسباب منها : أنه لم يأخذ بثنائية اسم الجرهاء مخالفاً بذلك المستشرق شبرنجر والكاتب الرومانى بلينيوس الأصغر فأسقط من حساباته مدينة الجرهاء الساحلية ، وقصر جميع الصفات الواردة فى حق المدينتين على مدينة داخلية برية واحدة فحسب ، ثم أنه استبعد احتمال وجود مدينة الجرهاء فى واحة الأحساء أو منطقة العقير معللاً رأيه هذا ببعد الأولى عن الساحل وقرب الأخرى منه . وله العذر فى ذلك فهو لم يقف عن كثب على هذه المناطق ولم تتوفر لديه المعلومات الكافية عن المسافات بينها . وإن كنَّا نتفق معه أن الجرهائيين كانوا يبسطون سلطانهم على كامل إقليم البحرين وأن أمات جرَّة قد تكون إحدى مدنهم من غير أن يكون وجود الجرهائيين فى تلك المدينة حين قدم أنطيوخس إلى هذه البلاد لازماً ، بل أن كثرة مدن الجرهائيين وتعدد مراكزهم التجارية المنتشرة على طول سواحلهم الممتدة على الخليج قرابة ٢١٠ أميال من أهم دواعى الخلاف حول تعيين مدينة الجرهاء الرئيسية التى أكاد أجزم بأنها تقع وسط واحة الأحساء تحت مدينة هجر التاريخية ، وبالإضافة إليها ثمة مدينة أخرى تقع على الساحل تحمل اسم العاصمة وتشرف على مينائها .

الجرهائيـــون

لقد تحدث إسترابون عن أمة أطلق عليها اسم جرهين وقال إنهم أغنى العرب يقتنون الرياش الفاخرة ويتمتعون بجميع أسباب الرخاء والترف بما فى ذلك آنية الذهب والفضة والفرش الثمينة ويجملون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة ، وعلى يد هؤلاء تأسست إمارة الجرهاء وبلغت أوج عزها وثرائها . والجرهائيون على مايرى إسترابون جماعة من الكلدانيين قدموا إلى هذه البلاد فاستوطنوا مدينة الجرهاء أو قاموا بتأسيسها وذلك بعد فرارهم من وجه « سنيا شريب » حوالى ٦٩٤ ق . م ، فقد جاء فى الحملة الأولى للملك الآشورى ضد ميردوخ (بلدان) أنه قام (١)بنقل غنائمه من العرب والكلدانيين من ضمنها ٢٠٨ آلاف نسمة من الكبار والصغار ذكوراً وإناثاً والخيل والبغال والحمير والجمال والماشية من غير حصر إلى الدولة الآشورية.وعلى هذا النحو يقول سينيا شريب فى وصف حملته السادسة لقد قمت بنقل سكان بيت أياكين مع آلهتهم ، كما نقلت شعب ملت الأم ولم يهرب أى مذنب فوضعتهم جميعاً فى السفن وأحضرتهم إلى هذا الجانب ثم شرعت فى طريقى إلى آشوريا ، كما أننى دمَّرت وخرَّبت وحرقت مدن هذه الأقاليم وحولتها إلى أكوام وخرائب ، ومن المعلوم أن الآشوريين درجوا على نقل سكان الأراضى التى يتسنى لهم الاستيلاء عليها مع سائر الغنائم إلى الدولة الآشورية ، ويبدو أنه خلال هذه الأحداث رحلت بعض العناصر الكلدانية من جنوب الدولة البابلية واستقر بهم المقام فى شبه الجزيرة العربية وتوجد إشارة لمثل هذه الظروف وردت فى وصف سينيا شريب لحملته الرابعة حيث يقول (٢) لقد تحقق لى الانتصار على « شوزوبى » الكلدانى أثناء حملتى وقد جلس ذلك الكلدانى بين المستنقعات فى مدينة بيتوتو ، وكان للفزع الذى أثارته معركتى وقع شديد عليه فتحطمت معنوياته وفر مثل المجرم ولم يستدل على مكانه بعد ذلك إطلاقاً . وقد يكون فرار شوزوبى وأمثاله دليلاً على صدق تقرير إسترابون عن العنصر الكلدانى الأساسى فى الجرهاء حسب رأى الباحث «دانيال بوتس» ، كما اعتبر الباحثون مثل « ف . أليثم » « ور . ستيهل » النقوش الآرامية التى عثر عليها فى ثاج دليلاً على صدق تقرير إسترابون عن العنصر الكلدانى الأساسى فى الجرهاء ، ومن تلك النقوش الوثائق التالية :-

---

(١) – أطلال – العدد السابع عام ١٤٠٣ هـ ص ٧٢

(٢) – أطلال – العدد السابع عام ١٤٠٣ هـ ص ٧٣

١ – نقش آرامى من واحة القطيف عثر عليه فى عام ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م وقد حفر على قطعة مربعة من الحجر الجيرى أبعادها ٥٣ سم × ٥٣ سم × ٢٠ سم ولم يكن ذلك النقش فى حالة جيدة وقد قام ألثيم واستيهل بنشر صورة عنه ويعدانه دليلاً مهماً على استعمال اللغة الآرامية فى منطقة الجرهاء .

٢ – نقش أحسائى من ثاج ذو صبغة آرامية دفع به الدكتور إستيهل إلى ج . ركمانز ليتولى نشره غير أن المنية أدركته قبل أن يتمكن من نشره وبالتالى فإن هذا النقش لم ير النور على مايظهر .

٣ – نقش أحسائى من ثاج ذو دلالة على انتهائه بنقش آرامى يعود تاريخه إلى حوالى عام ٢٨٠ ق . م أو بين ١٥٠ – ١٠٠ ق . م

٤ – نقشان من ثاج باللغتين الأحسائية والآرامية يشتمل أحدهما على تخليد ذكرى لوفاة شخص ، ولم ينشر شىء عن النقش الثانى .

هذه القرائن مع ماورد من أسماء آرامية لبعض الأماكن فى المنطقة جعلت كلا من ألثيم واستيهل يقبل بالتقارير الموجودة لدى إسترابون كحقيقة واقعة وهى التقارير الخاصة باستيطان الكلدانيين الوافديين من بابل لمنطقة الجرهاء وافتراض استعمال اللغة الآرامية فى المنطقة خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن استرابو لم يكن الباحث الوحيد الذى يقرر أن الكلدانيين أسسوا أو استوطنوا منطقة الجرهاء فقد قال بمثل ذلك الباحث البيزنطى اسطفانوس .

ويعلل الدكتور توفيق فهد سبب نزوح الكلدانيين من العراق واستيطانهم هذه الأراضى وتأسيسهم لمدينة الجرهاء باحتمال هروبهم من بابل عند استيلاء قورش الثانى عليها سنة ٥٣٩ ق . م أو نتيجة لحدث آخر مماثل ، أو خلاف فى العبادات ، فتحت وطأة ظروف كهذه يمم الكلدانيون الهاربون من بابل وجههم شطر الجزيرة العربية التى ظلت على مر العصور الماضية مأوى اللاجئين وملاذاً للمهاجرين ، فلم يجدوا مكاناً أنسب من النزول فى هذه البلاد لما تتميز به أرضها من دواعى الاستقرار ، فهى شديدة الشبه ببلادهم فى خصوبة التربة وغزارة المياه ، كما أن موقعها على الخليج يتيح لهم فرصة مزاولة التجارة والملاحة مع الشعوب التى اعتادوا التبادل التجارى معها ، لذلك استقروا فى هذه الأراضى وأسسوا مدينتهم الجرهاء ، هذا إن لم تكن هذه البلاد نفسها هى بلادهم الأصلية كما أشارت إلى ذلك المصادر ولو من وجه بعيد على اعتبار أنهم من الأمم السامية التى استوطنت هذه الأراضى أو مرت عبرها . فالأسئلة حول الوطن الأول للكلدانيين والأنساب العرقية لهم

واللغات التى يتحدثون بها لاتزال قائمة .

ويذكر دانيال بوتس أن ثمة دليل ضعيف يرجح وجود صلة بينهم وبين السامية العربية ومن المحتمل وجود صلة قربى بينهم وبين الآراميين ، ولايوجد أثر مؤكد لتعقب الكلدانيين قبل استيطانهم جنوب الدولة البابلية ، ويحتمل أن الكلدانيين استوطنوا جنوب الدولة البابلية قبل الآراميين بقرن أو أكثر . بيد أن المجموعتين إستوطنتا أرضاً متجاورة وبخاصة فى الجنوب الشرقى من الدولة البابلية وذلك فى القرن الثامن ومابعده من القرون التى سبقت الميلاد .

ويتضح مكان إقامة الكلدانيين فى الفترة الآشورية الجديدة من خلال الحملات الحربية المتعددة التى شنها ضدهم آشور ناصر بال الثانى (١) وشالمينصر الثالث ، وشامش أداد الخامس ، وأداد نيرارى الثالث وتيجلاث بيليصر الثالث ، وشالمينصر الخامس ، وسارجون الثانى ، وسنيا شريب ،وآشور بانيبال . وقد تحدث بطليموس واسترابو عن المستنقعات الكلدانية (أمارد وكايا) جنوب الورقاء ، ومع ذلك فإن الوطن الأصلى للكلدانيين لايزال يكتنفه الغموض .

ويرى ب . «موريتنز» أن الكلدانيين قد وفدوا منذ زمن بعيد من جنوب الجزيرة العربية ، هذا ومن ناحية أخرى يرجح «و . ن . أولبريت» أن منشأ الكلدانيين ونصوصهم كان فى جزء غير محدد من شرق الجزيرة العربية .

وينبه «دانيال بوتس» (٢) أنه بهذا الصدد ينبغى أن نلاحظ أن أحد النقوش التى ترجع إلى ماقبل الإسلام كان قد عثر عليه القبطان «و . ا . شكسبير» وقام بتصنيفه أحد الدارسين على أنه نقش كلدانى أو نص كلدانى عربى الأصل كما قام نفس الدارس بتحديد نقش كان قد تم العثور عليه أثناء حفريات مقبرة فى عين جاوان على أنه كلدانى أو عربى قديم «أصل عربى» علاوة على نقش مماثل عثر عليه فى واحة الهفوف (٣) يعود تاريخه للقرن التاسع قبل الميلاد ، وهو حفر على الصخر سجل تحت الرقم جى ١٠٤٩ مندفيل ويوجد الآن فى مكتبة ج بيربور تمورجان .

---

(١) أطلال العدد السابع عام ١٤٠٣هـ ص٦٩

(٢) أطلال العدد السابع عام ١٤٠٣ هـ ص ٦٩

(٣) أطلال العدد السابع عام ١٤٠٣ هـ ص ٧١

الأصل الكلدانى للجرهاء وموقف الجرهائيين من الغزاة

لم يحن الوقت بعد ليسلم الباحثون بوجود وطن عربى للكلدانيين ويقول الباحث «دانيال بوتس» إنه ينبغى أن نلاحظ أن بعض علماء الآثار قد فسروا نقوش المنطقة الشرقية كدليل على تأثير كلدانى فى شرق الجزيرة العربية كان قد انطلق من جنوب الدولة البابلية ومن ذلك تأثرهم باللغة الآرامية حين كانت اللغة الآرامية هى اللغة الرسمية المستعملة فى كامل الأراضى الممتدة من مصر حتى بلاد السند ، وربما كان استخدام اللغة الآرامية معاصراً للاستيطان السلوقى فى هذه البلاد أو فى تاريخ سابق عليه . ومهما يكن من شىء فإن الجرهاء كانت فى يوم ما من أغنى المواقع فى الجزيرة العربية ، فقد تدفقت على أهلها الثروات من كل اتجاه فامتلأت حوانيتهم ومخازنهم بمختلف الأموال والسلع ، كما امتلأت صناديقهم وخزاناتهم بالذهب والفضة وقد حققوا بذلك لأنفسهم مجتمعاً مستقراً يسوده الأمن والسلام ويتمتع بالرخاء والحرية ولذلك يشير أحد الباحثين بقوله : أن ثمة نقطة جديرة بالاهتمام وهى أن الجرهاء لم تكن مجرد مدينة عظيمة الأهمية فحسب ، بل كانت أيضاً متمتعة بالحرية السياسية كإمارة تتحكم فى منطقة كبيرة الحجم فى القرن الثانى الميلادى كان لها أهميتها فى العصور الأولى فى الجزيرة العربية ، وقد أشارت المصادر إلى أن إمارة الجرهائيين كانت مقسمة إلى أقاليم يعتبر الخط الإقليم الثالث منها وفى هذا دلالة على أن إمارة الجرهائيين كانت على شىء من التنظيم الإدارى ، كما كانت على قدر من القوة والاستقلال . ومما يلقى الضوء على ماتتمتع به هذه الإمارة من استقلال سياسى موقفهم من تهديد الاسكندر لهم حين اعتزم غزو الجزيرة العربية ، وكان الاسكندر قد أرسل سفينة شراعية كبيرة للاستطلاع وصلت إلى جزيرة البحرين «تيلوس» غير أنها لم تغامر بالذهاب إلى أبعد من ذلك . وعلى ضوء ماورد فى تقرير بليبيوس أريانوس فإن الاسكندر قد صدم لرفض عرب هذا الساحل إرسال وفدٍ إليه أو حتى إظهار احترامهم له ولو من قبيل المجاملة .

ويفسر الباحثون ذلك الموقف من الجرهائيين بأنهم كانوا على جانب كبير من القوة بحيث كان فى استطاعتهم تحدى الغزاة القادمين من الشمال ، أو القدرة على تسوية القضايا معهم بالمال أو الأساليب الدبلوماسية وذلك فى سنة ٣٢٣ ق . م .

وفى عهد بليبيوس كانت الجرهاء قد أصبحت مركزاً تجارياً بالغ الأهمية ، فقد ذُكر أن الملك الرومانى أنطيوخس الثالث قد أرسل بين عامى ٢١٢ ـ ٢٠٤ ق . م قوة لإخضاع الجرهاء فنزل أسطوله عند ساحل الخط ، وتقول الرواية التى تتحدث عن طمع هذا الملك

فى الاستيلاء على ثروة الجرهائيين ، أن هذه المدينة قد أرسلت إليه رسولاً يحمل رجاءها ألا يسلبها نعمتين أنعمت بهما العناية الإلهية عليها هما نعمتا السلام والحرية ، ولما تُرجم خطابهم إلى الملك وكان مكتوباً باللغة الآرامية أجاب طلب الجرهائيين ، لذلك إستصدروا أمراً بتكريمه فبعثوا إليه هدايا ثمينة (١) اشتملت على خمسمائة تالان من الفضة وهى تعادل ثلاثة عشر ألف وثمانين كجم وألف تالان من اللبان (مايعادل ستة وعشرين ألفاً ومائة وستين كجم) ومائتان من الطيب المسمى بالميعة أى مايوازى خمسة آلاف ومائتين واثنتين وثلاثين كجم ، وبعد أن تسلم أنطيوخس الثالث هداياهم هذه أبحر إلى جزيرة تيلوس (البحرين) ثم منها إلى سلوقيا .

ومن خلال دراسة ماتم اكتشافه من قطع النقود المعدنية فى ثاج (٢) وفيلكا وجزر البحرين ومواقع أخرى والتى يعتقد أنها ضُربت فى هجر أمكن التعرف على بعض من أسماء ملوك الجرهاء وهم كما يرجح «روبين» أبياطع ، أبيئيل ، حاريطات ، ويرجح أيضاً تعاقبهم فى تولى الحكم مستنداً فى ذلك إلى دراسة الكتابة والنقوش القديمة وأساليبها وهم على النحو التالى :

أبياطع ٢٢٠ - ٢٠٠ ق . م ، حاريطات ١٨٠ - ١٦٠ ق . م ، أبيئيل ١٥٠ - ١٤٠ ق . م وإلى جانب قطعتين نقديتين من عهد هؤلاء الملوك عثر عليهما فى ثاج يوجد نظائر أخرى لهما فمما يحمل شعار أبياطيع هناك فى غور ديون مثال واحد من بين المجموعة الخامسة التى يصل عددها إلى ١٠٠ قطعة فى مجموعة يرجع تاريخها إلى حوالى ٢٠٠ ق . م

وفى مكتبينى فى فرجيا (مثالان من بين مجموعة من ٧٥٣ قطعة) فى مجموعة يرجع تاريخها إلى حوالى ١٩٠ ق . م .

وفى فيلكا (واحدة من بين مجموعة مكونة من ١٣ قطعة وثمانية من مجموعة عددها ١٦ قطعة فى مجموعة يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد ، كما عثر على المسكوكات التى تحمل شعار أبيئيل فى سوسه ، فهناك قطعتان من مجموعة مكونة من ٩٧ قطعة فى مجموعة يرجع تاريخها إلى حوالى ١٤٠ ق . م.

وفى البحرين ٧٧ قطعة من بين مجموعة عددها ٢٩٢ قطعة فى المدينة الخامسة ، ويرجع روبين مجموعة البحرين إلى عام ١٣٠ ق . م .

وينبه دانيال بوتس (٣) على أن روبين ، « ومورخولم » لم يكونا على اتفاق على المنشأ الأصلى

---

(١) - البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ٣١

(٢) - أطلال - العدد السابع عام ١٤٠٣ هـ ص ٧٦

(٣) - أطلال - العدد السابع عام ١٤٠٣ هـ ص ٧٦

لهذه القطع لاختلافهما فى تعيين موقع هجر التى ليست فى نظرى إلا الجرهاء التى تنتمى هذه المسكوكات إليها ، فقد ذهب روبين إلى أن هجر هذه تقع فى واحة دومة الجندل فى شمال شبه الجزيرة العربية (منطقة الجوف) والواقعة فى منتصف صحراء النفوذ ويرى « فون ويسمان » عكس ذلك فقد حدد منطقة الهجريين فى الأحساء وهو الموضع المعروف باسم هجار فى العصور الوسطى (هجر) ومن المحتمل أن يماثل قبيلة أجاروم الخاص بنقش كاسيت من البحرين وأجزابوى الذى تحدث عنه بلليني، واراسو ستيز ، وبطليموس ، واسترابو .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجغرافيين الذين يعتمد الباحثون على أعمالهم قد سجلوا لهجر أكثر من موقع وأكثر من تهجئة لاسمها ، ويرجع دانيال بوتس السبب فى ذلك إما لأنهم غير مدركين بأنها نفس الشىء أو لرغبتهم فى الالتزام بالأمانة العلمية فيما ينقلون . وفى اعتقادى أن ثمة سبب آخر يضاف إلى ماسبق وهو أن كثيراً من المواضع التى كانت تحط فيها قوافل الهجريين كانت تنسب إليهم حتى عرفت فيما بعد باسمهم واسم بلادهم ومن ذلك على سبيل المثال ماجاء فى إيضاح معنى القلال الهجرية الواردة فى الحديث الشريف فقد ذكر أنها قلال كانت ترد على المدينة من هجر « البحرين » فلما انقطع ورودها من هجر إنعدم وجودها بالمدينة ، وأن هذه القلال كانت تنسب لقرية فى المدينة تحمل اسم هجر كان الهجريون ينزلون بها لتسويق هذه القلال ، الأمر الذى يعزز الاعتقاد بأن المواضع التى تحمل اسم هجر (الجرهاء) كهجر المدينة وهجر نجران ، وهجر جيزان ، وهجر حصبة ، وهجر دومة الجندل وهجر الواقعة بالقرب من أم القوين بدولة الإمارات العربية المتحدة كان بعضها على الأقل محطات نزلها الهجريون أثناء رحلاتهم التجارية وربما كانوا يتخذون منها أسواقاً لمتاجرهم .

حيـاة الجرهــاء وزوالهــا

لاتسعفنا المصادر بتاريخ محدد لنشأة الجرهاء وتنحصر المعلومات الخاصة بذلك فيما تقدمت الإشارة إليه من القول بأن الجرهاء قد تأسست على يد كلدانيين قدموا إليها من بابل فراراً من بطش ملوك آشور أو المتغلبين على العراق من ملوك الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد تقريباً .

ومن الإشارات التى تلقى شيئا من الضوء على حياة الجرهاء والجرهائيين أن بطليموس أشار إليهم فى حوالى ١٥٠ م باعتبارهم إحدى القبائل المقيمة على ساحل الخليج وأن الجرهاء كانت لاتزال إحدى موانئهم ، ولعل من المفيد أن نتخذ من تشابه فخاريات المنطقة الشرقية وفيلكا أساساً لتحديد التسلسل الزمنى لحياة الاستيطان فى هذه المدن على اعتبار أنها بعض مراكز الجرهائيين ، فلقد (١) قامت السيدة « ليزهانستاد » بدراسة متأنية لفخار فيلكا ، وبعد مقارنته بفخار ثاج والمنطقة الشرقية التى أعدها كل من بيبى ودانيال بوتس ، فقد قامت بتحديد نسبة صغيرة من مجموعة فخار فيلكا التى يبدو أنها مستوردة من أرض الجزيرة العربية ، ولما اطلع دانيال بوتس على المواد الفخارية من فيلكا اتفق مع تلك السيدة فيما توصلت إليه من إكتشافات .

وتتضمن هذه الفخاريات أوان ملساء مطلية باللونين الأحمر والأسود معروفة أساساً أنها من ثاج وعين جاوان والمدينة الخامسة فى البحرين وفريق الأطرش فى تاروت . وقد رجح بيبى فى عام ١٩٧٣ م أن هذه المقارنة تؤكد أن فخاريات ثاج كانت تمتد من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادى ، ويرجح الأساس الذى بنى عليه هذا المدى الزمنى مايبدو أنه نسخ من الأوانى النبطية المصقولة التى وجدت فى فيلكا وتتشابه إلى حد كبير مع تلك التى وجدت فى ديبون والبتراء وترجع إلى القرن الأول الميلادى وربما تؤكد هذه المواد التوسع النبطى عبر الجزيرة العربية الذى بلغ مداه خلال عهد الملك أرتياس الخامس العام (التاسع قبل الميلاد - الأربعين بعد الميلاد) .

أما الأوانى الإغريقية الملونة التى اكتشفها بيبى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد فعلى الرغم من أنها تسمح بفسحة من الوقت بين بداية ظهورها فى بحر إيجه وظهورها فى الجزيرة العربيــة وربمــا ترجع إلــى وقـت متأخـر عـن ذلـك ومـع ذلـك فتحـديد تاريـخ فـى القـرن

---

(١) أطلال - العدد السابع ١٤٠٣ هـ ص ٧٨

الرابع قبل الميلاد لايتعارض مع الجزء المبكر المحتمل من الحقبة التى تم فيها حفر النقش الأحسائى .

هناك حقيقة أخرى بالنسبة إلى الاستيطان البشرى لثاج فى القرن الثالث قبل الميلاد وهى المقبض المختوم بشكل أمفورة فضية والذى عثرت عليه فى الموقع مسز فى ديكسون عام ١٩٦٤م ويرجع تاريخ هذا المقبض إلى الربع الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد .
وعلى الرغم من أنه لم يتوفر للباحثين تواريخ بالكربون ١٤ عن ثاج إلا أنه يمكننا (والكلام لدانيال بوتس) استخدام تاريخية ١١٥ ± ١٣٠ بواسطة (GX4822) و ٢٦٥ ± ١٣٠(GX4823) من الفترة الهيلينستية المتأخرة فى زبيدة بالقرب من عنيزة وذلك لتحديد آخر فترة محتملة للاستيطان البشرى لثاج وهذا يعتمد على حقيقة أن كلاً من زبيدة وعين جاوان وثاج معاصرة لبعضها إلى حد كبير .
وفى ضوء ماتقدم يمكن القول أن مدينة الجرهاء على فرض أنها كانت عاصمة تلك المراكز التجارية قد نشأت فى القرن السادس السابق للميلاد وظلت قائمة حتى القرن الثالث بعد الميلاد وأما عن أفول نجمها وزوال دولة الجرهائيين فإن الدكتور جواد على يرجع أسباب ذلك إلى أنه من الظاهر أن مدناً أخرى أصبحت تنافسها مثل مدينة كراكت حيث أثرت هذه المنافسة فى الجرهاء وذلك بسبب تحول الطرق البحرية عنها وتحسن وضع صناعة السفن مما أدى إلى تمكنها من قطع المسافات الواسعة من غير حاجة إلى التوقف فى موانىء كثيرة ولم تعد تقف فى موانىء الجرهائيين . أو أن الجرهائيين لم يتمكنوا بذلك من مزاحمة السفن الأخرى فأخذ نجمهم فى الأفول بالتدريج ، ولعل لتحول طرق القوافل البرية دخلاً فى ذلك أيضاً فقد كانت الطرق البرية أيضاً تتحول دوماً لعوامل سياسية واقتصادية وعسكرية وبتحسن وسائل المواصلات فتؤدى هذه العوامل لاندثار مدن وظهور مدن ولانزال نرى أثر هذا التحول فى حياة قرى جزيرة العرب .

ويلقى كل من الأستاذين عبد الله بن خالد الخليفة وعبد الملك الحُمر مزيداً من الضوء على هذا الجانب من حياة الجرهاء فيذكران أنه بالإضافة إلى احتمال انكماش الرقعة الزراعية ونقص محاصيلها أو حدوث فترة من الجدب فى المناطق المحيطة بالجرهاء يوجد سببان رئيسيان لزوال الجرهاء :-
الأول مزاحمة اليونانيين لكل من الجرهائيين والسبئيين فى ميدان التجارة وتفوقهم عليهم

وتمكنهم من السيطرة على التجارة وطرقها ووسائل نقلها وجميع مايقع تحت اسم النقل البحرى وهو السر الكامن وراء غنى الجرهائيين وثرائهم العريض . فقد بدأ اليونانيون أولاً بمشاركة الجرهائيين فى هذا المضمار وبمرور السنين إزداد اليونانيون خبرة ودراية بالملاحة فى تلك البحار ، فاكتشفوا الرياح الموسمية التى كانت يوماً ما سراً يحتفظ به الملاحون العرب لأنفسهم ، وقد تم هذا الاكتشاف لملاح يونانى يدعى هبيلوس حوالى عام ٩٠ ق . م ثم شاركهم الرومان . ويحدثنا التاريخ أن عصر أباطرة أسرة يوليوس (كلاديوس) وأسرة فيلابيوس بين ٩٦ - ٣١ ق . م كان عصراً ذهبياً للتجارة اليونانية والرومانية مع الهند وبلاد العرب .

إن انتقال التجارة والملاحة إلى أيدى الرومان واليونان وسلوكهم لطريق البحر الأحمر وسواحله قد أضعفت من مركز الجرهائيين ، فأخذت أحوالهم فى التدهور ويبدو أن القبائل العربية فى البوادى المجاورة لمدن الجرهائيين والتى كانت تشاركهم فى النقل ومن جرَّائه تكسب فوائد طائلة قد مُنوا بمثل هذا التدهور والكساد فاتحدت كلمة أهل البادية كالمعتاد على مهاجمة الحواضر حيث عجز رجال المال فيها عن تلبية طلباتهم وحاجياتهم وهذا يفسر حديث الإخباريين أن تنوخا هاجمت البحرين وبها قوم من النبط فسيطرت عليها مع مطلع القرن الأول الميلادى ، وهكذا انتهى عهد الجرهائيين واندثرت عاصمتهم الجرهاء ، غير أن هناك رأي أكثر تحديداً لتاريخ زوال إمارة الجرهاء بصورة نهائية ، خلاصته أن دولة الجرهائيين قد زالت تماماً على يد أردشير المؤسس الأول للدولة الساسانية ، فتذكر المصادر أن هذا الملك أعد أسطولاً عبر به الخليج إلى سواحله الغربية الجنوبية ، فنزلت قواته البحرين وطوقت بالحصار قلعة ملكها ساتيرون وبعد سنة من هذا الحصار آثر هذا الملك الموت على الاستسلام للعدو فألقى بنفسه من أعلى الحصن فمات ، وبذلك استولى أردشير على عرشه وكنوزه ، كما بسط سيطرته على الجرهاء وبنى المدن الثمان المنسوبة إليه والتى من بينها مدينة الخط وذلك بين سنة ٢٠٨ - ٢١٠ م . وقد ذهب إلى هذا الرأى الدكتور توفيق فهد نتيجة لمطالعاته فى كل من جغرافية بطليموس وكتاب بعنوان رحلة حول البحر الأحمر لمؤلف مجهول حيث لاحظ أن الجرهائيين والخطيين لايزالون مذكورين جنباً إلى جنب فى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد وذلك فى جغرافية بطليموس ، لكن اسم جرَّة لاوجود له فى الرحلة حول البحر الأحمر حيث اكتفى المؤلف بالقول أن هذه الناحية أصبحت تحت حكم أردشير ، وبما أن فتوحات أردشير قد بدأت فى سنة ٢٠٨ م وأنه احتل هذه الشواطىء فى أوائل عهده وأن الرحلة كتبت فى أول سنى أردشير نستطيع أن نستنتج أن مُلك جرَّه انتهى عند إحتلال أردشير لهذه الشواطىء .

حول مصير الجرهائيين

إن الحديث عن مصير الجرهاء وأفول نجمها يقودنا للبحث عن مصير الجرهائيين ، ونحن لاندرى عما إذا كانوا قد استقروا فى مواطنهم بعد احتلالها ، أم أنهم أرغموا على الخروج منها ألى أراض أخرى . وإذا ترجح لدينا أن نهاية الجرهاء كانت على يد أردشير وأن سكانها أو بعضهم على الأقل اضطروا لمغادرتها فلا بد أن نأخذ فى الاعتبار أن توجه النازحين إلى الشرق أو الشمال كان مستحيلاً لوجود الفرس فى تلك الأراضى ، فلا يبقى أمام الجرهائيين إلا أن يولوا وجوههم شطر الجنوب أو الغرب وهنا تستوقفني ملاحظة الشيخ حمد الجاسر على ماورد فى صفة جزيرة العرب من أن كندة سكنت حضرموت بعد جلائها عن البحرين .

فقد عُدَّ هذا القول على جانب كبير من الغرابة إذ المعروف أن اتجاه هجرات القبائل فى الجزيرة الانحدار من اليمن أو الحجاز شمالاً وشرقاً إلى بلاد الريف فى جوانب الجزيرة لا العكس . وقد أثارت ملاحظة الشيخ هذه فى نفسى عدة أسئلة عن صلة كندة بهجر «البحرين» وعما إذا كان انتماء هذه القبيلة إلى الجرهائيين وارداً لما يلاحظ من التقارب اللفظى بين الكنديين والكلدانيين ولما ورد فى النصوص عن صلة كلتا المجموعتين بهجر ، ثم الخلاف بين الكتاب فى الأصول العرقية لهما حيث لم يكن الخلاف قاصراً على الأصول العرقية للكلدانيين فقد شمل الكنديين أيضاً ، فزعم جورجى زيدان أن قبيلة كندة تنتمى للقحطانيين فى حين ذكر جواد على أن هذه القبيلة لابد أن تكون أقرب إلى القبائل العدنانية . هذا وإن المصادر قد ذكرت أن قبيلة كندة حين انتقلت من البحرين إلى حضرموت حظيت بالزلفى لدى ملوك سبأ فألحقوا وجوه رجالها بحاشيتهم ثم استعملوهم على عشائر نجد وأمدوهم بوسائل الدعم والمساعدة إلى أن أسسوا إمارة كندة التى بسطت سلطانها على نجد والبحرين . وإنى لأرى فى هذه المكانة الكريمة التى حققها رجال كندة لأنفسهم عند تبابعة اليمن مؤشرا هاما على أمرين هما :

١ - ان منزلة الكنديين الاجتماعية والسياسية فى البحرين قبل نزوحهم إلى حضرموت ربما كانت متميزة كأن يكونوا ملوكاً أو أمراء .

٢ - أن الصلة بينهم وبين السبئيين لابد أن تكون قائمة فى أكثر من مجال حين كان الجرهائيون وإخوانهم السبئيون سادة تجارة الشرق وطرقها ووسائط نقلها وبذلك كانت المصالح المشتركة أساساً لإنشاء رابطة تجارية قوية بين كندة والسبئيين .

وبناء على كل ماتقدم فإننى أرجح أن تكون هذه القبيلة جرهائية الأصل والمنشأ اضطرت إلى النزوح عن هجر بعد استيلاء أردشير على هذه البلاد وحين تعذر عليها التوجه إلى الشمال أو الشرق لم تجد خيراً من أن تيمم وجهها إلى غرب الجزيرة وجنوبها لتستقر بالقرب من أصدقائها وحلفائها من القبائل العربية فقصدت بعض عشائرها الحجاز وسكنت حول الموضع المعروف بالغمر الذى عرف بها على حد قول ابن الكلبى فى جمهرة النسب .

والغمر وادى من روافد وادى نخله الشامية لايزال معروفاً ، فى حين ارتحل آخرون من كندة إلى حضرموت وكان عددهم نيفاً وثلاثين ألفاً على ماذكر الهمداني . وبقى حول مصير الجرهائيين نقطة جديرة بالاهتمام تكمن فى علاقة جرهم بالجرهيين ومدينتهم الجرهاء . فلقد أورد الدكتور توفيق فهد عن ذلك مانصه (١) «ويصدف أنه فى الفترة التى يصمت فيها التاريخ عن مصير الجرهيين نجد قوماً غرباء عن مكة يملكون عليها متولين أمر الكعبة وإدارة الحج وهم الجرهميون فإذا اعتبرنا الميم كعلامة الجمع من الأسماء الآرامية القديمة يمكننا الافتراض أن الجرهميين كانوا من الجرهيين استقروا فى هذه المرحلة المهمة من مراحل القوافل التى كانت تنقل بضائعهم من شواطىء الخليج العربى إلى شواطىء بحر القلزم وبحر الروم ، ومن المحتمل أيضاً أنهم كانوا قد بنوا فى عهد عزهم وغناهم فى هذا الوادى قرب نقطة الماء التى كانت القوافل تتوقف عندها معبدا (٢) كرسوا به العهد الذى كانوا أبرموه مع بنى كنانة المالكين آنذاك على طرق الحجاز قصد الحفاظ على سلامة قوافلهم فديودورس الصقلى الذى كتب فى القرن الأول قبل الميلاد يتحدث عن معبد ذى شهرة واسعة وحرمة مقدسة عند سائر العرب كان يقع فى الشطر المقابل لبحر القلزم من الجزيرة العربية فمن الصعب أن نجد عبر التاريخ وفى تلك الناحية معبداً نعم بشهرة كبيرة واسعة مثل الكعبة» ولعل مما يعطى هذا الافتراض بعداً إضافياً أن نأخذ فى الحسبان ما كان للبحرين من مكانة دينية متميزة إبان الحضارة الدلمونية وبما أن الجرهائيين هم ورثة تلك الحضارة ومعطياتها فلا بد أن تكون عنايتهم بالنواحى الدينية كبيرة جداً ، وقد أشارت بعض النقوش المكتشفة فى تلك الفترة لجرهائيين كانوا يمارسون بعض الطقوس الدينية كتقديم القرابين للآلهة وماشاكل ذلك من أنماط العبادات السائدة آنذاك . واستشف صاحبا كتاب البحرين عبر التاريخ

---

(١) البحوث المقدمة إلى لجنة تدوين قطر جـ١ ص٣٧

(٢) - من الثابت بنص القرآن الكريم أن الذى بنى الكعبة هو ابراهيم الخليل بمعاونة ولده اسماعيل . اما جرهم فقد زادت فى بناء الكعبة كما تولت الإشراف عليها وإدارة شئونها حين تغلبت على ولد إسماعيل - مروج الذهب للمسعودى - جـ٢ - ص ٥٠

من أسماء القرى فى جزر البحرين أن الجرهائيين ربما تعبدوا لصنم اسمه جِد .

هذا وإن إهمال كتاب اليونان والرومان للجانب الدينى وجوانب أخرى من حياة الجرهائيين ليس بغريب لأن اهتماماتهم كانت قاصرة على إبراز النواحى الاقتصادية للجرهاء دون الالتفات إلى ماعدا ذلك من الشئون .

ويمكننا الجزم بصحة سبب ذلك الإهمال إذا وضعنا فى الاعتبار إلى أن كتابات أولئك عن جزيرة العرب كانت فى الأصل لأغراض سياسية وعسكرية تخدم أطماع ملوك تلك الأمم ورغبتهم الجامحة فى السيطرة على اقتصاديات الشرق وثرواته الأسطورية .

﴿ الفصل الخامس ﴾
المدن والقرى الدارسة والمفقودة

هجـــــر

يذكر الهمدانى فى صفة جزيرة العرب أن هجر بلغة حمير والعرب العاربة تعنى القرية وقد عرفت عدة مواضع بهذا الاسم أهمها حاضرة البحرين وقاعدته ومدينته العظمى التى غلب اسمها على الإقليم كله فعرف بها وذلك عند ظهور الإسلام أو قبله بعدة قرون ولعل الاسم كان فى الأصل منقولاً عن الفعل الماضى هَجَرَ بفتح الهاء والجيم بعدها راء بمعنى ترك ، أو من الهجرة وهى خروج البدوى من باديته والتحاقه بالمدن ، أو من الهَجِيرْ وهو شدة الحر أو من كمال الحُسن وتمامه يقال أهْجَرتْ الفتاة شبَّت شباباً حسناً (١) وهَاجَرَ ترك وطنه وفى التنزيل العزيز «والذين تبوءوا الدّار والإيمان من قبلهم يحبون من هَاجَرَ إليهم» والمُهَاجر من ذهب مع النبى أو إليه وهَجَّرَ سار فى الهاجرة ، تهاجر القوم الماء تناوبوه .

الأَهْجَرُ : يقال هذا أهْجَر من ذاك أى أطول منه وأعظم أو أكرم .

المَهْجرُ : المكان يهاجر إليه أو منه .

المُهجِر : الفائق الفاضل من كل شىء يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال بعير مهجر ونخلة مُهْجِرُ

المَهْجِرَ : يقال فتاة مُهْجِرَةُ تفوق غيرها حسناً وجمالاً ، ويقال شىء هَجَر لانظير له .

ولَقَيْتُهُ عين هجر أى بعد مغيب طويل كالسنة وقيل بعد ستة أيام .

الهجراء : الغناء والكفاية والْهَجْرَةُ السمينة التَّامة وكل بلد تمتاره بادية فهو هجرهم .

والهَجَران : حصنان بالمشقر وعُطاله فى هجر .

والنسبة إلى هجر هجرى على القياس قال أبو العلاء :

خُلِقَ الأنـــــام بحكْمَةٍ من رَبِّهـــــــم
فتَحــــكَّمَ الهَجَــرِيُّ فيـــــه وســــنْبَرُ (٢)

وهاجرى على غير قياس .

ويقول البكرى فى تفسير إسم هجر (٣)إما أنه فارسى الأصل معرباً من هكر أو أن يكون عربياً قديما نسبة إلى هجر بنت المكنف من العماليق .

أما ياقوت فيقول بهذا الصدد انما سميت عين هجر بهجر بنت المكفف وكانت من العرب العاربة وكان

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص ٩٧٢ ، ٩٧٣

(٢) المراد بالهجرى أحد أمراء القرامطة وهو الأعصم وسنبر وزيره

(٣) البكرى – معجم ما استعجم – جـ٢ ص ٨٢٧

زوجها مُحَلم بن عبد الله صاحب النهر الذى بالبحرين يقال له نهر مُحَلّم أو عين مُحَلم .
وقد وصف الهمدانى مدينة هجر (١) فقال مدينة البحرين العظمى وهى سوق بنى مُحارب من عبد القيس .
وقال البكرى فى معجم ما استعجم هجر مدينة البحرين وهى معرفة لاتدخلها الألف واللام .
أما ياقوت فقال فى معجم البلدان هجر مدينة وهى قاعدة البحرين وربما قيل الهجر بالألف واللام وقيل ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب . ولعل الاسم كان فى الأصل اسماً لحاضرة الإقليم ، ونظراً لأهميتها السياسة والتجارية أصبحت علماً على الإقليم كله بما فى ذلك الساحل والجزر المقابلة له .
قال المسعودى فى مروج الذهب «وفى ذلك الساحل مدينة الزَّارة والقطيف من ساحل هجر» وساحل هجر كما حدده إبن خرداذبة وابن الفقيه هو المنطقة الواقعة شمالى العقير من الساحل .

الموقـــع :

تقع مدينة هجر بواحة الأحساء على بعد نحو ٤٠ كم من ساحل البحر وعلى بعد ميلين إلى الجنوب من مدينة الأحساء القديمة الواقعة مكان قرية البطالية وماحولها ، ورغم أنه من غير الممكن فى الوقت الحاضر معرفة موقع مدينة هجر وحدودها بصورة دقيقة إلا أن من الجائز أن يكون موضعها شمال شرق مدينة الهفوف وقد سبقت الإشارة فى سياق الحديث عن الجرهاء إلى أن هجر قد تكون فى الموقع المعروف باسم البهيته بين مدينة المبرز وقرية البطالية .

وأما قول الشيخ محمد آل عبد القادر (٢)أن موقع هجر يقع فى الشمال الغربى عن محلة جواثا وإن موضعها قريب من قرية البطالية فلا يستند على أساس لأن هذا الموقع هو موضع مدينة الأحساء القديمة وقد نبه على ذلك الشيخ حمد الجاسر فى المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية ، وربما كانت هجر متسعة الأرجاء بحيث تشغل مواضع عدة قرى وحقول قامت على أنقاضها فيما بعد ، ولايزال السكان يعثرون بين الوقت والآخر فى القارة وبهيته ومابينهما على آثار ومسكوكات من عصور ضاربة فى القدم مما يؤكد أثرية هذه المواضع وكيف كانت آهلة بالسكان .

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩
(٢) تحفة المستفيد جـ١ ص ٦٨

ويستنتج الباحثون (١) من قول ابن الفقيه أن قصبة هجر هى الصفا والمشقَّر والشبعان أنها كانت على جانب كبير من الاتساع بحيث تشمل عدة أحياء ولو أن هذه الأحياء كانت منفصلة عن بعضها البعض فقد وردت الإشارة أيضاً إلى أن ثمة نهر يجرى بين الصفا والمشقر يقال له العين مما يعنى أن الأسماء الثلاثة كانت أحياء منفصلة تتكون منها مدينة هجر العظمى ، وكانت هجر مركزاً تجارياً هاماً يقصدها الناس من داخل الإقليم وخارجه لبيع منتوجاتهم وبضائعهم فى أسواقها الرائجة المائجة بمختلف أنواع السلع التى تلبى حاجة البيئتين البرية والبحرية ، وقد استقر فى هجر كثير من السكان من العرب وغيرهم للعمل لافى التجارة فحسب بل فى الصناعة ومختلف الحرف والمهن كالغوص على اللؤلؤ إلى جانب العمل فى الزراعة التى كانت تشكل جزءاً مهماً فى حياة الإقليم الاقتصادية ، وهجر أكثر البلاد وأطيبها تموراً وأكثر تجارتها رواجاً التمر ، وبه عرفت حتى سرى ذلك مسرى الأمثال فقالوا مستبضع التمر إلى هجر كجالب الدر إلى البحر . قال أبو عبيدة هذا من الامثال المبتذلة ومن قديمها وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطىء ، وكان نخلها كما تصفه كتب الأدب كثيرا ملتف غاية فى الجودة والطيب .

قال الراجز يذكر إبلاً خرجت للميرة إلى هجر ورجعت من غير طعام .

حُبِسْـنَ بـين رمـلة وقـف . .

وبيـن نخـل هجـر الملتـفِ

ثمـة أصـدرنا بغـير كـفِ

وقد استفاض ذكر تمرها على ألسنة الناس والثناء عليه فى الجودة والطيب فكان هدايا العشَّاق والمحبين فهذا رسول جميل إلى بثينة يبلغها ماأرْسِل به فتتحفه بتمر من تمر هجر .

---

(١) - د / سعد زغلول عبد الحميد - البحوث المقدمة للجنة تدوين تاريخ قطر جـ١ ص٤٤

سـوق هجـــر :

كان بهجر سوق سنوى يقصده الناس بعد تفرغهم من سوق دومة الجندل وتبدأ من غرة ربيع الآخر وتستمر طيلة ذلك الشهر وربما كانت هذه السوق أهم من سوق دومة الجندل ويعلل الباحثون ذلك بموقع هجر المتميز وتعدد موانئها التى تستقبل البضائع والسلع المتنوعة من فارس والهند كما كان تجارها يقصدون ببضائعهم مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، فقد حدَّث سويد بن قيس فقال (١) جلبت أنا ومخزمة العبدى بزاً من هجر فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فساومنا سراويل .

وكان كسرى كما تذكر المصادر يرسل إلى هجر بعض متاجره ، فيها الطيب والحرير ومختلف السلع فترجع من هجر القوافل إلى فارس محملة بالتمور ومنتجات شبه الجزيرة العربية ، وكان الذى ينظر فى شئون السوق المنذر بن ساوى أحد بنى عبد الله بن دارم فيعشر التجار القادمين إليها وهو ملك البحرين عامة وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله « عجبت لتاجر هجر وراكب البحر» وقد علل ابن قتيبة ذلك بأن تاجر هجر وراكب البحر سواء فى الخطر لكثرة الوباء بهجر وشدة أهوال البحر . ولا أرى لكلام ابن قتيبـة وجهاً صحيحاً لأن شهرة هذه البلاد بالحُمَى لاتزيد على شهرة يثرب وبها فَدَك الذى يُضرب المثل بحمَّاه وعمر أعلم الناس بذلك ، ثم إنه رضى الله عنه لم يتعجب من الذاهب إلى هجر بل يعجب من تاجرها وتاجرها مقيم فيها أصلاً ولعل ماعرف عن تجارها من المجازفة بأنفسهم فى البلاد وترددهم على الحجاز للتجارة رغم وحشة الطريق ووعورته هو الذى حمل عمر رضى الله عنه فيما أرى على أن يجعل تاجر هجر وراكب البحر فى الخطر سواء .

---

(١) رياض الصالحين ص ٤٤٩

الأحوال السياسية لهجر :

لقد كان بهجر عند ظهور الإسلام عدَّة بطون من مضر وأخلاط من أجناس مختلفة فيهم التجار والصناع وأرباب الحرف ، وقد مرت هجر بسبب مكانتها وازدهار الحياة الاقتصادية فيها بظروف عصيبة فتذكر المصادر أن سابور ذا الأكتاف قد ارتكب فيها من المجازر مايعجز القلم عن وصفه ، وعند ظهور الإسلام كان إقليم هجر يرزح تحت نير الاحتلال الفارسى فكان المرزبان أسبيخت يتخذ من مدينة هجر مقراً لإقامته ولكنه دخل الإسلام مع ملك البحرين المنذر بن ساوى كما أسلم معهما جميع العرب وبعض العجم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مركز هجر قد منى بالفتور تدريجيا فقد تعرضت هذه المدينة بسبب بعدها عن حاضرة الخلافة وإهمال الدولة لشئون هذا الإقليم لكثير من التقلبات والاضطرابات فدانت لصاحب الزنج سنة ٢٤٩هـ حيث انشق أهلها على أنفسهم بين مؤيدين ومعارضين لهذا الخارج على الدولة العباسية فنشبت بين الفريقين فتنة أرغمت صاحب الزنج على الخروج من هجر حيث التجأ إلى قوم من بنى سعد من تميم فى مدينة الاحساء ، ولعل الخلاف ترك على أهل هجر بصماته الواضحة فأفضى ذلك إلى ضعف مركز هذه المدينة .

فقد ذكر صاحب كتاب المناسك من أهل القرن الثالث الهجرى « أن فى هجر فى أيامه منبرين (جامعين) بينهما فراسخ فى مملكتين إحداهما مملكة ابن عياش من عبد القيس والأخرى مملكة موسى بن عمران بن الرجَّاف من عبد القيس فى جَبَلِه وساكنها عبد القيس » .

وفى سنة ٢٨٦ أو ٢٨٧ هـ أفل نجم هذه المدينة حيث خربها أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى بعد أن استعصى عليه فتحها وجاء تفصيل ذلك فيما رواه المقريزى فى كتابه «إتعاظ الحنفاء» فقد قال «ولم يمتنع عليه إلا هجر وهى مدينة البحرين ومنزل سلطانها وبها التجار والوجوه فنازلها شهوراً يقاتل أهلها ثم وكَّل بها رجلاً وارتفع فنزل الأحساء وبينها وبين هجر ميلان فابتنى بها داراً وجعلها منزلاً وتقدم فى زراعة الأرض ومضى فى الكلام إلى أن قال : هذا وهو لايغفل عن هجر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهراً حتى أكلوا الكلاب فجمع أصحابه وعمل دبابات ومشى بها الرجال إلى السور فاقتتلوا يومهم وكثر بينهم القتل ثم انصرف عنهم إلى الأحساء وباكرهم فناوشوه فانصرف إلى قرب الأحساء ثم عاد فى خيل فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به فإذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء تخرج من نشَزٍ من الأرض غير بعيد منها يتجمع ماؤها فى نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ثم ينزل إلى النخل فيسقيه فكانوا لايفقدون

الماء فى حصارهم . فلما تبين له أمر العين انصرف إلى الاحساء ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالاً كثيراً ثم رجع إلى الأحساء وجمع الناس كلهم وسار فى آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان والوبر والصوف وأمر بجمع الحجارة ونقلها إلى العين وأعد الرمل والحصى والتراب ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب فى العين وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة فقذفته العين ولم يغير مافعله شيئاً .
فانصرف إلى الاحساء بمن معه وغدا بالخيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين فى ساحل البحر وأنها تنخفض كلما نزلت فصرف جميع من كان معه وانحدر على النهر نحواً من ميلين وأمر بحفر نهر هناك وأقبل يركب هو وجمعه فى كل يوم والعمال يعملون فى حفره إلى السباخ ومضى الماء كله فانصب فى البحر ثم سار فنزل على هجر وقد انقطع الماء عنهم ففر بعضهم وركب البحر ودخل بعضهم فى دعوته وخرجوا إليه فنقلهم إلى الأحساء وبقيت طائفة لم يفروا لعجزهم ولم يدخلوا فى دعوته فقتلهم وأخذ مافى المدينة وأخربها فبقيت خراباً وصارت مدينة البحرين هى الأحساء ونقل الصاغانى فى التكملة وصفاً لجانب من هذه المأساة أدلى به أحد الأعراب من بنى كليب حيث قال : « لما فتح أبو سعيد القرمطى هجر سوَّى (١) حظاراً من سعف النخل وملأه بالنساء الهجريات ثم ألعج (٢) النار فى الحضار فاحترقن .
أما أبو على غريب بن سعيد فيذكر أن أبا سعيد القرمطى اقتحم مدينة هجر سنة ٢٨٧ هـ بعد حصار دام أربع سنين قاسى خلالها أهل هذه المدينة ألواناً من الارهاق والمعاناة فمسهم الضر والضعف وفتكت الأوبئة بخلق كثير منهم ومع ذلك فقد وضع القرمطى السيف فى رقابهم وقتل منهم ثلثمائة ألف بإلقائهم أحياءاً فى النار وتمكن قليل منهم من الفرار إلى جزيرة أوال ولم يبق فى هجر يومئذٍ على قيد الحياة إلا عشرون رجلاً ، وكان رئيس هجر آنذاك عياش المحاربى على حد قول المسعودى .

وبهذه النهاية المدمرة شطب التاريخ اسم هذه المدينة من خارطة إقليم هجر لكن الاسم ظل حياً يقصد به الأراضى الداخلية من الإقليم وهى منطقة الأحساء بمدلولها الحاضر بحيث لايندرج تحت هذا المدلول مدينة القطيف وتوابعها من الساحل المعروف بالخط وكذلك النواحى الأخرى من هذا الاقليم .

---

(١) – حضار : حائط من سعف النخل
(٢) – العج النار : أوقدها فيهم

المَشْقــــــر

يقع حصن المشقر إلى الشمال من مدينة هجر وهو فى نظر بعض الباحثين جزء من تلك المدينة إلا أنه يشكل فى ذاته مدينة لها أهميتها . وقد وصفه ابن الأعرابى بأنه مدينة عظيمة قديمة تقع على قارَة تسمى عطالة وفى أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهى إلى الأرض وتذهب فيها ، وماء هجر تتحلب إلى هذه البئر فى زيادتها وعلاوة على وقوع الحصن فوق تل مرتفع فهو محصن تحصيناً قوياً وقد جاء فى مراصد الاطلاع أنه من بناء طسم أو من بناء سليمان وسكانه من عبد القيس ويقابله حصن بنى سدوس ، وتنسب مصادر أخرى بناءه للفرس حيث كان لهم فيه حامية عسكرية عند ظهور الإسلام ، كما أقام به فيروز بن جشيش الملقب بالمكعبر والذى أصبح فيما بعد مرزبان الزَّارة ، وقد اشتهر هذا الحصن تاريخياً بأنه أحد حصون عبد القيس وقد أنشىء به جامع بعد أن تفيأت هذه البلاد بظل الإسلام الحنيف .

ويستنتج الباحثون من حديث المتقدمين عن هذا الحصن أنه كان وثيق البنيان ذو خطر حتى رفعوا نسبة بنائه إلى سليمان وحتى ضُرب به المثل فى المنعة والإحكام قال المُخَبَّل :

فلئن بَنَيْتَ لِىَ المشقَّر فى
صَعْب تقعُد دُونه العِصَمُ
لتَنْقِباً عنى المنيةُ إن
الله ليس كعِلْمه عِلم

ومن أهم الأحداث التى شهدها هذا الحصن بين العرب والفرس يوم الصفقة وسوف يأتى الكلام عليه فى موضعه من هذا الكتاب . ومن أشهر الشخصيات العربية التى أقامت بالمشقر الشاعر المعروف بامرىء القيس ، كما اعتصم به أصحاب أبى فديك بعد مصرع صاحبهم على يد الجيش الأموى .

سوق المشقر :

كان المشقر من أهم المراكز التجارية فى إقليم هجر وقد كان يقام فيه إحدى أسواق العرب الحولية التجارية وذلك من غرَّة جمادى الآخرة حتى آخره ، ويقصدها أخلاط من جميع أحياء العرب وتستهوى الإقامة فى المشقر كثيراً ممن يقصدها وذلك لخصوبتها ومايتوفر فيها من دواعى الاستقرار ، وقد كانت المشقر أعز أرض فى هجر كما يدل على ذلك إجابة وفد عبد القيس حين سألهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن أى هجر أعز (١).

وقد علل المرزوقى اختلاف القبائل والناس إلى المشقر وغيره من نواحى هجر بقوله وكانت لا تقدمها لطيمة (٢) إلا تخلف منهم بها ناس ، ومن هنا صار بهجر من كل حى من العرب وغيرهم ، وكان بيعهم فى هذه السوق بالملامسة (٣) والإيماء (٤)والهمهمة تحاشيا من الحلف والكذب .

ويستشف من حديث صاحب الأغانى عن هذه السوق أن لكسرى نفوذاً كبيراً على هذه السوق حيث ذكر أنه يقيمها متى شاء ويلغيها متى شاء .

يقصد هذه السوق العرب وأهل فارس على السواء ويجاورها من قبائل العرب تميم وعبد القيس ، لأنها لاتقام فى الأشهر الحرم فليس لها ما لغيرها من الأمن والحرمة ، لذلك يحتاج من يقصدها لخفارة يسير فى حمايتها وهى لاتؤتى إلا من بلاد مضر ، وملوك هذه السوق الذين يعشرون التجار فيها جماعة من بنى عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى من تميم يسيرون هنا سيرة الملوك فى دومة الجندل ، يدينون بالولاء لملك فارس ويستعملهم عليها كما يستعمل بنى النصر على الحيرة وبنى المستكبر على عُمان ويؤمها من فارس خلق كثير ولاتعرض تجارة ولايقوم بيع حتى تباع تجارة الملك بتمامها كما هو الشأن فى سوق دومة الجندل .

---

(١) - أبى يوسف يعقوب بن سفيان - المعرفة والتاريخ جـ١ ص ٢٩٨

(٢) - اللطيمة : القافلة التجارية التى تحمل الطيب والتحف - أسواق العرب - سعيد الافغانى

(٣) - الملامسة : هى أحد بيوع الجاهلية ولها صور كثيرة منها أن يجعل المتبايعان اللمس نفسه بيعاً بغير صيغه

(٤) - الإيماء والهمهمة هما ضرب من بيوع الجاهلية وهما الكلام الخفى وكل كلام معه بحح .

الصَّفــــــــا

يعد الصفا من أهم الحصون فى هجر وهو مدينة هامة يسكنها عبد القيس وتقع قبل مدينة هجر مما يلى المشقر يفصل بينهما نهر يجرى بجوار مدينة محمد بن الغمر يعرف باسم العين ولعل موقع الصفا كان قطعة الأرض الواقعة بين الهفوف والمبرز المعروف بالصوفيا فقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد العبد القادر (١) وقد وصف كل من ياقوت وابن الفقيه الصفا بأنه قصبة هجر وأشار الأخير إلى أن الصفا قد شهد أحد أيام العرب المعروفة .

قال جرير :

تركتم بوادى رَحْرَحَان نسائكم
ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا

وشهرة كل من الصفا والمشقر مستفيضة فى ألسنة العرب ذكرهما كثير من شعرائهم ومن ذلك قول الأعشى :

فإن تمنعوا منا المشقر والصفا
فإنَّا وجدنا الخط جماً نخيلهُا

وذكره أبو لؤى الهذلى فى مرثيته لبنيه فقال

حــتى كــأنى للحــوادث مــروة
بصفا المشقر كل يوم تقرعُ

ويفهم من هذا البيت أن الصفا كان جزءاً من المشقر .

وهذا جرير يهجو العباس بن يزيد الكندى فيقول :

ألا أبلــغ بنــى حجـر بن وهب
بــأن التمــر حــلو بالشــتاء

فعــودوا للنخيـل فأبــروها
وعيثــوا بالمشــقر فالصــفاء

وفى التهذيب للأزهرى قول لبيد يصف نخلاً نابتاً على الماء ارتفع فى عنان السماء فهو يقول :

سحق يمتعها الصفا وسريـه
عمّ نواعـم بينهـن كــروم

---

(١) تحفة المستفيد جـ١ ص ١٧ ، ١٨

والصفا والسرى كما تقدم نهران يتخلجان من نهر مُحلم المشهور ، وجاء أن الصفا نهر يتخلج من عين محلم والسرى خليج يتخلج من ذلك النهر .

وقد جاء فى تعقيب للشيخ حمد الجاسر (١) على بعض النصوص السالفة الذكر قوله : «ومن المعروف أن الأنهار كثيراً ماينشأ بقربها أماكن للسكن وقصور وحصون تسمى باسمها ونهر محلّم أصبح مجهولاً وكذا الصفا ، وفى تاريخ الأحساء لايعرف فى الأحساء نهر بهذا الاسم ولاحصن أيضاً إنما توجد قطعة أرض بين مدينتى الهفوف والمبرز تسمى الصوفيا وفيها الآن محطة توليد الكهرباء ، وما أرى الصفياء هذه والكلام للشيخ حمد تنطبق عليها أوصاف الصفا فهى مكان مرتفع ولا أثر لمجرى النهر فيها ، وليست بالقرب من عين أم سبعة التى تنطبق كثير من أوصاف نهر محلم عليها ثم إن الاسم حادث وكلمة الصفا وما اشتق منها من كلمات يكثر إطلاقها على كثير من المواضع» .

ومما تجدر الاشارة إليه أن قطعة الأرض التى أشار اليها الشيخ محمد بن عبد القادر والتى وصفها الشيخ حمد بأنها أرض مرتفعة ولاأثر لوجود نهر بها قد تم تخطيط ماحولها ضمن النطاق العمرانى للهفوف والمبرز وقد حدثنى بعض أصحاب المنازل المستحدثة بها أنهم واجهوا أثناء حفر الأرض لإقامة أساسات منازلهم صعوبات كثيرة فى الحد من مياه وجدوها تتدفق بغزارة من الغرب الى الشرق فيما يشبه النهر ، يبدو فيه أثر العناية البشرية واضحاً حيث بُلطت أجزاء منه بالجص الحكرى وهى مادة تستخدم فى تبليط وطى مجارى المياه وعيونها فإذا أمكن اعتبار ماتم العثور عليه هو بقايا نهر الصفا المتفرع عن نهر مُحلم فإن مدينة الصفا تكون على مقربة منه وأن نهر مُحلم ومايتخلج منه من أنهار كالصفا والسَّرى قد غمرتها الرمال أو أن مياهه قد انحسرت فانحصرت فى نطاق مصدره لسبب من الأسباب كانخفاض ضغط ينبوع العين التى تغذيه أو ارتفاع ماحول هذه العين من الأراضى فى الأزمنة المتعاقبة فتصبح واحدة من عشرات العيون التى لاتبعد كثيراً عن الصوفيا كعين أم خريسان والبحيرية ، وأم نسيم وغيرها .

وإذا ترجح إعتبار أن عين محلم هى عين أم سبعة فإن إطلاق الصفا على مدينة أو نهر أو عين فى هجر لايحتم كونهما فى موضع واحد إذ من الجائز أن يكون كل منهما فى ناحية منها مع اتفاقهما فى الاسم .

---

(١) - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية - البحرين قديماً ص ٩٧٢

الشَّبْــــــعْان

الشـبعان أحـد الجبـال المعـروفة فى هجـر ذكـره صاحـب معجـم البلـدان فقـال (١) «الشبعان جبل بالبحرين يتبرد بكهافه»

قال عبيد بن زيد :

تزوّد من الشبعان خلفك نظرةً

فـإن بـلاد الجـوع حيث تميم

وقال ابن حمراء :

أبا الشبعان بعدك حَرَّ نجد

وأبطـحَ بطـن مكـة حيث غار

وفى تحفة المستفيد (٢) : هو الجبل المعروف الآن بالأحساء بجبل القارة وسمى الشبعان لكونه فى وسط النخيل والأنهار من جميع جوانبه فهو الشبعان والرَّيان أيضاً ، وبهذا الجبل عدد من المغارات التى لم يقم أحد حتى الآن بسبر أغوارها لما تتصف به من تعرج بين ضيق واتساع وعلو وهبوط ، وتتميز هذه المغارات بانخفاض درجة الحرارة فيها وبخاصة عندما يكون الجو الخارجى بالغ الحرارة ، ومن أعجب هذه المغارات المغارة المعروفة بغار النشّاب حيث تدهشك برودتها بمجرد الإقبال على مدخلها الذى يفضى عبر دهليز ضيق به عدد من العتبات الممهدة إلى قاعة فسيحة ينعم فى أعطافها مرتادوا الجبل بالبرد الشديد فى حمَّارة القيظ .

ويذكر شارح ديوان ابن المقرب أن منزل عيَّاش بن سعيد رئيس بنى محارب عند استيلاء أبى سعيد القرمطى على مدينة هجر سنة ٢٨٦ هـ كان بجبل الشبعان ، ويقع هذا الجبل فى شمال شرق الهفوف على بعد سبعة أكيال منها وتحيط به حدائق النخيل ، وقد أنشىء فيه مؤخرا بعض وسائل الترفيه كما زود بالطاقة الكهربائية والماء ، وتقع على سفوح هذا الجبل أربع قرى هى القارة وبها يعرف ، والتيمية ، والدالوة والتويثير ولعل هذه القرى كانت البقية الباقية من مدينة الشبعان التى كانت بدورها فى نظر بعض الباحثين جزءاً من مدينة هجر القديمة أو مدينة الجرهاء على حد قول نجيل جروم على اعتبار أنها القارة المدينة التى أشار إليها جوبا ملك موريتانيا .

---

(١) - ياقوت الحموى - معجم البلدان ص ٣١٢

(٢) - محمد آل عبد القادر - تحفة المستفيد ص ١٦

جــــــواثا

تعد جواثا من أهم مدن هجر إبان ظهور الإسلام ، وهى من المواضع القليلة التى لاتزال معروفة المكان حيث تقع شرقى قرية الكلابية فى الأحساء .

وقد أصبح موقع جواثا منتزها يوصل إليه بطريق معبد ، ولعل الفضل فى بقاء ذلك الموضع معروفاً يرجع لمسجدها الذى شهدت كتب الحديث ومصادر التراث بأنه أول مسجد صليت به جُمعة بعد مسجد الرسول ﷺ فى المدينة وثالث مسجد ظلت تؤدى فيه الصلاة حين ارتد العرب بعد وفاة الرسول .

فأهل جواثا وهم من عبد القيس خير وفود المشرق إلى النبى ﷺ كثيروا الاعتزاز بهذا المسجد وقد عبر عن ذلك شاعرهم حيث يقول :

والمسجد الثالث الشرقى كان لنا

والمنبران وفصل القول فى الخطب

أيام لا مسجداً للناس تعرفـــه

إلا بطيبة والمحجوج ذو الحجب

ومن هنا كانت المحافظة على المسجد والعناية به فى الأزمنة المتعاقبة من أهم الأسباب التى أبقت هذا الموقع على خارطة الوجود .

الأصل اللغوى لجواثا والأحوال العامة للمدينة

قال ياقوت فى معجم البلدان (١) جواثا بالضم وبين الألفين ثاء مثلثه ، يمد ويقصر ، وهو عَلم مرتجل : حصن لعبد القيس بالبحرين ورواه بعضهم جؤاثا بالهمزة فيكون أصله من جئث الرجل إذا فزع فهو مجؤوث أى مذعور ، فكأنهم لما كانوا يرجعون إليه عند الفزع سموه بذلك . قالوا : وجؤاثا أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة .

---

(١) - معجم البلدان - جـ٢ ص ١٧٤

ووصف البكرى جواثا بأنها مدينة فى البحرين . وقال عياض : وبالبحرين موضع يقال له قصر جواثا . وتحدثنا المصادر أنه فى أعقاب انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتدت العرب إلا عبد القيس ومن والاهم فى البحرين ، فقد اعتصموا بحصن جواثا وقد حاصرهم المرتدون ولكن المحاصرين بادروا بالكتابة إلى الخليفة أبى بكر بطلب النجدة ، فسارع بإرسال العلاء بن الحضرمى لنجدتهم ، فى حين التف المرتدون ومنهم عشائر بكر بن وائل ومن فى البحرين من العجم والأجناس الأخرى حول «الحطم بن ضبيعة» «والمنذر بن النعمان» ودار القتال سجالاً بين الفريقين وفى ذات ليلة سمع المسلمون فى معسكر المرتدين ضوضاء شديدة فأرسل العلاء « عبد الله بن حذف الكلابى» لاستجلاء الخبر ، فعاد وأخبر المسلمين أن الأعداء سكارى ، فخرج المسلمون لهم واقتحموا معسكرهم ووضعوا فيهم السيف فحاقت الهزيمة بالمرتدين واستولى المسلمون على مابحوزتهم من الأموال والعتاد بعد أن قتل من المرتدين عدد كبير فى مقدمتهم «الحطم» و «المنذر بن النعمان» الملقب بالغرور فى إحدى الروايات .

وبعث العلاء بعد استكمال النصر على المرتدين فى جميع أراضى البحرين بالأموال إلى المدينة ورسالة موجزة تحمل بشارة النصر إلى الخليفة أبى بكر رضى الله عنه هذا نصها (١):

« أما بعد : فإن الله تبارك اسمه قد سلب عدونا عقولهم وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار فاقتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارى فقتلناهم إلا الشديد ، وقد قتل الله الحطم »

وذكر البلاذرى بين من استشهد من المسلمين فى جواثا (٢) عبد الله بن سهيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى ويكنى أبا سهيل وهو من أهل بدر وكان عمره حين استشهد ثمان وثلاثين سنة ، كما استشهد فى يوم جواثا أيضاً عبد الله بن عبد الله بن أبى كما فى رواية الواقدى . ويظهر أن يوم جواثا ومارافقه من نصر للمسلمين قد أحدث فى كبرياء الفرس جرحاً لم يندمل لوقت طويل لذا نجد ابن خرداذبة وهو المعروف بشعوبيته يقلل من شأن هذا اليوم ويوم ذى قارحين يورد بيتا فى مدح أحد العجم يقول :

مـــا ضَرَ أشـــناس لايكـــون لـــه

يـــوم جـــواثا ويـــوم ذى قـــار

---

(١) الوثيقة : العدد السادس السنة الثالثة – ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ يناير ١٩٨٥م ص٢٤

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٩٥

ومما يذكر من تاريخ جواثا أن حركة الخوارج من أصحاب نجدة الحنفى (١) حين آلت رئاستهم لأبى فديك انتقل من اليمامة إلى البحرين واتخذ من جواثا مقراً لكرسى حكمه وذلك فى سنة اثنتين وسبعين هجرية . وإن مما يلقى الضوء على مايتمتع به أهل هذه المدينة من نزعة أدبية تجمعهم على الود والصفاء قول الأصمعى « كان قوم من أهل البحرين من جواثا يتواصلون على العلم والأدب فغاب رجل منهم إلى أكناف العراق فأقام بها برهة ثم عاد فوجد صديقين له قد ماتا فضرب على قبريهما فسطاطا وأقام حولاً بينهما ، فلما إنقضى الحول قوَّض فسطاطه ثم قال :

خليلىَّ هُبَّا طالما قد رقدتما

وجدتكما لاتقضيان كراكما

وجدتكما ماترحمان متيماً

مقيماً على قبريكما لايراكما

أمن طول نوم لاتجيبان داعياً

كأن الذى يسقى العقار سقاكما

أقيم على قبريكما لست بارحاً

طوال الليالى أويجيب صداكما

ألم تعلما مالى براوند كلها

ولا بجواثا من حبيب سواكما

سأبكيكما حتى الممات وما الذى

يرد على ذى عولة إن دعاكما

وكانت جواثا مركزاً هاماً ومنبتاً لأجود التمور وأطيب النخيل ، تقصدها القوافل بأنواع السلع من كل مكان وتعود منه محملة بأنواع البضائع وأطيب التمور لذا نجد إمرىء القيس يشبه ماحصل عليه ورفاقه من الصيد بما مع تجار جواثا من السلع فى الكثرة حيث يقول :

ورحنا من جواثا عشية

نعال النعاج بين عذل ومشنق

---

(١) - عبد الرحمن النجم - البحرين فى صدر الاسلام وأثرها فى حركة الخوارج ص ١٣٤

وهذا كثير يصف حدائج الأضعان فيقول :

كَدَهم الركاب بأضعانها

غدت من سماهيج أو من جواثا

أما أبو تمام فيقول :

زالت بعينيك الحمول كأنها

نخل مواقر من نخيل جواثا

وجواثا مثل بقية أراضى هجر اشتهرت بوفرة المياه وجودة النخيل فقد كان الماء فيها على وجه الأرض ولاتزال عينها وإن تغيرت معالمها عامرة يستقى منها كل من يقصد تلك الجهة ، ولعل الضعف أخذ يتسرب إلى مدينة جواثا تدريجياً كلما فنى منها جزء غرس نخلٌ فقد وصفها الحازمى فى كتاب البلدان بقوله : إن جواثا قرية فى البحرين .
كما يلاحظ أن صاحب كتاب المناسك حين عدَّد المنابر فى البحرين لم يذكرها رغم أنَّه من أهل القرن الثالث بينما ذكر أبو تمام نخلها كما مربنا وهو من أهل ذلك القرن . وقد سبقت الإشارة إلى أن الأزهرى لما ذكر عين مُحلم قال : تتخلج منها خلج تسقى نخيل جواثا وعسلج . وأكبر الظن أنها زالت على يد القرامطة حين اجتاحوا هذه البلاد وكانت آنذاك تحت رئاسة العوام بن الهيثم الربعى على حد قول المسعودى فى التنبيه والإشراف .

ويعزو الشيخ حمد الجاسر سبب اندثار جواثا لزحف الرمال غير المستقرة التى ذهب ضحيتها عدد من قرى تلك الجهة ، ورغم أن جواثا واقعة فى مرتفع من الأرض إلا أن الرمال المتموجة قد داهمت القرية من جهتها الغربية كما طمرت أكثر بيوت قرية الكلابية . وكانت معالم جواثا إلى ماقبل خمس وعشرين سنة خلت أكثر وضوحاً حيث يظهر المسجد وسط موقع البلدة وقد غطت الرمال أغلب أجزائه ولم يبق سوى شرذمة من جداره القبلى وخمس أساطين فى جهته الجنوبية من رواقيه الثانى والثالث وهذه الآثار مبنية من الحجارة واللبن والطين ومبلطة بالنورة تبليطاً يظهر منه أنه أحدث من البناء . وقد حدثنى الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن العرفج [1] وهو أحد الثقاة المعروفين – أن مسجد جواثا قد رمُم سنة ألف ومائتين وعشرة هجرية وأن الذى قام بترميمه الشيخ أحمد بن عمر آل ملا وهو أحد المعروفين بورعهم .

---

(١) من أسرة العرفج المعروفة بالأحساء التى تعود نسبتها الى المصاليخ من عنزة قدم جدهم سلطان من شمال الجزيرة إلى الأحساء وبصحبته أولاده الثلاثة وهم عبد الله وصقر وحمد وذلك فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى .

وقد قدَّر الشيخ حمد الجاسر طول المسجد بعشرين خطوة أما عرضه فهو عشر خطوات وفى الشمال الغربى على بعد سبعة وعشرين متراً من المسجد تلاحظ آثار قبة مدورة الشكل طول محيطها أربع وثلاثون خطوة يزورها بعض أهل القرى القريبة منها ويذكرون أنها قبر لأحد الصحابة وهو أمر متواتر عندهم فلعله لعبد الله بن سهيل بن عَمرو أو لعبد الله بن عبد الله بن أبَى وقد تقدم أنهما استشهدا فى جواثا أثناء القتال مع المرتدين ، أما عين جواثا فتقع فى الجهة الشرقية من المسجد على مقربة منه وكان مجراها فيما يظهر يتجه نحو الغرب ويسقى الأرض الواقعة غرب جواثا حيث توجد آثار تدل على أنها قد غرست نخلاً ، ومياه تلك الجهة قريبة من وجه الأرض فمتى حفرها الإنسان بيده يجد الماء الصالح للشرب .

وفى الجنوب الغربى من جواثا آثار مقبرة فيها قبور لاتزال بارزة لعلها كانت مقبرة جواثا وقد سجل هذه الملاحظات عن آثار جواثا الشيخ حمد الجاسر (١) حين زارها سنة ١٣٥٨ هـ غير أن هذه المعالم قد زال أكثرها فى السنوات المتأخرة عندما بدأت وزارة الزراعة سنة ١٣٨٧ هـ فى تنفيذ مشروع حجز الرمال الزاحفة على القرى الشرقية ، فقد كان المهندس المسئول عن المشروع رجل فاضل من مصر يدعى عز الدين حسن عزَّ عليه أن تبتلع الرمال الزاحفة مسجد جواثا فتحمس لإبرازه وإزاحة الرمال عَمّا حوله وتيسير الوصول إليه بطريق ممهد ثم أخذ الاهتمام بالموقع يتزايد لدى منسوبى وزارة الزراعة ولكن من وجهة ترفيهية محضة بعيدة عن التقييم الأثرى للموقع فأنشأت عليه منتزهاً أخفى جميع الآثار فيما عدا البقية الباقية من المسجد وقد أحيط بها بناء حديث .

---

(١) المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية - البحرين قديماً - جـ١ ص ٤٢٩

بيشـــــة

أورد هذا الاسم الإدريسى فى كتابه « نزهة المشتاق» على اعتبار أنه اسم مدينة من مدن البحرين ، وقد أورد الاسم برسم نيشه ، وكثرة تحريف الأسماء فى كتاب الإدريسى ملحوظة .

وحين ذكر الشيخ حمد الجاسر هذا الاسم فى كتابه المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية ذكر أنه لم يقف على موضع يحمل هذا الاسم ، وأورد احتمال كونه بثينة وهو موضع ذكرت المصادر أنه هضبة فى البحرين ولم يحدد موقعها بصورة دقيقة .

ثــــاج

ثاج اسم يطلق على مدينة فى البحرين هى الآن من أهم المناطق الأثرية بها ، وبعض أفراد قبيلة العوازم بمن فيهم أهل ثاج يستعملون الاسم بلفظ فاج بدلاً من ثاج جرياً على عادة بعض العرب فى إبدال الثاء فاءً فى بعض الكلمات وقد ورد هذا الاسم فى جغرافية بطليموس بلفظ فيجيا وذلك ضمن أسماء الأماكن الواقعة على طريق التجارة فى بلاد البحرين مما حمل بعض الباحثين على الاعتقاد بأن كلمة فاج ربما تكون هى الكلمة الأصلية . وكان ج . مندفيل (١) أول من رجح بأن المقصود بفيجيا القديمة الواردة فى خريطة بطليموس لآسيا هى مدينة ثاج الحالية وقد جاراه فى ذلك كل من فون ويسمان وألثيم وإستيهل وجيمس وذلك على أسس لغوية وتاريخية .

وتقع ثاج على مسافة حوالى ثمانين كيلاً غرب مدينة الجبيل على خطوط عرض ٢٦°، ٢٥,٥° شمالاً وخطوط طول ٤٨°، ٤٢,٩° شرقاً على بعد خمسة أكيال من طريق الكنهرى ذى الشهرة التاريخية فى مجال التجارة بين الشرق والغرب حيث يصل العراق بشبه الجزيرة العربية والخليج . وثاج تتوسط مناطق متميزة المعالم ، فالمنطقة الواقعة إلى الجنوب منها تعرف بالجبل ، وفى الشمال والشمال الشرقى الردايف ، وفى الشمال الغربى وادى المياه .

وتشغل الأطلال والخرائب الأثرية بثاج مساحة تقدر مجموعها ب ٢٠٠ كم مربع منها مجموعتان فى صورة أكمات تقع إحداها فى الشمال الشرقى من الموقع والأخرى فى الغرب منه كما تبدو للعيان أسس البناء القديم فى القرية وفى أجزاء مما حولها وذلك على شكل مستطيل يقدر طوله بزهاء ستمائة متر وتمتد أضلاعه الطويلة فى الشمال والشمال الغربى وفى الجنوب والجنوب الشرقى ويحد هذا الموقع القديم من الشمال قرية ثاج الحالية وربما إمتدت الحدود

---

(١) أطلال : العدد السابع سنة ١٤٠٣ هـ ص٧٩

إلى السبخة متجاوزة لثاج ، ويحده من الجنوب منطقة مرتفعة قاحلة مكونة من حجر الكلس ويحده من الشرق جرف تقوم على طول حافته آثار واضحة لسور ضخم يبلغ طوله حوالى ٣٠٠٠ متر كان يحيط بالمدينة .

وأسطح منطقة الأطلال هذه تأخذ فى الارتفاع بالتدريج مبتدئة من الناحية الشمالية الغربية حتى الناحية الجنوبية الشرقية ويوجد فى الجزء الشمالى الغربى من الموقع الأثرى أساسات واضحة لثلاثة جدران تلتقى فى زاويتين يورد الباحثون احتمال كونها حصناً ، كما تبدو أساسات الجدران واضحة فى كثير من الأماكن هناك وهى مبنية على الأغلب بقوالب جيدة من حجر الكلس واستعمال المعدات فى البناء من الأمور التى يلحظها الباحثون وقد استعمل سكان ثاج الحاليون الكثير من هذه القوالب فى بناء بيوتهم .

ولوجود ثاج فى وادى الستار المعروف باسم وادى المياه كانت المياه هناك غزيرة ومنها مايجرى سيْحَا على وجه الأرض وقد غار أكثرها ، وهناك نحو عشرين بئراً مطوية بالحَجر وقد لاحظ الباحثون أن معظمها بُنى على مرحلتين : فأسفل البئر مبنى من قوالب الكلس الناعمة الجيدة القطع وأعلى البئر مبنى بقوالب كلسية خشنة يظهر أنها بُنيت حديثاً وعمق هذه الآبار يتراوح بين ٥ ـ ٦ أمتار أما قطر فتحتها فهو أربعة أمتار ، كما يوجد أيضاً كثير من أشجار النخيل المزروعة فى غير انتظام وتتناثر فى أرض الموقع كسر الفخار غير المصقول من اللونين الأسود والأحمر إلى جانب أشكال مختلفة بعضها فى شكل مباخر كاملة الصنع وبعضها فى صورة جمال تعرضت أجزاء منها للكسر كالرأس أو الرجل وكذلك جزء من مقدمة بقرة ذات رأس جميل الصنع ، وكذلك أشكال لأجسام بشرية بينها نساء فى أوضاع مختلفة يظهرن فى بعضها وكأنهن راكعات .

كما توجد فى ثاج أكمات كثيرة تبدو العناية البشرية فى صنعها واضحة وهى مغطاة بالتراب ، قمم بعضها مستديرة وقمم الأخرى هاجمة ربما بسبب انهيار داخلى فى بنائها أما ارتفاعها فهو من ٥ إلى ٦ أمتار ، ولبعض الأكمات المستديرة القمة لون غامق خاص كما يلاحظ فى صورة من الجو أخذتها شركة أرامكو لجزء من الموقع الأثرى . والتنقيب وحده هو الكفيل بإماطة اللثام عما إذا كانت هذه الأكمات قصوراً أو مدافن ، ولهذه الأكمات نظائر فى مواقع أخرى من المنطقة الشرقية وجزر البحرين .

وقد عُثر فى ثاج وفى الحناءة الواقعة على بعد ٩ أكيال من الناحية الشمالية الشرقية منها على مجموعة ملتقطات قيمة منها مخطوطات بالخط المسند (١) والخط الأحسائى والكتابة

---

(١) أطلال : العدد السابع سنة ١٤٠٣ هـ ص ٧٩

الآرامية حفر أكثرها على قوالب من حجر الكلس المحلى وأكثر هذه النقوش عبارة عن شواهد قبور معمولة وفق قاعدة ثابته مع اختلاف أسماء الأشخاص المدونة عليها ، كما عُثر على قطعتين نقديتين (١) من مسكوكات ملوك هجر فى القرن الثانى قبل الميلاد وكذلك على مقبض مختوم بشكل أمفورة فضية يمكن إرجاع تاريخه إلى الربع الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد سبقت الإشارة لما أجرى على الملتقطات السالفة الذكر من دراسة وتحليل وماتحمله من المؤشرات الزمنية لتاريخ الاستيطان بثاج وسائر المواقع فى إقليم هجر وذلك فى المواضع المناسبة من هذا الكتاب .

وأذكر هنا أن الباحثين قد أعطوا بعض المؤشرات الزمنية لتاريخ الاستيطان بثاج من خلال ما أجروه من دراسة لكسر الفخار المصقول وغير المصقول وكذلك النقوش على الأحجار والمسكوكات المأخوذة من ثاج والهفوف والظهران وتاروت وعين جاوان ومقارنتها بما لها من نظائر فى جزيرة البحرين وجزيرة فيلكا ومدينة سوسة وغيرها من المواضع الأثرية الأخرى .

وقد تمخضت تلك الدراسات عن القول بأن تاريخ الاستيطان فى ثاج يمكن إرجاعه إلى سنة ٨٥٠ قبل الميلاد وإن بدا هذا الاستيطان أكثر وضوحاً فى القرن الرابع قبل الميلاد وماتلاه من القرون حيث بلغت ثاج أوج ازدهارها فى عصر الاستيطان السلوقى بهذه النواحى وهو العصر الذى تلا فتوحات الإسكندر فى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد . فقد كانت ثاج فى تلك الفترة من أهم المراكز التجارية الأمر الذى حمل بعض الباحثين من أمثال ب . ب جلوب رئيس البعثة الدنمركية إلى الخليج وغوردون على وضع ثاج فى جملة الأماكن المرشحة للبحث عن بقايا مدينة الجرهاء التاريخية وذلك تأسيساً على تقرير استرابو الذى يقول (٢) بأن الجرهاء تقع داخل الجزيرة على بعد مائتين قامة من ساحل الخليج . غير أن الباحث نجيل جروم قد استبعد هذا الرأى حين عرضه فى بحث هام أعده عن الجرهاء ونشر فى أطلال .

أما التعرف على مسيرة ثاج التاريخية من خلال الشعر العربى وكتب البلدانيين العرب فيتضح منها أن هذه المدينة ذات تاريخ حضارى موغل فى القدم ، وقد نسب عمرانها فى الزمن الأول إلى ملوك عاد ومملكة هؤلاء من الممالك البائدة فى شرق بلاد العرب ولأحد الملوك سالفى الذكر وهو لقمان بن عاد ركيَّة بثاج مطوية بأحجار يزيد طول الواحدة

---

(١) أطلال – العدد السابع سنة ١٤٠٣ هـ ص ٧٥

(٢) أطلال – العدد السادس سنة ١٤٠١ هـ ص ٩٥

منها على المتر ، وهذا راشد بن شهاب اليشكرى يتحدث عن قصر منيع محكم البناء أقامه بثاج من حجر أطلال عمران سابق قد هُيِّء واصطنع من عهد إرم وهى قبيلة من عاد وقد عبر الشاعر عن مباهاته وإعجابه بذلك القصر فى قصيدة جاء فيها قوله :

بنيت بثأج مجدلاً من حجارة   لأجعله عزأ على رغم من رغم
أشمَ طوالاً يدحض الطير دونه   له جندل مما أعدَت له إرم
ويأوى إليه المستجير من الردى   ويأوى إليه المستعيض من العدم

وتختلف المصادر فى وصف أحوال ثاج عند ظهور الإسلام حيث كان الثقل التجارى قد تركز فى مدينة هجر وميناء دارين وبعض المواضع الأخرى . فبعض الباحثين يرى أن ثاج آنذاك قد فقدت أهميتها تجارياً ولم تعد سوى قرية صغيرة بجوار أطلال مدينة متخلفة عن عمران سابق . فى حين يفهم من بعض المصادر القديمة أن ثاج فى القرون الإسلامية الثلاثة الأولى كانت مدينة وكان يسكنها بطون من بنى قيس من ثعلبه وعشائر عنزه ، وكانت العلاقة بين الفريقين تتسم بالعداء الشديد وكان لكل منهما مسجد يجتمعون فيه ، ويبدو أن هذا العداء قد أفضى إلى ضعف الجماعتين فتغلب عليهما بنو سعد وقطنوا ثاج وقد أشار إلى ذلك ياقوت ووصفها صاحب المناسك بأنها مدينة وبها منبر وسكانها بنو سعد بن مناة من تميم وقد جاء وصف ثاج فى كل من التهذيب للأزهرى وكتاب بلاد العرب بأنها قرية وأضاف الأخير بأن بها سوقاً . بيد أن إطلاق القرية على المدينة فى لغة العرب شىء مألوف ومن هذا القبيل إطلاق لفظ قرية على مدينة مكة فى القرآن الكريم .

ولاشك أن الضعف قد تسرب إليها فى أزمان لاحقة فقد سكنتها جماعات من بنى خالد ولكنهم هجروها فى القرن الثالث عشر الهجرى .

وفى سنة ١٣٣٦ للهجرة اتخذت جماعة الإخوان من قبيلة العوازم هم الملاعبة والمزاحمة كلاً من ثاج والحناءة القريبة منها هجرتين استوطنوهما وأحيوا فيهما أراض زراعية ، كما عمدوا إلى إقامة المنازل هناك من الحجر والطين واستعملوا فى بنائها الكثير من حجارة خرائب ثاج وكان نتيجة ذلك ذهاب كثير من الكتابات والنقوش المدونة على الحجر علاوة على أن نفور الإخوان من رؤية التماثيل والرسوم قد دفعهم إلى إتلاف معظمها على اعتبار أنها من بقايا صور الشرك ، وعندما تداعت حركة الإخوان سنة ١٣٤٧ للهجرة ترك معظم السكان من العوازم قرية ثاج ورجعوا إلى مراعيهم القديمة وظل بعضهم يعود إلى ثاج فى فصل الصيف ، وقد هُجرت الحناءة فى الوقت ذاته ولم تعد سوى مجرد منهل يرده من يمر هناك من البدو ، وكانت هجرة الحناءة قد بنيت على غرار مبانى هجرة ثاج من القوالب

الصخرية القديمة المستعملة ، ولاتزال الجدران فى الحناءة قائمة ومحافظة على ارتفاعها .

وقد أصبحت ثاج على مايذكر الشيخ حمد الجاسر (١) حين زارها فى رجب سنة ١٣٩٨ للهجرة قرية صغيرة لايتجاوز عدد بيوتها ٧٥ منزلا قديمة البناء وبها مسجد وبستان فيه نخيلات غير معتنى بها أما سكانها فهم زهاء ٣٠٠ نسمة .

وقد أخذت ثاج تدخل من الوجهة الأثرية دائرة الضوء منذ سنة ١٩٠٨ للميلاد حين حمل أحد البدو حجرا به بعض النقوش من ثاج إلى المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت آنذاك (ا . ج – آر – بى – ديكسون) وقد قام (جى . ريكمانز) فى سنة ١٩٣٧ م بنشر ماكتب عليه كما أكد الكابتن (دبليو – اج . أى شكسبير) المعتمد السياسى البريطانى من سنة ١٩٠٩ – ١٩١٥م أهمية ثاج من الناحية الأثرية وذلك بعد أن مر بها وبالحناءة سنة ١٩١١م فى أحد رحلاته الاستكشافية المبكرة .

وفى سنة ١٩٤٢م مر الجنرال ديكسون وزوجته فايولت بثاج والحناءة ومع أنهما رأيا خرائب ثاج فى مدة أقل من ساعة إلا أنهما تمكنا من تكوين ملاحظات عن المكان وصفت بأنها قيمة وقد نشرت سنة ١٩٤٨م مع خريطة إجمالية للخرائب . كما قامت السيدة فايولت ديكسون بزيارة للمنطقة سنة ١٩٦١م واكتشفت جزءا من مخطوط على حجر مبنى فى أحد جدران القرية الحديثة وقالت إن قطعة الحجر التى اكتشفتها لونها غامق ومائل إلى الخضرة وذلك على غير شاكلة حجر الكلس المحلى وقد نسخت من ذلك المخطوط بيدها نسخة أعطتها للمتحف البريطانى والأحرف القليلة التى يمكن قراءتها من المخطوط السالف الذكر تبين أنها جزء مما يكتب على حجارة القبور .

كما قام السيد ماندفيل وزوجته بزيارة ثاج وقد وجدا نصبين بهما كتابات فى الجزء الشرقى من ثاج وذلك سنة ١٩٦٢م وقد كتب ماندفيل بحثا مهما عن آثار ثاج كما زار السيد (سى – دبليو – هارينغتون) موقع ثاج فى ١٠ مارس ١٩٦٢م ووجد مخطوطا على حجر كلسى مبنى فى تعمير إحدى الآبار الجافة وهذه القطعة قد تكون كاملة أو قد تكون مقتطعة من حجر أكبر عندما أعيد طى البئر وأكثر المخطوطات عبارة عن شواهد قبور مدون عليها (W-D-B) وهذه العبارة كما يرى الباحثون قاعدة دينية تعبر عن الصفة الأبوية للإله القمرى (وُدّ) وتكتب عادة على الجدران والتعاويذ فى الجنوب العربى .

وتعد الدراسة القيمة التى قام بها ماندفيل عن ثاج مرجعا مهما يمكن الاستناد اليه فى أى دراسة لآثار ثاج .

---

(١) – حمد الجاسر – المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٣١٤

كما قام بعض الباحثين بنشر بحث مهم عن بعض النقوش المكتشفة فى ثاج ومن هؤلاء ج . ريكمانز وأجام والثيم ود . شتيهل .
كما قدم (١) ف الثيم ود . شتيهل وموركولم وروبين دراسة مستفيضة عن قطعتين هامتين من العملة المكتشفة فى ثاج .

وقد قامت البعثة الدنمركية سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م بعمل مجسات صغيرة هناك ، ومنذ ذلك الحين أخذ يتوافد على ثاج فرق المسح الشامل التابعة للإدارة العامة للآثار والمتاحف بالمملكة ، وكان من إصدارات هذه الإدارة مقدمة عن الآثار فى المملكة جاء فيها بصدد الحديث عن سبخة ثاج مانصه « وقد أشارت البحوث التى قامت بها البعثة الدنمركية عام ١٣٨٨ للهجرة إلى أن حضارة إنسانية عريقة لاتزال رابضة تحت خرائب تلك السبخة تنتظر مكانها فى دنيا الدراسات والبحث العلمى» ويقول دانيال بوتس (٢) فى ختام بحث أعده لمناقشة بعض مضامين المواد التى استكشفت فى ثاج ماملخصه : ويجدر بنا أن نذكر إلى جانب الاهتمامات الحالية أن القيام بحفريات فى الموقع تبشر بالكشف عن معلومات هامة قد تفصح عن الطابع المميز لأى مدينة عربية كانت تقع على الطرق الرئيسية للمواصلات بين جنوب الجزيرة العربية وجنوب الدولة البابلية والتى كانت معرضة فى ذات الوقت للتأثر بحضارة الخليج وكانت على صلة بالامبراطوريات الرئيسية التى أعقبت الفترة الآشورية ، ولقد تم التعرف على تأثير الهيلنستية من قبل فى الهند وأفغانستان وإيران والكويت إلا أننا حين نتجه إلى الجزيرة العربية ونتجاوز منطقة التأثيرات النبطية نجد أن هذه التأثيرات لاتزال أبعد ماتكون عن الوضوح ولايلقى الضوء على مدينة ثاج ونشأتها والأسس التى قامت عليها والتنظيم الداخلى لمنطقة الاستيطان بها إلا بداية جادة للتنقيب عن آثارها .

---

(١) أطلال - العدد السابع سنة ١٤٠٣ هـ ص ٦٩
(٢) أطلال - العدد السابع سنة ١٤٠٣ هـ ص ٨٠

جَبـــلة

جبلة إحدى مدن هجر الدارسة وتقع فى واحة الأحساء من ناحية الشرق على مقربة من قرية الجبيل المعروفة هناك حيث توجد آثار عمران قديم على مقربة من الجبيل بين جبل القارة وجبيل البريقا وقد أورد الشيخ حمد الجاسر احتمال كون الجبيل هذه قد قامت على أنقاض جبلة وقد ظل عمران جبلة هذه مستمراً حتى القرن الثالث الهجرى وهى إحدى منابر هجر فى مملكة موسى بن عمران ابن الرجاف ، وقد كان يسكنها بطون من بنى عامر من عبد القيس .

وربما تكون جبلة هى مدينة الجبيلة قصبة قرى بنى عامر بن الحارث العبقسيين بالبحرين .

حَمَضُ

حَمَضُ بفتح الحاء والميم أو بفتح الحاء وسكون الميم وصفها الإدريسى بأنها مدينة فى البحرين على مقربة من البحر بينها وبين القطيف مسيرة يومين . وأورد الاسم ابن خرداذبة ضمن المنازل الواقعة فى الطريق من البصرة إلى عمان فذكر أنه بين مسيلحة وساحل هجر .

وعد أبو الفداء حمض من بلاد البحرين الواقعة على الساحل . أما الإدريسى فقد وصفه بأنه ماء لبنى تميم . وقال حمض منزل بين البصرة والبحرين فى شرق الدهناء ، وقيل هو بين الدَو والسودة وهو منهل وقرية عليها نخيلات لبنى مالك بن سعد قال الراجز :-

يارُب بيضَاء لَهَا زَوْج حَرَضْ

حــلاَّلة بــين غُرَيــق وحَمَضْ

ترميك بالطرف كما ترمى الغرَضْ

ويرجح الشيخ حمد الجاسر (١) اعتبار حَمض قرية على كونه مدينة لأنه حين زار الموضع لم ير فيه من الآثار مايدل على أن الموقع كانت توجد فيه مدينة كما يرى أن حمض ليس على الساحل بل يبعد عنه أكثر من خمسين كيلاً ويقع فى مسمَّى السودة فى شمالها الموالى للدَوَ «الدَبدبة» كما أن الطريق من البصرة إلى البحرين ليس طريقاً واحداً ولكن الطريق الذى يسير بمحاذاة الساحل وعلى مقربة منه يمر بحمض للحاجة إلى ورود المنهل .

وقد يكون كلام الشيخ حمد موافقاً للصواب هذا إن لم يكن هناك موضعان يحملان نفس الاسم أحدهما لمدينة تقع على الساحل والآخر للمنهل الواقع بين الدَّوّ والسودة .

وحمض الآن يطلق على آبار مياه تقع شمال النقيرة بنحو خمسة عشر كيلاً فى الجنوب الشرقى من أبرق الكبريت فيما كان يعرف قديما باسم النقار وهى من مناهل قبيلة العوازم .

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ ٢ ص ٥٤٤

الحَنَــاءة

الحناءة وتنطق أيضاً الحناة ولعلها سميت بهذا الإسم لشدة شبه تربتها بالحناء الذى يستعمل فى الخضاب

وتقع الحناءة فى منطقة وادى المياه «الستار قديماً» فى مرتفع من الأرض وهى عند خط الطول ٤٥ْ - ٤٨ْوخط العرض ٥٨ْ - ٢٦ْ فهى على مقربة من ثاج بالقرب منها كان يمر درب الكنهرى المعروف وتبدو الآن فى صورة قرية أنشئت على أنقاض مدينة كبيرة بلغت أوج رقيها فى العصر الإغريقى تضاهى مدينة ثاج فى الكبر وقد عُثر فيها على بعض النقوش المدونة بالخط العربى الجنوبى القديم .

ويبدو أن عاديات الدهر قد عدت عليها منذ زمن طويل لذا نجد الأزهرى وهو الذى أتاح له أسْره لدى القرامطة فى أول القرن الرابع الهجرى فرصة الإطلاع على مواضع عديدة بهذه البلاد لم يدون عن منطقة الحناءة من الملاحظات سوى ركية شاهدها هناك . على أن الآثار القابعة فى أحشائها لاتزال تنتظر رجال الكشف الأثرى ليزيحوا الستار عنها فتعبر عن تاريخها التليد فقد نوه عن أهميتها من زارها من العلماء ومنهم بيتر . ب . كورنوال وشكسبير [1]

(١) هو الكابتن شكسبير كان المبعوث السياسى للحكومة الانجليزية فى الكويت وقد قام بعدة رحلات استكشافية فى الجزيرة العربية إلى أن قتل سنة ١٩١٥م أثناء بعض المناوشات القبلية على حدود نجد .

الخــــــطّ

يطلق اسم الخط على سيف البحر عامة عند علماء اللغة ، ويطلق بصورة خاصة على ساحل البحرين .

ففى معجم البلدان (١) الخط بفتح أوله وتشديد ثانيه ساحل مابين عُمان إلى البصره ومن كاظمه إلى الشَحْر ، ولكن مدينة بعينها من هذا الساحل استأثرت بالاسم فاقتصر عليها وهى إحدى المدن الثمان التى أسسها أردشير بن بابك حين غزا هذه البلاد سنة ٢٢٦ للميلاد تقريباً .

وقد جاء وصف الخط فى كتاب نصر بأنها إحدى مدينتى البحرين وقد اشتهرت بصنع وتثقيف الرماح فيها قال زهير :-

وهَلْ يُنْبت الخطىَّ إلاَّ وشيجُه
وتُغْرَسُ إلاَّ فى مَنابِتها النَّخْلُ

قال الخليل بن أحمد :

فإذا نسبت الرماح إليها قلت رماح خطية وإذا جعلت النسبة اسماً لازماً ولم تذكر الرماح قلت خِطِّية بكسر الخاء .

ولما نزلت قبيلة عبد القيس البحرين وتقاسمتها فيما بينها ، نزلت جذيمة مدينة الخط . ومما يذكر من تاريخها أن المنذر بن النعمان حين انهزم أمام الجيش الإسلامى فى جواثا فربفلول المنهزمين إلى الخط واعتصم بها فطارده العلاء الحضرمى إلى هناك وفتح مدينة الخط وقتل المنذر وأتباعه ومن الخط شن العلاء هجومه على البقية الباقية من المرتدين الذين تجمعوا فى دارين وفتحها .

وقد ضعفت الخط وتضاءل شأنها إلى أن زالت وقامت على أنقاضها مدينة القطيف .

بيد أن الاسم ظل يطلق على المنطقة الممتدة من صفوى شمالاً إلى الظهران جنوباً وهذا واضح فى قول ابن المقرب :-

والخط من صفواء حازوها فما أبقوا بها شبرا إلى الظهران

وقد جاء فى شرح هذا البيت قوله الخط هو القطيف وصفواء طرفها الشمالى والظهران طرفها الجنوبى .

ويقول الشيخ حمد الجاسر (٢) « كان اسم الخط يطلق على مدينة القطيف إلى عهدنا »

ومن بقايا التسمية القديمة لجميع الساحل باسم الخط إطلاق هذا الاسم على رأس واقع بين المشعاب وبين رأس بلَيْبيلْ يعرف برأس الخط .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٢ ص ١٣٨

(٢) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٢ ص٦١٦

الـــــــزَّأرَة

الزأرة بعد الزاى ألف مهموزة وقد لا تهمز تخفيفاً ثم راء فهاء وهى فى اللغة الأجمة أى الشجر الكثيف الملتف وهى مأوى السباع ، ومن هنا قال بعض اللغويين أن اسم الزأرة مشتق من زئير الأسد .

والزأرة اسم مدينة من أقدم مدن الخط وتقع فى الغرب من مدينة القطيف على بعد خمسة أكيال تقريباً تشغل مكانها الآن مزارع النخيل ولعلها كانت تشمل مساحة واسعة بحيث تصل إلى الساحل ، وقد كانت مقر إقامة مرزبان فارسى هو فيروز بن جشيش الملقب بالمكعبر وكان يتمتع بنفوذ واسع حيث تشمل سلطته المدينة وتهامة وقد كان على كل منهما عامل من قبله يجبى خراجهما إليه . لذلك فإن الزارة تمثل بالنسبة للفرس مركزا إداريا هاما وقاعدة بحرية يشرف منها المرزبان على الأسطول الفارسى الذى كان له اليد الطولى فى مياه الخليج آنذاك ولذا نجد مرزبانها من أكثر رجال الفرس تعصباً لدولته وأشدهم مناهضته للإسلام حين سطعت أشعته فى ربوع البلاد ، فهو لم يتفيأ بظل الإسلام كما فعل المنذر بن ساوى وأسبيخت مرزبان هجر بل ناصب الإسلام العداء واحتضن جميع معارضيه . فذكرت المصادر أن الجارود ابن المعلى لما أسلم أسره الحطم وحبسه فى الزارة كما قام الأساورة وسائر المجوس فى أعقاب وفاة الرسول بالامتناع عن الجزية والتجمع فى القطيف ثم الانتقال منها إلى الزارة حيث تحصنوا مع المكعبر بها ، وقد أدت قوة تحصينات هذه المدينة إلى إمتناعها عن المسلمين طيلة خلافة أبى بكر .

وفى أول خلافة عمر منَ الله عليهم بفتحها ومصالحة أهلها بعد أن لقى المكعبر مصرعه وردم العلاء العين التى تغذى هذه المدينة بمياه الشرب وتعتبر الزارة من أهم فرض هذا الساحل وكان أغلب سكانها من عبد القيس وتذكر المصادر من رؤسائها أحمد بن سالم العبدى وهو رئيس القطيف عامة فى أواخر القرن الثالث الهجرى .

ونظراً لوجود الزارة بين مزارع النخيل وكونها على ساحل الخليج صارت أهم حاصلاتها السمك والتمور .

وقد إتخذ الأمويون من الزارة وعُمان منفى لمن يقع تحت طائلة سخطهم ومن بين من نفى إلى الزارة رجل سمته المصادر سعد بن عمر . وهذا فيما أرى من أهم الاسباب الكامنة وراء قيام عدد من حركات التمرد بهذا الإقليم ، لأن تجمع عناصر المعارضة فى هذا الموضع من أهم الدواعى لذلك ، وتكفى الإشارة إلى أن بذور الدعوة القرمطية فى إقليم البحرين زُرعت

أول مازُرعت فى الزارة على يد أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى الذى كان يتاجر بالطعام فيها ويساعده فى هذه المهمة رجل أطلقت عليه المصادر اسم إبراهيم الصائغ ، كما تم على يد أبى سعيد هذا القضاء نهائياً على هذه المدينة حيث قام بإحراقها فى أواخر العقد الثامن من القرن الثالث الهجرى وكانت الزارة آنذاك حاضرة القطيف ومقر إقامة أمرائها وهم فى ذلك التاريخ من بنى أبى الحسن على بن مسمار بن سلم بن يحيى من عبد القيس ، وكانت آثار حريق هذه المدينة باقية حتى عهد قريب فى موضع يسمى الرمادة وقد غرس ذلك المكان بالنخيل وتلاشت آثار العمران فيه .

وكان اسم الزارة معروفاً إلى سنوات قليلة مضت وكان يطلق على موضع فى الجنوب الشرقى من قرية العوامية ، وفى القرية نفسها حى يعرف باسم فريق الزارة ولعله البقية الباقية من تلك المدينة .

الـــــزَرْقَاءُ

الزرقاء إحدى المدن المفقودة فى إقليم هجر «البحرين» وكانت عامرة حتى القرن الرابع الهجرى وموضعها الآن غير معروف .

الســـابور

السابور بلدة فى إقليم هجر «البحرين» وقد فتحها العلاء بن الحضرمى عنوة فى أول خلافة عمر رضى الله عنه على مايذكر البلاذرى(١)

ويرجح الباحثون احتمال كونها من مدن الخط ، وذكرتها المصادر بلفظ السابون إن لم يكن كلُ من السابور والسابون اسم لبلدة قائمة بذاتها .

العُقيْرُ

العقير هى فى اللغة تصغير العقر ، والعقر على مايذكر ياقوت نقلاً عن الخليل هو الفرجة بين الشيئين . ويطلق العقر على القصر أيضاً قال لبيد :

كعقر الهاجرىِّ إذا ابْتَناهُ   بأشباه حُذينَ على مثال

والعقير اسم لمنطقة تقع على الساحل فى الشمال الشرقى من مدينة الهفوف على بعد حوالى ٦٠ كيلا ، ويمتد بر العقير على البحر من الجانب الجنوبى لمدخل دوحة رحوم إلى رأس الصغيرة وهذا الرأس متوغل فى البحر إزاء الطرف الجنوبى لجزيرة الزخنونية ويبلغ طوله من شمال الشمال الغربى إلى جنوب الجنوب الشرقى زهاء ٦٠ كيلا وامتداده إلى الداخل قليل .

ويوجد فى هذه المنطقة مرفأ العقير وهو خليج (٢) يتوغل إلى الداخل مسافة سبعة أكيال تقريباً ويبلغ اتساع مدخل الخليج فى ناحية الجنوب مسافة يتراوح مابين ٢٠٠ – ٣٠٠ ياردة ، كما يتراوح عمق قناة مدخل الخليج من ٣ – ٤ قامات وهذا الخليج فى بعض أجزائه غير عميق وخطير على السفن .

وكانت المياه فى بر العقير بأحساء قريبة من سطح الأرض بحيث يستطيع المرء استخراجها بعد حفر لايتجاوز ٥٠ سم ، وعمران هذا الموضع موغل فى القدم فقد تحدثت المصادر الإغريقية أنه مقر إقامة قبيلة تسمى « أجير » قطنته فى الألف الأول قبل الميلاد ، كما توجد

---

(١) – البلاذرى – فتوح البلدان ص ٩٦

(٢) – لوريمر – دليل الخليج القسم الجغرافى جـ٥ ص ١٨٢١ – ١٨٢٢

فى الموضع المسمى أبو زهمول الكائن على بعد ٣٥ كيلاً من ميناء العقير جنوباً آثار عمران سابق أورد العالم المستشرق كرنوال احتمال كونه من بقايا مدينة الجرهاء الساحلية ، وكان سابور ذى الأكتاف حين نقل العرب من شط الفرات أنزل جماعة منهم العقير(١)

وقد وصف صاحب المناسك ميناء العقير بأنها فرضة الصين وعُمان والبصرة . وقد استشف الباحثون من نصوص المتقدمين عن العقير أنها كانت قبل القرن الثالث الهجرى أقوى منها بعده ، فقد اعتبرها صاحب المناسك من منابر البحرين مما يعنى أنها كانت مدينة ، كما وصفها نصر بأنها مدينة أيضاً أما الأزهرى والصاغانى فيصفانها بأنها قرية .

وفى القرن الرابع الهجرى إبان حكم القرامطة للبحرين كانت ميناء العقير على درجة كبيرة من النشاط فقد كانت (٢) دهليز الأحساء ومصب الخيرات منه إليها ولهذا عمد العوام بن محمد بن يوسف الزجاج من عبد القيس إلى تدمير ميناء العقير للضغط على القرامطة فى اعقاب استيلائه على جزيرة أوال فى العقد الثالث من القرن الخامس الهجرى ، وكانت العقير آنذاك المنفذ البحرى الوحيد لاتصال القرامطة بالعالم الخارجى فى مجال التجارة لأن بنى العياش كانوا قد استولوا فى تلك الفترة على مدينة القطيف ولكن العقير لم تلبث حتى استعادت حيويتها كمنفذ تجارى هام للأحساء ووسط الجزيرة العربية ، فقد أنشئت بالقرب من الميناء بعض المرافق اللازمة للموظفين والمسافرين أهمها بنايتان متجاورتان إحداهما قلعة والأخرى خان ، والخان كما يصفه لوريمر (٣) متسع فسيح يبلغ طوله ٢٥٠ ياردة وعرضه ٨٠ ياردة ويتكون من حيطان يبلغ ارتفاعها ستة عشر قدماً وبداخل الخان ثلاث مظلات مسورة بحائط يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام ونصف ويوجد فى الخان ثلاثة محلات تجارية صغيرة والمسافرون المارون بالعقير يستريحون فى الخان .

ويقدر متوسط حجم التجارة التى تعبر من خلال هذا المرفأ بأحمال مائتين إلى ثلثمائة جمل ترحل من العقير أسبوعياً إلى داخل البلاد ، وكان العقير إبان الحكم العثمانى مركزاً لإدارة ناحية فى قضاء الحسا وتسمى عسكلة العقير ، وكانت هذه الميناء فى (٤) الأزمنة المتأخرة مسرحاً لإغارة البدو ونهبهم مما أفضى إلى ضعفها وقلة الاستيطان بها .

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٤ ص ١٣٨

(٢) مجلة العرب : ج ١ ، ٢ - رجب وشعبان ١٤٠٢ هـ ص ١٢٠ – ١٢١

(٣) لوريمر : دليل الخليج جـ٥ ص ١٨٢٢ القسم الجغرافى

(٤) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٣ ص ١١٨٢

والقبائل المجاورة للعقير هى العجمان (١) وآل مرة وبنو هاجر . وقد ظلت العقير الميناء الرئيسى للاحساء ووسط الجزيرة العربية إلى سنة ١٣٦٥ هجرية وبعد إنشاء الموانىء الحديثة بالدمام والخبر ورأس تنورة استغنى بها عن ميناء العقير فهُجرت وتضاءل شأنها .
ويصل العقير بالهفوف طريق معبد أنشىء حديثاً يبدأ من خط الهفوف والظهران مما يلى مدينة العيون حتى ينتهى إلى الساحل .
ويقدر عدد سكان العقير سنة ١٣٩٧ هجرية بـ٦٨٩ نسمة جميعهم من البدو ويقيمون فى صنادق من الخشب .

---

(١) - عمر كحالة - جغرافية شبه الجزيرة ص ٢٤٥

الغـــابَة

الغابة إحدى مدن البحرين الدارسة (١) كان يسكنها بعض العجم الذين لم يدينوا بالإسلام وناصبوه العداء مما دفع العلاء بن الحضرمى إلى قتالهم سنة ١٣ هجرية .

القُلَيْعَة

القليعة من المدن الدارسة فى البحرين وقد وصفها صاحب المناسك بأنها كبيرة وبها منبر ويسكنها بنو سعد وهى من ممالك عبد القيس وكان صاحبها فى القرن الرابع الهجرى أحمد ابن سلم العبدى .

ويرجح الشيخ حمد الجاسر (٢) بأن القليعة تقع فى إحدى ضواحى القطيف بعيدة عن المواقع التى تكثر فيها المستنقعات لذا كانت مما يألف البدو سكناه .

---

(١) البحرين فى صدر الاسلام ص ٦٢

(٢) حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٤ ص ١٤٨٦

يَبْرِيــــن

يبرين وأبرين (١)اسم قديم يطلق على إحدى الواحات الجنوبية من إقليم البحرين وتقع فى الطرف الشمالى الغربى على بعد مائتين وستين كيلاً جنوب واحة الأحساء ويظهر أن مدلول الاسم فى الماضى كان يعنى منطقة واسعة تشمل (٢)الجانب الجنوبى من رمال الدهناء حتى يتصل بصيهد والأحقاف فى حدود حضرموت من الجنوب ، كما يشمل الصحراء الواسعة الممتدة من تلك الرمال شرقاً حتى تتصل برمال بينونة والجافورة وهما المعروفتان بالبينونتين ، فهى بذلك تشمل قسماً من الربع الخالى الأوسط الذى كان قديماً يعرف باسم الوبار . هذا مدلول اسم يبرين بمعناه الواسع .

أما يبرين التى كانت عامرة وآهلة بالسكان فى العصور الخالية فهى تتكون من واحتين متجاورتين :-

الأولى واحة يبرين المعروفة وهى تسمى أحياناً جوبة يبرين والثانية الخِنْ وهى أصغر من الأولى وتقع إلى الشرق منها ، والمسافة بين يبرين والخن ثمانية وعشرون كيلاً . ويستنتج الشيخ حمد الجاسر أن الموضعين ربما كانا متصلين قديماً وفصلت بينهما الرمال المتراكمة التى لايشك فى أنها غطت جوانب الواحتين وكثيراً من آثار عمرانهما القديم .

وتقع كل من الواحتين السالفتى الذكر الآن فى منخفض من الأرض وتبلغ مساحة جوبة يبرين من الشمال إلى الجنوب زهاء خمسة وعشرين كيلاً فى عرض خمسة عشر كيلاً وهى سهل (٣) منخفض بالنسبة لما حولها من المناطق وهى غنية بالمياه التى تغلب عليها الملوحة وبها عدة آبار منها (٤) مشمرة وخريقا وأم النصًى وأم عدوة والحفير وأبرقية والضبطية والمخروق ، وتتناثر فى الواحة أشجار النخيل التى تنبت هناك بصورة تلقائية معتمدة فى الرى على المياه القريبة من سطح الأرض كما تتكفل الرياح بتلقيحها .

وتشير الآثار الموجودة هناك إلى قدم الاستيطان والعمران فيها ، فقد أسفر المسح الأولى للمواقع الأثرية فى المنطقة الشرقية عن وجود أدوات ومدافن وعمائر سكنية من مختلف العصور فى يبرين ، وقد بدا من الواضح أن علاقة يبرين الحضارية القديمة كانت مع المنطقة

---

(١) - ياقوت الحموي - معجم البلدان جـ٥ ص ٤٢٧
(٢) - حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٤ ص٤
(٣) - لوريمر - دليل الخليج القسم الجغرافى جـ٣ ص ١١٠٠
(٤) - حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٤ ص ١٨٧٦

الشرقية وقاعدتها القديمة المرَّة ، كما أن الاستيطان البشرى فى يبرين يختلف فى طبيعته فهو محدود الاتساع بيد أنه أطول عمراً فهامات التلال المطلة على المنخفض متوجة برواسب من حجر الصوان ، والصوان غير النقى علاوة على وجود بعض الآلات والأدوات المصنعة من حجر الصوان ، وبعض هذه الأدوات ذات حدين من النمط (١) الأشولى المتميز ، ومن بين تلك الآلات فؤوس ومقاشط وشفر وسكاكين كاملة التهذيب .

وقد تأكد وجود سلسلة من الاستيطان المبكر من العصر البليستوسينى المتأخر ، كما شهدت فترة العبيد استيطاناً محدودا للغاية فى منطقة يبرين ، فقد سبق العثور على كسرة واحدة مزخرفة ترجع لذلك العصر هناك مما يدل على قدم الاستيطان فى منطقة يبرين . كما أن العثور على العملات القديمة من الأمور المألوفة هناك .

وإلى جانب تلك الآثار فقد أشارت مصادر التراث إلى عمران يبرين وكثرة مابها من بساتين النخيل من الصَّفْرى والبرنى على حد ماجاء فى صفة جزيرة العرب للهمدانى .

وقد بلغت رمال يبرين من النعومة حداً جعل الشعراء يستعيرونها فى تجسيد بعض مفاتن موصوفاتهم من الغانيات فهذا صاحب الأغانى يورد من قصيدة لأعرابى قوله :

وكَأنَّمـــا تِلْكَ الوُجُـــوه أهِلَّـــة ... أقْمَرْن بيــن الــعَشْر والعِشْرِينـــا
وكَأنهـــن إذا نـــهضْن لَحَاجَـــة ... ينــهضْن بالعقــدات (٢) مــن يبرينــا

كما أن يبرين وما يتصل بها من الرمال كانت مسرحاً للنعام والظباء وبقر الوحش (المها) التى يضرب المثل بحسنها فهذا قرة بن قيس التميمى يصف حسان رآهن بقوله «فما رأيت منظراً لنسوة قط أحسن من منظر رأيته منهن فى ذلك اليوم والله لهن أحسن من مها يبرين» وقد ذكر قدماء المؤرخين أن يبرين من بلاد بنى سام بن نوح ثم آلت إلى عاد التى مكثت بها حتى تغلب عليها جذيمة الأبرش فصارت من بين ممالكه .

وقد ظلت يبرين عامرة وآهلة بالسكان حتى القرن الثالث الهجرى ، إذ فى نهاية ذلك القرن زحف عليها أبو سعيد الجنابى فدمرها وأباد أهلها ، وكانت على مايذكر المسعودى (٣) من أطيب بلاد الله وأكثرها أهلاً وعمائر ونخلاً وشجراً وكان يقطنها آنذاك بنوعوف بن سعد بن مناة وأخلاط من سعد ، وقد لازمها الخراب منذ ذلك التاريخ ويظهر أنها لم تعد ملائمة

---

(١) مجلة أطلال : العدد الأول سنة ١٣٩٧ هـ ص ٣٢

(٢) العقدات هو ماتراكم من الرمل

(٣) المسعودى – التنبيه والإشراف – ص ٣٥٦

من الناحية الصحية للاستيطان والاستقرار الدائمين لأن عدم وجود مصارف جيدة للفائض من المياه الموجودة هناك بغزارة لانخفاضها عما حولها أفضى إلى تشبع تربتها بالأملاح كما تسببت فى كثرة المستنقعات التى أصبحت بيئة صالحة لتكاثر البعوض وانتشار الأوبئة والأمراض كالملاريا .

ومن هنا أصبحت يبرين مهجورة إلا من بعض عشائر البدو من آل مرة الذين يحضرون إلى هناك فى موسم صرام التمور لجنى محاصيلها .

وقد جاء فى كتاب المسح أن عدد سكان يبرين نحو ٤٤٨ نسمة وأنها تابعة لإمارة حرض وهؤلاء السكان لايقيمون فيها بصورة دائمة .

أسـبَذُ

أسبذ اسم يطلق على إحدى قرى هجر أو على بلد بها ولعلها كانت مقر فَرَس كان يتعبد له قوم من سكان هذه البلاد منهم مسلحة المشقر ورهط المنذرين ساوى من ولد زيد بن عبد الله التميمى وهى عبادة كانت معروفة فى فارس ، فالفَرَسُ فى لغتهم اسمه (أسب) زادوا فيه ذالاً تعريباً .

وقيل أن الأسبذيين قوم كانوا يسكنون مدينة يقال لها أسبذ بعُمان فنسبوا إليها ، وذكرت بعض المصادر أن أسبذ الذى استمدت منه هذه البلدة اسمها ونسب إليه أولئك القوم إنما كان فى الأصل اسماً لرجل اسمه بالفارسية (١) «أسبيذوَيْه أى الأبيض الوجه وقد كان ملكاً لهجر من قبل أكاسرة الفرس فعرف أتباعه من العرب والعجم بنسبتهم إليه ، وقد اشتهر بالظلم والتعسف فى معاملة أهل البلاد . الأمر الذى أثار حفيظة شاعرها طرفة بن العبد فنظم شعراً يستنهض فيه همم قومه ويحثهم على الثورة ضد ذلك الطاغية ويعاتبهم على الإذعان له ومن ذلك قوله :

خُذُوا حِذْرَكُم أَهْلَ المُشَقَّرِ والصَّفَا	عَبِيد أسبَذ والقَرضُ يجزى من القَرض
سَتَصْبُحكَ الغلباء تغلبُ غارة	هنالك لاينْجيكَ عَرضُ من العَرض
وتُلبس قوماً بالمشَقَّر والصفا	شآبيب موتٍ تَستهل ولاتغضى
تميل على العَبدى فى جوف دَارهِ	وعَوفُ بن سعدٍ تخْتَرَمْهُ عن المحض
هُمَا أوردانى الموتَ عمداً وجرَّدَا	على الغدر خيلاً مائَملُ من الرَكضِ

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ١٥١

أفـــأن

أفأن هى إحدى القرى الدارسة بمنطقة القطيف وهى تقع على الساحل يحدها من الجنوب عمران الدمام ومن الشمال الشرقى عنك ، وقد سكنها قديماً بطون من الأزد وعبد القيس وكانت آثار العمران قائمة بها إلى عهد ليس بالبعيد .

بيد أن هذه المنطقة قد انتشرت بها مزارع النخيل (١)على مساحة تقدر بنحو ١٥ كيلاً طولاً وخمسة أكيال عرضاً .

أُوَارَة

أوراة إحدى بلدان البحرين الدراسة والموغلة فى القدم وتقع فى منطقة الكويت إلى الشمال من برقان على بعد تسعة أميال منه .

ومن أوضح الدلائل على أثريتها وعمرانها فى القرون الخالية بقايا الآثار التى تم اكتشافها فى الموضع المعروف بالعدان على بعد ستة أميال من تل أوارة ، وتتمثل هذه الاكتشافات فى بعض توابيت جيرية مدفونة فى بقعة مرتفعة تبلغ مساحتها مائة قدم تقريباً وهذه التوابيت مصنوعة من الإسمنت الجبس «الحصى» ويبلغ طولها خمسة أقدام فى عرض قدم وثمانى بوصات وعمقها قدمان ، أما سُمْك جوانب التابوت فهو حوالى ٤ بوصات وقد وجدت مدفونة على عمق يتراوح بين ثلاثة أو أربعة أقدام تحت الأرض ومغطاة بعدد من الحجارة ذات الأشكال المختلفة التى يبلغ حجم الواحدة منها قدمين مكعبين ، ولاتوجد على هذه التوابيت أو الحجارة أية نقوش ، ولما كانت هذه القبور تتجه من الشرق إلى الغرب فهى ليست قبوراً إسلامية على حد قول «لوريمر» .

كما عثر فى الموضع ذاته على عملة إيرانية ضُربت فى بغداد وترجع إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر بعد الميلاد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الموضع (٢) كان مسرحاً للمجزرة التى قام بها عمرو بن هند ضد البراجم من بنى تميم فى اليوم المعروف بيوم أوراه الأخير ، وقبل مائة سنة خلت أعادت جماعة من البدو إحياء الأراضى المحيطة بأوارة وذلك بحفر آبار فيها وإقامة بعض المزارع بها وأول من بدأ بذلك رجل من قبيلة العوازم يدعى عثمان .

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص١٦٤

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان - جـ١ ص ٢٧٤

الأَوْجَـــــار

الأوجار هى إحدى القرى الدارسة فى هجر (البحرين) وكان يسكنها بطون من بنى عامر ابن الحارث بن أنمار من عبد القيس .

وقد أورد الشيخ حمد الجاسر (١) احتمال كون الاسم (الأوجار) مصحفاً عن الآجام القرية المعروفة بمنطقة القطيف .

الأجـــــواف

الأجواف هى مجموعة قرى ومياه تقع شمال الأحساء وقد درست معظم تلك القرى ولم يبق منها سوى قرية تعرف باسم صَلاصِل وبها عدد من المزارع .

البَـــدِىّ

البدى هى قرية (٢) من قرى هجر الدارسة فى منطقة الأحساء وكانت لبنى محارب من عبد القيس .

البْحَـــرَة

البحرة هى إحدى القرى الدارسة فى هجر (البحرين) وقد عدها ابن الفقيه من قرى بنى محارب من عبد القيس وهى مجهولة الموقع .

بَـــــرْنُ

برن إحدى قرى هجر الدارسة وموقعها غير معلوم (٣) وإليها ينسب التمر البرنى على ماتذكر المصادر . كما أن هناك منهل يقع فى الجنوب الغربى من العقير على بعد ١٤ ميلاً منه وبه آثار قصر قديم وثلاثة آبار ماؤها غير مستساغ .

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ١٨٥

(٢) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٢٢٣

(٣) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨

الجُرَيــبُ

الجريب إحدى القرى الدارسة بهجر وموضعها غير معروف وقد أشارت المصادر إلى وجود عين ونهر بها .

جَيَّــارُ

جيار فى اللغة الجص ، وصفه ياقوت بأنه موضع فى البحرين . أما نصر والحازمى فقد ذكرا أنه ناحية بالبحرين .

أما الشيخ حمد الجاسر (١) فقد ذكر أن جيار هو جبار الذى عده صاحب القاموس من قرى البحرين وأن أحد الاسمين مصحفاً عن الآخر .

وقد ذكرت المصادر أن الحطم بن ضبيعة رئيس قبائل بكر بن وائل فى أثناء ارتدادها عن الإسلام قتل فى موقعة جواثا عند جيار وفى هذا دلالة على قرب هذا الموضع من جواثا على أن جيار يقرن فى الذكر دائماً مع حوار فيقال عنهما حوارين مما يدل على تقارب الموضعين .

حُوارُ - وحــوارين

حوار وصفها ياقوت بأنها ناحية من نواحى هجر ويقال لها حوارين أيضاً ، وحوارين هذه(٢) بلدة بالبحرين على حد قول ياقوت وقد افتتحها زياد بن عمرو بن المنذر بن عصر أخو خلاس ابن عمرو .

وتبعد حوارين عن الساحل مسيرة يوم أو أكثر على مايذكر البكرى فى كتابه المسالك والممالك وليس من الممكن تحديد موقع حوارين هذه بصورة دقيقة ، ولكن الشيخ حمد الجاسر يرجح أن حوارين ويقصد بها حوار وجيار لابد أن يكونا قريبين من جواثا المعروفة فى الأحساء ، كما أن هناك مجموعة جزر تعرف باسم حوار تقع جنوب جزيرة المنامة على مقربة من الساحل الغربى لقطر غير مأهولة حاليا ، ولعل اسم حوار السالف الذكر قد انتقل إلى هذه الجزر بانتقال أهل القرية إليها ، وقد أومأ إلى ذلك الشيخ حمد الجاسر فى كتابه المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية .

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص٤٤٦

(٢) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٢ ص ٥٥٨

الجُونـــــان

الجونان إحدى قرى هجر الدارسة ، ويفهم من كلام ياقوت وابن الفقيه أنه بواحة الأحساء قريباً من نهر محلم .
ويرجح الشيخ حمد الجاسر أن الجونان قد يكون قرية الشقيق المعروفة فى الأحساء أو قريبا منها .

الحوْجـــــر

الحوجر هى إحدى القرى الدارسة فى البحرين ولعلها فى واحة الأحساء وهى لبنى محارب من عبد القيس على حد قول ابن الفقيه (١)

الحـــــوس

الحوس من قرى بنى محارب الدارسة فى واحة الأحساء ويذكر الشيخ حمد الجاسر أن هذا الاسم مصحف عن اسم الجونين والجونان من قرى الأحساء السالفة الذكر .

حَـــرّان

حران اسم لقريتين دارستين بالبحرين تعرف إحداهما بحرَان الكبرى والأخرى بحرَان الصغرى وكلتاهما لبنى عامر بن الحارث بن عمرو بن وديعة من عبد القيس ومن المعلوم أن بنى عامر فى الجوف ونواحيه ، بيد أن القريتين المذكورتين غير معروف موقعيهما فى الوقت الحاضر .

الخـــِرْصـــَــان

الخرصان قرية دارسة بالبحرين وهى لبنى محارب من عبد القيس ، وقد اشتهرت هذه القرية ببيع نوع من الرماح تسمى الخرصان .
وقد أورد الشيخ حمد الجاسر احتمال وجود صلة بينها وبين خريص الواقع شرق الدهناء .

الـــدُبــَيْرةُ

الدبيرة هى إحدى قرى بنى عامر الدارسة فى الأحساء وهى مجهولة الموقع .

---

(١) مختصر كتاب البلدان ص ٣١

دَخْـــــلَةٌ

دخلة قرية بالبحرين كثيرة التمر ولعلها قريبة من الجبيل المعروف بدخنة الكائن جنوب شرق الهفوف عند جبل الأربع . إذ من المحتمل أن تكون دخنة تصحيف لدَخْلة .(١)

دَقُوقَـــــا

دقوقا بالمد والقصر اسم لاحدى القرى الدارسة فى هجر لم تشر المصادر الى موقعها ولا إلى من يسكنها .

الدَّوسَـــــرية

الدوسرية اسم يطلق على موضع أثرى يقع على شاطىء البحر جنوب ميناء الجبيل بالقرب من مرفأ مهجور وبه آثار عمران مما يحملنا على الاعتقاد بأنه كان مأهولاً بالعمران فى عصور سالفة .

ويذكر الشيخ حمد الجاسر بأن الاسم أطلق عليه حديثاً ، ولعل الاسم الأصلى لهذا المكان قد طرأ عليه تغيير .

الذرائـــــب

الذرائب اسم لاحدى القرى الدارسة فى البحرين وهى لبنى محارب من عبد القيس وموضعها غير معروف ، ويرد الاسم فى بعض المصادر بإبدال الذال زاى فيكتب الزرائب .

ذو النـــــار

ذو النار إحدى قرى بنى محارب من عبد القيس على حد قول ابن الفقيه وموضعها غير معروف .

---

(١) – الباحث فهد على الحسين جريدة اليوم السبت ٤ جمادى الاخره ١٤٠٨هـ العدد رقم ٥٣٣٥

الرَّجــــــرَاجــة

الرجراجة إحدى قرى هجر الدارسة وهى من قرى بنى محارب من عبد القيس ونسب الشيخ محمد آل عبد القادر (١) إلى بعض الناس القول «أنها قريبة من مدينة الهفوف وكانت عامرة إلى القرن العاشر من الهجرة ، ولما جاءت عساكر الدولة العثمانية كان من جملتهم جماعة من بنى خالد جاؤوا بهم من بادية الشام فأنزلوهم الرجراجة تعزيزاً لعسكر الدولة وهذا أول قدوم بنى خالد للأحساء وذلك فى منتصف القرن العاشر من الهجرة»

ولكن الشيخ حمد الجاسر لم يستبعد بأن يكون بنو خالد استوطنوا هذه النواحى قبل التاريخ السالف الذكر مستنداً إلى قول ابن مُشرَّف الأحسائى :

ولاتنس جمع الخالدى فإنهم . . قبائل شتى من عقيل بن عامر

وبنى عقيل هؤلاء قديمو الاستيطان فى هذه البلاد .

الـــــــرَّدم

الردم قرية من قرى هجر الدارسة وغير معلومة المكان ، وقد وصفتها المصادر بالكبر وهى لبنى عامر بن الحارث العبقسيين بالبحرين ، وفى هذه القرية قاتل العريان بن الهيثم ومعه عبد القيس صاحب الزنج وأتباعه حتى أرغموه على الخروج من هجر والفرار إلى البصرة .

الرمـــــلة

الرملة إحدى قرى هجر الدارسة وليس فى المصادر مايشير إلى تحديد موضعها سوى قرية صغيرة بالقرب من البطالية التى هى فى الأصل إحدى محلات مدينة الأحساء القديمة . ومما يذكر أيضاً أن وسط حى الكوت بمدينة الهفوف كان يطلق عليه قديما اسم الرملة فلعل القرية السالفة الذكر أحد هذين الموضعين .

الرافقـــــة

الرافقة إحدى القرى الدارسة فى هجر ، وينسب الشيخ محمد آل عبد القادر إلى بعض الناس القول (٢) أن الرافقة فى الموضع المعروف الآن بالرقيقة الكائنة فى الناحية الجنوبية من مدينة الهفوف حيث توجد هناك رسوم مدينة كبيرة وقد قام عليها العمران الحديث فى الوقت الحاضر .

---

(١) محمد آل عبد القادر : تحفة المستفيد فى تاريخ الأحساء فى القديم والجديد ص ١٤

(٢) محمد آل عبد القادر : تحفة المستفيد فى تاريخ الأحساء فى القديم والجديد ص ١٤

ريمـــــان

ريمان إحدى القرى الدارسة فى البحرين وقد كان يسكنها جماعة من عبد القيس وموضعها الآن غير معروف .

سَـــــوَار

سوار قرية من قرى البحرين مجهولة المكان وكان يسكنها قوم من عبد القيس العامريين . وسوار من الأسماء الشائعة التى يكثر إطلاقها على الأشخاص فى إقليم البحرين قديما كسوار ابن الجارود بن المعلى ، ولعل هذه القرية كانت لأحد الأعلام ممن يحملون هذا الاسم .

السُّلَيْت

السليت من القرى الدارسة فى هجر وكانت لبنى عطارد من تميم . ويذكر الشيخ محمد آل عبد القادر أن هناك موضع يسمى السليت يقع فى ساقية الحارَّة . عند العقار المسمى السويرجية وحوله آثار قرية واسعة بأسواقها ومدافنها .

السَّـــهْلَة

السهلة من القرى المندثرة فى هجر وهى لبنى محارب من عبد القيس ، ويوجد الآن غربى قرية الطرف موضع قرية تسمى السهلة كانت عامرة فى الزمن الماضى وقد أومأ إليها الشيخ محمد آل عبد القادر فى تاريخ الأحساء .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه فى سنة ١٣٨٨ هجرية حدثت بعض الانهيارات الترابية فى الموضع المذكور فبدا للعيان أطلال منها شراذم من جدران مسجد ومجموعة من الأفران المتقاربة مما يدل على أنه موضع سوق البلدة المذكورة .

شــط بنــى جذيمــة

شط بنى جذيمة من القرى الدارسة فى البحرين وتقع على الساحل فى جهة الجنوب بالقرب من عُمان .

الصَّـــادر

الصادر من القرى الدارسة فى هجر وهى لبنى عامر من عبد القيس ، ويورد الشيخ محمد آل عبد القادر احتمال كونها فى الموضع المعروف الآن بالصويدرة الواقع شرق مدينة الهفوف .

الطَّرْبالُ

الطربال من القرى الدارسة فى هجر «البحرين» وعده ابن الفقيه فى جملة قرى بنى محارب وقد يكون قريباً من قرية الطريبيل الكائنة فى واحة الأحساء شرق مدينة الهفوف .

طـــــاب

طاب من قرى البحرين الدارسة وموضعها غير معروف ، ومن تمور البحرين نوع كان يعرف باسم طاب ولعل القرية السالفة الذكر عرفت باسم ذلك التمر .

طُوَيْلع

تقع منطقة طويلع فى أسفل الصمان بينه وبين « الدو » فى منخفض من الأرض يشمل وادياً ومياها ويكثر فيه الرمل والنبات وتحيط به الآكام المرتفعة من أغلب جهاته وهو على مقربة من وبرة واللهابة ولصائف وثيتل والنباج قريتا بنى مالك اللتان جزم الشيخ حمد الجاسر بأنهما قرية العليا وقرية السفلى .

وطويلع هذا فى نظر الباحثين هو الموضع المعروف الآن بالضبيعات «الضبيعة» التى تقع عند خط طول من ١٤ – ٤٧° وخط العرض ٥٨ – ٢٧° لأن مجمل الصفات الواردة عن طويلع فى كتب المتقدمين تنطبق على هذا الموضع كل الانطباق ، فقد عدته بعض المصادر فى جملة قرى البحرين فى حين وصفته مصادر أخرى بأنه واد فيها .

أما صاحب بلاد العرب فيصفه بأنه ماء فى منتصف الطريق بين حجر والبصرة وهذا الماء أفواه كثيرة لعدد من قبائل العرب ، ومن أشهر مياه طويلع الشجى وعنيزه واللهابة واللصافة وكان به حصن يحتمى به اللصوص فإذا اجتزت طويلع تريد البصرة وقعت فى بلد يسمى الشيطان وهو مرعى لأهل طويلع .

ويصف البكرى طويلع بأنه ماء لبنى أسيد بن عمرو بن تميم بالشاجنة من ناحية الصمان وقال «وهناك قتلت بنو أسيد وائل بن صريم اليشكرى وكان عمرو بن هند قد بعثه ساعيا على بنى تميم فقذفوه فى بئر وصبوا عليه الحجارة وهم يرتجزون»

ياأيها المائح دلوى دونك : فَقَتَلَهُم أخوه باغت بن صريم أبرح قتل وآل أن يقتلهم على دم وائل ففعل ففى ذلك يقول نصر بن عاصم اليشكرى :

ومنا الذى غشّى طوىً طُوَيْلع ذبائح من غالى الدم المتفاضل

ولطويلع جوف يعرف به ويضاف إليه ، والجوف الأرض المنخفضة قال جرير :

نحن الحماة غداة جوف طويلع والضاربون بطخفة الجبَّارا

هل تعرفون على ثنية أفرن عبساً غداة أضعتم الأدبارا

وفيه جرت وقعة يوم من أيام العرب المعروفة بيوم الصمد وملخصه أن عمرو بن عدس خرج يوماً مراغماً للنعمان فجمع جمعا غزا بهم بنى عبس فقتله أنس بن زياد العبسى .

النَّبَـــاجُ

ويطلق هذا الاسم على عدة مواضع فى بلاد العرب جاء ذكر بعضها فى كتاب «فى شمال غرب الجزيرة» وفى قسم شمال المملكة من المعجم الجغرافى .

والنباج قرية تقع فى الموضع المعروف بالضبيعات ناحية طويلع غرب وادى المياه المعروف قديماً بالستارين ، وعلى مقربة منها تقع القرية المعروفة باسم ثيتل ، وقد تلازم ذكر القريتين فى شعر التراث وقد يطلق اسم النباج على القريتين معاً فيقال عنها النباجان وفيهما منذ القدم مياه ونخل وكان يسكنها من العرب اللهازم . فقد جاء فى معجم ماستعجم عن البكرى نقلا عن أبى عبيدة قوله « النباج وثيتل موضعان متدانيان بينهما دوح ينزلهما اللهازم من بنى بكر وهم قيس وتيم الله ابنى ثعلبة وعجل وعنزة وقد أغارت عليهم فيها بنوتميم فظفرت بهم ، وقد أقامت بطون من تميم فى هاتين القريتين بعد إخراج بنى بكر منهما .

وقد كانت النباج فى صدر الإسلام من منازل بنى فقيم وهؤلاء من بنى مالك بن حنظلة من بنى سعد وقد ورد فى شعر الفرزدق فى هجاء بنى فقيم من بنى دارم حيث يقول :

ترجَّى أن تزيد بنو فقيم صغارهم وقد أعْيوا كبارا

إذا دَخلو النباجَ بنوا عليها بيوت اللؤم والعَمَدَ القصارا

يحلّ اللؤم ماحَلت فقيم وإن ساروا بأقصى الأرض سارا

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القرية قد درست وقام على أنقاضها قرية العليا على حد ماخلص إليه الشيخ حمد الجاسر (١) استنتاجاً من أقوال المتقدمين عن النباج وثيتل ، ومما ساقه صاحب النقائض وصاحب الأغانى من خبر يوم النباج وثيتل .

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية ص ١٧١٦

ثَـــــيْتَلُ

ثيتل فى معجم البلدان اسم جنس للوعل وقد وصفه ياقوت والأصمعى بأنه ماء قرب النباج فى الضبيعيات لبنى شيبان .

وذكر صاحب تاج العروس بأن ثيتل اسم لجبل أو لماء قرب النباج . والقول بأنه جبل يمكن تخريجه على أن الاسم أطلق فى أول الأمر على الجبل الذى فيه شيء من صفات الوعل ثم سمى به الماء الذى بقربه وهذا كثير فى أسماء المواضع .

أما الحفصى فقد قال أن ثيتل قرية وقال نصر ثيتل بلد لبنى حمان . وقد حدث فى ثيتل يوم من أيام العرب فقد جاء فى النقائض ما ملخصه :

أن قيس بن عاصم المنقرى سار بمقاعس وهم صريم وعُبيَّد وربيِّع بنو الحارث بن عمرو ابن كعب بن سعد لغزو بكر بن وائل ومعه سلامة بن ظرب بن نمرِ الحمَّاني فى الأجارب وهم حِمَّان وربيعة ومالك الأعرج بنو كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فوجدوا بنى ذهل ابن ثعلبة بن عكابة واللهازم وهم بنوقيس وتيم اللات ابنا ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزه بن أسد بن ربيعة بن نزار فى النباج وثيتل ، فتنازع قيس وسلامة فى الإغارة ثم اتفقا على أن يغير قيس على أهل النباج ويغير سلامة على أهل ثيتل ، فأرسل قيس بن عاصم سنان بن سمَىِّ الملقب بالأهتم ليستقصى له خبر القوم فعاد بما مفاده أن بكرا موجودة هناك ، وفى الصباح سقى الخيل وأهرق مافى الروايا من الماء وقال لأصحابه «قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم «فلما دنوا من القوم أغار على أهل النباج ونشبت بين الفريقين معركة أسفرت عن هزيمة بكر وغنموا منها غنائم كثيرة فقال قيس لأصحابه «لانقبل دون إخوتنا بثيتل» ولم يكن سلامة قد أغار بعد على من بثيتل فأغار قيس عليهم وألحق بهم الهزيمة واستولى على مابأيديهم من الإبل وجاء سلامة فقال أغرتم على ماكان لى ؟ فتلاجّوا حتى كاد القتال ينشب بينهم ولكن قيس تدارك الأمر وسلم لسلامة ماأحرزوه من الغنائم فى ثيتل .

ومن هنا أصبح ذلك الموضع لتميم بعد أن تمكنت من إجلاء بكر عنه ، وبعد اضمحلال هذه البلدة قامت مكانها قرية السفلى وقد استطاع الشيخ حمد الجاسر أن يخلص إلى هذه النتيجة من خلال النظر فى نصوص المتقدمين .

وقد عرفت السفلى هذه والعليا القريبة منها باسم القريتين .

عَســـلَّج

عسلج إحدى القرى الدارسة فى هجر وهى مشهورة بزراعة النخيل التى تروى من (١) عين محلم وكانت معروفة حتى القرن الرابع الهجرى على مايفهم من كلام الأزهرى .

ومما تجدر الإشارة اليه أنه يوجد فى قرية الجبيل إحدى قرى واحة الأحساء موضع يعرف بعسلَج مما يوحى بأن القرية الدارسة كانت فى تلك الناحية .

العَرْجَـــةُ

العرجة إحدى القرى الدارسة فى إقليم البحرين وكانت لبنى محارب من عبد القيس وموقعها الآن غير معروف .

ظَلاَّمَةُ

ظلامة من القرى الدارسة بالبحرين وهى مجهولة الموقع .

القَرْحَاءُ

القرحاء من القرى الدارسة فى البحرين وهى لبنى محارب من عبد القيس .

ويرجح الشيخ حمد الجاسر(٢) بأنها تقع بالقرب من القطيف مستأنساً بقول على بن المقرب فى مدح أبيِ سنان سعود بن محمد بن على بن عبد الله العيونى :

سَلْ عنهُ يوم أغارت فى كتَائبها . . خيل القطيف من القَرْحَاَ إلى الجبل

قمـــــادَى

قمادى إحدى القرى الدارسة بالبحرين (٣) وكان يسكنها قوم من عبد القيس وموضعها غير معروف الآن ، وقد ورد اسمها فى مراصد الاطلاع بلفظ قمارى .

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان - جـ ٤ ص ١٢٤

(٢) حمد الجاسر المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٢ ص ١٤٠٢

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٩٦

كاظمـــــة

كاظمة رأس ممتدة فى الخليج فى الشمال الغربى من مدينة الكويت ، وبها على ماجاء فى كتاب بلاد العرب حصن وأسلحة ودور مبنية وتجار وعامة سكانها من تميم وبها آثار كثيرة قريبة المياه ينهل منها المسافرون وبها مراع جيدة وقد أكثر الشعراء من ذكرها (١) فوصفوا مياهها ومراعيها وأسراب القطا فيها .

ويرجح الباحثون أن كاظمة ظلت عامرة حتى أواخر العصر العباسى ثم ضعف شأنها بعد ذلك ولم تزل مهملة وليس بها سوى جماعة صغيرة من الصيادين .

الكثـــيب

الكثيب الأكبر والكثيب الأصغر من قرى بنى محارب من عبد القيس فى البحرين وموضعهما الآن غير معروف وهما على الأرجح من قرى واحة الأحساء .

ويورد الشيخ حمد الجاسر (١) احتمال أن يكونا فى الموضع المعروف بالكتيب حيث أن اليعاربة كثيرا ما يبدلون الثاء تاء وبخاصة أن ابن الفقيه أورد الاسم مضبوطا مرة بالثاء وأخرى بالتاء .

كمبـــود

كمبود من القرى الدارسة فى البحرين وهى لبنى عبد القيس وموضعها الآن غير معروف .

الفرضـــة

الفرضة إحدى القرى الدارسة فى منطقة هجر «البحرين» وهى لبنى عامر بن الحارث بن عبد القيس ، وقد اشتهرت بنوع من التمر يسمى التعضوض وينسب إليها أحمد بن مُسلم الفرضى المقرى العالم المعروف وموضعها الآن غير معروف .

المُزيرعـــة

المزيرعة إحدى القرى الدارسة فى البحرين وهى لبنى عامر بن الحارث من عبد القيس وموضعها الآن غير معروف .

---

(١) – عبد الرحمن عبد الكريم النجم – البحرين فى صدر الاسلام ص ٦٦

(٢) – حمد الجاسر – المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٤ ص ١٥٠٩

المُــــريْداء

المريداء قرية دارسة فى البحرين وهى لبنى عامر بن الحارث بن أنمار من عبد القيس وموضعها الآن غير معروف .

المطلــــع

المطلع إحدى القرى الدارسة فى البحرين وهى من قرى بنى محارب من عبد القيس وموضعها الآن غير معروف .

المــــرزى

المرزى قرية لبنى محارب فى البحرين وموضعها الآن غير معروف . ويورد الشيخ حمد الجاسر احتمال كونها قرية المزاوى المعروفة فى واحة الأحساء لتقارب الشبه بين الاسمين حيث التحريف فى الأسماء الواردة فى كتاب ابن الفقيه مما يلحظه الباحثون .

المالحـــة

المالحة إحدى القرى الدارسة فى البحرين وهى من قرى بنى محارب ولعلها فى واحة الأحساء حيث موضعها الآن غير معروف .

المنســلخ

المنسلخ إحدى قرى بنى محارب الدارسة فى البحرين وموضعها الآن غير معروف والاسم يحتاج إلى التثبت كما يذكر الشيخ حمد الجاسر لكثرة التحريف فى كتاب ابن الفقيه الذى يعد المرجع الوحيد لهذه القرية .

النَّبْطَاء

النبطاء إحدى القرى الدارسة فى هجر وكانت لبنى محارب من عبد القيس وموضعها الآن غير معروف ولعلها فى واحة الأحساء .

نَجْبَةُ

نجبة من القرى الدارسة فى البحرين وهى لبنى عامر من عبد القيس ولعل موضعها بالقرب من الماء المعروف بالنجبية فى الوادى الواقع بن جودة ومتالع من ناحية الغرب .

﴿ الفصـــل الســـادس ﴾
المـدن والقـرى العريقـة العامـرة

﴿ مدينـــة الأحســـاء ﴾

أصل الاسم ومدلوله .

الأحساء بفتح الألف وإسكان الحاء المهملة وفتح السين المهملة بعدها ألف ممدودة اسم كان يطلق إلى خمس وثلاثين سنة خلت على مايعرف الآن بالمنطقة الشرقية ، وهو فى اللغة كما جاء فى معجم البلدان لياقوت (١)الأحساء بالفتح والمد جمع حِسْى بكسر الحاء وسكون السين .

وقال الشيخ حمد الجاسر (٢)وواحد الاحساء حِسْى بكسر الحاء واسكان السين بعدها مثناة تحتية ولاتزال الكلمة مستعملة فى نجد . ولكن أبناء البادية يبدلون الياء واوا فيقولون «حِسْو» ويجمعه العامة على حِسْيان وأحسية وحساوة بالواو أيضاً مع أن أصله يائى»

قال الحسين بن مطير الأسدى (٣) :

أين جيراننا على الأحْساءِ ؟

أين جيراننا على الأطـواء ؟

فارقونا والأرض مُلبسةٌ نـوْ

ر الأقاحي تجـاد بالأنـــواءِ

كل يــوم بأقحــوان ونـــوْرٍ

تضحك الأرض من بكاء السماءِ

والحساء بفتح الحاء والسين المهملتين بعدهما ألف ممدودة لغة فى الأحساء قال على بن المقرب .

ياحبــذا واد الــحساء فإنّــه

لو ساءنى وادٍ إلىَّ محــبب

ومدلول الأحساء اللغوى والطبوغرافى على مايصف العلماء من أمثال

---

(١) – معجم البلدان – جـ١ ص ١١١

(٢) – المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ١٢١

(٣) – معجم البلدان جـ١ ص ١١٢

أبى منصور الأزهرى والمبرد والهمذانى وياقوت اسم يطلق على كل أرض صخرية صلبة تغطيها طبقة من الرمال بحيث تختزن المطر إذا نزل عليها فلاتسمح له الطبقة الصخرية بالتسرب إلى الأعماق كما يحول الرمل دون تبدده بخاراً فى الجو بفعل حرارة أشعة الشمس لذلك يظل فى مكانه زمناً طويلاً فإذا بحث عنه طالبه وجده ماءاً بارداً عذباً صالحاً للشرب .

وقد صار الأحساء علماً على مواضع متعددة فى جزيرة العرب منها أحساء بنى سعد على مقربة من مدينة هجر ، وأحساء القطيف فى منطقة القطيف ، وأحساء خرشاف بالبيضاء وهى الأرض الممتدة على امتداد الساحل فيما بين الجبيل والعقير غرب واحة القطيف وشرق واحة الأحساء وشمالها ، وبحذاء الحاجز فى طريق مكة (١) أحساء فى واد متطامن ذى رمل إذا رويت فى الشتاء من السيول لم ينقطع ماءُ أحسائها فى القيظ .

وأهم هذه المواضع وأشهرها أحساء هجر التى أطلقت عليها المصادر اسم احساء بنى سعد ، كما عرفت فيما بعد بأحساء القرامطة ، وقيل أن أحساء بنى سعد غير أحساء القرامطة ولكن الموضعين لابد أن يكونا متجاورين ويظهر أن الأحساء هذه كانت تغطى مساحة واسعة من هذه البلاد وتشمل مقر إقامة القرامطة ومنازل بنى سعد . ومن هنا يمكن القول أن السبب فى إطلاق اسم الأحساء على المواضع السالفة الذكر يعود للعلاقة بين مدلول الاسم لغوياً والطبيعة الطبوغرافية لتلك المواضع ، واذا كان الأمر كذلك فإن أجزاء كثيرة من أراضى هجر يمكن أن نعتبرها أحساء لانطباق معنى الاسم عليها وليس فقط المواضع السالفة الذكر الأمر الذى يحملنى على الاعتقاد بأن اسم الأحساء كان علماً على عموم إقليم هجر أو على جزء كبير من أراضيه وما أحساء بنى سعد وأحساء القطيف وأحساء خرشاف إلا البقية الباقية من التسمية القديمة للإقليم ومن هنا يكون إطلاق الأحساء على إقليم هجر أو البحرين قديماً لايرتبط كل الارتباط باسم المدينة التى عمرها القرامطة واتخذوها حاضرة لملكهم والتى أوما بعض المؤرخين إلى أن الإقليم استمد اسمه منها لشهرتها فى ذلك العهد ، ومن هنا يكون دور هذه المدينة فى تعميم الاسم على الإقليم إحياءً لا ابتداءً .

لأن الأغلب فيما أرى هو إطلاق اسم الإقليم على عاصمته كما يطلق السورى إسم الشام على دمشق والمصرى اسم مصر على القاهرة وإن كان العكس وارداً كما فى الحالات التى سبقت الإشارة إليها فى الموضوع الخاص بهجر ، وفى المعمورة مئات المدن المتألقة فى سماء الشهرة ومع ذلك فأسماؤها ظلت مقصورة عليها دون أن تتجاوزها إلى الأقاليم التى تمثل

---

(١) – أبو منصور الأزهرى – التهذيب – جـ٥ – ص ١٦٩

هذه المدن حواضرها ، واسم الأحساء قديم أشارت إليه النصوص الآشورية بلفظ خازو وحازو على اعتبار أنه قسم من الأراضى الواقعة على الساحل الشرقى لجزيرة العرب ، فقد ورد نص للملك الآشورى آسر حدون (١) أنه قام فى سنة ٦٧٦ ق . م بالزحف على القبائل العربية التى تقطن أرض بازو وحازو وهما من أراضى البحرين على رأى الباحثين المحدثين ويرى «كلاسر» أن خازو هى حازو وأن حازو وبازو فى الأقسام الشرقية والجنوبية لليمامة ورأى بعض الباحثين أن بازو تعنى الأرض الواقعة على ساحل الخليج ، وأن خازو (حازو) هى الأحساء . وينبه الدكتور جواد على إلى مايراه من تقارب كبير بين حازو والأحساء .

ويذكر بعض الباحثين حول حملة آسر حدون على مايعتقد أنه بلاد اليمامة أن هذا الملك سلك طريقا اخترق نجداً وعند عودته الى بلده سلك طريقا آخر مؤديا إلى ساحل الخليج فاخترق أرض بازو وحازو ثم سار شمالاً إلى إقليم بابل . وينبه الدكتور جواد على بهذا الصدد إلى أن حازو عند هؤلاء الباحثين هى الأحساء وهى بين نجد والخليج ، وإذا كان لهذه النصوص حظ من الحقيقة فيمكن اعتبارها قرينة ترجح مانراه من شمولية الاسم للإقليم كله قبل بروز العاصمة القرمطية إلى حيز الوجود ، هذا بالاضافة إلى قرينة أخرى ترجح ماذهبنا إليه هى أن القرامطة حين عمّروا حاضرتهم حول عين الجوهرية المعروفة فى واحة الأحساء سنة ٣١٤هـ أطلقوا عليها اسم المؤمنية ، غير أن اسم الأحساء غلب على مسمّى هذه المدينة فصار اسماً لها وللواحة كلها ولسائر أراضى إقليم البحرين ، وقد استمر الحال على ذلك إلى منتصف القرن العاشر الهجرى حين بسط العثمانيون نفوذهم على هذه البلاد وأطلقوا عليها اسم ولاية الأحساء ، أما فى الفترة الثانية لحكم العثمانيين فقد أصبح اسم هذه البلاد نجد أولواء نجد .

وللمؤرخين على هذا الاسم بعض التحفظات حيث لم يكن للعثمانيين سلطة مباشرة على نجد كما أصبحت الكويت خارج هذا المدلول منذ أسس آل صباح إمارتهم هناك ، فقد صارت حدود منطقة الأحساء من جنوب الكويت شمالاً إلى عمان وصحراء الجافورة جنوباً ومن الخليج شرقاً إلى الدهناء غرباً ولما تسلم الملك عبد العزيز آل سعود زمام الحكم صارت هذه المنطقة باستثناء قطر تعرف بإمارة الأحساء وذلك إلى أن اكتشف النفط ومانجم عنه من إنشاء مدن جديدة من أهمها مدينة الدمام التى نقل إليها مقر إمارة المنطقة سنة ١٣٧٠هـ فاستتبع ذلك إطلاق اسم إمارة المنطقة الشرقية على كامل إقليم الأحساء ، واقتصر مسمى إمارة

---

(١) – المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٥٩٩

الأحساء على المنطقة الممتدة من جنوب بقيق شمالاً إلى حدود دولة الإمارات العربية المتحدة جنوبا ، ومن الخليج وقطر شرقا حتى خريص غرباً وهى تتبع إدارياً إمارة المنطقة الشرقية .

تأسيس مدينة الاحساء :

ينسب المؤرخون كابن خلدون وناصرى خسرو تأسيس الأحساء لأبى طاهر سليمان بن الحسن بن أبى سعيد الجنابى القرمطى سنة ٣١٤هـ غير أن المصادر تحدثنا بأن الموضع الذى أنشئت عليه مدينة الاّحساء فى نظر عدد من المؤرخين والبلدانيين العرب كان يعرف بأحساء بنى سعد من أولاد زيد مناة من تميم حيث كانت منازلهم تشغل مواضع كثيرة من أراضى هجر بدءاً من يبرين جنوبياً حتى اّحساء هجر ، وقد كانت الأحساء هذه مقر إقامة رئيسهم وعاملهم إبراهيم بن موسى وأخلاط من هذه العشيرة لذلك عرفت بإضافتها إليهم ولم تزل على هذا الحال حتى ظهر أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى فى ساحة الصراع وشرع فى حصار مدينة هجر فى بداية العقد التاسع من القرن الثالث الهجرى فأسّس بعض الدور له ولخاصته بالأحساء فكان أول من قطنها من القرامطة وهذا واضح فيما ذكره المقريزى وسبقت الإشارة إليه فى أثناء الكلام عن حصار القرمطى لهجر ، وبناءً على ذلك فإن نسبة بناء مدينة الأحساء لأبًى طاهر القرمطى سنة ٣١٤هـ على حد زعم من نسبها إليه لاتعنى كونه المؤسس فهذا وهم وقع فيه عدد من المؤرخين بل نسبتها لأبى طاهر لكونه الذى عمَّرها وحصنها وأحاطها بالأسوار وأطلق عليها اسم المؤمنية ، غير أن هذا الاسم لم يكتب له الاستمرار فقد ظل اسم الأحساء مستعملاً ولكن بإضافته إلى القرامطة بعد أن تجرد من نسبته لبنى سعد . وليس فى المصادر مايشعرنا بمصير بنى سعد هؤلاء بعد أن شغل القرامطة هذا الموضع وعما إذا كانوا قد ظلوا فى مساكنهم أو أجلوا عنها أو أن كلاً من القرامطة وبنى سعد تقاسموا المنطقة المعروفة باسم الأحساء وأقاموا متجاورين وعُرف كل قسم من هذه المنطقة بإضافته إلى ساكنيه الأمر الذى أوجد اللبس بين المؤرخين فزعم بعضهم أن أحساء القرامطة غير أحساء بنى سعد . ومهما يكن من شىء فإن الذى لاشك فيه أن بنى سعد وغيرهم من ساكنى هذا الموضع ومايجاوره قد تلاشى وجودهم فى زخم التوسع العمرانى الذى طرأ على هذه المدينة فى أيام أبى طاهر .

موقعهـــــا :

تقع مدينة الأحساء القديمة كما تشير الآثار فى الشمال الشرقى من مدينة الهفوف فى موقع الحقول الكائنة جنوب شرقى المبرز ، فهى تشمل كامل قرية البطالية وماحولها من بساتين النخيل وكانت توجد هناك إلى عهد قريب بعض الآثار التى تفيد كثيراً فى تحديد موقع المدينة

فإلى الغرب من القرية توجد جدران قصر قديم على مساحة تقدر بخمسمائة متر فى مثلها تقريباً وقد أطلق عليه أهل القرية اسم قصر قريمط ، كما يزعمون أن آثار الحمّام الذى قُتل فيه أبو سعيد الجنابى المؤسس الأول لدولة القرامطة لايزال معروفاً وهناك مجرى ماء يصل الحمام بعين غير بعيدة عنه تسمى القحيبات (١) وفى الجهة الغربية الجنوبية من أطلال القصر على مقربة من عين الجوهرية يوجد مكان يسميه أهل قرية البطالية المسجد الجامع وبعضهم أطلق عليه اسم مسجد قريمط لقربه من موقع القصر المنسوب إلى القرامطة ويبلغ مساحة هذا الجامع ستة وأربعين متراً طولا وخمسة وأربعين ونصف المتر عرضا ، وفى ناحية القرية توجد بقايا رواقين لاتزال أساطينها قائمة وشكل بناء الأساطين يبدو متفاوتا مما يدل على أن بناءها لم يكن فى وقت واحد ولاتزال أجزاء من الجدار الغربى للمسجد قائمة ومما يدعو للغرابة أن هذا المسجد لامحراب له وليس ثمة كتابات يستدل منها على تاريخ تأسيسه

وقد رمم جانبه الغربى فى ذى القعدة سنة ١٣٥٤ هـ . وعلاوة على هذا المسجد ورسوم قصر قريمط توجد أطلال عمران قديم متنوع فيما بين القرية وموضع القصر وهذه المعالم والرسوم تؤكد صحة ماتردد على ألسنة أهل تلك الجهات حين يقولون أن كل الموضع الذى تشغله قرية البطالية وجميع ماحولها كان بلدة واحدة متصلة المبانى إلى عهد قريب ، ولكن تلك المعالم والرسوم فيما عدا المسجد بما فيها رسوم القصر لم تعد موجودة الآن فقد قام بعض السكان هناك بانتزاع الحجارة من جدرانه لاستعمالها فى أساسات بناء منازلهم ، كما قامت وزارة المعارف بإنشاء مدرسة كبيرة أخفت مساحات واسعة شملت موضع القصر وأجزاء من المواقع الأثرية التى تكفل بطمس ماتبقى منها ظهور المنازل الحديثة المنتشرة فى أنحاء القرية جميعها . ومن هنا يمكن القول أن مدينة الأحساء القديمة كانت تشغل مساحات مترامية من هذا الموقع بحيث تكون عين الجوهرية فى وسطها .

---

(١) - أشار الشيخ محمد آل عبد القادر إلى هذا الموضع المسمى القحيبات عندما قال عن القرمطى أنه لما أنشأ الأحساء جعل للبغاء موضعاً خاصا يعرف حتى الان بالقحيبات ولكن الشيخ حمد الجاسر عدّ ذلك من قبيل التشنيع من العامة الذين يفسرون الأسماء حسب مايحلوا لهم ، والقحيبات اسم عين بقرب القصر وليس موضعا

﴿ الأحساء كما تصفها كتب التراث ﴾

كانت هذه المدينة طيلة القرن الرابع الهجرى من أهم العواصم المؤثرة فى سير الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية على الساحة العربية والإسلامية ، ففى ردهات قصورها وعلى صعيد جرعائها رسم القرامطة خرائط الأحداث الجسام التى خاضوها ضد السلطتين العباسية والفاطمية ، كما اتخذوا من هذه المدينة مجالاً لممارسة أخطر التجارب الإشتراكية بكل أبعادها وأكثرها شراسة فى مناهضة شعائر الدين ومحاربة الإقطاع ورأس المال ، ولابد أن هذه الأمور كانت مجالاً خصباً لأقلام دونت عنها الكثير من المعلومات . بيد أن ماوصل إلينا منها فى منتهى الضآلة والغموض وهى تتركز فى الأغلب على إبراز النشاطات العسكرية لهؤلاء القوم وما ارتكبوه من فظائع فى حق البيت الحرام وقوافل الحجيج فضلاً عن أن أصحاب هذه الكتابات كانوا من رعايا السلطات التى شغلتهم مع القرامطة حروب كثيرة . هذا إلى جانب العزلة التى فرضها القرامطة على هذه البلاد والغموض الشديد الذى اكتنف معتقداتهم واتجاهاتهم الأمر الذى ألقى سجفاً من العتمة على هذه المدينة وماصدر عنها من أحداث وجعل تاريخها فى تلك الفترة فريسة تتنازعها أقلام الكتاب المحدثين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم من أقصى اليمين إلى اقصى اليسار فى منأى عن الالتزام بموضوعية البحث التاريخى والأمانة العلمية ، وإلى أن يأذن الله بجمع وتمحيص الكثير من المعلومات الخاصة بهذه المدينة ليس أمامنا ونحن نحاول رسم صورة لأحوالها من إبتداء عمرانها إلى أن توارت من مسرح الوجود سوى بعض الشذرات الواردة فى بعض كتب البلدانيين والمؤرخين منذ القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجرى وإن كانت هذه الشذرات على قلتها وقصورها وماتنطوى عليه من أخطاء تخلط كثيرا بين المعلومات المتصلة بالمدينة والمعلومات الخاصة بالإقليم من غير وعى بخصوصية الاسم وشموليته . ولعل أدق مايقدم بهذا الصدد ماجاء على لسان الرحالة الفارسى ناصرى خسرو حين مر بهذه البلاد سنة ١٠٥١م ، ورغم أن حديثه عنها لايخلو من أمور عدَّها الباحثون ضرباً من المبالغة والمغالطة فإنه يفيد كثيراً فى إلقاء الضوء على جوانب متعددة من حياة هذه المدينة ، ومما جاء فى ذلك الحديث قوله « إن الأحساء أسسها أبوطاهر الجنابى الزعيم القرمطى حوالى سنة ٣١٤هـ وسماها المؤمنية ، وقد استولى القرامطة على البحرين بقيادة أبى سعيد القرمطى .

يقول لنا خسرو إن البصرة أقرب مدينة للأحساء وهى على بعد ١٥٠ فرسخاً وليس فى البصرة من يجرؤ على مهاجمة الأحساء . إن اسم الأحساء يطلق على المدينة والضواحى والمنطقة حولها والقلعة ويحيط بها أربعة أسوار متحدة المركز فى إحكام من الطين وبين السور والآخر مسافة فرسخ ، وهناك مصادر مياه كثيرة جدا وكل واحد منها يستطيع أن يدير أربع طواحين ، والماء ينتفع منه بصورة جيدة لدرجة أنه لايخرج خارج الأسوار ، وتوجد فى وسط السياج المحصن

مدينة فاخرة تمتلك كل نعيم المدينة العظيمة وفيها من المحاربين ماينيف على عشرين ألف رجل ، وكان للأحساء فى السابق حاكم هو شريف يدعى أبو سعيد الذى خرج بالناس بعيداً عن معتقدات الإسلام وقد أسقط عنهم الصلاة والصوم ، وقد أقنع أبو سعيد أشياعه بأنه سيظهر لهم بعد موته ، وقد بُنى على قبره ضريح جميل داخل المدينة وقد وُضع عند بابه بصورة دائمة حصان مسرج مزين بالطوق والريش يستبدل بغيره من وقت لآخر ، والغاية من وجوده أن يركبه أبو سعيد لدى قيامه من قبره «على حد زعمهم»

وقد قيل أنه أوصى أطفاله بالوصية التالية «إذا لم تعرفونى حين أعود إضربونى على قفا الرقبة بالحسام فإذا كنت حقاً أنا ذلك الشخص فسأعود إلى الحياة على الفور ، وقد أمر بذلك خشية أن يحاول أحد انتحال شخصيته وكانت وصيته الأخيرة أمره بأن يتولى ستة من أحفاده السلطة بعده إلى الأبد وأن يحكموا بالعدل والمساواة ، ثم أمرهم بأن يظلوا دائماً متحدين إلى حين عودته .

ويقول ناصرى خسرو : إن أحفاد أبى سعيد مازالوا إلى سنة ١٠٥١م يحتلون قصراً واسعاً وهو مقر الحكومة ، وفى القصر منصة يجلس عليها هؤلاء الأشخاص الستة الجلسات الرسمية حيث يصدرون الأوامر ويشرعون القوانين بعد أن يتم الاتفاق فيما بينهم ، ويساعدهم فى هذا ستة وزراء يجلسون خلفهم على منصة أخرى وكل الأمور يتخذون فى شأنها القرارات بالمشورة ، وحينما يستقبل أحد الأمراء الناس فإن الذين يخاطبونه يسمعون منه إجابات كلها رقة وتواضع ، ويحمل الأمراء لقب سيد والوزراء لقب شايرة (مستشار) ومع اعتراف القرامطة أن محمداً قد تسلم هبة النبوة فإنهم لايقيمون الصلاة المفروضة حيث لايوجد هناك مسجد تقام فيه صلاة الجمعة إلى أن مر بالبلاد رجل فارسى اسمه على بن محمد (١) فبنى هناك مسجدا ، ولايمنع أحد من اداء الصلاة ، ولكن مواطنى المكان لايمارسون هذه الفريضة وسكان الأحساء لايشربون الخمر أبداً . وكان لهؤلاء الأمراء ثلاثون ألفا من الرقيق الزنوج أو الأحباش اشتروهم بالمال للعمل فى الزراعة والفلاحة ولايطلبون من الناس أن يدفعوا الضرائب والعشور وكل من يفتقر أو يصبح مديناً تقدم له القروض إلى أن تستقيم أحواله وكل من تعاقد على دين لايطالبه الدائن إلا برأس المال . وحينما يصل الغريب إلى الأحساء وهو من أصحاب الحرف يوضع مبلغ من المال تحت تصرفه حتى تستقر أُموره وبمقدوره أن يشترى الأدوات والمواد الضرورية لحرفته على أن يرد المبلغ الذى اقترضه بعد أن

---

(١) - فى ترجمة أخرى اسمه أحمد بن على

تستقر أموره . وإذا خرب بيت أو مطحنة ولم يستطع المالك أن يصلح ذلك الخلل يُشعر رجال الحكم بذلك فينتدبون بعض العبيد ليقوموا بإصلاح البيت أو المطحنة دون مقابل يتقاضونه من المالك .

وفى الأحساء كانت الحكومة تملك بعض المطاحن وكانت الذرة تطحن فيها إلى دقيق وتعطى للأفراد من غير مقابل ، وكانت صيانة وإدارة هذه المعامل وأجور العمال مسئولية الحكومة ، وتتم الصفقات التجارية بواسطة الرصاص (١) الموضوع فى السلال التى تزن كل منها ٦٠٠٠٠ درهم وحينما يتفق على عملية بيع وشراء يدفع فى مقابل ذلك عدد من السلال وليس مسموح بتصدير هذه النقود .

وفى الأحساء تصنع فوط من النوع الممتاز وتصدر إلى البصرة وأماكن أخرى (٢) ، وتباع فى الأحساء جميع لحوم الحيوانات كالقطط والكلاب والحمير والثيران والغنم (٣) ولكن رأس وجلد الحيوان ينبغى أن يوضعا إلى جانب لحمه حتى يعرف الزبون ماذا يشترى . وتوجد التمور فى الأحساء بكميات كبيرة لدرجة أنها تعطى للحيوانات وفى بعض الأوقات يباع كل ألف مَنْ بدينار (٤) هذا ماكانت عليه مدينة الأحساء فى أيام القرامطة ، وحين دالت دولتهم على أيدى العيونيين اتخذ الأمير عبد الله بن على العيونى هذه المدينة مقراً لكرسي حكمه وسارع لمحو معالم الحياة القرمطية منها بجميع صورها واستبدالها بالنظم والتشريعات المنبثقة من هدى الإسلام وتعاليمه ، فبنى المساجد والجوامع وأوجد المحاكم الشرعية وأوكل لبعض أبنائه مهمة استئصال العادات الشاذة التى اعتاد القرامطة ممارستها ، وحرص على إحياء الشعائر الإسلامية وإحاطتها بما تستحقه من مظاهر التوقير والإجلال ، فكان الأمير عبد الله يركب إلى مصلى العيد فى موكب مهيب من أولاده ورجال دولته تحف بهم سرايا الجيش وتخفق فوق رؤسهم الرايات ، ومن هنا عاد للأحساء على أيدى أبنائها من العيونيين وجهها المشرق برونق الإسلام وجلال شعائره ، وقد ترسم العيونيون خطى مؤسس دولتهم

---

(١) – ورد فى ترجمة أخرى لرحلة ناصرى خسرو أن العملة آنذاك كانت من الخزف ولعل ذلك ناجم عن خطأ فى الترجمة أو أن الخزف كان يستعمل إلى جانب الرصاص .

(٢) – ورد فى ترجمة أخرى أنه في الأحساء كانت تصنع القراطيس الجيدة لغرض الاستهلاك والتصدير

(٣) – لعل ذلك بسبب وجود جاليات من أجناس مختلفة ومشارب متعددة إنخرطت فى سلك القرامطة إبان حروبهم فى البلدان الأخرى وليس بغريب أن يوجد بين هذه الجاليات من يأكل هذا النوع من اللحوم . يوضح ذلك ضرورة وضع رأس وجلد كل حيوان عند لحمه أثناء البيع ليكون المشترى على علم بنوع اللحم الذى يشتريه .

(٤) – المن نوع من الوزن لايزال معروفاً فى الأحساء والقطيف ويعادل فى الأحساء ٧٢٠ كجم أما فى القطيف فهو أقل من ذلك بكثير .

فى هذا المضمار فشرعوا فى بناء المساجد رجالاً ونساءاً وقد مرت الإشارة الى مسجد الجعلانية المنسوب لإحدى بنات الأمير عبد الله العيونى مما يعنى أن العناية بالمساجد وتعميرها لم يكن قاصراً على الرجال فحسب بل شمل النساء أيضاً فى تلك الفترة ومن ذلك التاريخ لم تعد أبواب الأحساء موصدة أمام الفئات المناوئة للقرامطة فأخذت بعض الأسر من نجد والحجاز والعراق وغيرها فى التوافد على هذه البلاد والاستقرار بها فكان لذلك أبلغ الأثر فى إعادة تشكيل المجتمع الأحسائى وإحياء فكر السنّة ثم بلورة مذاهبه فيما بعد وكانت السيطرة فى هذه البلاد قبل ذلك للمذهب الجعفرى(١)

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان – جـ٤ ص ١٥٠

اضمحلال مدينة الأحساء .

يرى الشيخ حمد الجاسر أن شأن هذه المدينة بدأ يضعف منذ زوال حكم القرامطة واستيلاء العيونيين ، حيث كان بعض حكام الأخيرين يستقرون فى القطيف حيناً وفى جزر البحرين حيناً آخر وذلك استناداً الى مايفهمه الشيخ حمد من إشارات بعض المؤرخين القدماء إلى هذه المدينة .

والذى أراه أن أعراض الضعف لم تظهر على مدينة الأحساء بصورة واضحة إبان الحكم العيونى أو على الأقل فى بداية ذلك الحكم . وإذا كان ياقوت قد ذكر بأن القطيف هى قصبة البحرين فهو يعنى ولاشك أنها كانت كذلك فى أيام حكم المتأخرين من أمراء العيونيين حيث انفرد بعضهم بحكم القطيف وجزيرة أوال . كما أن ياقوت ذاته قد وصف الأحساء بأنها مدينة فى البحرين معروفة ، كما أنه ذكر أنها لاتزال إلى عهده مدينة مشهورة عامرة وهو المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . ومن هنا يمكن القول أن هذه المدينة أخذت تفقد أهميتها كعاصمة منذ دالت دولة العيونيين حين أصبح المتغلبون على حكم البلاد من الأعراب الذين يفضلون الإقامة بالقرب من مضارب عشائرهم على الإقامة داخل مدن مسورة . وهذا أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ يشير إلى الأحساء القديمة ويصفها بأنها بليدة غير مسورة ، ومع مانيطوى عليه كلامه من المبالغة فى الضعف الذى منيت به تلك المدينة ، إلا أنه يعد مؤشراً واضحاً على أن حكام هذه البلاد قد أخذوا فى التحول عنها إلى مواضع أخرى لجعلها مقراً لكرسى حكمهم .

ويشير الشيخ حمد الجاسر إلى أن بعض الباحثين يرى أن دولة آل أجود كانت قاعدتها فى قرية المنيزلة ، وهناك آثار تدعى قصر أجود ولم يستبعد الشيخ هذا القول لكون مدينة الأحساء واقعة فى مكان منخفض تحيط به النخيل والمياه مما يجعله غير ملائم من الناحية الصحية هذا بصفة عامة ولوقوع المدينة بين القرى بعيدة عن الريف الذى يألف البدو سكناه يصبح الاستقرار فيها غير مرغوب فيه من قبل هؤلاء .

والذى أراه أن دولة آل أجود لم تقم فى مدينة الأحساء ولا فى موضع قرية المنيزلة بل جعلت حاضرتها فى مدينة الهفوف ، وقد خلصت إلى هذه النتيجة حين ترجح عندى أن دولة الجبريين هى التى أسست مدينة الهفوف أو هى التى أسهمت بشكل فعال فى تعميرها لأن سكنى هذا المكان ربما يكون قد سبق قيام دولة آل جبر بزمن قليل أو كثير وهذا ماسنأتى على إيضاحه عند الكلام عن مدينة الهفوف ، أما قصر أجود الواقع فى قرية المنيزلة الكائنة على مشارف مدينة الهفوف من ناحية الشرق فالشائع على لسان الأهالى أن أجود بنى ذلك القصر لإحدى زوجاته التى كان أهلها يقيمون فى تلك الناحية .

وقد جاء فى قصيدة شعبية مُدحت بها تلك المرأة قولهم :

يستاهل الزين من يبنى لشانه قصور

يادانة (١) الخلجان فى حرز أجود

أما مايقال من نسبة تأسيس مدينة الهفوف للعثمانيين فهو بعيد عن الدقة لأن هؤلاء حين قدموا إلى هذه المنطقة فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى كانت الهفوف آهلة بالسكان ، وقد صادفت الإقامة فيها هوى فى نفوس العثمانيين فقاموا ببناء القصور والدور الحكومية فى الزاوية الشمالية القريبة من المدينة واتخذوها مقراً لإقامتهم وهى ماتعرف حتى الآن بالكوت .

---

(١) - الدانة : الجوهرة الكبيرة

الهفـــوف

الهفوف بضم الهاء والفاء بعدها واو ساكنه ففاء . يذكر أن الأصل فى هذا الاسم الهفهوف بتكرار الهاء من الفعل هفهف (١) أى مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة والشيء حرّكه ودفعه .

والمهفهف : الضامر البطن الدقيق الخصر وهى مهفهفة وعليه قول أبو البحر جعفر الخطى من شعراء القرن الحادى عشر الهجري .

مَهْلاً مُهَفْهَفَةِ الهفهوف من هجرٍ ..

أرنَّة الحِجْلِ ذِى أم نغمـةِ الوتـرِ

بداية تأسيس مدينة الهفوف .

لاتسعفنا المصادر المتاحة بتاريخ محدد لبداية تأسيس هذه المدينة ، غير أن وجودها قبل القرن التاسع الهجرى بزمن كثير أو قليل أمر يمكن القول به فى ضوء القرائن ومن أهمها دلالة على ذلك تاريخ إنشاء جامع الجبرى بمحلة الكوت فى بداية القرن التاسع الهجرى ، فقد أسسه الأمير سيف بن حسين الجبرى سنة ٨٢٠هـ على حد قول أحد القائمين على ولاية الجامع وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطيب (٢) . علاوة على أن ثمة وثيقة تشير إلى أن الجبريين قد استقدموا الشيخ نصر الله الجعفرى الطّيار من المدينة المنورة إلى الأحساء تمهيداً لإسناد إمامة هذا الجامع إليه سنة ٧٩٥ هـ مما يدل على أن إنشاء هذا الجامع قد تم بين سنة ٧٩٥ هـ و ٨٢٠ هـ . الأمر الذى لايدع مجالاً للشك بأن هذا الجامع لم يكن ليقام فى هذا الموقع لو لم تكن مدينة الهفوف قائمة وآهلة بالسكان قبل تاريخ إنشاء الجامع ، ومما يعزز هذا الاعتقاد أن حى الكوت الذى به الجامع المذكور لم يكن أسبق الأحياء إلى الوجود فقد حدثنى الشيخ أحمد بن عبد اللطيف آل ملا المتوفى فى ١٤٠٢/٧/٢ هـ أن أول محلّة أختطت بمدينة الهفوف هى المحلّة المعروفة الآن بفريق الرفعة الشمالية الكائنة فى الزاوية الشمالية الشرقية من مدينة الهفوف القديمة ، على أن إنشاء مدينة الهفوف قام على أنقاض عمران سابق ، ولقد أشرنا فى فصل متقدم من هذا الكتاب إلى ماتناقله الناس عن

---

(١) المعجم الوسيط – جـ٢ ص ٩٨٩

(٢) أحد أفراد آل جعفرى المعروفين بالأحساء تولى القضاء فى بلدة العيون ثم الجفر سنة ١٣٨٥ هـ الى سنة ١٤٠٠هـ

أضرحة عُثر عليها بحى الرفعة الشمالية قُبر فيها الأموات وهم وقوف داخل توابيت ، الأمر الذى يؤكد أثرية هذا الموضع قبل انبثاق الإسلام ، كما ظهرت فى خرائط ديكسون عن الهفوف آثار مدينة قديمة لاتبعد أكثر من نصف كيلو عن الموقع المذكور لكن صخور أساساتها ومحتوياتها قد انتهبت لاستخدامها لأغراض البناء . فهل كانت الهفوف مقر إقامة بنى هَفْ من أحياء طسم التى سكنت هذه البلاد فى العصور الخالية ؟ هذا مايوحى به اسمها .

ومما تقدم نخلص إلى القول أن مدينة الهفوف إلى جانب كونها قد تأسست على أطلال عمران سابق فإن تاريخ تأسيسها لاصلة له بقدوم العثمانيين فى النصف الثانى من القرن العاشر وهو ماذكره بعض الباحثين لأن إنشاء مدينة الهفوف إن لم يكن قد واكب ظهور دولة الجبريين فى أوائل القرن التاسع فهو فى تاريخ أسبق من ذلك .

أما دور العثمانيين بالنسبة لهذه المدينة فيتجلى فى عنايتهم بها وتعميرها ومدها بمقومات مكنتها من البقاء والاستمرار حاضرة لإقليم الأحساء إلى زمن ليس بالبعيد ، ذلك لأن ولاة العثمانيين حين قدموا إلى هذه البلاد ووجدوا فيها جميع الخصائص التى ترشحها لتكون خط الدفاع الشرقى عن المقدسات الإسلامية فى وجه البرتغاليين عقدوا العزم على الاحتفاظ بها ضمن سيطرتهم ، فاتخذوا من الهفوف مقراً لإقامتهم لعدة اعتبارات تخدم استراتيجيتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية .

أما ماعزاه الشيخ حمد الجاسر لألسنة الأهالى هنا من القول إن أول من أنشأ مدينة الهفوف هو ابن عريعر شيخ قبيلة بنى خالد سنة ١٠٨١هـ أنشأ فيها الكوت قصراً للاصطياف ثم عُمِّرت المساكن حوله حتى تكونت المدينة فهو بعيد عن الصحة لا لأن المدينة أنشئت قبل هذا التاريخ بقرن على أيدى العثمانيين على حد قول الشيخ حمد ، بل لأن المقولة السالفة الذكر تتردد على ألسنة الناس فى سبب إنشاء مدينة الكويت لافى سبب إنشاء مدينة الهفوف وهذا ماسيرد إيضاحه عند الحديث عن إمارة الكويت .

الموقـــع :

تقع مدينة الهفوف فى الزاوية الجنوبية الغربية من واحة الأحساء على بعد ستين كيلاً من العقير غربا فى منطقة ترتفع قليلاً عَمّا يجاورها من الأراضى ، تحدها شمالاً نخيل أم خريسان وجنوباً مزارع الحبوب وجنان الفاكهة وغرباً نخيل السيفة وشرقاً حقول النخيل الغَنّاء ، وكانت مساحتها إلى ثلاثين سنة خلت ٢,٥ كم من الشمال إلى الجنوب و ٢ كم من الشرق إلى الغرب ، أما ارتفاعها عن سطح البحر فيبلغ ١٥٠ متراً ، وقد أعطاها هذا الموقع مجموعة ميزات هامة فوجودها فى طرف الواحة جعلها فى معزل عن زحف الرمال المتحركة وعند ملتقى طرق المواصلات البرية وخارج نطاق مكامن البعوض ومصادر الأوبئة ، كما كان لبعدها عن البحر فضل فى خلو مناخها من الرطوبة ، هذا بالإضافة إلى خصوبة تربتها وانتشار عشرات العيون الجارية بها .

النمو والتوسع العمراني :

لقد مرت مدينة الهفوف منذ إنشائها إلى الان بعدة مراحل تدرجت عبرها فى النمو والاتساع حتى اتخذت شكلها الحاضر ، فقد كانت فى بداية أمرها قرية صغيرة تقع فى الطرف الشمالى من حى الرفعة الشمالية لاتزال تعرف باسم الرقيات وهو إسم قديم كان يطلق على أراضٍ واسعة مزروعة تقع إلى الشمال والشرق من تلك القرية غير بعيدة عنها ، فقد استمدت القرية اسمها من اسم تلك الأراضى لأنها تأسست فى الأصل لتكون مقر إقامة الفلاحين العاملين فى فلاحة الأراضى تلك ، ولعل جودة مناخ هذه المنطقة وعوامل أخرى دفعت آل جبر أو من سبقهم فى حكم هذه البلاد وهم جميعاً من الأعراب الذين لايطيقون الإقامة فى مدينة كالأحساء القديمة الواقعة وسط الحقول الزراعية - للاستقرار بالهفوف واتخاذها مقراً لإقامتهم فشرعوا فى تعمير المساجد والمنازل والمرافق لهم ولخاصتهم فى الموضع الذى عرف فى وقت لاحق باسم الكوت . أما من تبعهم من الحرفيين والمهنيين فقد استقروا بجوار قرية الرقيات وأسسوا لهم المنازل هناك فتم بذلك انشاء حى الرفعة الشمالية والرفعة الوسطى .

ومن هنا يمكن القول أن انطلاقة مدينة الهفوف نحو النمو والتوسع بدأت بحيي الكوت والرفعة ولعل الوصف الذى أضفاه الضابط الإنجليزى «سدلر» (١) لهذه المدينة حين مر بها فى رمضان سنة ١٢٣٤ هـ - ١٢ تموز سنة ١٨١٩م كان ينطبق على المدينة حين كانت مؤلفة من الحيين سالفى الذكر مما يعنى أن الأحياء اللاحقة كحى النعاثل لم تكن قد نشأت بعد أو أنها قد تعرضت للإزالة أثناء الحروب التى شهدتها المنطقة قبل تاريخ هذه الرحلة ، وقد جاء فى كلام سدلر ماترجمته «تدعى البلدة الرئيسية المحصنة فى مقاطعة الأحساء الهفوف وأسوارها من الطين ترتفع حوالى ٥٠ قدماً ومحاطة بخندق عميق جاف له بوابتان والبيوت التى داخل الحصن متواضعة توجد إلى الشرق منها قرية غير محصنة تحيط بها أراضٍ زراعية محروثة ومزروعات نخيل ، ولايصل تعداد سكان الهفوف وضواحيها إلى خمسة عشر ألف نسمة ، وقد يشكل ستمائة منهم قوتها العسكرية» .

---

(١) - ج . فورستر سدلر - رحلة عبر الجزيرة العربية ص ٧١

على أن مدينة الهفوف لم تمكث على ماوصف سدلر زمناً طويلاً فسرعان مابرز حى النعاثل إلى حيز الوجود ، كما أتم حى الرفعة امتداده إلى الناحية الجنوبية ثم تتالى فى زمن لاحق ظهور أحياء جديدة كان أولها حى الصالحية ثم الرقيقة فصارت أطوال المدينة القديمة تقدر بـ ٢,٥ كم من الشمال الى الجنوب و ٢ كم من الشرق الى الغرب ، ولما دخلت المملكة فى عصر إنتاج الزيت التى تحيط حقوله بهذه المدينة إحاطة السوار بالمعصم دخلت الهفوف فى مرحلة جديدة من النمو والاتساع فظهرت أحياء جديدة أخذت تلتهم فى نهم شديد الرقعة الزراعية المحيطة بالمدينة فامتدت شمالاً مسافة ٢,٥ كم وجنوباً سبعة أكيال وشرقاً ثلاثة أكيال أما من الغرب فبلغ امتدادها مسافة خمسة أكيال فأصبحت أطوالها اثنى عشر كيلو من الشمال إلى الجنوب وعشرة أكيال من الشرق الى الغرب ، وبذلك اتصلت هذه المدينة بمدينة المبرز التى أخذت فى التوسع هى الأخرى فصارت أطوال المدينتين ٢٠ كم من الشمال الى الجنوب و ١٠ كم من الشرق إلى الغرب كما يشير إلى ذلك مخطط بمكتب تخطيط المدن .

الأحياء والمنازل :

١ - حى الكوت .

الكوت على مايرى بعض الباحثين كلمة كلدانية الأصل بمعنى الحصن . وقال آخرون أنها من أصل برتغالى وتعنى الحصن أيضاً ، وقد غلب استعمال هذه الكلمة على كل بناء محكم مربع كبير لغرض من أغراض الدفاع ، ثم اتسع مدلول الكلمة فشمل القلاع الحصينة بصورة عامة ، ومن هذا القبيل أطلق اسم الكوت على الحى الكائن فى الشمال الغربى من مدينة الهفوف لأنه كان طيلة أربعمائة سنة خلت يعتبر من أقوى القلاع وأكثرها تحصيناً ، فهو محصن من جهاته الأربع بأسوار محكمة البناء من الآجر والطين يبلغ طول الواحد منها تسعمائة وخمسين متراً فى عرض أربعة أمتار وارتفاع أحد عشر متراً وتنتصب فوق تلك الأسوار الأربعة مجموعة بروج منيعة تقيم بها حامية عسكرية بصورة دائمة ، وقد أقيم بين كل برج والذى يليه جدار يزيد ارتفاعه على قامة الرجل ، ويوجد بهذا الجدار عدة فتحات ضيقة تمكن المدافعين عن القلعة من رؤية العدو وإمطاره بالرصاص من خلالها ، وللقلعة بوابتان كبيرتان إحداهما من الناحية الشمالية وتسمى الدروازة الشمالية والأخرى من الجهة الشرقية وتسمى دروازة العليمى أو دروازة السوق ، وهاتان البوابتان تغلقان ليلاً وتفتحان نهاراً ، ويحيط بالأسوار من الخارج خندق يبلغ عرضه خمسة عشر متراً أما عمقه فلا يقل عن خمسة أمتار ، وقد أزيلت هذه الأسوار جميعها والخندق سنة ١٣٧٦هـ وأول من حصَّن قلعة الكوت وبنى أسوارها فيما نعلم الولاة العثمانيون فى نهاية القرن العاشر الهجرى وقد اتخذ هؤلاء الولاة من الكوت مقراً لإقامتهم فبنوا به المساجد والجوامع والدور الحكومية والقصور والمرافق الأخرى كالأفران والحمامات العامة وبعض الأسواق ، ثم شرعوا فى تحصين الحى بحفر الخنادق من جهاته الأربع ، وفى العقدين الأخيرين من القرن العاشر أتموا تحصينه ببناء الأسوار والبروج السالفة الذكر ، وقد ظل هذا الحى مقراً لكرسى حكم ولاية الأحساء إلى أن زال حكم الأتراك سنة ١٠٨١ هـ ولما قبض بنو خالد على زمام الحكم فى هذا التاريخ جعلوا مقر إقامتهم فى المبرز ، وحين زالت دولتهم على يد آل سعود فى فترة حكمهم الأولى اتخذ السعوديون من الكوت مقراً لكرسى إمارة الأحساء التابعة لدولتهم وذلك فى سنة ١٢٠٨ هـ ولم تزل الكوت قاعدة الإمارة حتى اليوم ، ولكنها منذ سنة ١٣٧٠ هـ أصبحت إمارة فرعية تابعة للدمام التى صارت من ذلك التاريخ حاضرة إمارة الإقليم الذى أصبح بدوره يعرف باسم المنطقة الشرقية .

ويشتمل الكوت على عدة حلال يحمل كل منها إسماً خاصاً به منها :

ا - فريق السراى : ويقع فى الركن الشمالى الشرقى من القلعة وبه تقع القصور الحكومية ودور الموظفين الرسميين فى الدولة .

ب - فريق المرابدة أو الفريق الجنوبى : يقع فى الجنوب الغربى من الكوت .

جـ - فريق المطاوعة : ويقع فى الركن الشمالى الغربى من الكوت .

د - فريق الرويضة : ويقع فى الوسط بين الفريقين الأخيرين وكان قديماً يعرف باسم الرميلة وسكان هذه الحلال جميعهم من السنة .

و - فريق النجاجير : ويقع فى الركن الجنوبى الشرقى وجميع سكانه من الشيعة وأغلبهم ممن يمتهن النجارة والحرف اليدوية الأخرى ومن هنا جاءت تسميته بهذا الاسم .

ويوجد بالكوت ثمانية وعشرون مسجداً بينها أربعة جوامع تؤدى فيها صلاة الجمعة وعدد من المدارس الحكومية للجنسين إلى جانب ثمان مدارس قديمة للوعظ والإرشاد وتدريس العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية .

٢ - حى الرفعة :

يقع هذا الحى فى الجهة الشرقية من الهفوف بمحاذاة الكوت والنعاثل ويشتمل على ثلاث حلال هى الرفعة الشمالية ، والرفعة الوسطى ، والرفعة الجنوبية ويقدر عدد منازله بـ ٢٣٠٠ منزل أزيل بعضها لصالح خطوط تنظيم المدينة ، وسكان الرفعة خليط من الطائفتين السنية والشيعية .

٣ - حى النعاثل :

يقع هذا الحى فى الزاوية الجنوبية الغربية من مدينة الهفوف القديمة ويفصل بينه وبين حى الكوت قديماً عدد من حدائق النخيل وقد استمد هذا الحى اسمه من اسم بطن من بطون عقيل يسمون النعاثل لعلهم أول من عَمَّر هذا الحى ، على أن الشيخ صالح عبد الرحمن النعيم يروى قصة يفهم منها أن هذا الحى لم يكن عامراً قبل سنة ١١٥٠ هـ ومفاد روايته أن ملحم المطيرى جد أسرة آل ملحم المعروفة بالأحساء قد قدم من الجدعة فأقام فى كنف جماعة يدعون آل عبد اللطيف من سكنة المبرز ثم تحول عنهم للإقامة بجوار رجل موسر من آل أشقر (١) فأقطعه

(١) - كان آل أشقر من الأسر المعروفة فى الأحساء وهى من بقايا قبيلة عبد القيس العريقة فى هذه البلاد وقد إنقرض آل أشقر ولم يبق منهم إلا رجل وإمرأة .

النعاثل فاستقر به ملحم وبنى به عدداً من المنازل له ولأولاده ولاتزال ذريته إلى عهد قريب تمثل أكثر سكان هذا الحى وذلك فى العقد الخامس من القرن الثانى عشر الهجرى ، وفى السنوات الأولى من تأسيس الحى استقر فى الأحساء الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف النعيم (١) جد أسرة آل نعيم المعروفة فى هذه المنطقة فتزوج من إحدى بنات ملحم وسكن النعاثل أيضاً ثم تتابع الناس فى سكناه ومن هنا كانت بداية نشأة هذا الحى ويبدو أنه قد منى بالتضاؤل والانكماش حين أصبح هذا الموضع مسرحاً للحروب التى نشبت بين أنصار بنى خالد وجنود الدولة السعودية الأولى فى أول القرن الثالث عشر الهجرى . لذلك لم يرد فى رحلة سدلر عن الجزيرة مايشير إلى وجود هذا الحى ، غير أن الحى بعد تاريخ تلك الرحلة قد استعاد حيويته وعمرانه فبلغ عدد منازله فى تقرير بعض الكتاب قبل ثمانين سنة ألفي منزل إلى جانب عدد من المساجد والمدارس .

وسكان النعاثل خليط من أبناء الطائفتين السنية والشيعية وفى وسط مدينة الهفوف بين حيَى الكوت والرفعة يوجد عدد من الأسواق المتعددة الأغراض من أهمها السوق المعروف بالقيصرية وهو عبارة عن بناء كبير مسقوف يشتمل على عدّة أقسام يضم كل قسم منها عدد من الحوانيت الصغيرة التى تعتبر بدورها سوقاً مستقلاً بذاته يتميز عن الأقسام الأخرى بالبضاعة التى يتخصص فى عرضها ، فللصيرفة سوقها الخاص ، وللملابس سوقها المقصور عليها وهلم جرا ، أما البيع بالجملة فكان يتم فى منازل التجار أنفسهم . وإلى جانب سوق القيصرية وغيره من الأسواق الثابتة الدائمة ، هناك سوق أسبوعى يعقد كل يوم خميس فى الطرف الشمالى من سوق مدينة الهفوف وتعرض فى هذا السوق جميع السلع المحلية منها والمستوردة على مختلف أنواعها ، ويتوافد الناس على هذه السوق من البادية والحاضرة فيبيعون ويشترون فى كل مايحتاجون إليه من البضائع والسلع ، والأسعار هنا زهيدة إذا قورنت بأسعار الأسواق الاخرى .

وكان يحيط بحيي النعاثل والرفعة سور يبلغ إرتفاعه أربعة أمتار يبدأ من عند الزاوية الشمالية الشرقية لسور قلعة الكوت وينتهى عند الزاوية الجنوبية الغربية من سور تلك القلعة المذكورة وبهذا السور خمس بوابات ففى الناحية الشمالية بوابة واحدة تعرف باسم دروازة الخميس

---

(١) - من قبيلة النعيم المعروفة فى البريمى والتى تنتمى إلى قبيلة الأزد كما أشار إلى ذلك الألوسى . ومن هنا يمكن استبعاد ماذكره الشيخ محمد آل عبد القادر عن هذه الأسرة حين قال أنها من النعايم الفخذ المعروف فى بنى عامر

وفى الناحية الشرقية بوابتان تسمى إحداهما دروازة الشرق والأخرى دروازة الصالحية ، وفى الناحية الجنوبية دروازة واحدة تسمى دروازة القرن ، أما من الناحية الغربية فهناك بوابة تعرف بدروازة البدع ، وقد أزيل السور وجميع البوابات قبل إزالة أسوار قلعة الكوت بعدة سنوات .

٤ - حى الصالحية :

يقع حى الصالحية فى الناحية الشرقية من الرفعة الجنوبية وخارج سورها الشرقى وأول من اختطّه الشيخ إبراهيم والشيخ راشد ابنا الشيخ عبد اللطيف آل مبارك (١) وقد اتخذت أسرة آل مبارك من الصالحية مقر إقامتها وذلك فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ثم أخذت المنازل فى التكاثر والانتشار ، كما يوجد بها عدد من المساجد والمدارس الحكومية للجنسين .

٥ - حى الرقيقة :

يقع هذا الحى فى الناحية الجنوبية من الهفوف وكان مقر إقامة البدو الذين يحضرون إلى هذه المدينة فى فصل الصيف غالباً وهم خليط من العجمان وآل مرة والدواسر وسبيع وقحطان وغيرها ، والمستقر منهم فى هذه الناحية يقوم بزراعة الشعير صيفاً حيث كانوا يقيمون بجانب مضارب خيامهم بعض الأخصاص ، وبمرور الزمن تكاثر عدد هؤلاء البدو وزادت رغبتهم فى الاستقرار مما جعل هذا الحى يتسع ليصبح من أكبر أحياء الهفوف حيث حفل بكثير من المنازل والمساجد والمدارس ، وعلى مقربة من الرقيقة كانت توجد رسوم مدينة قديمة ذكر الشيخ محمد ابن عبد القادر أنها قد تكون مدينة الرافقة إحدى المدن الدارسة فى هجر .

المنازل :

تقدر منازل الهفوف قبل ٣٠ سنة خلت بحوالى ١٠٠٠٠ منزل ، وكانت المنازل مبنية على الطراز الشرقى القديم ، فهى متراصة يأخذ بعضها بحجز بعض وتتخللها أزقة ضيقة متعرجة أحياناً يتراوح عرضها من ٣ إلى ٥ أمتار ، وقد بنيت هذه المنازل من الحجارة والطين ومسقوفة بجذوع النخل وتكون على الأغلب من طابق واحد مربع الشكل يتوسطها فناء فسيح تكتنفه الحجرات والمرافق من جهاته الأربع ، وقد يوجد فى داخل الحجرة الواحدة حجرتان إحداهما فوق الأخرى تتميز السفلية منها بالبرودة صيفاً والدفء شتاءً ، والفاخر من هذه البيوت تطلى

---

(١) - تنتمى أسرة آل مبارك المعروفة بالأحساء إلى بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم .

جدرانه بالجص (١) الأبيض الناصع كما تزدان بالزخارف والنقوش والشرفات والأقواس المنشأة من الجص أيضاً ، أما السقف فهو من أخشاب مستوردة تتسم بالقوة والصلابة تسمى «الدنكل» تُصَفُّ متباعدة ويرصف فوقها فى تناسق بديع رقائق خشبية مطلية بالألوان الزاهية المختلفة حتى يبدو السقف كأنه البساط الموشى ، وأخشاب الأبواب والنوافذ يتم استيرادها من الهند غالباً بأثمان باهظة ويتم تصنيع بعضها محلياً حيث يُظْهر مهرة النجارين براعة فى نحت الزخارف والنقوش عليها ، ومن أهم مقومات المنزل فى الهفوف احتوائه على بئر خاصة به يتم رفع الماء منها بواسطة الدلاء ، وقد يشترك منزلان أو أكثر فى بئر واحد تحفر فى زاوية تلتقى فيها المنازل المساهمة فى حفر هذه البئر ويبلغ عمق البئر فى الغالب أربع قامات وتطوى بالجص الحكرى . ويوجد بكل منزل تقريباً عدة مستودعات لخزن المؤن التى تكفى عادة أرباب المنزل طيلة عام كامل ، منها مخزن خاص بالتمور يبنى بألواح الجص فى شكل غرفة صغيرة تقسم من الداخل بحواجز قصيرة يوضع فى كل قسم منها نوع خاص من التمور ، وفى واجهة المستودع أربع فتحات سعة الواحدة منها ٦٠×٨٠ سم وفى أسفل الواجهة من الخارج حوض صغير مبلط محكم الغطاء يصب فيه عسل التمر «الدبس» من خلال فتحات ضيقة ، ويحفظ فى المستودع المذكور مالا يقل عن ١٥٠٠ كم من أنواع التمور الجيدة التى تعتبر عنصراً مهماً فى غذاء أصحاب المنزل ، هذا إلى جانب مستودع خاص بحفظ الأغذية من الأنواع المختلفة كالأرز والسمن والحبوب ، وهناك مستودع لتخزين العلف وغيره من الأمتعة . وأكثر أثاث المنزل ومحتوياته من صنع وانتاج محلى ، والسكان يعتبرون حفر الآبار داخل المنازل وادخار مؤن السنة داخل بيوتهم إحدى وسائل الحماية لهم حيث كانت البلاد تتعرض فيما مضى لغارات البدو والحصار مدداً قد تمتد لعدة أشهر ، ووجود المياه والمؤن بكميات كبيرة داخل منازلهم يمكنهم من الصمود فى مواجهة الأعداء . إلا أن هذه العادة وماشاكلها من العادات التقليدية التى كانت سائدة آنذاك أخذت فى التلاشى بالتدريج إلى أن زالت وبدا التغيير واضحاً منذ أخذت الكهرباء تضىء ردهات المنازل وأخذت شبكة المواسير الحديدية تخترق أحشاء الأزقة المتعرجة الضيقة لتنقل المياه من الآبار الإرتوازية من خارج المدينة إلى داخل المنازل ، وبدأت الخرسانة تحل محل الحجارة والطين فى بناء المنازل .

---

(١) - نوع من الحجارة الجيرية تحرق وتدق فتصبح مادة ناصعة البياض شديدة المقاومة للحرارة .

ونظراً لتحسن الأحوال الغذائية والصحية للسكان من جهة واضطراد زيادة القادمين إلى هذه المدينة للاستفادة من فرص العمل المتاحة من جهة أخرى تضاعف عدد السكان فيها فاستلزم ذلك ظهور الأحياء السكنية الجديدة واحداً بعد آخر ، غير أن ظهورها كان يتم على فترات متباعدة ، ولما قررت الدولة منح المواطنين قروضاً بعيدة الأجل لبناء المنازل الخاصة ومبانى الاستثمار تضاعف الإقبال على بناء المساكن الحديثة فشغل العمران أطراف المدينة من جهاتها الأربع حتى امتدت إلى ماوصفنا من الأبعاد السالفة الذكر بحيث التحمت المبرز بالهفوف فأصبحتا مدينة واحدة .

وفى الوقت الذى فيه أضفت الحداثة رونقها على بعض الأحياء المستحدثة بما تزهو به من العمارات والمنازل الأنيقة والشوارع الفسيحة المزدانة بالأشجار والمصابيح الكهربائية نجد أن الهرَمَ أخذ يدب فى أوصال الأحياء القديمة حتى استحالت أغلب المنازل فيها إلى أطلال ورسوم بعد أن هجرها أهلها فأصبحت بعدهم كئيبة موحشة لاترى فيها أثراً لجلال الماضى وهيبته ولا ظلاً لجمال الحاضر وروعته فهى جاثمة عند عتبة الرجاء تنتظر أن تمسها اليد الحانية التى أحالت مواضع كثيرة من هذه المملكة إلى صور من أروع ما أبدعته مخيلة المعماريين فى العصر الحديث .

المساجد فى الهفوف :

يوجد بالهفوف زهاء ٢٠٠ جامع ومسجد يعود تأسيس بعضها إلى عدة قرون خلت والبعض الآخر تم إنشاؤه حديثا إما ضمن نشاط وزارة الحج والأوقاف فى هذا المضمار ، أو على نفقة محبى الخير من المسلمين رجالاً ونساءً ، ومن أهم المساجد القديمة مايلى :

١ - مسجد الجبرى :

يقع هذا المسجد فى الجهة الشمالية من حى الكوت ، وقد أسسه فى الربع الأول من القرن التاسع الهجرى سيف بن حسين الجبرى (١) ونصب فى إمامته والنظارة على أوقافه الشيخ نصر الله الجعفرى الطيار ولايزال بناء هذا المسجد محتفظاً بطابعه القديم حيث أنه مسقوفُ بعدة قباب ويتوسطه فناء فسيح تحيط به الأروقة من جهاته الأربع وقد رمم بناؤه عدة مرات ففى سنة ١٢٩٣ هـ رمم بالجص الأبيض ، وفى سنة ١٣٥١هـ بنى فيه رواق جديد من الجهة الشرقية ثم أضيف إليه رواق آخر سنة ١٣٩١هـ ، وهذان الرواقان الأخيران مسقوفان بالأخشاب . كما قامت وزارة الحج والأوقاف بإعادة ترميمه وتكييفه سنة ١٤٠٤هـ ، وقد تعاقب على الامامة والخطابة به عدد من المشائخ نذكر منهم (٢) الشيخ نصر الله الجعفرى الطيار الذى تولى الامامة فيه سنة ٨٢٥هـ ثم خلفه فى إمامة هذا المسجد عدد من أبنائه وأحفاده ، وفى سنة ١٢١٠ هـ تولى إمامته الشيخ عبد الله الوهيبى ثم ابنه الشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله الوهيبى الذى تولى الامامة والخطابة فيه سنة ١٢٧٢هـ ثم الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الله الجعفرى سنة ١٢٩٢هـ ، ثم تولى فيه الامامة والخطابة تباعاً المشائخ عبد الرحمن الخطيب ، وعبد اللطيف بن عبد الرحمن الخطيب ومحمد بن حسين العرفج الذى قام بالامامه والخطابة فيه من سنة ١٣١٦هـ الى سنة ١٣٢٦هـ ثم أحمد بن على العرفج الذى تولى الخطابة به من سنة ١٣٢٦هـ الى سنة ١٣٤٣هـ حيث اعقبه فى الامامة والخطابة عبد الله بن عبد اللطيف الخطيب فى سنة ١٣٤٣هـ الى سنة ١٣٩٣هـ ثم محمد بن عبد الرحمن الجعفرى الذى كان يخطب به يوم الجمعة فقط ، ثم تولى بعده أحمد بن عبد الله الخطيب الجعفرى حيث لايزال يخطب به حتى وقتنا الحاضر ويؤم الجماعة به فى المغرب والعشاء

---

(١) - مجموعة وثائق شرعية خاصة بالمسجد .

(٢) - وثائق شرعية خاصة بالمسجد ، ومذكرة ترجمة حياة الشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف آل ملا لصاحبها الشيخ محمد سعيد آل ملا

أما بقية الفروض فيؤم الجماعة فى المسجد المذكور عبد الرحمن بن الشيخ أحمد آل ملا وذلك من ١٤٠٠/٩/١هـ الى بداية رجب سنة ١٤٠٢هـ وبعد ذلك تولى مكانه أحمد بن الشيخ عبد الله الدوغان وذلك حتى كتابة هذه السطور .

٢ - مســـجد الدبـــس :

يقع هذا المسجد فى وسط حى الكوت وقد أسسه الوالى العثمانى محمد باشا فروخ (١) حين تمت له السيطرة على هذه البلاد ، وقد جاء تاريخ إنشائه مدوناً على حجر مثبت بحائطه القبلى بما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قد بُنى وعُمر هذا المقام فى زمان السلطان العادل سليمان بن السلطان سليم حضرة الحاكم الأجل ، قدوة الحكام كهف الأنام صاحب السيف والقلم والى الأحساء محمد باشا فى سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية »

وكان بالجهة الشرقية من هذا المسجد منارة جميلة الشكل أزيلت سنة ١٣٩١ إبان فتح شارع الكوت . وقد سمى بمسجد الدبس لأن سوق التمور بالهفوف قديما كان يقع على مقربة من المسجد المذكور ، وقد ظل هذا المسجد على بنائه القديم الى سنوات قليلة مضت حتى إنهياره سنة ١٤٠٦هـ .

جامع القبة :

يقع جامع القبة داخل القصر المعروف بقصر إبراهيم الكائن فى حى الكوت ، وقد أسس هذا المسجد والى الاحساء العثمانى على بن احمد بن لاوند البريكى وذلك سنة ٩٧٩هـ (٢) وقد جاء تاريخ إنشائه مدوناً بالخط الثلث على لوح من الجص مثبت بأعلى مدخل المسجد الرئيسى ، والجامع عبارة عن قاعة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ١٩ متر أما إرتفاعها فهو ٩ أمتار تقريباً وهى مسقوفة بقبة مركزية واحدة ذات رقبة مستديرة وبها ثمان نوافذ تبلغ سعة الواحدة منها ٨٠سم ، وتكتنف القبة المركزية أربع قباب وتكتنف القاعة من الشمال والجنوب والشرق ثلاث ظلات مسقوفة بالقباب أيضاً ، وبالمدخل بوابة بأعلاها عقد مدبب ذو مركزين محلى بشريط من الزخارف المصنوعة من الجص وتبلغ سعة هذه البوابة ١,٦٥متر أما ارتفاعها

---

(١) - محمد آل عبد القادر - تحفة المستفيد ص ١٢١

(٢) - رزنامة وقفيه المسجد ونقش تذكارى مثبت فى واجهة المسجد .

فهو ٣,٥م تقريباً . وقد عين الموُقِف لإمامة هذا المسجد والنظارة على أوقافه الشيخ سليمان الحكيم على أن يعقبه فى ذلك ابنه الشيخ إبراهيم ثم ذريته من بعده .

جامع فيصل :

يقع هذا المسجد بحى النعاثل وهو أكبر مساجد الهفوف ، وقد أسسه الإمام فيصل بن تركى سنة ١٢٧٢ هـ وجُدد بناؤه سنة ١٣٥٤هـ ، أما فى سنة ١٤٠٠هـ فقد أزيل بناؤه القديم تماماً وتمت توسعته وإعادة بنائه على أحدث طراز .

ويقوم بالإمامة والخطابة بهذا المسجد مشائخ من أسرة آل مبارك كان آخرهم الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف ثم ابنه محمد الذى لايزال يمارس هذه المهمة حتى كتابة هذه السطور .

﴿ المعالم الأثرية بالهفوف ﴾

يوجد فى الهفوف وتوابعها عدد من المعالم الأثرية البارزة بعضها دينى وهى المساجد المار بك ذكرها فى المواضع المناسبة من هذا الكتاب . أما البعض الآخر فهو إما مؤسسات علمية كالمدارس أو منشآت معمارية كالحصون والقلاع ومن أبرز هذه المعالم فى مدينة الهفوف :-

١ - قصر القبة : ويقع فى الزاوية الشمالية الغربية من حى الكوت فى الهفوف ويعرف بين الناس بقصر إبراهيم ، وقد زعم بعضهم أنه سمى بهذا الاسم لأن إبراهيم بن عُفيصان والى الأحساء من قبل الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد أشرف على بنائه أو سكن فيه وهذا القول من الخطأ الشائع لأن الوثائق الخاصة بالقصر واللوحات التذكارية المثبتة فى مبانيه لاتدع مجالاً للشك فى أنه أنشىء فى الربع الأخير من القرن العاشر الهجرى وكون إبراهيم ابن عفيصان سكن هذا القصر لايكفى مبرراً لنسبته إليه وقد نبه على هذا الوهم خالد الفرج فذكر أن إبراهيم بن عفيصان لم يزد على كونه سكنه فحسب . أما الذى بناه فهو على باشا ابن لاوند البريكى .

أما الشيخ محمد العبد القادر (١) فرغم علمه بمؤسس قصر القبة هذا وتاريخ تأسيسه وتصريحه بذلك فى أحد المواضع من كتابه تاريخ الأحساء فقد نسب بناء القصر فى موضع آخر من كتابه لإبراهيم بن عفيصان المار ذكره .

وقد بنى قصر القبة على طراز القصور العثمانية فى الآستانة والشام حيث يغلب عليه الطابع الدينى والحربى وتتجلى فيه روعة العمران الإسلامى ، فهو قلعة محكمة البناء والتحصين تنتصب داخلها فى شموخ ثلاث بنايات ذات قباب وظلات وأقواس وزخارف رائعة الهندسة والتصميم وهذه البنايات هى جامع القبة السالف الذكر ، وديوان الإمارة وبناية ثالثة يمكن استخدامها لأغراض مختلفة .

وقد أنشىء هذا القصر على عدة مراحل ابتداءً من عام ٩٧٤هـ - ١٥٦٦م إلى عام ١٠٠٠هـ - ١٥٩١م ، وقد كان مدخله من الناحية الغربية حتى تم للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل تسلم مقاليد الحكم فى الأحساء سنة ١٣٣١ هـ فأمر بفتح بوابة أخرى للقصر من

---

(١) - تحفة المستفيد ص ٣١

الناحية الجنوبية مقابل قصر الإمارة حالياً ، وقد رممت أسواره الثلاثة من جهاته الثلاث الشمالية والجنوبية والغربية بالطين البلدى فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٨ هـ وتم ترميم الجهة الشرقية فى شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٣هـ وهو يشغل مساحة تقدر بـ ١٦٥٠٠ متر مربع

٢ - قصر خُزام : يقع فى الجنوب الغربى من النعاثل فى الحى المعروف باسم الرفيعة وقد أسس سنة ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م فى عهد الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير وتقدر مساحة هذا القصر بزهاء ١٢٠٠٠ متر مربع .

وهناك قصر برزان ويقع فى الناحية الجنوبية الغربية من الهفوف وقصر اللويمى ويقع شرق مدينة الهفوف على بعد كيلين تقريباً ويسمى قصر العسكر .

وقصر الوجَّاج ويقع على طريق قرية الجشة فى الهفوف ويسمى القصر الشرقى .

كما كان يوجد إلى عهد قريب قصر مُحكم التحصين والبناء يعرف باسم قصر العبيد ويقع فى الناحية الشمالية من حى الكوت فى الهفوف ، وقد هُدم فى شهر صفر سنة ١٣٩٥هـ وسلمت أرضه للرئاسة العامة لتعليم البنات فأقامت عليه مشروع مدرسى تشغله الآن المدرسة المتوسطة التاسعة والمدرسة الحادية عشرة الابتدائية .

وقد لعبت هذه الحصون منذ إنشائها حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى دوراً متميزاً فى حماية البلاد من الأعداء وصد غاراتهم عنها فقد كانت هذه القصور مراكز دفاعية مهمة ترابط فيها الحاميات العسكرية المزودة بكل مايلزمها من أسباب الدفاع المتاحة من أسلحة وعتاد وأموال ومواد تموينية ، ففى الدورين الأول والثانى للحكم السعودى كان يخصص للحصن الواحد من هذه الحصون وغيرها من حصون البلاد من ٥٠٠ الى ١٠٠٠ رجل لغرض الدفاع عن البلاد وضبط الأمن فيها ويعرفون باسم الأمناء ويخصص لهؤلاء من الأمتعة والمؤن ما يكفيهم لمدة سنتين أو ثلاث سنوات ، ويؤمن للمرابطين فى كل حصن ما يكفيه من المدافع والبنادق والبارود ومبلغ مالى يتراوح بين ثلاثمائة إلى أربعمائة جنيه من الذهب ، وهؤلاء الرجال مرابطون فى هذه الحصون لايبرحونها ، ولهم عشرة أمراء يمارسون إدارة شئونهم فى نطاق الصلاحيات الممنوحة لهم من الإمام فإن اتفقوا وأطاعوا طاعهم جندهم وإذا أخلوا أو اختلفوا فلا طاعة لهم .

وأما فى عهد السيادة العثمانية الثانية على هذه البلاد فقد كان يوضع فى كل حصن من الحصون السالفة الذكر ربع كتيبة مشاة من الحامية العسكرية وخمسة وعشرون من الخيالة من حامية الشرطة باستثناء قصر العبيد الذى لايوجد فيه سوى مائة رجل من حامية الشرطة من غير الخيالة

ومن المنشآت الأثرية فى الهفوف أيضاً :

مدرسة القبة : وتقع فى حى الكوت شرق مدرسة الشافعى وقد بناها الوالى العثمانى على باشا بن لاوند البريكى بجوار منزله سنة ١٠١٩هـ ويشتمل بناؤها على قاعة فسيحة تعلوها قبة مستديرة الشكل وقد أوقفها لتدريس العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وأجرى للدارسين بها ومدرسيهم مكافآت نقدية تصرف لهم من ريع عقارات أوقفها الوالى المذكور لهذا الغرض .

رباط آل أبى بكر آل ملا :

ويقع فى وسط الكوت ويتألف بناؤه من طابقين يشتمل كل منهما على عدد من الغرف والمرافق وقد خصص جزء منه للفقراء الغرباء من الحجاج ، أما الجزء الآخر فقد خصص طابقه الأول لسكنى طلاب العلم والطابق الثانى للدراسة والتحصيل العلمى وقد أسس هذا الرباط سنة ١٣٠٠ هـ رجل من أهل الفضل يدعى صالح بن دهنيم كما أسس بالإضافة إلى هذا الرباط بعض المساجد فى مدينة الهفوف وأوقف للصرف عليها وعلى الرباط عدد من العقارات ومزارع النخيل .

﴿ المدارس والمؤسسات العلمية فى الهفوف ﴾

جاء إنشاء مدينة الهفوف فى وقت كان التوجه فيه لنشر العلم والمعرفة فى هذه الربوع شديداً . فقد دلت المصادر على أن الجبريين وهم فيما نعتقد أول من أسهم فى إعمار هذه المدينة من أكثر الأمراء اهتماماً بحب العلم وأهله ، وكان أجود بن زامل أحرصهم على طلب المعرفة واقتناء الكتب وتشجيع العلم واستقطاب العلماء من داخل البلاد وخارجها . غير أن زوال دولة الجبريين على يد البرتغاليين وحلفائهم من الفرس وتعرض البلاد فى تلك الفترة إلى الفتن الجامحة قد أضاع الكثير من الآثار العلمية لهذه الأسرة فى مدينة الهفوف ولم يبق منها سوى المسجد الجبرى الذى يعد أحد روافد العلم ونشر المعرفة فى هذه الأراضى . وحين آلت سيادة البلاد للعثمانيين فى سنة ٩٥٧ هـ اهتم ولاتهم من أول وهلة بإنشاء المساجد والمدارس والأربطة التى كانت بدورها مأوى ومعاهد لطلاب العلم من داخل البلاد وخارجها . فاسندوا إدارة شئونها لعلماء محليين واستقدموا للبعض الآخر العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية وأوقفوا العديد من العقارات ومزارع النخيل للصرف عليها وضمان استمرار عطائها حتى أصبحت الهفوف بذلك مركز إشعاع فكرى ومنهلا علمياً يقصده الطلاب من نجد والبحرين وقطر وعمان وفارس وغيرها فيجدون فى أروقة المساجد وردهات المدارس والأربطة من العلم والمعرفة مايؤهلهم للنهوض بمختلف المهام الدينية والتعليمية فى بلدانهم وقد ظل هذا الوضع سائداً حتى خمسينات القرن الرابع عشر الهجرى حيث لمعت فى الأفق أشعة فجر النهضة التعليمية الحديثة بافتتاح أول مدرسة إبتدائية نظامية فى الهفوف إذ من هذا التاريخ بدأت المدارس التقليدية القديمة تفقد دورها الرائد شيئاً فشيئاً حيث اقتصر بعضها على الوعظ والإرشاد وأهمل البعض الآخر أو أزيل على أن القليل منها ظل يباشر مهمته فى صورة جديدة كمدرسة الشلهوبية التى تعد الآن بمثابة منتدى علمى يرتاده الشباب من محبى العلم والمعرفة وبخاصة فى شهر رمضان فيشهدون حينئذ موسماً علمياً ثقافياً تلقى خلاله البحوث المتنوعة فى مختلف ألوان المعرفة . ولأن الحديث عن المؤسسات التعليمية فى الهفوف سيأتى ضمن الحديث عن الحركة الفكرية والعلمية والأدبية فى عموم البلاد وهو ماسنفرد له كتاباً مستقلاً فسأقتصر هنا على عرض سريع لمختلف المنشآت العلمية فى الهفوف إبتداءً من بداية السلم التعليمى المتمثل فى الكتاتيب وانتهاءاً بمؤسسات التعليم العالى .

١ – الكتاتـــيب :

يمثل الكُتَّاب اللبنة الأولى فى بناء الصرح التعليمى وتكمن أهدافه فى تعلم قراءة القرآن الكريم ومعرفة مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، ويرجع تاريخ أقدم مدرسة من هذا النوع إلى سنة ٩٨٢ هـ حيث خصص الوالى العثمانى على باشا بن لاوند البريكى قاعة خاصة لتعليم القرآن وتحفيظه ملحقة بجامع القبة وقد أجرى للمعلم الذى يقوم بهذه المهمة ستة دراهم عثمانية (١) ولم تزل الكتاتيب فى التكاثر والانتشار فى أحياء الهفوف حتى بلغ عددها زهاء سبعين كتأبا فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى .

٢ – المدارس الخيرية :

يوجد فى مدينة الهفوف تسع عشرة مدرسة خيرية اضطلعت بدور رائد فى نشر العلم والثقافة والوعى الدينى بين المواطنين رجالاً ونساءً يخص أسرة آل ملا منها خمس مدارس ، وأسرة آل مبارك خمس أخرى أما الباقى فتتقاسمها أسر من آل عبد اللطيف (٢) وآل عمير (٣) وآل نعيم وآل ماجد (٤) وقد تخرج فى هذه المدارس العديد من العلماء النابهين والأدباء المبدعين فى التأليف والكتابة والشعر .

٣ – الأربطة العلمية :

تعـد الأربـطة مـن أهـم المـؤسسات التعليميـة ، فهـى عبـارة عن مـدارس داخـلية تقوم بإيواء طـلاب العلـم مـن الفقـراء والغـرباء فتؤمن لهـم المـأكل والمشـرب وفـرص التحصـيل العلـمى ، ولأن رسـالة هـذه الأربـطة تتمثـل فـى تدريـس مختلـف العلـوم الشـرعية وعلـوم اللغـة العربية فلابد أن يكـون الـدارس بهـا مـن الملمـين بمبـادىء القـراءة والـكتابة سـلفاً ونظـام الدراسـة فيهـا شـديد الشبه بنظـام التعليـم الحـديث . ومـن أقـدم الأربطـة التـى عرفتهـا الهفـوف ربـاط أنشـأه الـوالى العثمـانى علـى بـن لاونـد البريكى

---

(١) – رزنامة على باشا لوقف مسجد القبة مؤرخة فى ٩٨٢هـ

(٢) – من الأسر المعروفة فى الأحساء المنتسبة إلى بنى هلال بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن

(٣) – من الأسر المعروفة فى الأحساء تنتسب إلى سبيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك من همدان

(٤) – من الاسر المعروفة فى الاحساء ينتمون إلى بنى زهران بطن من عنزة بن أسد بن ربيعة

سنة ١٠٣٦ هـ ويقع بحى الكوت شمال مسجد شبيب ، على أن أشهر أربطة الهفوف وأهمها رباط آل أبى بكر آل ملا المذكور آنفاً فقد كانت الدراسة فيه شديدة الشبه بالدراسة النظامية وقد سعى الشيخ محمد بن أبى بكر الملا لتطويره فخصص لكل فرع من فروع المعرفة مدرسين متخصصين كما عين للطلاب والمدرسين مكافآت مالية منتظمة فأصبح بذلك هذا الرباط من أبرز منائر العلم فى هذه الربوع .

٤ – المدارس النظامية :

شهدت مدينة الهفوف ظهور المدارس النظامية بها إبان الحكم العثمانى التركى فى الفترة الثانية لسيادتهم على الأحساء ، وقد أسست السلطات العثمانية مدرسة عرفت باسم المدرسة الرشدية سنة ألف وثلثمائة وتسع عشرة هجرية وقد اختارت لها موقعاً مناسباً وسط حى الكوت وبنتها على طراز جميل مناسب فقد كانت منعزلة عن المبانى الأخرى ومن حولها فناء واسع لممارسة التمارين الرياضية ، وكان المنهج الدراسى فيها يشتمل على تعليم مبادىء القراءة والكتابة باللغة التركية وبعض العلوم الدينية والرياضية والاجتماعية . لذا فقد اقتصرت الدراسة فى هذه المدرسة على أبناء الأتراك والمقربين منهم لعزوف الأهالى عن إرسال أبنائهم إلى هذه المدرسة خشية تتريكهم . وحين آل حكم البلاد للملك عبد العزيز فى سنة ١٣٣١هـ أقفلت هذه المدرسة أبوابها ، وفى سنة ١٣٤٣هـ قام الشيخ حمد بن محمد آل نعيم بتأسيس مدرسة فى حى النعيم عرفت باسم مدرسة النجاح خصصها فى الأصل لتعليم أبناء أسرته وجيرانه . بيد أن شدة الإقبال عليها من الراغبين فى التحصيل العلمى حملته على التماس المساعدة على تطويرها من الشيخ عبد الله بن إبراهيم القصيبى فبادر إلى التبرع للمدرسة بمنزل له فى حى القرن ، كما زود الطلاب بجميع لوازم الدراسة ، فانتقل إليها الشيخ حمد النعيم بطلابه وقد بلغ عددهم ثلثمائة طالب ، وقد اختار بعض النابهين منهم ليساعدوه فى آداء رسالته التعليمية وكان من بين من وقع عليه الاختيار الأستاذ عبد الرحمن المزروع (١)

وفى عام ١٣٥١هـ توفى الشيخ حمد النعيم فانفرط عقد مدرسة النجاح وحاول الشيخ صالح بن خليف أن يخلفه فى تسيير دفة المدرسة نظير أجر رمزى .

---

(١) – محمد على كمال الدين – قصة التعليم فى الأحساء – مجلة المدرسة الثانوية بالأحساء ألوان من النشاط المدرسى – القاهرة – دار الفكر الحديث للطبع والنشر سنة١٣٧٨ هـ ص ٣٨

كما قامت إلى جانبها بعض المدارس المماثلة على نطاق محدود . وفى سنة ١٣٥٦هـ تم افتتاح أول مدرسة حكومية نظامية وقد عرفت باسم المدرسة الأميرية وقد اختير لها مبنى الحميدية الكائن بجوار القيصرية فى سوق الهفوف العام وقد بدأت عملها بأربعين طالبا ، وفى خلال عدة أسابيع بلغ عدد طلابها زهاء مائة وستين طالباً . وفى شهر شوال من عام ١٣٥٨هـ تم تشكيل جهاز الشرطة فى الأحساء فطلب الأمير سعود بن عبد الله آل جلوى من المسئولين عن المدرسة إخلاء الحميدية لكى تكون مقراً لذلك الجهاز فدخلت المدرسة فى أزمة البحث عن مكان مناسب تنتقل إليه فبادر الشيخ محمد بن حمد النعيم للتبرع للمدرسة بمنزله لمدة عام واستأجر لنفسه منزلاً صغيراً ، كما أن حماس الأهالى للعلم ورغبتهم فى استمرار المدرسة حملهم على جمع الأموال والمواد العينية اللازمة لإقامة مبنى للمدرسة ، فبادر الشيخ إبراهيم السبيعى بتقديم الأخشاب وتبرع آخرون بمبالغ نقدية بلغت ثلاثة الآف ومائتين ريال ، وإسهاماً من بلدية الأحساء فى حل الأزمة قامت بشراء البستان المعروف ببستان الشعيبى وخصصت قطعة منه للمدرسة نظير أربعمائة ريال ، ومن هنا تمكن الأهالى من بناء مقر للمدرسة هو ماعرف فيما بعد بمدرسة الهفوف الأولى وبدأت الدراسة فى المبنى الجديد فى مطلع عام ١٣٦١هـ وتخرج أول فوج فيها وعددهم سبعة طلاب سنة ١٣٦٢هـ وتتابع بعد ذلك افتتاح المدارس والمعاهد الحكومية من مختلف المراحل وفى شتى التخصصات .

ويعتبر افتتاح المعهد العلمى التابع للإدارة العامة للمعاهد والكليات سنة ١٣٧٥هـ فى الهفوف من أهم ركائز النهضة العلمية بها حيث أشرف على تأسيسه وإدارته أديب الجزيرة الكبير الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس فكان لذلك أوضح الأثر فى نجاحه وإبراز دوره الرائد فى النهضة العلمية والثقافية بهذه البلاد ، فقد اتخذ له مكاناً مستأجراً بحى القرن عند بداية تأسيسه إلى أن بنى له مقراً بحى الكوت أعتبر فى ذلك الوقت من أجمل المعالم الحديثة .

أما تعليم البنات فقد كان حتى سنة ١٣٨٠ هـ قاصراً على الجهود الفردية للآباء فى تعليم بناتهم القرآن الكريم ومبادىء الكتابة وشىء من العلوم الشرعية إلى جانب عدد من الكتاتيب التى يتلقى فيها بعض البنات مبادىء القراءة وحفظ القرآن الكريم ، وفى سنة ١٣٨٠هـ فتحت أول مدرسة ابتدائية بحى الكوت فى الهفوف فبدأ العمل بها من الصف الأول إلى الصف الرابع ، وفى سنة ١٣٨٣هـ تخرج أول فوج فيها من أربع فتيات ثم توالى بعد ذلك تأسيس مدارس البنات من مختلف المراحل .

كما أن للتعليم العالى بالهفوف جامعتان :-

١ - جامعة الملك فيصل . وقد تم إنشاؤها سنة ١٣٩٥ هـ ويدرس بها الطلاب من الجنسين انتظاماً حيث أعد لكل منهما قاعات خاصة .

٢ - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية التابعة لجامعة الامام محمد بن سعود وقد فتحت أبوابها للدراسين سنة ١٤٠١ هـ ويدرس بها البنون انتظاماً أما البنات فيمكن لهن الدراسة بها عن طريق الانتساب . وإلى جانب هاتين الجامعتين يوجد فى الهفوف كلية متوسطة لإعداد المعلمين تأسست سنة ١٤٠٣هـ ، وكلية متوسطة لتعليم البنات تأسست سنة ١٣٩٩-١٤٠٠هـ كما يوجد فى الهفوف بالاضافة إلى ماذكر عدد من المعاهد الفنية والمهنية ومراكز التأهيل الاجتماعى وعدد من المدارس الخاصة .

الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والمرافق :

كانت الهفوف عبر أربعة قرون خلت المقر الرسمى لكرسى الحكم والأجهزة التابعة له لذا فقد وجدت بها جميع الدوائر الرسمية كمقر الإمارة ودوائر الأمن العام والدفاع والعدل وكذلك دوائر الخدمات والمرافق العامة كالبلدية والشئون الصحية والزراعية والمياه والكهرباء والمواصلات والمؤسسات المالية والفنادق والمكتبات والمؤسسات الثقافية ، ولأن الحديث عن أغلب هذه الأمور سيرد ضمن فصول أخرى سوف يقتصر الحديث هنا على ما له مساس مباشر بالتطور العمرانى فى مدينة الهفوف ومن أهم هذه المؤسسات :-

البلــــدية :

كانت أول بلدية فى الهفوف قد أنشئت سنة ١٣٢٠هـ إبان السيادة العثمانية وقد أسندت رئاستها لمحمد بن أحمد الشعيبى وقد استمر فى ممارسة مهام عمله إلى أن أقفلت البلدية لرحيل العثمانيين عن البلد واستيلاء الملك عبد العزيز على مقاليد الحكم فيها ، وفى سنة ١٣٤٦هـ تأسست فى الهفوف بلدية اضطلعت بجميع المهام الواقعة تحت دائرة اختصاصها كحيازة الأراضى الرحمانية والترخيص للمبانى والإشراف على صحة البيئة ومراقبة الأسواق إلى غير ذلك من الشئون وكان أول من رأسها الأستاذ خالد المحمد الفرج الدوسرى ثم أعقبه على التوالى محمد بن فهد الشعوان فعمر بن خميس فخليفة بن عبد الله الملحم فعبد الرحمن ابن محمد الموسى فإبراهيم بن عبد الله العرفج فعثمان بن محمد الغنام فصالح السليمان البداح فسلمان بن خالد الملحم فحمد بن عبد الله الصغير .

ورغبة فى تطوير خدمات البلدية والإشراف على أعمالها تشكل لهذا الغرض مجلس بلدى تكون أعضاؤه من ممثلين عن مختلف أحياء المدينة ، وأول مجلس من هذا النوع تأسس سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١ م وقد تألف من السادة : أحمد بن ماجد ممثلا عن حيي الصالحية والرفعة وسليمان بن نصيف عن حى الكوت وحمد بن شقحة عن حى الرفيعة وعبد الرحمن ابن عيسى عن حى النعاثل ، ومن أهم المجالس التى عرفتها بلدية الهفوف مجلس تم انتخاب أعضائه سنة ١٣٧٤هـ وقد تشكل من السادة : الشيخ عبد الله عبد الرحمن الملا رئيسا وعضوية كل من : الأستاذ إبراهيم محمد الحسينى والأستاذ إبراهيم السماعيل الجعفرى والشيخ موسى آل كليب والشيخ أحمد آل مغلوث والسيد هاشم جواد وصالح الزيد وياسين الغدير وقد كان لذلك المجلس أثر واضح ونشاط ملحوظ فى تنظيم أعمال البلدية والارتقاء بخدماتها فى حدود الإمكانيات المتاحة آنذاك ، ومن أهم منجزات البلدية فى الهفوف فتح الشارع الرئيسى الذى يصل بين مدينتى الهفوف والمبرز وهو بطول خمسة أكيال وبعرض

مائة متر ، وقد تم تمويل إنشاء ذلك الشارع بمبلغ ٢٠٠ ألف ريال كان الملك سعود قد تبرع بها للأهالى إبان زيارته للأحساء فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م وقد حولوها من جانبهم إلى البلدية للصرف على إنشاء الشارع المذكور وأطلقوا عليه اسم (١) الملك سعود ، كما قامت البلدية فى ذلك العام بإزالة أسوار الكوت وتوسيع وفتح بعض الشوارع فى مدينة الهفوف منها شارع الخباز وشارع الحدادين وشارع الباحوث وشارع الفوارس وجميعها فى الرفعة وشارع السويق وبعض الشوارع فى حيي الكوت والنعاثل وعدد من الشوارع فى مدينة المبرز كما قامت سنة ١٣٧٧هـ ببناء أسواق للحوم والفواكه وسوق تجارى حديث يضم عشرين متجراً هذا إلى جانب تعبيد الشوارع المذكورة وتشجير بعضها .

تحسين مصادر مياه الشرب :

كان سكان الهفوف قد اعتادوا حفر الآبار داخل المنازل للحصول على مياه الشرب وكانت مياه تلك الآبار تتسم بالعذوبة والنقاء : بيد أن بروز ظاهرة الصرف الصحى فى باطن الأرض فى ستينات القرن الرابع عشر الهجرى أفضى إلى تلوث المياه فعمد الأهالى فى شهر شوال من سنة ١٣٧٥هـ إلى تأسيس شركتين أهليتين مساهمتين قامتا بحفر آبار عميقة بعيدة عن العمران وأنشأتا عليها الخزانات اللازمة فتم بذلك إيصال المياه إلى المنازل عبر شبكة من المواسير وقد بلغ عدد المنازل المستفيدة من هذه الشبكة فى سنة ١٣٧٧هـ ١٢٣٠ منزلاً فى الهفوف ، كما قامت فى المبرز لهذا الغرض شركات مماثلة تخلص الأهالى هناك بعد إنشائها من الاعتماد على الآبار ومياه عين الحارة الواقعة شمال تلك المدينة والتى كان معظم سكان المبرز يعتمدون عليها فى الحصول على حاجاتهم من المياه ، وقد استمر الاعتماد على تلك الشركات الأهلية حتى أمر الملك سعود أثناء زيارته للأحساء فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٧٧هـ بتأسيس مشروع مياه الشرب لمدينتى الهفوف والمبرز .

الكهرباء فى الهفوف :

كانت ظاهرة إيصال التيار الكهربائى الى المنازل قد أخذت فى الظهور بمدن المنطقة منذ أوائل العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجرى ، ورغبة من أهل هذه المدينة فى مواكبة التطور والاستفادة من هذا الشريان الحيوى العام فقد عمد السكان فى سنة ١٣٧٠هـ إلى تأسيس

---

(١) - جريدة أخبار الظهران - العدد السابع ٥ رمضان ١٣٧٤هـ

شركة كهرباء أهلية مساهمة بلغ رأس مالها مليوناً ومائتين وخمسين ألف ريال . وقد أتمت منشآتها وباشرت إيصال التيار الكهربائى إلى المنازل فى عام ١٣٧٧هـ - الموافق ١٩٥٦م وقد بلغ عدد المنازل والمحلات التجارية التى استفادت من هذا المشروع ٨٨٧ منزلا ، وقد تشكل أول مجلس إدارة لها من السادة : سليمان بالغنيم رئيساً وإبراهيم الملحم نائباً للرئيس وعضوية كل من إبراهيم العجاجى وخليفة الملحم ومحمد الموسى وعبد الرحمن السلطان وعبد العزيز التركى وابراهيم الجغيمان .

وكان يوجد قبل إنشاء شركة الكهرباء هذه مولداً كهربائياً فى حى الكوت يغذى بالطاقة الكهربائية مقر الإمارة ومنازل الأمير وأفراد أسرته ، كما كان يوجد فى حى الرفعة فى الهفوف مولداً كهربائيا يغذى بالطاقة الكهربائية عشرين منزلا وقد أسسته آنذاك أسرة القصيبى (١) .

الشئون الصحية :

فى إطار الشئون الصحية فإن أول مستشفى عرفته الهفوف مستشفى أنشأته السلطات التركية فى حى الكوت وذلك فى العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجرى إبان السيادة العثمانية على هذه البلاد ، ومن أوائل من عمل به من الأطباء طبيبان هما عبد الرحمن زخور ، وعبد الله الدملوجى ، وفى سنة ١٣٧٤هـ امر الملك سعود بن عبد العزيز بإنشاء مستشفى فى الأحساء تم بناؤه فى السوق العام بالقرب من مبنى المكتبة العامة ولايزال قائماً ويعد الآن من جملة المراكز الصحية فى البلاد .

وفى سنة ١٣٨٦هـ تأسس فى شمال الهفوف مستشفى عرف باسم مستشفى الملك فيصل وحين أخذ فى التداعى انتقل جهازه الطبى إلى بعض البنايات الملحقة بقصر الملك سعود فى حى الرقيقة جنوب الهفوف ، ولحاجة البلاد إلى المزيد من الخدمات الطبية قامت وزارة الصحة بإنشاء مستشفى الهفوف العام الكائن فى جنوب الهفوف ويعتبر أهم المستشفيات فى هذه المدينة حيث يتكون من خمسة طوابق ويتسع لما يزيد عن أربعمائة سرير ، وإلى جانب ماتقدم يوجد عدد من المستوصفات الحكومية والأهلية وبعض الوحدات الصحية التابعة لوزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات .

---

(١) - مجلة المدرسة الثانوية بالأحساء - ألوان من النشاط المدرسى - القاهرة - دار الفكر الحديث للطبع والنشر سنة ١٣٧٨هـ ص ٣٥

سـكان الهفـــوف :

كان أول تقدير يصل إلينا عن عدد سكان الهفوف ماذكره الضابط الانجليزى « سدلر » عندما زار هذه المدينة سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩م حيث قدر عدد السكان فيها آنذاك بخمسة عشر ألف نسمة .

أما « لوريمر » فقد قدر عدد السكان سنة ١٩٠٨م بحوالى خمس وعشرين ألف نسمة ، وقد كان العمل الرئيسى لسكان هذه المدينة قبل اكتشاف الزيت وإنتاجه يتمثل فى تملك مزارع النخيل والعمل بالزراعة وممارسة التجارة التى تعد الهفوف إلى ماقبل أربعين سنة خلت قاعدتها الرئيسية فقد وصفها « لوريمر » بمستودع نجد التجارى حيث كانت الهفوف فى ذلك الوقت همزة الوصل التى تصل سكان وسط شبه الجزيرة وشرقها بالعالم الخارجى . كما كانت الصناعة تمثل قطاعاً مهماً من العمل الرئيسى للسكان ومن أهم الصناعات التى أشتهرت بها هذه المدينة صناعة العباءات المطرزة بالذهب والخيوط الملونة وكذلك صناعة المجوهرات والأدوات النحاسية .

أما الآن فقد تضاعف عدد السكان وتنوعت أمامهم فرص العمل فانخرطوا فى الوظائف الحكومية والمؤسسات والشركات كما ازدهرت التجارة وتطورت الصناعة فى مختلف الميادين .

﴿ مايتبع الهفوف من المدن والقرى ﴾

يتبع مدينة الهفوف زهاء خمسين بلدة يمكن وصف بعضها بالمدن لما يتوفر فيها من خصائص التمدن ومظاهره كالمبرز والعيون أما الباقى فهى قرى متفاوته المساحات تتناثر فى شرق الواحة وشمالها وسط غابة من أشجار النخيل الوارفة الظلال ، وتتقاسم هذه القرى بساتين الواحة فيما بينها بحيث يتبع كل قرية مجموعة من البساتين تعرف باسم طرف ، ولكل طرف اسم خاص به هو اسم القرية ذاتها فيقال طرف المنيزلة وطرف الفضول .... الخ

ويرجع السبب فى تعدد هذه القرى رغم صغر بعضها لحاجة كل مجموعة من البساتين إلى من يقوم بخدمتها . كما يؤدى الخلاف أحياناً بين وجيهين من وجهاء القرية الواحدة إلى خروج أحدهما بأنصاره عن هذه القرية للسكن فى موضع آخر لايلبث حتى يصبح قرية قائمة بذاتها وهذه المواضع هى :

المـــبرز :

المبرز بالميم المضمومة بعدها باء فراء مهملة مشددة فزاء معجمة ، سميت بذلك على مايذكر الشيخ محمد آل عبد القادر (١) لبروز حاج الأحساء إليها واجتماعهم بها فيما مضى من السنين .

وتقع المبرز فى محاذاة الهفوف شمالاً وقد كان يفصل بينهما حتى السنوات القليلة الماضية مساحة ثلاثة أكيال من المروج الخضراء الزاهية بأشجار النخيل وجنان الفاكهة ولكن هذه المساحة المزروعة أخذت فى التناقص والإنكماش فى ظل التوسع العمرانى الذى طرأ على المدينتين أخيراً حتى أصبحتا مدينة واحدة تبلغ أطوالها من الشمال إلى الجنوب عشرين كيلاً ومن الشرق إلى الغرب عشرة أكيال ، وقد كانت المبرز إلى ماقبل خمس وعشرين سنة خلت تتكون من ست حلال هى :

١ – السياسب : وتقع فى الجهة الغربية من المدينة وسميت باسم بطن من بنى عقيل بن عامر كانوا قد سكنوها فى الأيام الخالية .

٢ – العتبان : وهى تلى محلة السياسب من الجهة الشمالية

٣ – محلة آل عيونى : وتشغل وسط المدينة وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى أسرة العيونيين التى حكمت هذه البلاد كما سيأتى فى موضعه

---

(١) تحفة المستفيد ص٤١

٤ - محلة القديمات : وهى داخلة فى محلة العيونى

٥ - محلة المقابل

٦ - محلة الشعبة

وفى الشطر الغربى من المبرز يقع السوق والحوانيت التجارية ، وكانت هذه المدينة قبل التوسع العمرانى وظهور الأحياء الجديدة مستطيلة الشكل تبلغ مساحتها من الشرق إلى الغرب ألف وخمسمائة متر تقريبا ومن الشمال إلى الجنوب نصف هذه المساحة ، وكان يحيط بها سور يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار ولايزيد عرضه عن سبعين سنتيمتراً ، ويشتمل على عدة أبراج وتتخلله عشر بوابات منها أربع فى الجهة الشمالية وهى :

١ - دروازة العتبان .

٢ - دروازة الحارة .

٣ - دروازة القديمات .

٤ - دروازة المقابل .

وفى الجهة الجنوبية بوابتان هما :-

١ - دروازة المقصب .

٢ - دروازة نجــم .

٣ - وفى الجهة الغربية بوابتان هما :-

١ - دروازة الحزم .

٢ - دروازة المطيبعة .

ويقع خارج الأسوار من ناحية الغرب حى يعرف باسم الحزم وهو موضع اعتاد البدو النزول به فى فصل الصيف والنزوح عنه فى فصل الشتاء وهو أول الأحياء التى شملها العمران الحديث ، ويبلغ عدد منازل المبرز فى تقدير الشيخ محمد آل عبد القادر (١) أربعة آلاف منزل وذلك فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى . أما لوريمر فيذكر أن عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨م لايزيد عن ألف وثمانمائة منزل .

ويوجد فى المبرز آنذاك حوالى خمسون مسجدا من أقدمها المساجد التى أسسها بنو خالد حول قلعتهم التى كانت تشغل موقع السوق العام فى الموضع المعروف لدى الأهالى باسم

---

(١) تحفة المستفيد ص ٤٤

الجلعة ، وهذه المساجد هى :-

مسجد براك ويقع جنوب القلعة ، ومسجد سليمان ويقع فى الناحية الشرقية من القلعة ومسجد نجم بجنوب المبرز ، وقد أزيلت المبانى القديمة لهذه المساجد وأعيد بناؤها على الطراز الحديث .

ويوجد بالمبرز إلى جانب المدارس النظامية للجنسين عشر مدارس خيرية كانت إلى عهد قريب تدرس العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية إلى جانب الوعظ والإرشاد ، وكان يتقاسم التدريس فيها والنظارة على أوقافها رجال من أسر آل موسى وآل عبد القادر وآل سعدون وآل عفالق وآل عكلى ، وقد قدر بعض الباحثين سكان المبرز فى النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى بحوالى خمس عشرة ألف نسمة ، وخمس وعشرين ألفا فى تقدير البعض الآخر كان أكثرهم قبل انبثاق عصر اكتشاف الزيت يعمل فى الفلاحة ومزاولة الحرف اليدوية والصناعية السائدة آنذاك علاوة على مزاولة التجارة من بيع وشراء فى مختلف السلع .

ويوجد فى المبرز إلى جانب الأسواق الدائمة سوق أسبوعي كان يعقد فى يوم الجمعة من كل أسبوع أما الان فإنه يعقد يوم الأربعاء .

وفيما يتعلق بتاريخ تأسيس هذه المدينة لاتسعفنا المصادر بتاريخ محدد لنشأتها غير أنه من المؤكد أنها قامت على أنقاض عمران سابق يوضح ذلك عثور عمال البناء بين وقت وآخر على آثار الاستيطان القديم لهذا الموضع وكان آخر ماتم العثور عليه مخبأ تحت أساسات أحد المساجد طمر فيه عدد من التماثيل مما يدل على أنه كان موضع معبد قديم ، ويمكن القول أن هذه المدينة قد بلغت أوج ازدهارها حين اتخذها براك بن غرير مؤسس دولة بنى خالد مقرا لكرسى حكمه فور استيلائه على مقاليد السلطة من العثمانيين سنة ١٠٨١هـ .

ومن أهم المعالم الأثرية فى المبرز مايلى :-

١ - قصر صاهود : ويقع فى حى الحزم فى محاذاة السور الغربى للمدينة القديمة وصاهود على مايذكر بعض الثقاة اسم مدفع عظيم كان منصوباً داخل هذا القصر فنسب القصر إليه وعرف به ، وليس فى هذا القصر من الكتابات مايشير إلى مؤسسه أو تاريخ تأسيسه ، غير أن بعض الأهالى ينسب بناءه لأمراء بنى خالد فى حين يرى آخرون أن الذى أسسه هو الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد وذلك فى العقد الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى .

ويتسم هذا القصر بالطابع الحربى وقد اتخذته السلطات الحكومية المتعاقبة على البلاد ثكنه عسكرية حيث كان لقوة تحصينه وإحكام بنائه أثر عظيم فى حماية البلاد من الأعداء وصد هجماتهم

٢ - عـين نجـم :

تقع عين نجم إلى الغرب من مدينة المبرز وهى من أجمل المعالم الأثرية فيها فهى بستان وارف الظلال عابق الأزهار يغص بأنواع الفاكهة وتتعانق فى سمائه الصافية الزرقاء رؤوس النخيل الباسقة وقد تدلت منها عناقيد الثمار الزاهية بألوانها المختلفة فبدت للناظر وكأنها الغانيات الغيد تألقت فوق صدورهن قلائد المرجان واللؤلؤ ، وبين تلك الرياض الفيحاء ترى قبة بيضاء ذات عيون زجاجية تنفذ أشعة الشمس من خلالها إلى داخل تجويف أرضى رحب تتصدره بركة مربعة الشكل أقيم فى جنباتها الدكاك المريحة كما فرشت بالرخام الفاخر وفيها انسابت متدفقة من ينبوع جانبى مياه معدنية بالغة الحرارة يقصدها المتنزهون والمصابون بأمراض الروماتيزم والأمراض الجلدية فيتماثل الكثير منهم للشفاء بإذن الله ، وبجانب هذه البركة نجد غرفتين واسعتين أعدتا خصيصاً لاستقبال المستحمين فيمكثون بهما فترة من الزمن للراحة ومنعاً من تعرضهم للهواء المباشر ، وعلى بعد عدة أمتار من تلك البناية أشيدت بركة واسعة تتجمع بها المياه الصادرة من الحمام سالف الذكر ليتم تبريدها والاستفادة منها فى أغراض الرى ، وفى رواق واسع الأرجاء أو تحت الشجر وبين خمائل الياسمين ترى رواد هذا المنتجع منبثين وقد افترشوا ذلك البساط السندسى الموشى بألوان الزهور يتبادلون الأشعار والأحاديث فى ذلك الفضاء الطلق . هذا ويستقبل بستان عين نجم ضيوفه فى جميع الظروف والأحوال بدون مقابل ، وتقوم بإدارته والإشراف عليه بلدية الأحساء .

وقد سميت عين نجم بهذا الاسم لأنها على مايرى الأهالى حدثت بفعل نيزك هوى فى موضعها ، وأول من عنى بها وبنى عليها القباب العثمانيون فى فترة حكمهم الأولى غير أن تلك القباب قد أزيلت سنة ١٨٦١م على يد جنود الدولة السعودية الأولى ، وقد أعاد العثمانيون بناءها فى فترة سيادتهم الثانية على البلاد .

البطـــالية :

البطالية من أشهر قرى الأحساء وكانت تعرف قديما باسم البلاد وقد سميت بالبطالية على مايذكر الشيخ محمد آل عبد القادر (١) نسبة الى مالك بن بطال بن مالك بن إبراهيم العيونى

---

(١) تحفة المستفيد ص ٤٥

وتعتبر هذه القرية البقية الباقية من مدينة الأحساء القديمة وتقع على بعد أربعة أكيال من المبرز ، ويبلغ عدد منازلها سنة ١٩٠٨م فى تقدير لوريمر نحو ٣٢٥ منزلاً . أما فايدل فقد قدر عدد منازلها بنحو ٣٩٠ منزلاً يقطنها ٢١٠٠ نسمة وذلك فى سنة ١٩٥٢م .

وبالبطالية أربعة أحياء هى :-

١ - الرابيـــة .

٢ - الفريق الشرقى .

٣ - الفريق الشمالى .

٤ - الفريق الجنوبى .

وهذه الأحياء غير متصلة حيث يفصل بينها عدد من مزارع النخيل ، وكان يوجد إلى الغرب من القرية آثار قصر قريمط المار ذكره فى الكلام عن مدينة الأحساء القديمة ، كما يوجد فى الجهة الجنوبية الغربية من آثار القصر مسجد أثرى يرجع تاريخ تأسيسه إلى القرن الرابع الهجرى ، وأهل القرية يختلفون إلى هذا المسجد كثيراً وقد أحاطوه بسور من جهاته الأربع مخافة أن يطمع فى ملكه أحد أصحاب المزارع المحيطة به من كل اتجاه ، ولم تعد القرية فى الوقت الحاضر على ماوصفنا فقد شملها العمران فاتسعت وتضاعف عدد سكانها . وإلى البطالية هذه ينسب العالم اللغوى محمد بن مبارك اللويمى البلادى صاحب شرحى الأجروميه والعوامل الجرجانية فى النحو وقد توفى سنة ١٢٥٠ هـ وله مسجد لايزال يعرف باسمه فى هذه البلدة .

بـنى معـن :

سميت بنى معن بهذا الاسم نسبة إلى بطن من حمير سكنوها قديما فعرفت بهم .
وتقع هذه القرية وسط مزارع النخيل وكان يمر بجوارها نهر الخدود وفى وسطها عين جارية عذبة الماء تسمى عين الدعابلة ، وقد كان جميع سكانها يعملون فى الزراعة وفلاحة الأرض ، ويبلغ عدد سكانها فى تقدير فايدل سنة ١٩٥٢ م نحو ١٢٠٠ نسمة كما يبلغ عدد منازلها نحو ٢٥٠ منزلاً . أما الآن فقد شملها العمران فاتسعت وزاد عدد سكانها .

التويثـــير :

تقع التويثير فى الناحية الشمالية من جبل القارة ويتبعها عدد من مزارع النخيل التى كانت

تعتمد فى الرى على نهر الشيبانى ، وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بـ ٢٥٠ منزلا . أما فايدل فقد ذكر بأن عدد منازلها حوالى ١٩٣ منزلاً كما قدر عدد سكانها بنحو ٧٠٠ نسمة وذلك فى سنة ١٩٥٢م .

غير ان الشيخ حمد الجاسر يذكر أنه كان قد شاهدها فى التاريخ السابق الذكر وكان عدد منازلها فى تقديره لايتجاوز الخمسين منزلاً .

التَّيْمِيةُ :

تقع التيمية على الزاوية الجنوبية الشرقية لجبل القارة ويذكر الشيخ محمد آل عبد القادر بأنها قد تكون منسوبة إلى بنى تيم اللات بن ثعلبة بن بكر بن وائل ، غير ان الشيخ حمد الجاسر لم يوافق الشيخ محمد آل عبد القادر فيما ذهب إليه حيث لم يقف فيما اطلع عليه من المصادر مايفهم منه ذلك .

ويتبع هذه القرية عدد من المزارع تعتمد فى ريها على قنوات الرى القادمة من عينى الحقل والخدود .

ويبلغ عدد منازلها فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م نحو ٢٢٥ منزلاً . كما قدر فايدل عدد منازلها سنة ١٩٥٢م بـ٩٨ منزلاً يقطنها قرابة ٤٥٠ نسمة أكثرهم من الفلاحين ، وكانت هذه القرية مقر إقامة أسرة بنى أبى جمهور التى اشتهر عدد من أفرادها بالعلم والأدب والتأليف ومنهم حسام الدين وعلى ابنا إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبى جمهور ، ومحمد بن على صاحب المُجْلِى فى الحكمة وغوالى اللآلى وقد توفى سنة ٩٠١ هـ ولايزال مسجده معروفاً فى هذه القرية حتى وقتنا الحاضر .

الجبيــل :

تقع الجبيل فى شرق واحة الأحساء على مقربة من جبل القارة ولعلها البقية الباقية من مدينة جبلة التى ورد ذكرها فى كتاب المناسك والتى كانت موضع إقامة ابن الرجَّاف أحد زعماء بنى عبد القيس ، ومما تجدر الإشارة إليه أنه يوجد فى بعض الحقول التابعة لهذه القرية موضع يعرف باسم عسلَج فهل هو موضع القرية التى كانت تروى من عين محلم ؟

هذا مالا أستطيع الجزم به ، غير أنه من المؤكد أن البحث والتحقيق عن هذا الموضع سيساعد كثيرا فى تحديد موقع عين محلم التي لايزال تحديد مكانها موضع إهتمام الباحثين ويتبع الجبيل عدد من مزارع الأرز والنخيل التى كانت تعتمد فى ريها على المياه التى تأتيها من عين الخدود .

ويقدر لوريمر عدد منازل القرية المذكورة بنحو ٢٠٠ منزل وذلك سنة ١٩٠٨م أما فايدل فقد قدر عدد منازلها بنحو ٢٣٧ منزلاً كما ذكر أن عدد سكانها حوالى ١٢٠٠ نسمة وذلك سنة ١٩٥٢م .

وإلى الجبيل ينسب الشاعر عبد الكريم بن حسين بن محمد الممتن الجبيلى المتوفى سنة ١٣٧٥ هجرية .

الجفــر :

تقع الجفر شرق قرية الفضول وتعد من أكبر قرى الهفوف ، وصفها الشيخ محمد آل عبد القادر (١) بأنها جيدة الهواء غزيرة الماء ويمتاز ماؤها بالعذوبة والبرودة .

كما وصفها لوريمر بأنها واسعة مسورة وقدر عدد منازلها بنحو ٣٥٠ منزلاً وذلك سنة ١٩٠٨ م

أما فايدل فيذكرأن عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢ م حوالى ٣٨٥ منزلا يقطنها نحو ٢٠٠٠ نسمة . ويتبع الجفر عدد من مزارع النخيل وحقول الأرز تعتمد فى ريها على فضلات المياه القادمة من عيون الخدود والحقل وعين برابر ، وقد كان للعثمانيين فى هذه القرية إبان سيادتهم الثانية على البلاد مركز عسكرى فيه خمسون خيالة وعشرة غير خيالة من الضبطية .

ولم تعد هذه البلدة على هذا الحال فقد نمت واتسعت وبرزت فيها مظاهر العمران المتمثلة فى بناء المنازل الحديثة والمدارس النظامية وبعض الدوائر الحكومية كالمحكمة الشرعية ومكتب البريد ومركز التنمية الاجتماعية .

الجشــة :

تقع الجشة على بعد ١٢ كم إلى الشرق من مدينة الهفوف وهى آخر القرى الشرقية التابعة لها وكانت إحدى منازل الطريق الى العقير قديماً . ونسب الشيخ محمد آل عبد القادر اسم الجشة إلى فيروز بن جَشيش مرزبان البحرين فى عهد الأكاسرة لكن الشيخ حمد الجاسر لايميل إلى نسبتها لفيروز بن جشيش لعدم وجود نص تاريخى صحيح وأن اسم جشيش غير متفق

---

(١) تحفة المستفيد ص٤٠

على ضبطه وأن الاتفاق فى الاسم لايكفى دليلاً على صحة النسبة .

وتعد الجشة من أكبر قرى الهفوف وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨م بحوالى ٤٠٠ منزل ، أما فايدل فقد قدر عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٤٢٠ منزلاً و ٢٢٠٠ نسمة يعمل معظمهم فى مزارع النخيل التابعة لها كما يمتلك بعض الأهالى عددا من الجمال التى يحملون عليها البضائع بين ميناء العقير والهفوف ، أما الآن فقد نمت وازداد عمرانها .

جُلَيْجلَة :

تقع جليجلة على بعد حوالى ١٢ كم شمال الهفوف وتحف بها مزارع النخيل من جميع الجهات ، وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨ م بحوالى ١٥٠ منزلاً .

أما فايدل فقد قدر عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢ م بحوالى ٢٢٠ منزلاً يقطنها حوالى ١٠٠٠ نسمة يعمل معظمهم فى مزارع النخيل وزراعة الأرز .

الدَّالــوَةُ :

تقع الدالوة فى أقصى جنوب جبل القارة ، وأصل اسمها على مارأى الدالية وهى «شجرة العنب» ولكن من المعروف عن البدو وعامة أهل نجد قلب الياء واواً فى كثير من الكلمات مثل كلمة الحسى عندما يقلبون فيها الياء واواً فيقولون الحِسْو ، وتتألف منازلها فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨ م بحوالى ٢٢٥ منزلاً وقدر فايدل عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٢٠٠ منزل يقطنها حوالى ٧٥٠ نسمة كانوا يعملون جميعاً إلى عهد قريب بزراعة البساتين التابعة للقرية التى تعتمد فى ريها على نهر أبو الثيران .

الحليــلة :

الحليلة تصغير حلة وهى اسم لإحدى قرى الهفوف الواقعة فى الشمال الشرقى منها وتتبع المبرز إداريا ويحف بها الريف الزراعى من كل اتجاه ، وكان عدد منازلها كما يذكر لوريمر فى سنة ١٩٠٨م بحوالى ٣٠٠ منزل ، وقدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٣٢٧ منزلاً و ١٥٠٠ نسمة يعمل معظمهم بمزارع النخيل وحقول الأرز التابعة للقرية أما فى وقتنا الحاضر فقد تبدل حال القرية فانتشر التعليم وكثرت فرص العمل المتاحة أمام أهلها فنمت وازداد عمرانها .

الشــــهارين :

تقع الشهارين شرق مدينة الهفوف وهى من أقدم قرى الهفوف ولعلها كانت لقبيلة تعرف باسم الشهارنة قطن بعض جماعاتها حي الرفعة الشمالية من الهفوف ولايزال هناك موضع يعرف باسمهم .

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر (١) بأن القرية المذكورة أوشكت على الخراب فأحياها رجلان من أثرياء أهل الأحساء هما محمد بن عبد العزيز العجاجى وابن طَوق فى العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجرى .

وقد ذكر لوريمر أن عدد منازلها حوالى ٢٠ منزلاً وذلك سنة ١٩٠٨م ، وقدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢ م بحوالى ٨٢ منزلاً يقطنها حوالى ٤٥٠ نسمة يعملون فى زراعة الأراضى التابعة للقرية والتى تعتمد فى ريها على نهر برابر المار بها .

الشــعبة :

تقع الشعبة شمال شرق مدينة المبرز وهى تتبعها إدارياً وكان عدد منازلها فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م حوالى ١٥٠ منزلاً . وقد ذكر فايدل فى سنة ١٩٥٢م أن عدد منازلها حوالى ١٥٠ منزلاً أيضاً يقطنها نحو ٧٦٠ نسمة يعملون فى زراعة الأراضى التابعة للقرية والتى كانت تروى من عيني الحارة والجوهرية .

الشــقيق :

تقع الشقيق وسط مزارع النخيل فى الشمال الشرقى من مدينة المبرز وتتبعها إدارياً ، وعلى مقربة من القرية المذكورة توجد آثار قرية كبيرة يعتقد الباحثون أنها الجونان القريبة من عين محلم على فرض أن المقصود بعين محلم عين أم سبعة المعروفة فى الأحساء ويبلغ عدد منازل الشقيق حوالى ١٠٠ منزل على مايرى لوريمر وذلك سنة ١٩٠٨م ويقدر فايدل عدد منازل القرية وسكانها سنة ١٩٥٢م بحوالى ٣٤٥ منزلا و ١٦٠٠ نسمة يعمل جلهم بالزراعة والتى تروى من عين أم سبعة .

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٢ ص ٩٣٤

الطـــرف :

الطرف من القرى الكبيرة فى الهفوف وهى تقع فى الطرف الجنوبى لواحة الأحساء ولعل ذلك كان السبب فى إطلاق هذا الاسم عليها وقد وصفها الشيخ محمد آل عبد القادر بأنها جيدة الهواء ، ونظراً لقلة المياه فى هذه القرية فإنها تعتمد فى الرى والشرب على نهر برابر المشهور بصفاء مياهه وعذوبته وذلك قبل حفر الآبار الإرتوازية بها . وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بحوالى ٤٥٠ منزلاً ، وذكر فايدل أن عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢م حوالى ٦٤٠ منزلاً يقطنها قرابة ٣٧٠٠ نسمة يرأسهم آل حبيل المنتسبون لعقيل بن عامر . وكان أكثر سكان هذه القرية يعملون فى مزارع النخيل التابعة لهم .

وعلى مقربة من الطرف من الناحية الغربية يوجد أطلال قرية قديمة تعرف باسم السهلة وهى إحدى قرى بنى محارب بن عبد القيس من العمور المعدودين الآن فى جملة عشائر بنى خالد .

الطريبيل :

الطربيل هو تصغير طربال ، والطربال فى اللغة يطلق على كل بناء عال والطريبيل من قرى الأحساء القديمة وتقع على مقربة من قرية الجبيل من ناحية الجنوب الشرقى وقد قدر لوريمر عدد منازلها بحوالى ٥٠ منزلاً وذلك سنة ١٩٠٨م ، وذكر فايدل أن عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢م حوالى ٥٧ منزلاً يقطنها نحو ٢٤٠ نسمة يعملون بالزراعة التى تعتمد فى ريها على مياه عين الخدود ، وقد نمت هذه القرية الآن وتضاعف عدد سكانها .

قرى العمران :

إذا أطلقت لفظة العمران فهى تشمل جميع القرى التى ستذكر . أما إذا أطلقت هذه اللفظة بين أهالى هذه القرى فإن المقصود بها هى العمران الشمالية لأن كل قرية منها تحمل اسماً خاصاً بها وهذه القرى هى كالتالى :-

١ - العمران الشمالية :

تقع العمران الشمالية فى الشمال الشرقى من مدينة الهفوف وينسب تأسيسها إلى على بن عبد العزيز بن أحمد بن عمران من قبيلة الفضول الطائية وقد قدم إليها من نجد سنة ١٠٥٠هـ ولاتزال أسرته المعروفة بآل على تقطن هذه البلدة حتى وقتنا الحاضر . وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بحوالى ٣٥٠ منزلاً وقد ذكر فايدل عدد منازلها فى

سنة ١٩٥٢ م بنحو ٤٩٥ منزلاً يقطنها حوالى ٢٣٧٠ نسمة يعملون بالزراعة التى تعتمد فى ريها على نبع الحقل . وقد تطورت هذه القرية فى السنوات القليلة الماضية تطورا ملحوظاً فأسست فيها المدارس وبعض المنشآت والدوائر الحكومية .

٢ – العمران الجنوبية :

تقع العمران الجنوبية على بعد حوالى ١٢ كم من مدينة الهفوف شرقاً وعلى بعد حوالى ٣ كم شمال الجشة وتسمى أيضاً الحوطة . وقدر لوريمر عدد سكانها فى سنة ١٩٠٨م بنحو ٢٠٠ نسمة ، وذكر فايدل عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢ م بحوالى ٩٨ منزلاً يقطنها قرابة ٤٨٠ نسمة يعملون بالزراعة .

٣ – الرَّمَيْلَة :

الرميلة من القرى القديمة فى الأحساء وقد كانت لبنى محارب من عبد القيس ، وهى تقع فى الجنوب الشرقى لمدينة الهفوف . وقدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بحوالى ١٠٠ منزل ، وذكر فايدل عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢م بـ ١٩٧ منزلاً يقطنها مايقرب من ١٦٠٠ نسمة يعملون بالزراعة .

٤ – أبـو الحصـا :

أبو الحصا من القرى الشرقية بالهفوف ، وقد قدر فايدل عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢ بنحو ٥٦ منزلاً يقطنها قرابة ٢٥٠ نسمة يعملون بالفلاحة وزراعة الأرض التابعة للقرية .

٥ – السـبائخ :

السبائخ هى من القرى الصغيرة المنضوية تحت اسم العمران . وقد قدر فايدل عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢ م بحوالى ٢٦ منزلاً يقطنها نحو ١٢٠ نسمة يعملون بالفلاحة وزراعة الأرض .

٦ – السَّيَايِرَةُ :

تقع السيايرة شمال الجشة وشرق الهفوف ، وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨م بنحو ١٥٠ منزلاً . أما فايدل فقد قدر عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ١٥ منزلا يسكنها قرابة ٦٠ نسمة يعملون بزراعة الأرض .

٧ - أبـــوثَوْر :

أبو ثور من قرى الهفوف الشرقية وقد قدر لوريمر عدد منـازلها بنحـو ٤٠ مـنزلاً وذلـك سنة ١٩٠٨م .

أمـا فايـدل فقد ذكـر أن عـدد منـازلها قـرابة ٤٥ مـنزلا يقطنهـا نحـو ٢٠٠ نسـمة وذلـك سـنة ١٩٥٢م وجميع سكانها يعملون بالزراعة .

٨ - الشوَيْكيَّة :

تقع الشوَيْكيَّة فى الشرق من الهفوف ، وهى قرية صغيرة قدر فايدل عدد منازلها سنة ١٩٥٢م بحوالى ١٣ منزلاً يقطنها حوالى ٧٥ نسمة يعملون بزراعة الأرض .

٩ - أبو العُنُوز :

يقع أبو العنوز شرق الهفوف وهى من القرى الصغيرة التى قدر فايدل عدد منازلها فى سنة ١٩٥٢ م بنحو ١٠ منازل يقطنها قرابة ٥٠ نسمة يعملون بالزراعة وقد اندثرت هذه القرية ولم يبق إلا رسومها .

١٠ - العرَّاميَّة :

العرامية من القرى الشرقية للهفوف فهى تتبع العمران الشمالية ، وقدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ٢٢ منزلاً يقطنها حوالى ١٠٠ نسمة يعملون بالزراعة .

١١ - واســـط :

واسط من القرى الصغيرة التابعة للعمران وهى تقع إلى الشرق من قرية غمسي وقد قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ١٥ منزلاً يقطنها ٦٠ نسمة يعملون بزراعة الأرز والنخيل ، وقد طمرتها الرمال وقامت إلى الجنوب منها قرية تحمل نفس الاسم .

١٢ - غُمســى :

تقع غمسي شرق الهفوف وهى قرية صغيرة قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢ بحوالى ٥٢ منزلاً يقطنها نحو ١٥٠ نسمة يعملون فى مزارع النخيل التابعة للقرية .

١٣ - العُلية :

العلية قرية صغيرة تقع شرق الهفوف وقدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٣٠ منزلاً يسكنها قرابة ١٢٠ نسمة يعملون بالزراعة .

١٤ - فريق الرمل :

فريق الرمل قرية تقع شرق الهفوف وقد قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ٢٥ منزلاً يقطنها حوالى ١٢٠ نسمة يعملون بزراعة الأرض التابعة للقرية .

١٥ - الدويكية :

الدويكية قرية صغيرة تقع شرق الهفوف وقد قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٢٠ منزلاً يقطنها قرابة ١٠٠ نسمة يعملون فى زراعة الأرض .

١٦ - السـويدر :

السويدر قرية صغيرة تقع شرق الهفوف ، وقد قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ١٠ منازل يقطنها نحو ٤٥ نسمة يعملون بالزراعة .

١٧ - الأسِيلَة :

الأسيلة قرية صغيرة تقع شرق الهفوف بناحية التيمية على مقربة من جبل القارة وقد اندثرت هذه القرية ولم يبق منها سوى حقلى نخيل يُعرفان باسم الوَسَلة والوسَيْلاتْ .

١٨ - العقار :

العقار قرية صغيرة تقع شرق الهفوف ، وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨م بنحو ٤٠ منزلاً ، وذكر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٤٣ منزلاً يقطنها نحو ٢٠٠ نسمة يعملون بزراعة الأرض التى تعتمد فى ريها على مياه عين الخدود .

١٩ - العيـــون :

تقع العيون إلى الشمال من واحة الأحساء بحذاء الطريق الرئيسى بين الأحساء والظهران ويعد بعض الباحثين واحة العيون جزءاً من واحة الأحساء ، على حين يعتبرها آخرون واحة قائمة بذاتها .

وقد سميت العيون بهذا الاسم لكثرة مابها من عيون المياه وإليها تنسب الأسرة العيونية التى حكمت الأحساء من سنة ٤٦٧ الى سنة ٦٣٦ هجرية والتى منها الشاعر المعروف جمال الدين على

ابن المقرب ، وقد كانت العيون إحدى مواطن بعض بطون بنى عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو ابن وديعة والعمور وهم بنو الديل بن عمرو ومحارب بن عمرو وعجل بن عمرو ووديعة بن لكيز.

وتعد أراضى العيون من أفضل الأراضى الزراعية وأجودها إنتاجاً ، وتضم واحة العيون مدينة تعرف باسمها كما تعرف أيضا باسم المحترقة ، وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨م بنحو ٥٠٠ منزل ، كما ذكر فايدل أن عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م - ٣٥٠ منزلا يقطنها نحو ١٧٠٠ نسمة .

وقد كانت العيون محاطة بخندق عميق وقد طمر الآن حيث اتسع العمران بالبلدة من جميع الجهات فأصبحت لما بها من مظاهر التحضر إحدى مدن الهفوف فقد تأسست بها بعض الدوائر الحكومية كالإمارة والمحكمة الشرعية وكتابة العدل والبلدية ومصلحة المياه ومكتب للبريد إلى جانب مستوصف حكومى وعدد من المساجد والمدارس للجنسين فى مختلف المراحل ، ويتبع مدينة العيون عدة قرى هى :

١ - قرية المراح :

تقع المراح على مقربة من مدينة العيون وقد قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٩٠ منزلاً يقطنها نحو ٤٧٠ نسمة . وقد تطورت هذه القرية وازداد عمرانها شأنها شأن بقية قرى المملكة .

٢ - قرية العويدية :

تقع هذه القرية على مقربة من المراح وقد اختطت سنة ١٣٧٣ هجرية .

٣ - قرية الوزية :

تقع الوزية على مقربة من مدينة العيون وقد اختطت سنة ١٣٧٥هـ

٤ - قرية الفضول :

تقع قرية الفضول فى شرق الهفوف على بعد ٦ أكيال تقريباً ويفهم من كلام الشيخ محمد آل عبد القادر (١) عن هذه القرية أنها منسوبة للفضول أبناء فضل بن ربيعة . وقد استغرب الشيخ حمد الجاسر صلة آل فضل بن ربيعة وهم من طىء بهذه القرية وقال (٢) لعل هذه

---

(١) تحفة المستفيد ص ٤٠

(٢) المعجم الجغرافى جـ٣ ص ١٣١١

القرية منسوبة إلى أحد الأمراء العيونيين الذى مدحه ابن المقرب وهو فضل بن عبد الله بن على ، ورغم أن نسبة هذه القرية للأمير فيصل بن عبد الله هو الأقرب إلى الصواب فإننى لاأرى غرابة فى الصلة بين آل فضل الطائيين وهذا الموضع إذ من الثابت أن بعض الأسر المنتسبة لهؤلاء قد قدمت إلى هذه البلاد واستقرت فى مواضع منها كآل بويت سكان المراح وآل عجاجى فى مدينة الهفوف وتتكون قرية الفضول من قرابة ٢٥٠ منزلا وذلك حسب تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م . أما فايدل فقد قدر عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بحوالى ٣٧٥ منزلا يقطنها نحو ٢١٠٠ نسمة كانوا يعملون فى زراعة النخيل التابعة للقرية والتى تعتمد فى ريها على مياه عينى غصيبة وبرابر أما فى وقتنا الحاضر فقد نمت القرية وازداد عمرانها وتنوعت فرص العمل أمام سكانها فلم يعودوا يعتمدوا على الزراعة وحدها فى معيشتهم .

قريـــة القـــارة :

تقع القارة فى الشمال الغربى من جبل القارة ولعلها الجزء المتبقى من مدينة القارة إحدى مدن هجر المار ذكرها .

وتعتبر القارة من كبرى القرى فى الهفوف وقد كان يقام فيها سوق أسبوعى يوم الأحد ، وقدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ٤٠٧ منازل يقطنها نحو ٢٢٠٠ نسمة يعمل أكثرهم فى زراعة النخيل التابع للقرية كما كان البعض الآخر يعمل فى صناعة الأوانى الفخارية . أما الآن فقد اتسعت القرية وازداد عمرانها وتضاعف عدد سكانها وتوفرت كثير من فرص العمل أمام أهلها .

وإلى القارة ينسب الشاعر الأديب سلمان بن عبد المحسن العلى القارى المتوفى سنة ١٣٥٩ هجرية والأديب السيد محمد باقر بن على الشخص المتوفى سنة ١١٨٢ هجرية .

قرية القرن :

تقع القرن إلى الشمال من واحة الأحساء شرق الطريق المتجه إلى مدينة الدمام وهى تتبع المبرز إدارياً . وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨م بنحو ١٢٠ منزلاً ، كما قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ٧٢ منزلاً يقطنها قرابة ٣٥٠ نسمة يعملون بزراعة النخيل التابعة للقرية كما يعمل بعض السكان بصناعة الحصر التى تصنع من قصب البردى الذى يكثر فى القرى الواقعة شرق الأحساء على جوانب مجارى المياه وفى المستنقعات .

قــرية القــرين :

تقع القرين شمال واحة الأحساء وهى تتبع المبرز إدارياً . وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بنحو ١٣٠ منزلاً ، كما ذكر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ٣٤٠ منزلاً يسكنها قرابة ١٦٠٠ نسمة يعملون فى مزارع الأرز وحقول النخيل التابعة للقرية . وقد اتسعت الآن وشملها العمران وانتشر التعليم وكثرت فرص العمل المتاحة .

الكلابيـــة :

تقع قرية الكلابية شرق مدينة المبرز وتتبعها إدارياً وإلى الغرب من جواثا وهى أقرب القرى المعمورة إليها . وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بنحو ٢٥٠ منزلاً كما قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ٢٣٤ منزلاً يسكنها قرابة ١٠٠٠ نسمة يعملون فى زراعة الأرض التابعة للقرية ، وكانت الرمال تحيط بهذه القرية من جميع الجهات. أما الآن فقد شملها التطور والعمران فاتسعت وانتشرت فيها المبانى الحديثة والمدارس وتضاعف عدد سكانها .

المقــدام :

تقع قرية المقدام شرق مدينة المبرز وتتبعها إدارياً ، وهى فى منتصف الطريق بين قريتى الكلابية والحليلة . وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨ بنحو ١٠٠ منزل ، كما قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بنحو ٩٣ منزلاً يقطنها قرابة ٥٠٠ نسمة ويعمل أكثرهم فى زراعة الأراضى التابعة للقرية أما الآن فقد شملها العمران فاتسعت وزاد عدد سكانها وتنوعت أمامهم فرص العمل .

المُطَيْرَفيِ :

تقع قرية المطيرفى شمال مدينة المبرز وتتبعها إدارياً وإلى الشرق من مدينة العيون وهى كثيرة المزارع والعيون الجارية ومياهها شديدة الحرارة وقدر الشيخ محمد آل عبد القادر عدد تلك الينابيع والعيون بخمس عشرة عيناً . وقد بلغ عدد منازلها فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م بـ١٢٥ منزلاً ، كما قدر فايدل عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بـ ٣٠٠ منزل

يقطنها نحو ١٤٥٠ نسمة يعملون بمزارع النخيل والأرز التابعة للقرية التى تعتمد فى ريها على نبع أم الليف والعيون الأخرى .

وإلى المطيرفى ينسب الشيخ أحمد بن زين الدين آل خضر المطيرفى من المهاشير من بنى خالد وقد ولد فيها سنة ١١٦٦ هجرية وله مائة وواحد من المؤلفات وإليه تنسب الفرقة الإمامية الاثنا عشرية المعروفة بالشيخية وقد توفى سنة ١٢٤٢ هجرية وخلّف أربعة أولاد منهم على وله مؤلفات وديوان شعر مطبوع فى النجف .

ولم تعد المطيرفى على ماكانت عليه قديماً فقد نمت واتسعت وانتشرت فيها المبانى الحديثة والمدارس وتضاعف عدد سكانها الذين التحقوا بالوظائف والأعمال المختلفة .

المــــزاوى :

تقع قرية المزاوى شرق مدينة الهفوف وفى الشمال الشرقى من قرية الجفر وإلى المزاوى تنسب العباءة المعروفة باسم مزوية لاشتهار هذه القرية بصناعة هذا النوع من العباءات . وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بـ٥٠ منزلاً . أما فايدل فقد قدر عدد منازلها وسكانها فى سنة ١٩٥٢م بـ ٧٣ منزلاً يقطنها ٣٥٠ نسمة يعملون بزراعة الأرز وحقول النخيل التابعة للقرية التى تعتمد فى ريها على مياه عين الحقل .

أما الآن فقد تبدل حالها فشملها العمران وتضاعف عدد سكانها والتحق الكثير منهم بالوظائف والعمل فى الشركات والمؤسسات .

المركـــز :

تقع قرية المركز شرق مدينة الهفوف شمال غرب قرية الجشة وإلى الجنوب من قرية الرميلة وهى البقية الباقية من قرية الكتيب التى كانت مؤلفة من أربع حلال درست ولم يبق منها سوى محلة المركز والكتيب على مايظهر تحريف الكثيب الأكبر والكثيب الأصغر من قرى بنى محارب من عبد القيس على ماتذكر المصادر .

وقد سميت المركز بهذا الاسم لأنها كانت مركزاً للجند . وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بـ ٣٢٥ منزلاً ، وذكر فايدل أن عدد منازلها وسكانها سنة ١٩٥٢م نحو ١٩٨ منزلاً يقطنها قرابة ٩٥٠ نسمة يعملون بالزراعة التى تعتمد فى ريها على المياه التى تأتيها من الخدود والحقل .

أما الآن فقد تغير حال القرية فاتسعت وازداد عدد سكانها وتنوعت أمام أهلها فرص العمل

المنيزلة :

تقع قرية المنيزلة شرق مدينة الهفوف وإلى الجنوب من جبل القارة ، وتوصف المنيزلة بجودة هوائها وبالقرب منها آثار قصر يدعى قصر أجود نسبة إلى الأمير أجود بن زامل الجبرى الذى أنشأ ذلك القصر هناك لإحدى زوجاته حيث كان أهلها يقطنون تلك الناحية .

ويقدر لوريمر عدد منازل هذه القرية فى سنة ١٩٠٨م بـ ٢٢٥ منزلاً .

أما فايدل فذكر عدد منازلها سنة ١٩٥٢م . بحوالى ٢٥٧ منزلا يقطنها نحو ١٢٠٠ نسمة يعمل معظمهم فى مزارع الأرز وحقول النخيل التابعة للقرية والتى كانت تروى من عين برابر .

أما الآن فقد تغير حال هذه القرية فاتسع عمرانها وزاد عدد سكانها وتعددت أمامهم فرص العمل .

المنصـــورة :

تقع المنصورة إلى الشرق من مدينة الهفوف على بعد عشرة أكيال منها ، وقد أنشئت هذه القرية سنة ١٣٧٩ هجرية حين نزح إليها بعض سكان العمران الشمالية على إثر خلاف نشب بين الأهالى هناك ، وقد تنامى العمران فيها فاتصلت مبانيها بقريتى الشهارين والطريبيل . وقد أنشئت فى المنصورة بعض الدوائر الحكومية كالمستوصف والبلدية والبريد وعدد من المدارس للجنسين فى المراحل المختلفة . وقد قدر كتاب المسح عدد سكانها بنحو ١٠٢٤ نسمة

ومما تقدم يمكن القول أن هذه القرى لم تعد كما وصفتها المؤلفات فى القرن الرابع عشر الهجرى فقد دب فيها العمران فأزيلت أسوارها لاستتباب الأمن واتسعت وتضاعفت أحياؤها فصرت ترى فيها البنايات الحديثة المنشأة بالخرسانة المسلحة والطوب الإسمنتى والمزودة بالطاقة الكهربائية والمياة الإرتوازية ، كما أخذت مدارس التعليم النظامى بمراحله الابتدائية والمتوسطة والثانوية فى الظهور بهذه القرى من نحو ثلاثين سنة خلت ولم تزل فى النمو والانتشار تدريجياً حتى أصبح فى كل قرية من المدارس مايفى بحاجة الدارسين والدارسات من أولادها .

وفى إطار التنظيم الإدارى بالقرية والسعى وراء تنميتها وتوفير الراحة لسكانها درجت السلطات الحكومية على أن تعين لكل قرية أمير أو عمدة يكون من أصحاب الصوت المسموع والكلمة النافذة فى أهلها ومن أهم المسئوليات المناطة به رعاية مصالح أهل قريته

ومساعدتهم فى حل المشاكل وفض المنازعات ومعاونة أجهزة الدولة فى ضبط الأمن بالقرية والاتصال بالأهالى والتعرف على أحوالهم لتقدير حاجة المحتاجين منهم للإعانة المالية من الضمان الاجتماعى وإشعار من تطلبه بعض الدوائر الحكومية لمراجعتها إلى غير ذلك من الشئون . كما أوجدت بعض الوزارات فى كبريات هذه القرى مثل الجفر والمنصورة والقارة والعمران عددا من المكاتب والمراكز الحكومية كالمحاكم الشرعية وفروع البلديات ومكاتب البريد والمستوصفات وقد بادر الأهالى بدورهم إلى تأسيس الجمعيات الخيرية للإسهام فى النشاطات الإنسانية بالقرية ومساعدة المحتاجين من أهلها . هذا وقد كان لانتشار التعليم والوعى الصحى بين سكان المدن والقرى على السواء والتحاق أكثرهم بفرص العمل المتاحة والمتنوعة فى المنطقة أثر كبير فى انتعاش مواردهم الاقتصادية وتحسن أحوالهم المعيشية فتضاعفت أعدادهم ، فبعد أن كان سكان الهفوف والمبرز ومايتبعهما من المدن والقرى فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م ٦٧٠٠٠ نسمة صار مجمل النفوس فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية الموافق ١٩٧٧م ٢٤٤٣٠٧ نسمة جميعهم مسلمون يرجعون فى أصولهم إلى قبائل عربية وسلالات من شعوب آسيوية وأفريقية عريقة الاستيطان فى هذه البلاد ، وليس بين السكان من الفوارق الجديرة بالذكر سوى فرق المذهب فحسب ، فهم يتألفون من طائفتين إحداهما سنية سلفية يتبع معظم أفرادها الآن المذهب الحنبلى ، والطائفة الأخرى شيعية أكثر أفرادها يقلدون فى شئونهم الدينية مراجع التقليد وأما الباقى من الشيعة فشيخية يسكن جلهم مدينة الهفوف ويسكن بعضهم قرية الحليلة ويرجعون فى أمور دينهم إلى آل الإسكوئى .

وتشكل الطائفة السنية فى تقدير الباحثين ثلاثة أرباع السكان والربع الباقى من الشيعة ففى مدينة الهفوف يمثل السنة ٧٥٪ وفى المبرز ٨٠٪ وفى مدينة العيون وقراها ١٠٠٪ ، كما يشكلون أغلب السكان فى بعض القرى كالمنيزلة والفضول والجفر والجشة والشقيق والطرف والشعبة .

أما الشيعة فيمثلون فى مدينة الهفوف ٢٥٪ من مجمل سكانها ويكثر تواجدهم فى حى النعاثل وبعض الأحياء الحديثة كالفاضلية والمزرع والفيصلية ، ويمثلون فى مدينة المبرز ٢٠٪ ويكثر تواجدهم فى حى الشُعبة وبعض الأحياء المستحدثة ، كما توجد قرى شيعية خالصة وهى : بنى معن والشهارين والجبيل والدالوة والتيمية والقارة والتويثير والمزاوى والمركز والمطيرفى والعقار والقرن والقرين والحليلة والبطالية والمنصورة وقرى العمران .

وليس لدينا تاريخ محدد لبدء تواجد الشيعة فى هذه المواضع السالفة الذكر إلا أن تواجدهم فى القطيف وقراها يرجع إلى القرن الثالث الهجرى . لكن بعض الباحثين ومنهم الدكتور عبد الهادى الفضلى (١) يرى أن ظهورهم فى الأحساء لم يتضح إلا فى القرن الثامن الهجرى مستنداً فى ذلك إلى تاريخ البيوتات الشيعية فيها وأقدم هذه البيوتات هى :-

١ - السادة آل حاجى . وقد قدموا إلى هذه البلاد فى القرن الثامن الهجرى فسكنوا أولاً قرية العيون ثم انتقلوا منها إلى قرية التويثير حيث استقروا بها .

٢ - البوخمسين . وينتسبون الى الوداعية فى نجد ، وقد قدموا إلى هذه البلاد فى القرن التاسع الهجرى وقد سكنوا قرية أبى شافع وبعد خرابها انتقلوا إلى الهفوف .

٣ - آل على . ويسكنون قرية العمران وجدهم على بن عبد العزيز بن أحمد بن عمران الذى سميت القرية باسمه هو أول من نزح إليها من ملهم فى نجد وذلك فى القرن الحادى عشر الهجرى .

٤ - آل ابن محسن . ويسكنون قرية القارة نزح جدهم الأول السيد عبد المحسن الذى سموا باسمه من المدينة المنورة وذلك عام ١٠٥٠ هجرياً واستوطن قرية التويثير أولاً ثم انتقل منها إلى قرية القارة .

٥ - آل السيد سلمان . أول من نزح إلى البلاد جدهم السيد سلمان وذلك فى أواسط القرن الثانى عشر الهجرى تقريباً وسكن المبرز فى محلة السياسب ثم انتقل إلى المطيرفى ، ولما كثرت ذريته تفرقوا فى البلاد فسكن بعضهم المبرز وبعضهم الرميلة وبعضهم سوق الشيوخ فى العراق ويرجعون إلى السادة المشعشعيين حكام الحويزة المعروفين بالموالى .

---

(١) - حسن محسن الأمين - الموسوعة الإسلامية الشيعية جـ٣ ص ٩٤ ، ٩٥

القطيـــــف

القطيف بفتح القاف وكسر الطاء المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة ففاء من القطف وهو القطع للعنب ونحوه ، ويطلق القطيف اسماً على منطقة الخط الممتدة من صفوى شمالاً حتى الظهران جنوباً فيشمل الواحة والقلعة وتوابعها .

القلعة :

كانت المدينة الرئيسية فى القطيف تعرف باسم الفرضة أو القلعة لقوة تحصينها ، وتقع على ساحل الخليج فى واحة من أشجار النخيل وجنان الفاكهة على منتصف الشاطىء الموازى للواحة ، وقد تأسست على أنقاض مدينة الخط التى أنشأها فى هذا الموقع على مايظهر أردشير بن بابك فى النصف الأول من القرن الثالث الميلادى .

ويذكر الأستاذ محمد سعيد المسلم (١) أن القلعة كانت قديماً تسمى باسم «جبرو» وكانت مخزناً للتوابل والعطور الواردة من جزيرة تاروت ثم أخذت المنازل حولها فى الظهور فى شكل قرية مأهولة بالصيادين ولم تزل فى النمو والاتساع حتى أصبحت مدينة من أهم مدن الساحل ، ولعل مركز الثقل انتقل إليها فى إثر زوال مدينة الزارة من خارطة العمران سنة ٢٨٣ هـ على يد أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى .

وكانت مدينة القطيف قبل أن تتسع رقعتها وتظهر فيها الأبنية الحديثة وبعض الشوارع الواسعة بيضاوية الشكل تشمل أربع حلال هى :

١ - فريق الوارش

٢ - فريق الزريب

٣ - فريق السدرة

٤ - فريق الخان

وكانت القلعة محاطة بسور منيع يبلغ سمكه سبعة أقدام وارتفاعه ثلاثين قدماً تقريباً ، ويبلغ طول واجهة القلعة أربعمائة ياردة ، وتطل بوابتها على البحر وينتصب على جوانب السور وزواياه أحد عشر برجاً مستديرة الشكل تصل بينها جسور ممتدة فى أعلى السور تمكن أفراد الحامية العسكرية المرابطة بها من الاتصال ببعضها أثناء قيامها بمهام

---

(١) - محمد سعيد المسلم - ساحل الذهب ص ٤٦

الدفاع عنها . وكان للقلعة أربعة أبواب منها باب فى الشرق تجاه المرفأ ويسمى دروازة البحر ، وباب فى الغرب يصلها بالواحة ويسمى دروازة باب الشمال ، وباب فى الجنوب عند مدخل السوق ويسمى دروازة السوق ، وباب فى الشمال يصلها بحصن صغير يقع بجانبه من ناحية الشمال ، وقد كان هذا الحصن فيما مضى مقراً لجهاز الحكم ، وجميع هذه الابواب تغلق ليلاً وتفتح نهاراً .

وقد دون تاريخ بناء سور القلعة فى كلمة «محفوظة» وتعنى بحساب الجمل سنة ألف وتسع وثلاثين هجرية وهذا التاريخ يمكن اعتباره صحيحاً لإعادة بناء السور لا لتأسيسه لأن المصادر تدل على أن هذه المدينة كانت محاطة بسور قبل هذا التاريخ ولكنه أزيل على يد البرتغاليين حين كانت الحرب تدور سجالاً بينهم وبين العثمانيين فى هذه المنطقة غير أن العثمانيين أعادوا بناءه سنة ١٠٣٩هـ .

كما كان يحيط بسور القلعة خندق عميق . فقد نقل أبو الفدا (١) عن بعض أهل القطيف أن مدينتهم كانت محاطة بسور خندق ولها أربعة أبواب والبحر إذا مدَّ يصل إلى سورها وإذا جزر انكشف جزء من الأرض»

وقد ظل هذا الوصف مطابقا لحال القطيف إلى خمسين سنة خلت وقد توارى الخندق أولا ثم أخذ السور فى التداعى إلى أن أزيل تماماً حين مد الأمن رواقه على البلاد .

ويوجد فى القلعة من الآثار التاريخية (٢)جامع قديم يرجع تاريخ بنائه إلى القرن الثامن الهجرى وقد كتِب تاريخ بنائه على لوحة حجرية مثبتة فى أحد جدرانه وقد هُجر هذا الجامع فتداعى بنيانه ولم يبق منه بصورة سليمة سوى مأذنته العالية التى تطل على المدينة وضواحيها .

وكان يكتنف القلعة من ناحيتى الغرب والجنوب بعض الأحياء الصغيرة كالمدارس ومياس والدبابة والكويكب .

وكان للقطيف سوق واحد مستطيل مسقوف يتألف من صفين من الحوانيت التى يبلغ عددها زهاء ثلثمائة حانوت وجميعها مبنية من الطين واللبن ، ويبدأ هذا السوق من باب القلعة

---

(١) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٩٩

(٢) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ص ٤٧

الجنوبى ويمتد فى اتجاه الجنوب حتى يصل إلى أسوار حى الكويكب ثم ينعطف إلى ناحية الغرب بين مياس والكويكب وينتهى بباب كبير يعرف باسم باب الحرية .
بيد أن جميع معالم هذا السوق قد تغيرت فاتسع وأزيلت منه السقوف والأبواب وذلك فى إطار التغير الشامل الذى طرأ على المدينة من كافة النواحى حيث اتسعت من جميع أطرافها فالتهمت تلك الأحياء الصغيرة والقريبة منها وجزءاً من الأرض الزراعية حولها وجزءاً من مياه الخليج التى كانت مياهه فيما مضى تلامس أسوار القلعة .

وقد قامت بلدية القطيف ضمن إهتماماتها بتحسين البلدة بشق بعض الشوارع فى المدينة القديمة وظهرت فيها المنازل الحديثة والعمارات ومنشآت الدوائر الحكومية والمرافق العامة كالأسواق والبنوك والمدارس وغيرها . وقد عمت شبكة التيار الكهربائى وشبكة المياه النقية جميع المبانى ، وقد إزداد النمو السكانى فى هذه المدينة وضواحيها زيادة سريعة فبعد أن كان عدد السكان ١٢,٠٠٠ نسمة فى تقدير حافظ وهبة منذ خمسين سنة خلت أصبح عدد السكان فى إمارة القطيف حسب إحصاء سنة ١٣٩٧هـ يساوى ٨٨٥٨٨ نسمة .

وقد كان السكان فيما مضى يعتمدون فى معيشتهم على الفلاحة والغوص على اللؤلؤ وصيد الأسماك علاوة على الاشتغال بالتجارة مع البحرين والعراق وعمان والهند والأقطار الأخرى، فكانت تصدر إلى هذه البلاد التمر وشراب البلح والأخشاب وبعض مواد الوقود كجريد النخل وتستورد من هذه الأقطار بعض المواد الغذائية كالأرز والسكر وكذلك بعض المنتجات الصناعية . وتبعاً لتغير الأساليب المعيشية والتقليدية أصبح السكان يسهمون فى مختلف النشاطات الاقتصادية المتوفرة فى المنطقة وفى مقدمتها العمل فى التجارة والصناعة الحديثة المتنوعة وفى الشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية .

وقد شملت القطيف نهضة تعليمية بدأت بإنشاء المدارس بمراحلها الثلاث الابتدائية والمتوسطة والثانوية التى يواصل بعض خريجيها الدراسة فى الجامعات المحلية والخارجية كما نبغ من أبنائها الشعراء المجيدون والكتاب البارزون .

توابع القطيف :

يتبع القطيف من الناحية الطبيعية والرسمية عدد من القرى المتفاوتة المساحة بعضها يقع داخل القلعة وبعضها يقع خارجها ، وقد عمها من التطور والعمران ماعم المدينة ذاتها إلا أنها بصفة عامة لاتزال تحتفظ بطابعها الزراعى المتميز فيتبع كل قرية من القرى عدد من

مزارع النخيل يطلق عليها سيحة وتحمل نفس اسم القرية التى تتبعها وهذه القرى هى :

١ - سيهات :

تقع سيهات جنوب القطيف على ساحل البحر وسط واحة من أشجار النخيل وقد كانت فيما مضى إحدى قرى الأزد وعبد القيس فى هذه المنطقة ، وكانت إلى ماقبل سبعين سنة خلت مسورة وتتألف من ستمائة منزل وتعتمد المزارع التابعة لها فى الرى على ينبوع الكعبة .

وقد قدر الأستاذ محمد سعيد المسلم عدد سكانها باثنى عشر ألف نسمة وذلك فى سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م . أما عددهم فى إحصائية سنة ١٣٩٧هـ فبلغ ٢٢٣٣١ نسمة وقد كان العمل الرئيسى للسكان من وقت ليس بالبعيد يتمثل فى الفلاحة والصيد والغوص على اللؤلؤ .

أما الآن فقد أصبحت سيهات بفضل التطور السريع الذى شمل جميع جوانب الحياة فيها من أكثر مدن القطيف نمواً واتساعاً ، فقد ظهرت فيها العمارات والمنازل الحديثة ومرافق الخدمات العامة والمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للجنسين .

٢ - عنك :

تقع عنك على ساحل الخليج إلى الشمال من سيهات ، وكانت قبل قرون خلت إحدى مدن الخط . وقد قدر الأستاذ محمد سعيد المسلم عدد سكانها بحوالى ٢٠٠٠ نسمة عدا قبيلة بنى خالد التى درج عدد كبير من أفرادها على الوفادة إلى عنك صيفاً والرحيل عنها شتاءاً وقد أخذ قسم كبير منهم فى التحضر والاستقرار والاقبال على التعليم والانخراط فى مختلف الوظائف والمهن الأمر الذى أسهم فى نمو البلدة واتساعها حتى أصبحت بفضل ما توفر لها من أسباب النمو واحدة من مدن القطيف المهمة .

٣ - الجش :

تقع هذه القرية إلى الشمال الغربى من سيهات وكانت قبل أن يشملها ماشمل نظيراتها من العمران والاتساع لاتتجاوز ٢٥٠ منزلاً وذلك فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م ويعمل معظم سكان هذه القرية بالزراعة التى تعمد فى ريها على ينبوع الكعبة كما يعمل بعض السكان بالصيد والغوص على اللؤلؤ .

٤ - الملاحـــة :

الملاحة قرية صغيرة تقع إلى ناحية الشرق من الجش وعلى بعد ميل ونصف جنوب غرب عنك ، وكانت محاطة بسور وبها خمسون منزلاً وذلك فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م ، ويبلغ عدد سكانها فى الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى زهاء ثلاثة الآف نسمة يعملون بالزراعة وفلاحة الأرض .

٥ - أم الحمـــام :

كان اسم هذه القرية إلى وقت قريب أم الخمام وهى تقع إلى الشمال من قرية الجش وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بـ ٢٥٠ منزلاً ، وقد بلغ عدد سكانها حوالى ١٠٠٠ نسمة وذلك فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى على ماذكر الأستاذ محمد سعيد المسلم .

٦ - الجارودية :

قال الشيخ حمد الجاسر (١) كأنها منسوبة الى الجارود وهو اسم معروف فى هذه الجهات عند ظهور الاسلام .

وتقع الجارودية إلى الشمال الغربى من أم الحمام وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بـ ١٥٠ منزلاً وقد بلغ عدد سكانها فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى بحوالى ٥٠٠٠ نسمة يعمل معظمهم فى زراعة البساتين التابعة لها والتى تعتمد فى ريها على ينبوع السديف .

٧ - الخويلدية :

تقع هذه القرية إلى الشمال من الجارودية وقد قدر صاحب كتاب ساحل الذهب عدد سكانها فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى بخمسة الآف نفس ، وكانت على مايذكر لوريمر محاطة بسور وتتكون من مائة وخمسين منزلاً ويتبعها عدد من بساتين النخيل التى تعتمد فى ريها على مياه ينبوع القشيرية .

---

(١) - حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٣٥٥

٨ - حِلَة محيــش :

تقع حلة محيش إلى الشرق من الجارودية فى وسط الواحة وعلى بعد ميلين جنوب مدينة القطيف وكانت محاطة بسور وبها ١٣٠ منزلاً وذلك سنة ١٩٠٨م حسب تقدير لوريمر . أما سكانها فيبلغون خمسة الآف نسمة فى تقدير الاستاذ محمد سعيد المسلم يعمل معظمهم فى الزراعة .

٩ - الشويكة :

تقع هذه القرية جنوب مدينة القطيف على مقربة منها وقد اتصل بها عمران المدينة فأصبحت جزءاً منها . وقد قدر صاحب كتاب ساحل الذهب عدد سكانها بحوالى ٤٠٠٠ نسمة .

١٠ - التَّوبــى :

تقع هذه القرية بين مدينة القطيف وقرية الجارودية ، وقد قدر لوريمر عدد منازلها سنة ١٩٠٨م بنحو مائة منزل وهى مسقط رأس الشاعر جعفر الخطى ، ويبلغ عدد سكانها حوالى خمسة الآف نسمة يعمل أكثرهم بالزراعة التى تعتمد فى ريها على ينبوع القصير .

وقد تطورت هذه القرية فاتصل عمرانها بمدينة القطيف وأصبحت حياً من أحيائها .

١١ - البِحَارِى :

تقع هذه القرية على بعد ميل ونصف شمال غرب مدينة القطيف وعلى بعد ميل من البحر وكانت هذه القرية محاطة بسور ، وقد قدر لوريمر عدد منازلها فى سنة ١٩٠٨م بنحو مائة منزل ، وقد كان عدد سكانها فى تقدير محمد سعيد المسلم فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى نحو أربعة الآف نسمة يعملون فى الزراعة والصيد .

١٢ - القُدَيْحُ :

قرية كبيرة تقع جنوب القطيف على مقربة منها ، وكانت منازلها تتكون من ٣٥٠ منزلاً سنة ١٩٠٨م ، ويعمل معظم سكانها بالزراعة التى تروى من ينابيع الجوهرية والسدرية . وقد نمت هذه القرية واتسع عمرانها فشمل ماحولها من الأراضى .

١٣ - الزُوَيْكِيَةُ :

الزويكية قرية صغيرة تقع جنوب غرب القطيف .

١٤ - العَوَّامية :

قرية كبيرة تقع على بعد أربعة أكيال شمال غرب مدينة القطيف القديمة ، وكانت منازلها تتألف من ٣٠٠ منزل وذلك فى تقدير لوريمر سنة ١٩٠٨م .

وقد قدر الأستاذ محمد سعيد المسلم عدد سكانها سنة ١٣٨٢هـ بـ ١٠,٠٠٠ نسمة وقد كان السكان فيما مضى يعتمدون فى معيشتهم على الفلاحة والغوص ، ويوجد فى هذه القرية عدد من الينابيع منها ينبوع طيبة وغراف والحشيشة والجُديدة .

وينسب تأسيس هذه القرية إلى أبى الحسن بن العوام زعيم الأزد وأمير الزَّارة . وعلى مقربة من القرية توجد آثار مدينة الزارة التى تعتبر العوامية أحد أحيائها إبان عمران المدينة .

١٥ - تاروت :

هى جزيرة تقع فى الخليج إلى الشرق من مدينة القطيف يفصل بينهما ستة أكيال من المياه الضحلة بحيث كان الوصول إلى هذه الجزيرة فى حالة الجزر بواسطة الدواب ممكنا لذا فقد عمدت الجهات المعنية فى الدولة إلى إنشاء جسر ربط هذه الجزيرة بالحاضرة فكان ذلك من أهم دواعى عودة الحياة إليها وتحديث عمرانها ونموها .

وتاروت من الأسماء التى لاتشير المصادر العربية إلى مدلولها . بيد أن الباحثين يرون أن الاسم فى الاصل كان تيروس ، أما جغرافية بطليموس فقد أطلقت عليها إسم تارو .

ويذهب بعض الباحثين (١) إلى أن اسمها فى الأصل عشتاروت وأنها كانت معبدا لإلهة الفينقيين عشتاروت فتطرق إليها التحريف فحذف منها المقطع الأول اختصارا وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين تاروت .

وعشتاروت أو عشتروت اسم لمعبودة الفينيقيين التى كانوا يقدمون لها القرابين البشرية والتى يوجد لها تماثيل مجسمة فى دير القلعة بلبنان .

وقد كانت هذه الجزيرة من أعرق مدن المنطقة وأكثرها إزدهاراً ، فقد كانت أحد المراكز القديمة للفينيقيين وذلك قبل نزوحهم من هذه المنطقة إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط ومن أهم المؤشرات الدالة على ذلك تمثال من الذهب الخالص للبعلة عشتروت تم العثور عليه فى أحد بساتين الجزيرة ، كما يوجد فى الجزيرة أيضاً مرتفع صخرى يرى بعض الباحثين

---

(١) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الاسود ص ٥٣

أنه هيكل البعلة عشتروت .

وقد جاء فى بعض إصدارات المتاحف والآثار فى المملكة العربية السعودية مانصه (٢) وقد اكتشفت فى الجزيرة آثار هامة يرجع بعضها إلى فترة عصر السلالات الأولى لبلاد مابين النهرين أى قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ عام وبعضها يعود إلى فترات زمنية مختلفة معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية وحضارة الموهنجودارو على نهر السند وحضارة أم النار التى قامت بالمنطقة الجنوبية من الخليج العربى والتى تم اكتشاف بقاياها فى أبو ظبى بواسطة البعثة الدنمركية سنة ١٩٦٦م والشواهد على قدم الاستيطان فى هذه الجزيرة واعتبارها من الكنوز الأثرية متعددة تؤكدها آثار المدافن والملتقطات من التماثيل والنقود التى يتم العثور عليها من حين الى آخر ومن أحدثها حرز فخارى معبأ بدراهم فضية ساسانية متكلسة عثر عليها عمال حفر المجارى تحت القصر المعروف فى جزيرة تاروت بقصر عبد الوهاب الذى يعود تأسيسه إلى سنة ١٣٠٥ هـ ، كما يوجد فى هذه الجزيرة من الآثار قلعة متداعية أسسها البرتغاليون إبان سيطرتهم على الخليج .

وفى شرق جزيرة تاروت تقع قريتا سنابس والزور كما يقع فى طرفها الجنوبى بلدة دارين الميناء الشهيرة التى إستمدت الجزيرة منها أسباب النمو والازدهار والتى أدى ضعفها بعد ظهور الموانىء المنافسة لها إلى تسرب الضعف لجزيرة تاروت ذاتها حتى أصبحت فى القرن الثامن الهجرى مجرد بليدة تكثر فيها الكروم التى تنتج العنب المفضل على حد قول أبى الفداء .

---

(١) - حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٢٨٨

١٦ - دَارِيــن :

دارين اسم غير عربى الأصل وتعنى بالفارسية العتيقة ، وهى جزيرة تقع فى مدخل خليج القطيف إلى الجنوب من جزيرة تاروت ، وقد كانت حتى ظهور الإسلام من أكثر مدن البحرين عمراناً وأبعدها شهرة فى ميدان الاستيراد والتصدير ، وقد كانت فيما مضى مرفأ تجارياً مهما وهمزة وصل بين تجارة الشرق والغرب ، وقد وصفها ياقوت بأنها فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند .

وقال ابن خلدون « دارين هى من بلاد البحرين ينسب إليها الطيب كما تنسب الرماح إلى الخط بجانبها فيقال مسك دارين ورماح الخط »

وقد أكثر الشعراء من التنويه بدارين وماتعج به أسواقها من ألوان البضائع والسلع إلى حد أغرى اللصوص بالقدوم إليها من المناطق النائية للسطو على كل ماتصل إليه أيديهم من أنواع السلع فى غمرة الزحام وهذا ماعبر عنه الأعشى بقوله .

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويرجعن من دارين بُجْرى الحقائب

على حين ألْهى الناس جل أمورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب

على أن شهرة أهل دارين بالاتجار فى العطور بلغت حداً جعلت الدارى اسما للعطار ذاته .

ومن أبدع ماقيل فى هذا المضمار ماجاء فى قصيدة لابن حمْديس منها قوله :

وَرَاهِبــة أغْلَقَتْ دَيْرَهَا فكنَّا مع اللَّيْلِ زوَّارها

هَدَانا إليْهَا شَذى قَهْوَة تذيع لأَنْفك أسْرارها

فَمَا فاز بالمسْكِ إلأَفْتَى تيَمم دارين أوْ دارها

وقد كانت هذه الجزيرة من أشهر موانىء الخليج عن طريقها تصل بضائع الشرق إلى مختلف أنحاء الجزيرة كالأقمشة وأنواع الطيب والأسلحة كالرماح والسيوف وغيرها لأنها تقع على ساحل تصل إليه السفن فى يُسرٍ وسهولة لعمقه وقلة الحواجز الصخرية التى تعوق سير السفن . وقد فقد هذا المرفأ أهميته بعد تأسيس ميناء البصرة فى صدر الإسلام ثم ميناءى القطيف والعقير فيما بعد ولعل من أسباب ضعف دارين عدم اتصالها بطريق برى يسهل نقل مايصل إلى مينائها من البضائع إلى داخل البلاد .

وقد أصبحت دارين فى السنوات الأخيرة قرية صغيرة قليلة الأهمية ، وعلى مقربة منها توجد آثار عمران قديم على مرتفع من الأرض لايزال ينتظر البحث والتنقيب لإماطة الستار

عن تاريخ وأهمية هذه الجزيرة فى العصور السالفة :

وقد قدر بعض الباحثين سكان الجزيرة فى سنة ١٣٩٣هـ بحوالى ٣٥٠٠ نسمة . أما الآن فقد تبدل حالها ودب العمران فيها وتضاعف سكانها شأنها فى ذلك شأن بقية بلدان المنطقة .

١٧ - صفـوى :

صفوى بالألف المقصورة وقد وردت بالألف الممدودة فى عدة مواضع من شعر ابن المقرب وهى بلدة تقع فى الشمال الغربى من مدينة القطيف على بعد عشرة أكيال منها تقريبا وعلى بعد زهاء ٤٠ كم من الظهران على الطريق الرئيسى الممتد بين الدمام ورأس تنورة وهـى آخر قرية من قرى واحة القطيف من ناحية الشمال وكانت بها عين كبيرة تسمى داروش يتفرع منها سبعة أنهر .

ويذكر بعض الباحثين أن دارا ملك الفرس نزل بها وأن عينها السالفة الذكر منسوبة إليه كما كان يوجد بها عين كبريتية أقيم عندها حمام للسباحة ويقصدها الناس للاستشفاء بمياهها المعدنية .

وعلى مقربة من صفوى يقع مقلع جاوان أحد المواضع الزاخرة بالآثار التاريخية وذكر المسعودى (١) بأنها كانت لبنى حفص من عبد القيس وكانت منازلها منذ ثمانين سنة خلت تقدر بـ ٣٥٠ منزلاً على حد قول لوريمر . أما حافظ وهبة فقد قدر عدد منازلها بـ ٥٤٠ منزلا يحيط بها سور ضخم .

أما محمد سعيد المسلم فقد قدر عدد سكان هذه البلدة بـ ١٢,٠٠٠ نسمة وقد تغيرت واتسع عمرانها وتضاعف عدد سكانها فبلغ عددهم فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هـ بـ ٢١.٠٠٠ نسمة .

١٨ - الآجـــام :

الآجام إحدى القرى الواقعة فى قلب الصحراء إلى الجهة الغربية من الواحة على بعد خمسة أكيال .

ويورد صاحب كتاب ساحل الذهب احتمال وجود صلة بين اسم هذه القرية والآجاميين وهم قوم من سكان الآجام والطفوف التابعة للكوفة وقد انتظموا فى جيش أبى طاهر سليمان عند رجوعه من هيت سنة ١٣١٧ هجرية مستندا فى ذلك الى ماأورده المسعودى فى هذا الصدد .

---

(١) - المسعودى - التنبيه والإشراف - ص ٣٥٦

١٩ – أم الســـاهك :

قرية تقع بالقرب من صفوى إلى جهة الغرب ويقدر سكانها بحوالى ثلاثة آلاف نسمة ، كما يوجد هناك بعض القرى الصغيرة المتناثرة فى الصحراء منها أبى معن وشعاب والرويجة وقد وصفها صاحب كتاب ساحل الذهب بأن هذه القرى قليلة الأهمية ضئيلة السكان .

الجبيــل :

الجبيل هى تصغير جبل ويرى بعض الباحثين أن هذا الاسم يعود تاريخه إلى العصر الفينيقى وهى بلدة تقع على ساحل الخليج العربى شمال رأس تنورة وتسمى أيضاً عينين وإليها ينسب الشاعر خليد عينين .

ومما يدل على قدم الجبيل وأثريتها آثار عمران قديم يقع إلى الجنوب منها على الساحل فى الموضع المعروف باسم الدوسرية . بيد أنها منيت بالإهمال مدة من الزمن إلى أن نزلت بها عشائر آل بوعينين (١) أصهار بنى خالد سنة ١٩١٠ م إذ من هذا التاريخ أخذت هذه البلدة فى النمو والاتساع فدب فيها العمران وكثرت أبنيتها وكان ذلك بسبب الحرب الاقتصادية التى أعلنتها نجد على الكويت مما أدى إلى إضعاف الكويت من الناحية التجارية وانتعاش الجبيل .

ويقدر عدد سكان الجبيل من نحو خمسين سنة خلت بحوالى ألفى نفس ، ولم يزل عددهم فى إزدياد حتى بلغ فى إحصاء ١٣٩٧ هجرية بـ ٨٧٢٤ نسمة .

وقد كان السكان يعتمدون فى معيشتهم على صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ ، وبعد اكتشاف الزيت إلتحق كثير منهم بالوظائف والأعمال المختلفة .

وفى السنوات القليلة الماضية اختارت الدولة منطقة الجبيل لتكون إحدى القلاع الصناعية الكبرى فى البلاد فخططتها وأنشأت فيها الشركات والمصانع الضخمة ومحطات تحلية المياه والأحياء النموذجية وأهم المرافق الحيوية والترفيهية كالمستشفيات والمدارس والمنتزهات والحدائق العامة فتقاطر للعمل بمصانعها وشركاتها والمراكز التجارية بها طلاب الرزق وعشاق الثراء من كل حدب وصوب فأصبحت بذلك من أرقى مدن المنطقة وأكثرها تطوراً

(١) – عمر كحالة : جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ٢٤٧

فى زمن قياسى .

ومما يذكر بهذا الصدد أن صورة الحياة والعمران فى القطيف وتوابعها قد تطورت بشكل ملحوظ ، ومن أهم العوامل الكامنة وراء هذا التطور النقلة الاقتصادية التى طرأت على البلاد بعد تصاعد إنتاج الزيت وإرتفاع عوائده وقد أفضى ذلك إلى تنافس المواطنين فى تحسين مواردهم المالية وأحوالهم المعيشية فأقبلوا على تعمير المنازل الحديثة والعمارات الضخمة فاتسعت المدن والقرى وأزيلت منها الأسوَار واختفت أنماط البناء القديم فيها فتحسنت بذلك أحوال السكان وتضاعف عددهم فبلغ فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية ١٥٨٠١٦ نسمة وذلك فى إمارة القطيف والإمارات التابعة لها وهي :-

١ - إمارة سيهات .

٢ - إمارة صفوى

٣ - إمارة رأس تنورة

٤ - إمارة الجبيل

ومما يذكر بهذا الصدد أن جميع سكان القطيف وتوابعها من الشيعة المنتمين إلى المذهب الجعفرى باستثناء أهالى دارين والجبيل وأم الساهك وقرى البادية والقبائل الرحل .

﴿ الفصـــل الســـابع ﴾

المـــــدن والقــــرى المحـــــدثة

الدمـــــام

تقع الدمام إلى الجنوب الشرقى من مدينة القطيف على بعد سبعة عشر كيلو متراً ، فهى على منعطف الساحل من الخليج ، وقد كانت فى القرون الخالية من المواضع العامرة الآهلة بالسكان كما تدل على ذلك الملتقطات الأثرية هناك ، غير أن ضحالة شواطئها واضطرار السفن للوقوف بعيداً عنها من ناحية وزحف الرمال المتحركة بفعل العواصف عليها أفضى الى تحول العمران عنها وإهمالها ردحاً من الزمن فظلت مفازة موحشة ليس فيها من العمران سوى قلعة (١) قام ببنائها عند الشاطىء رحمة بن جابر الجلاهمة وذلك سنة ١٢٢٦ هجرية الموافق ١٨١١م وقد أزالها جنود الدولة السعودية الأولى فى سنة ١٢٣٢ هـ الموافق ١٨١٦م ولكن رحمة أعاد بناءها فى أعقاب استيلاء إبراهيم باشا على مدينة الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ الموافق ١٨١٨م .

وتقع القلعة المذكورة على مقربة من قصر الامارة الان وقد أزيلت فى السنوات المتأخرة ويشغل موضعها مبنى إدارة سلاح الحدود ، ومما يذكر من تاريخ الدمام أنه فى سنة ١٢٥٨هـ قام الشيخ عبد الله آل خليفة وأولاده (٢) باللجوء إلى هذه البلدة حين تغلب عليه ابن عمه الشيخ على وانتزع منه حكم جزيرة البحرين وقد حاصرها الشيخ على آل خليفة سنة ١٢٧١هـ كما حاصرها الأمير فيصل بن تركى آل سعود إبان تلك الفترة .

وفى سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م لجأت إلى الدمام قبيلة الدواسر قادمة من جزيرة البحرين فى إثر أزمة سياسية نشبت بينها وبين الحكومة المحلية هناك بسبب قيام الانجليز بإقصاء الشيخ عيسى بن على آل خليفة عن حكم البحرين وإحلال ابنه حمد مكانه فأغضب ذلك أنصار الشيخ عيسى من الدواسر فالتمسوا من الملك عبد العزيز آل سعود الإذن لهم بالاقامة فى الدمام والخبر فأجابهم إلى ماطلبوا فاستقر القسم الأعظم منهم برئاسة أحمد بن عبد الله الدوسرى فى الدمام . أما القسم الآخر فقد فضل الإقامة فى الخبر تحت رئاسة محمد بن راشد الدوسرى فكان ذلك إيذانا بعودة الحياة إلى هذين الموضعين حيث أنشأ كلٌ من الفريقين عددا من الأكواخ هناك

---

(١) لوريمر : دليل الخليج القسم الجغرافى جـ٥ ص ١٨٨١ ـ ١٨٨٢

(٢) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الاسود ص ٣٠

واستقروا فيها ، وقد تزامن هذا الحدث مع حدثين بالغى الأثر على حياة هؤلاء وعلى حياة المنطقة ومستقبلها .

الحدث الأول أفول نجم اللؤلؤ الطبيعى وكساد تجارته سنة ١٣٤٦ للهجرة فى أعقاب النجاح الكبير الذى حققته تجارة اللؤلؤ الصناعى ، وكان استخراج اللؤلؤ والاتجار فيه عماد حياة هؤلاء ومصدر معيشتهم فواجهوا فى تلك السنة والسنوات القليلة التى تلتها كثيراً من المعاناة والفاقة لانعدام البدائل من مصادر الدخل .

أما الحدث الثانى فهو إطلالة فجر عصر اكتشاف الزيت فى المنطقة وإنتاجه بكميات تجارية ومانجم عن ذلك من التطور فى حياة الاستيطان والعمران بتلك الجهات . إذ سرعان مانشأت المدن الحديثة بها وتطورت بصورة مذهلة ، وقد كانت الدمام أكثر هذه المدن اتساعاً واستيطاناً .

ومن أهم العوامل التى ساعدت على عمران الدمام وتطورها إلى جانب موقعها المتميز وقربها من الآبار الأولى للزيت ومراكز إدارته اختيارها موضعاً لإنشاء بعض المرافق الحيوية اللازمة للحياة المستجدة ، ومن أهم هذه المرافق :-

مرفأ الدمام الكبير الذى يستقبل البواخر الضخمة الوافدة من جميع أنحاء المعمورة ، وكذلك سكة القطار التى تمتد من ذلك المرفأ حتى تنتهى فى الرياض .

وقد أفضى ذلك إلى إنشاء العديد من الدوائر الحكومية كالإمارة والجمرك ومكتب للبرق والبريد ومكتب المعادن والأشغال العامة ومراكز الأمن وخفر السواحل وبلدية كانت فى أول الأمر فرعاً من بلدية الخبر إلى أن استقلت عنها سنة ١٣٦٦ للهجرة إلى غير ذلك من الدوائر والمرافق والمؤسسات الحكومية

ومن الموظفين والمستخدمين فى هذه المرافق والدوائر وجماعة الدواسر التى استوطنت هذا الموضع تشكلت النواة الأولى لحياة الاستيطان الحديث بالدمام فدب العمران فيها بإقامة المساكن لهؤلاء ولعمال شركة الزيت ممن فضلوا الإقامة بالدمام .

وفى هذا الاطار قامت شركة الزيت العربية الأمريكية «ارامكو» سنة ١٣٦٨ للهجرة الموافق ١٩٤٧م بناءاً على طلب من الأمير سعود بن عبد الله آل جلوى بوضع مخطط لمدينة الدمام يلبى حاجة النمو المرتقب فاعتمد ذلك المخطط تقسيم الأراضى فى شكل وحدات مستطيلة تتخللها شوارع يتراوح عرضها مابين ٧٠ إلى ١٠٠ قدم ، كما يشمل المخطط شارعاً رئيسيا موازيا لساحل البحر .

وفى سنة ١٣٧٤ هجرية – ١٩٥٣م قامت البلدية بوضع مخطط آخر قسمته إلى قطع سكنية صغيرة تم بيعها للمواطنين ، كما أفضى توافد الموجات البشرية القادمة إلى المنطقة للاستفادة من فرص العمل إلى نمو الدمام واتساعها فزادت المساحة المأهولة فيها من قرابة ١٧٠ إيكر سنة ١٣٧٣ هجرية – ١٩٥٢م إلى مايزيد على ٩٠٠ إيكر سنة ١٣٧٧ هجرية – ١٩٥٧م ، كما تبدلت أساليب البناء ومواده فتوارت الأكواخ المقامة من جريد النخل وسعفه واستعيض عن الطين واللبن فى إنشاء المساكن بالحجارة المستحضرة من الشواطىء الضحلة للخليج والجص والأخشاب البحرية المستوردة فى أول الأمر ثم الخرسانة المسلحة والمواد الحديثة الأخرى حيث أخذ السكان يتنافسون فى بناء المنازل الأنيقة والعمارات الشاهقة لغرض السكن والاستثمار .

ومما أسهم فى زيادة العمران واتساعه وصول التيار الكهربائى إلى جميع المنازل حيث كانت الدمام من أسبق مدن المنطقة إلى تكوين شركة أهلية مساهمة للكهرباء وذلك منذ سنة ١٣٧١ للهجرة ، وكذلك تعميم شبكة مواسير مياه الآبار الإرتوازية على المنازل حيث تخلص السكان من أعباء الاعتماد على السقائين الذين كانوا يجلبون المياه إليها من بئر القلعة .

ومن أسباب اتساع العمران فى الدمام قيام شركة آرامكو ببناء مدينة حديثة منظمة أنشأتها فى الناحية الجنوبية من الدمام للراغبين فى السكن من عمالها هناك وذلك ضمن برنامج بناء مساكن للعمال بقروض طويلة الأجل كانت الشركة قد تبنته منذ سنة ١٩٥١م .

وقد كان للدمام من هذا البرنامج نصيب الأسد حيث بلغ عدد منازل مدينة العمال زهاء ١٧٠٠ منزل من مجموع ٢٨٠٠ منزل أنشأتها الشركة خلال العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجرى ، كما حققت الدمام بصورة عامة فى العقد المذكور إنجازات واسعة فى كافة ألوان النشاط العمرانى والتنظيم الإدارى واضطراد الزيادة فى عدد السكان .

فعلى الصعيد العمرانى أخذت الرقعة السكنية تزداد اتساعاً يوماً بعد آخر فأصبحت المنازل الأنيقة والعمارات والمساجد والمدارس والأسواق والشوارع المعبدة الواسعة المزدانة بالأشجار والمصابيح الكهربائية من المناظر المألوفة فى جميع أحياء المدينة .

أما على الصعيد الإدارى فقد كانت الدمام منذ وصول الدواسر إليها سنة ١٣٤١هـ حتى سنة ١٣٧١ هـ إمارة محدودة شغل القيام بمهامها على التوالى كل من أحمد بن عبد الله الدوسرى ثم أحمد السديرى . فمحمد بن ماضى إلا أنها بحلول سنة ١٣٧٢ للهجرة أصبحت قاعدة المنطقة بأسرها حيث صدر الأمر الملكى للأمير سعود بن عبد الله آل جلوى بنقل كرسى

الإمارة من الهفوف إلى الدمام ، كما نقلت إليها أيضاً الدوائر الرئيسية القائمة آنذاك فى الهفوف كإدارة المالية ومعتمدية التعليم ، كما تم استحداث العديد من الدوائر والمكاتب والمؤسسات الحكومية لوكالة الأمن العام وأمانة الجمارك ومكتب العمل والعمال ومؤسسة النقد العربى السعودى ومندوبية الصحة ومايتبعها من المستشفيات والمراكز الصحية ناهيك عن تطوير وتنمية الدوائر التى كانت قائمة فعلاً فى المدينة قبل اتخاذها حاضرة للإقليم كالبلدية التى كانت عند بدء تأسيسها سنة ١٣٦٠ هجرية – ١٩٤٢ م مكتباً صغيراً تابعاً لبلدية الخبر أصبحت بفضل النمو السريع للمدينة وتعاظم الخدمات المتوخاة من بلديتها من أنشط بلديات المنطقة الشرقية وأسرعها استجابة لمقتضيات التطور والرقى فاضطلعت بدور رائد فى تخطيط المدينة وتنظيمها وتأمين الخدمات اللازمة لسكانها ، ولمساعدتها على آداء هذه المسئولية الجسيمة تم فى ١٣٧٤/٥/٢١هـ – ١٩٥٤م انتخاب أول مجلس بلدى لها وكان مكوناً من السادة (١) عبد الرحمن العثمان رئيساً وعضوية كل من حسين الأشول ، ناهض عبد العزيز ، السيد صالح سلمان الصراف ، على أحمد الغامدى ، على بن هديب ، عبد الهادى عمر ، فكان من أهم ماقدمته البلدية فى إطار مسئولياتها تخطيط الأراضى وبيعها على المواطنين بأسعار متهاودة وكذلك تصاميم البناء ومراقبة تنفيذها وتعبيد الشوارع وإنارتها وإنشاء الأرصفة بها وتشجيرها وتزويدها بالإشارات المرورية وتأسيس المرافق الحيوية كالحدائق والعناية بالنظافة العامة وصحة البيئة ومراقبة الأسواق وإنشاء المشاريع والمرافق الحيوية اللازمة للنمو السريع والاتساع العظيم الذى طرأ على المدن فى تسعينات القرن المنصرم حيث التهم العمران بالدمام والخبر والظهران مابينها من الصحارى فأصبحت وكأنها مدينة واحدة واسعة الأرجاء تخترقها طولاً وعرضاً شبكة حديثة من الكبارى والطرق ذات المسارات المتعددة . وبذلك أصبحت الدمام بما توفر لها من أسباب النمو والازدهار مدينة عصرية متطورة تزخر بالعديد من العمارات الشاهقة والقصور البديعة والحدائق الغناء والفنادق الفخمة والأسواق المفعمة بألوان البضائع والسلع وعشرات المصارف ومئات الوكالات التجارية وشركاتها والعديد من المشاغل والمصانع لإنتاج المواد الإنشائية والأثاث المنزلى ، وفيها من المستشفيات المستشفى المركزى ومستشفى الولادة وهما حكوميان

---

(١) جريدة أخبار الظهران : العدد الثانى الأحد ١٣٧٤/٦/٢٧هـ – ٢٠ شباط ١٩٥٥م

ومستشفى أهلى وعشرات المراكز الصحية الحكومية وبعض المستوصفات الخاصة وفيها من المدارس مايربو على مائتين وخمسين مدرسة حكومية للجنسين فى مختلف المراحل الدراسية علاوة على بعض المدارس الخاصة والأهلية ، كما يوجد فى الدمام للتعليم الجامعى ثلاث كليات تابعة لجامعة الملك فيصل بالأحساء هى كلية العلوم وكلية الهندسة وكلية الطب ، كما يوجد بها أيضاً كليتان تابعتان للرئاسة العامة لتعليم البنات هما كلية الآداب وكلية العلوم علاوة على كليتين للتعليم المتوسط إحداهما للبنين وأخرى للبنات ، وإلى جانب ذلك يوجد عدد من المعاهد والمدارس الفنية والمهنية .

ومن الروافد الثقافية التى واكبت نشأة النهضة التعليمية بالدمام إنشاء أول مطبعة تعرفها المنطقة وهى المطبعة المعروفة باسم المطبعة السعودية التى أسسها الأديب الكبير خالد الفرج وذلك فى حدود سنة ١٣٧١ للهجرة كما صدرت فى الدمام أول صحيفة تشهدها المنطقة أصدرها الأستاذ الأديب عبد الكريم الجهيمان تحت اسم أخبار الظهران وذلك فى ١٣٧٤/٥/١هـ ١٩٥٤/١١/١٦م وقد استمرت هذه الصحيفة ثلاث سنوات ثم توقفت عن الصدور . كما صدرت فى الدمام أول مجلة تعرفها المنطقة أيضا وهى مجلة الفكر الجديد وقد أسسها الأديب يوسف الشيخ يعقوب وذلك سنة ١٣٧٤هـ وقد توقفت هذه المجلة عن الظهور بعد ثلاثة أعداد من صدورها وبعد قيام نظام المؤسسات الصحفية الأهلية فى شعبان سنة ١٣٨١هـ يناير ١٩٦٢م أنشئت فى الدمام مؤسسة دار اليوم فأصدرت جريدة اليوم أسبوعية ثم نصف أسبوعية ثم يومية وقد صدر عددها الأول فى ٢ شوال سنة ١٣٨٥ هـ ولاتزال تزاول دورها الرائد فى نشر الوعى الثقافى واستقطاب أقلام الكتاب فى المنطقة تحت إشراف رئيس تحريرها الأستاذ الأديب خليل الفزيع .

ومن هنا دخلت الدمام طوراً من النهضة الشاملة فى كافة المرافق الحياتية وأصبحت حاضرة المنطقة الشرقية ، ويقطنها الآن عدد كبير من كافة أرجاء المملكة وكثير من الجاليات العربية من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والسودان واليمن الشمالى والجنوبى وعُمان والبريمى وفيها عدد قليل من الجاليات الأجنبية .

ويقدر عدد السكان فى الإحصاء الذى أصدرته مصلحة الإحصاءات العامة فى وزارة المالية والاقتصاد الوطنى عام ١٣٩٧ هجرية بـ ١٢٥٣٣٥ نسمة .

الخـــبر

الخبر بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها راء اسم يطلق على المدينة الساحلية الواقعة فى الزاوية الشمالية الشرقية من الظهران يكتنفها الخليج العربى من ناحيتى الشرق والجنوب ، وهى من أجمل مدن المنطقة الشرقية وأكثرها تنظيماً وازدهاراً بالعمران الحديث .

وقد تأسست مدينة الخبر على أنقاض عمران غابر كما تدل على ذلك بعض الملتقطات الأثرية هناك ، وقد بدأت مسيرتها مع الاستيطان الجديد (١) فى ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ هجرية الموافق ١٩٢٣م حين اختارها محمد بن راشد بن جبر الدوسرى وأتباعه مقراً لإقامتهم بعد نزوحهم من البحرين فى التاريخ المذكور ، وقد استقر هؤلاء فى أكواخ أقاموها من جريد النخيل التى تم إحضارها من مزارع النخيل فى القطيف ، وقد ظل الاستيطان يسير فيها بخطى وئيدة حتى صار إنتاج الزيت بكميات تجارية ممكناً سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٣٨م إذ فى هذا التاريخ أخذ العمران فى الخبر يظهر بصورة متزايدة وأهم الأسباب الكامنة وراء ذلك تعود لقرب هذه المدينة من مقر إدارة شركة الزيت العربية الامريكية (أرامكو) بجبل الظهران من ناحية وقربها أيضاً من البحرين ذات الموقع المتميز فى مجال التجارة والاتصال إذ سرعان ماقامت شركة الزيت بإنشاء فرضة بحرية فى الخبر تستطيع من خلالها الاتصال بالبحرين والحصول على كل ماتحتاج إليه من المؤن والمعدات عن طريقها ، وقد أنشأت على مقربة من الفرضة بعض المستودعات لحفظ الزيت ومهدت الطريق بين جبل الظهران وبين تلك المنشآت فى الخبر فكان ذلك من دواعى النمو السريع في عمران هذا الموضع واستيطانه من قبل المشتغلين فى صناعة الزيت والوافدين إلى هذه المنطقة بحثاً عن فرص العمل ومزاولة التجارة .

وقد أفضى نمو الخبر السريع وتعاظم عدد الوافدين على الاستيطان بها إلى وضع الترتيبات اللازمة لتنظيمها إدارياً فتأسست فيها إمارة سنة ١٣٥٩هجرية وقد أسندت مهام العمل بها للأمير محمد بن عبد العزيز بن ماضى وظل فيها حتى سنة ١٣٦٤ هـ ثم تولى بعده الإمارة على التوالى كل من :-

---

(١) - عبد الله احمد الشباط - هذه بلادنا ص ٤٥ - ٤٦

الأمير خالد السديرى سنة ١٣٦٤ - ١٣٦٦هـ ثم الأمير محمد الخويطر من سنة ١٣٦٦-١٣٦٨هـ ثم الأمير مبارك بن نمشان من سنة ١٣٦٨-١٣٦٨هـ ثم الامير عبد العزيز ابن عبد العزيز بن ماضى من سنة ١٣٦٨-١٣٧٥هـ ثم الأمير عبد الرحمن بن عيسى الرميح من سنة ١٣٧٥- ١٣٨٨هـ ثم الأمير سعود الشويعر من سنة ١٣٨٨-١٣٩٥هـ ثم الأمير عبد الله بن نمشان من سنة ١٣٩٥-١٣٩٧هـ ثم الأمير إبراهيم الثنيان من سنة ١٣٩٧ ...

وفى سنة ١٣٦٣ هجرية تم تأسيس المحكمة الشرعية بالخبر وكانت فى أول الأمر تابعة إداريا لقاضى الظهران وأول من باشر القضاء فيها الشيخ صالح العنقرى ثم أعقبه على التوالى كل من الشيخ عبد الله بن دهيش ، الشيخ عبد العزيز بن محيميد، الشيخ محمد بن غباش ، الشيخ عبد الله بن عساف ، الشيخ محمد بن عودة والشيخ عبد الله بن فريان والشيخ عثمان الحقيل والشيخ عثمان التميرى ، والشيخ أحمد اليحى والشيخ عبد العزيز آل يحي والشيخ عبد اللطيف العامر .

وفى سنة ١٣٦١هـ-١٩٤٢م صدر الأمر الملكى بإنشاء بلدية الخبر وأسندت رئاستها إلى محمد القصيبى ثم أعقبه لطفى ناجى الحداد فعبد الوهاب سلامة وفى سنة ١٣٧١هجرية تولى رئاستها عبد الرحمن بن شعوان الذى استمر فيها إلى أن تقاعد سنة ١٣٩٢هجرية .

أما أول مجلس بلدى فى الخبر فقد تشكل من السادة حمد بن على الدوسرى رئيساً وعضوية كل من محمد الخزيم ، وعبد الرازق النصار ومحمد بن عبد المطلب وعلى بن عبد الله التميمى وحمد القصيبى ومحمد بن عبد الله المانع ، ثم أجريت انتخابات المجلس البلدى ليدخلها كل من :- حمد عيسى الدوسرى ، راشد محمد الدوسرى ، عبد الله بن عبد العزيز الدوسرى ويصبح الشيخ محمد الخزيم رئيساً للمجلس .

وفى سنة ١٣٥٨هـ صدر لأول مرة نظام توزيع الأراضى فى كل من الخبر والدمام وهذا نصه : إن حكومة جلالة الملك المعظم رغبة منها فى تشجيع العمران وتوصلاً إلى راحة الرعايا قد أذنت بإنشاء مدينة الخبر فى مقاطعة الأحساء وفق الخارطة النموذجية الموجودة لدى ممثل مكتب المعادن والأشغال العمومية ووضعت الشروط التالية للعمل بموجبها :(١)

١ - يحق لكل رجل من رعايا المملكة العربية السعودية أن يطلب قطعة أرض فى الخبر لإنشاء بناية عليها وفق الشروط التى تشترطها مصلحة التنظيم .

---

(١) - عبد الله أحمد الشباط - هذه بلادنا - ص ٤٩ -٥٠ .

٢ - لاتتقاضى الحكومة أى أجر على الأرض الممنوحة لمدة عشر سنوات تبدأ من تاريخ إعطاء الرخصة .

٣ - يكون الطالب ملزما بالأجر السنوى الذى تقرره الحكومة للأرض بعد مضى المدة المذكورة .

٤ - يقدم الطلب من الأفراد إلى ممثل المكتب وفق النموذج رقم ١ الملحق بهذه التعليمات .

٥ - يشترط مباشرة البناء فى الأرض الممنوحة بعد مضى ستة أشهر من تاريخ التسجيل وأن لاتمر سنتان إلا ويكون البناء قد أكمل وإن مضت المدة الأولى ولم يشرع فى البناء تسحب الرخصة وإذا أمضى المدة الثانية دون أن يكمل البناية فللحكومة الحق فى سحب الرخصة وبيع الأنقاض المقامة عليها إلى الغير .

٦ - غير مسموح بالبناء إلا بعلو طابق واحد فى كل المدينة إلا الصف الأول المطل على البحر فقط.

٧ - يمنع إقامة المنازل من الجريد والسعف والخشب ونحوها ويقتصر على البناء الحجرى أو بالإسمنت فقط إلا فى الأماكن التى يعينها الممثل فى الجهة الجنوبية من الخبر بعيدا عن منطقة الشركة .

٨ - لايسوغ لأحد شراء شيء من الأنقاض أو الأراضى إلا إذا كانت مسجلة لدى كاتب العدل كما لايجوز البيع أيضاً إلا بالطريقة نفسها ولرعايا المملكة العربية السعودية فقط .

٩ - على كل من يملك أرضاً بطريق الهبة الملكية أو التملك قبل صدور هذا النظام أن يسجلها وفق الأصول لدى كاتب العدل .

١٠- يسمح ببقاء المنازل المقامة الآن من الجريد أو السعف باستثناء مايكون منها فى خط التنظيم ولايسمح لأصحابها بتجديدها ويعطى لهم وقت معقول لتبديلها بالحجر .

١١- إن الموجودين من الدواسر فى الخبر الذين هاجروا إلى هذه البلاد واستوطنوا فيها وبنوا عليها دورهم ومساكنهم تنفذ فى شأنهم المواد التالية :

ا - تسجل دورهم ومساكنهم الموجودة حتى الآن بأسمائهم كمنحة من جلالة الملك المعظم مجاناً بناءً على طلب يقدم منهم للممثل وفق النموذج رقم ٢ .

ب - لايجوز لهم فى حالة بيعها أن يأخذوا أرضاً أخرى .

جـ - المساكن التى تكون فى حدود الشوارع ولمصلحة التنظيم تزال ويعوض أهلها بدلها أرضا أخرى وتدفع لهم المساعدة التى تراها الحكومة تفضلا منها .

١٢- تعين هيئة للتسجيل وترتيب المبانى تحت إشراف ممثل مكتب المعادن وعضوية كل من مدير مالية القطيف ومدير الأملاك الأميرية وكاتب العدل ومدير البلدية وأحمد بن عبد الله الدوسرى وعيسى ابن راشد الدوسرى .

١٣- على الهيئة المذكورة تطبيق هذه التعليمات ويعهد إلى مأمور التنظيم والمبانى بالخبر المراقبة الفعلية على إنفاذه .

١٤- تطبيق هذه التعليمات نفسها على بلدة الدمام .

كما قامت شركة الزيت العربية الأمريكية (ارامكو) بناءً على طلب من الأمير سعود آل جلوى بوضع مخطط لمدينة الخبر وقد جاء فى صورة وحدات مستطيلة تبلغ مساحة الوحدة منها ١٣٠×٢٠٠ قدم أما الشوارع فيتراوح عرضها من ٤٠-٦٠ قدماً ثم توالى بعد ذلك ظهور عدد من المخططات الرئيسية التى توخت متطلبات النمو العمرانى والزيادة المنتظرة فى الإقبال على طلب الأراضى للأغراض المختلفة وفى سنة ١٣٧٣هجرية تم تخطيط مدينة الثقبة الكائنة على بعد ثلاثة أكيال غرب مدينة الخبر .

وفى سنة ١٣٧٩ للهجرة أخذت المبانى تظهر فى الضاحية الغربية للخبر وكانت مظاهر البناء القديم قد أخذت فى التلاشى منذ بداية العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجرى حيث اختفت الأكواخ تماماً وحلت محلها البنايات المنشأة من الحجارة والجص والأخشاب المستوردة ثم استعمال الخرسانة المسلحة ووسائل البناء الحديثة ومواده ، وقد عمت شبكة المياه النقية المستمدة من الآبار الإرتوازية جميع المنازل ، وكان سكان الخبر قبل ذلك يعتمدون فى شربهم على السقائين لإحضار المياه من آبار النهيدين أو بئر بدحان .

وقد تأسست فى الخبر شركة أهلية للمياه قام بتأسيسها (١) محمد بن عبد الرحمن السعيد وذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٤هـ - فبراير سنة ١٩٥٥م وقد قُدرت أسهمها بعشرين ألف سهم قيمة السهم خمسون ريالاً ، وكان الحد الأدنى للمساهمة يقدر بسهمين . كما وصل التيار الكهربائى إلى المنازل فى الخبر عندما تمكن سكانها سنة ١٣٧٠هجرية - ١٩٥٠م من تأسيس أول شركة أهلية فى تاريخ المنطقة ، كما اضطلعت بلدية الخبر بدور رائد فى تطوير المدينة وتحسينها وإيجاد جميع المرافق الحيوية بها فعبدت الشوارع بالأسفلت وأقامت فيها الأرصفة وزودتها بالإشارات المرورية وجملتها بالأشجار البديعة والمصابيح الكهربائية ، كما والت عنايتها بمختلف الخدمات البلدية فأنشأت سنة ١٣٨٠هجرية أول مشروع للصرف الصحى تعرفه المنطقة وبذلت كل مافى وسعها للعناية بالنظافة العامة وصحة البيئة والإشراف على سير العمران بالمدينة والنهوض بها إلى أقصى مراتب النمو والازدهار فظهرت فيها

---

(١) - جريدة اخبار الظهران - العدد الثانى الأحد ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٧٤ هـ - ٢٠ فبراير ١٩٥٥م

العمارات الشاهقة والمساجد الرحبة والفنادق الفاخرة والحدائق الغناء والمنازل الأنيقة والقصور المنشأة على أحدث طراز إلى جانب الأسواق المتنوعة الرائجة المائجة بأجود البضائع وأنفس السلع .

ولاستراتيجية موقع الخبر وغلبة الطابع التجارى عليها تركزت فيها الأعمال البنكية وحركة الصيرفة فكثرت فيها المصارف والبنوك والوكالات التجارية والشركات العاملة فى كل ألوان النشاط الاقتصادى .

وفى إطار النهضة الشاملة لكافة المرافق الحيوية بها يوجد فى الخبر من المنشآت الصحية مستشفى حكومى عام وآخر تعليمى يتلقى فيه طلاب كلية الطب التابعة لجامعة الملك فيصل تدريبهم إلى جانب أربعة مستشفيات أهلية وعدد من المراكز الصحية الحكومية والمستوصفات الخاصة ، كما يوجد فى الخبر للتعليم عشرات المدارس من مختلف المراحل للجنسين وعدد كبير من المكتبات التجارية الخاصة .

وقد شهدت الخبر من ألوان النشاط الفكرى ظهور أهم مجلة شهرية ثقافية عرفتها المنطقة تلك هى مجلة الإشعاع وقد صدرت فى محرم سنة ١٣٧٥ للهجرة تحت إشراف رئيس تحريرها الأديب سعد البواردى وقد استمرت قرابة عامين حيث توقفت عن الصدور فى ذى القعدة سنة ١٣٧٦ للهجرة .

كما قام الأستاذ عبد الله أحمد الشباط فى بداية عام ١٣٨٥ هجرية بإصدار مجلة شهرية تحت عنوان الخليج ولكنها توقفت بعد العدد الرابع ثم صدرت عام ١٣٧٧ هجرية وتوقفت عن الصدور سنة ١٣٧٩ هجرية .

وصفوة القول أن مدينة الخبر اليوم من أكثر المراكز الحضارية نمواً وازدهاراً فقد استقطبت المهاجرين من كافة أرجاء المملكة والبلدان العربية وقد اتسعت رقعتها واتصل عمرانها المتنامى بالدمام والظهران ، وقد بلغ عدد سكانها فى تقدير إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية ٧٠٧٥٠ نسمة فى كل من الخبر والثقبة .

الظـــهران

الظهران اسم للمنطقة الممتدة من الدمام شمالاً إلى مدخل دوحة رحوم جنوباً ، وقد أطلق هذا الاسم فى الأصل على الجبل الواقع وسط هذه المنطقة لكونه أبرز معالمها ، ثم اتسع مدلول الاسم فشمل ماحوله من الأراضى .

ويفهم من كلام شارح ديوان إبن المقرب أن مسمى الظهران يمتد إلى ساحل البحر فيشمل موقع مدينتى الخبر والدمام فهو ينعته بقوله «بلد على ساحل البحر ذو نخيل وأشجار ومداخيل من بر وبحر» .

وتدل الآثار وآلاف المدافن الموجودة فى جبل الظهران على أن هذا الموضع كان منذ العصر النحاسى من أهم مناطق هذه البلاد وأكثرها عمراناً بالقرى والواحات وأكثرها إزدحاماً بالسكان . ومن أقدم القبائل العربية التى استوطنت الظهران بطون من نكرة من عبد القيس وذلك حين تغلبت هذه القبيلة على بلاد البحرين واقتسمتها فيما بينها على مايذكر البكرى وابن شبه .

وفى معجم البلدان (١) الظهران قرية بالبحرين لبنى عامر من بنى عبد القيس . وفى هذا دلالة واضحة على أن العمران بهذه المنطقة ظل مستمرا حتى ظهور الاسلام بل إن مصادر التراث قد أشارت إلى أن هذا الموضع كان آنذاك من أهم مراكز الإنتاج الصناعى والتجارى فى هذه البلاد فإليها تنسب الثياب الظهرانية ومنها تصدر إلى الخارج ، وقد ظلت الظهران عامرة بالزراعة الوافرة حتى القرن السادس الهجرى . فقد ذكر شارح ديوان ابن المقرب أن الأمير العيونى أبا على الحسن حين سمع بقدوم أبى سليم بن على عليه فى القطيف هب لملاقاته مشياً قبل أن يصل الى القصر ثم أقطعه بلداً تسمى الظهران على ساحل البحر ذات نخيل وأشجار وثمار كثيرة وزروع ومداخيل من بر وبحر فنزل بقصره وحرّم أن توقد فيها نار للضيافة غير ناره حتى مات وفى ذلك يقول ابن المقرب (٢):

منا الذى لم يدع ناراً بساحته ... تذكى سوى ناره للضيف إن قدما

---

(١) - ياقوت معجم البلدان ص ٦٣ - دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٦هـ

(٢) - ديوان إبن المقرب ص ٥٤٥

ولكن الشيخ حمد الجاسر (١) يرى فى قيام الأمير العيونى باقطاع الظهران لأبى المنصور هذا دليلاً على مدى الضعف الذى منيت به هذه البلدة إبان تلك الفترة .

ومن هنا يمكن القول أن أهمية الظهران قد أخذت فى التضاؤل والانكماش حتى التهمته الصحراء وفقد مقومات الاستيطان الدائم ولم يعد به من أسباب الحياة (٢) سوى بعض الآبار الواقعة فى الناحية الجنوبية منه فى المنطقة المعروفة باسم مدرارة علاوة على وجود بعض أشجار النخيل المتناثرة هنا وهناك فى صورة مجموعات صغيرة ، ولذلك كان هذا الموضع إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى مجرد موضع من المواضع التى ينتجعها البدو من وقت إلى آخر لرعى مواشيهم ولم يكن بين أحلام اليقظة لدى إنسان شبه الجزيرة العربية آنذاك أن تمتد يد المدنية والحضارة إلى هذه المنطقة القاحلة الجرداء فتحيلها فى برهة من الزمن الى جنة تملك من أسباب النعيم ومظاهر الحضارة مايفوق كل تصور ويربو على كل خيال .

وقد بدأ الظهران مسيرته الحضارية هذه عندما وصلت الى البلاد طلائع المنقبين عن الزيت واتخذت من جبل الظهران موقعا أقامت عليه قرية من المبانى الخشبية لإيواء الجيولوجيين فى سبتمبر عام ١٩٣٣م ، ولما تم إكتشاف حقل الظهران وثبتت جدوى انتاجه تجارياً عقدت الشركة العزم على إتخاذ الظهران مقراً رئيسياً لإدارتها فأنشأت به مدينة عمالية مكونة من ثلاثة أحياء (٣) يقع الحى الأول منها فى سفح الجبل من ناحية الشرق ويعرف بالحى السعودى وهو متواضع البناء وقد خصص لطبقة العمال العموميين .

ويقع الحى الثانى فى أعلى الجبل الى الشمال من الحى الامريكى ويسمى حى المنيرة وهو أفضل من الأول بناءً وأحسن تنظيماً ويشتمل على بعض المرافق الثقافية والترفيهية منها مكتبة ومسبح عام وناد للالعاب الرياضية ويسكنه الطبقة المتوسطة من العمال .

أما الحى الثالث فيعرف بالحى الامريكى وهو أكثر من الحيين السابقين رقياً وأحسن تنظيماً وقد خصص لسكنى رؤساء الدوائر والأقسام وكبار العمال وهو عبارة عن مدينة رائعة التنظيم تزخر بالمنازل الأنيقة المحاطة بالحدائق الغناء وتخترقها طولاً وعرضاً الشوارع الواسعة

---

(١) حمد الجاسر : المعجم الجرافى للمنطقة الشرقية جـ٣ ص١١٠٦

(٢) لوريمر : دليل الخليج القسم الجغرافى جـ٢ ص ٥٥٣ : ٥٥٥

(٣) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ص ٣٨ - ٣٩

المزدانة بالمصابيح الكهربائية والأرصفة المبلطة والأشجار الوارفة الظلال ، كما تشتمل هذه المدينة على جميع المرافق الحيوية والترفيهية كالنوادى الرياضية وملاعب الأطفال والحمامات الواسعة والمطاعم الفاخرة .

وبالقرب من الحى الأمريكى تنتشر المبانى الخاصة بدوائر أعمال الشركة ومخازنها والورش الخاصة بها ، كما أقام بعض عمال المقاولين التابعين للشركة والوافدين للاستفادة من فرص العمل بالظهران مدينة من الأكواخ الخشبية والخيام فى الموضع المعروف بالنهيدين (١) الواقع شمال شرق جبل الظهران . غير أن اندلاع الحريق بهذه الأكواخ أكثر من مرة صار يعرض منشآت إنتاج الزيت للخطر الشديد فقررت الحكومة إزالتها فشكلت لجنة من رؤساء بعض الدوائر أناطت بها مهمة اختيار موضع مناسب يتحول إليه سكان النهيدين وتقدير المبالغ المالية لتعويضهم عن مساكنهم ومساعدتهم فى الانتقال إلى الموضع الذى يقع عليه الاختيار وقد اختارت اللجنة الثقبة لتكون بديلاً عن النهيدين ، وعمدت إلى حصر المساكن القائمة هناك فكان عددها أربعمائة وعشرين منزلاً تقرر منح أصحابها أراض مجانية فى الثقبة مع تقدير أثمان منازلهم وإضافة ٣٠٪ من تكاليف إعادة بنائها ، وبالنسبة للذين لايملكون مساكن خاصة بهم من سكان النهيدين تقرر إعطاؤهم أراض فى الثقبة بقيمة رمزية لاتتجاوز نصف قرش للمتر المربع الواحد ، وفى الوقت ذاته كان العمران يسير فى الظهران بخطى واسعة ، وقد تضافرت جهود الدولة مع شركة الزيت فى تطوير المدينة وتنظيمها فأحدثت بها مختلف المرافق الحيوية والدوائر الرسمية اللازمة لتنظيم سير الحياة فيها ، ففى سنة ١٣٥٤ للهجرة قامت الحكومة بإنشاء أول إدارة شرطة للظهران وقد أسندت إدارتها للواء غالب توفيق وتتبع إدارياً إدارة الشرطة فى الخبر وكانت تمارس عملها أول الأمر فى غرفتين خشبيتين ، وفى حدود سنة ١٣٥٩ للهجرة تم إنشاء مبنى خاص بها وفى سنة ١٣٥٨ للهجرة تأسست محكمة الظهران الشرعية وقد أسندت رئاستها للشيخ عبد الله ابن عبد العزيز آل مبارك وظل يمارس مهام عمله أول الأمر فى خيمتين حتى خصص للمحكمة غرفتان من الغرف التى أنشأتها الشركة للعزاب من عمالها .

وفى سنة ١٣٦٥ للهجرة تم إنشاء مبنى خاص بهذه المحكمة ، كما صارت محاكم كل من الدمام والخبر والقطيف تابعة لرئاستها .

---

(١) - عبد الله أحمد الشباط هذه بلادنا ص ٥٣

ومن أهم المنشآت الحيوية والمرافق العامة التى تم تأسيسها فى المراحل الأولى من مسيرة الظهران العمرانية إنشاء الجامع الكبير بهذه المدينة سنة ١٣٥٨ للهجرة ومستشفيان مجهزان بأحدث وسائل الراحة والعلاج قامت شركة الزيت بإنشائهما هناك خصصت الأولى لعلاج كبار الموظفين والعمال وأسرهم أما الثانية فلعلاج الموظفين العموميين وعوائلهم ، كما تم فى هذه المدينة إنشاء عدد من الأسواق بينها أربع بنايات من الحجر تحتوى على ٤٨ متجراً ، على أن من أهم المنشآت التى أعطت لهذه المدينة أهمية خاصة وبعدا حضاريا مطار الظهران (١) الذى تم انشاؤه فيها سنة ١٣٦٦ للهجرة – ١٩٤٦ م فى الناحية الشرقية الجنوبية من هذه المدينة لكونه يمثل دائرة اتصال عظيمة الأهمية للعديد من الخطوط الجوية العالمية ، وقد أنشىء فى هذا المطار إلى جانب المدرجات الكبيرة القادرة على استقبال الطائرات العملاقة عدة بنايات من أجملها وأروعها تصميما المبنى الخاص بالمطار الجوى المدنى الذى أنشىء على الطراز المعمارى الشرقى وكان فى وقته يعد من أبرز المعالم فى هذه البلاد .

وفى الظهران أيضاً محطتان للتلفزيون مستقلة إحداهما عن الأخرى منها محطة بالمطار تبث برامجها باللغة الإنجليزية . أما الأخرى فترسل برامجها باللغة العربية وقد تأسست هذه المحطة فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٧م وإرسالها قوى يغطى مساحة تشمل الأحساء وقطر وجزيرة البحرين وقد توقفت عن البث حين أسست وزارة الإعلام محطة تلفزيون المملكة العربية السعودية فى مطلع العقد التاسع من القرن الرابع عشر الهجرى ، كما قام قسم الدعاية والنشر فى الشركة بإصدار مجلة شهرية وجريدة أسبوعية تحت اسم قافلة الزيت وكلتاهما توزعان مجاناً وقد صدر العدد الأول من قافلة الزيت الشهرية فى شهر صفر سنة ١٣٧٣ للهجرة – اكتوبر سنة ١٩٥٣م .

وسعيا وراء إيجاد الكوادر العمالية المدربة فقد أنشأت شركة أرامكو فى الظهران لعمالها عدداً من المعاهد المهنية التثقيفية كان لها أبلغ الأثر فى تثقيف العمال وتنمية قدراتهم الإنتاجية ، وإلى جانب ذلك تم تأسيس المدارس فى مختلف المراحل للجنسين من أولاد سكان هذه المدينة ، وقد أولت الدولة اهتماما بهذا الجانب فأنشأت فى الظهران العديد من المعاهد الفنية والعسكرية كما اختارت هذه المدينة مقراً لإنشاء كلية البترول والمعادن التى مالبثت

---

(١) – محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ص ٣٩

حتى أصبحت سنة ١٣٩٥ للهجرة - ١٩٧٥ م جامعة من أكبر الجامعات فى هذه المملكة وصرحاً علمياً من أبرز صروح العلم فيها ، فهى تضم ست كليات وهى كلية العلوم الهندسية وكليـة العلـوم ، وكلية الهندسة التطبيقية ، وكلية الإدارة الصناعية وكلية تصاميم البيئة ، وكلية الدراسات العليا إلى جانب معهد البحوث وعمادة لشئون المكتبات ، وقد شغلت هذه الجامعة مساحة كبيرة من جبل الظهران من الناحية الشرقية فأصبحت بما تشتمل عليه من المنشآت الخاصة للتحصيل العلمى ومبانى سكن الطلاب والأحياء السكنية التى بنتها الجامعة لمنسوبيها من المدرسين والموظفين والعمال تكوّن فى حد ذاتها مدينة عصرية متطورة .

ولم يزل النمو والتنظيم يجرى فى الظهران بسرعة مذهلة حتى التهم العمران معظم الأراضى الفضاء التى كانت إلى عهد قريب تفصل بين كل من الظهران والدمام والخبر حيث ظهر فيها العديد من الأحياء الجديدة الزاخرة بالمبانى الأنيقة والشوارع الفسيحة المزدانة بالأشجار المنسقة والأضواء المتلألئة ، كما زخر الجزء الآخر من تلك الأراضى بالمئات من المصانع والمعامل والورش ذات الأغراض المختلفة كما استغلت أجزاء متعددة من الساحل لإقامة المسابح والحدائق والمتنزهات وغيرها من المنشآت الترفيهية التى تحظى بالإقبال الشديد عليها من قبل المواطنين من داخل المنطقة وخارجها أثناء العطل الاسبوعية والإجازات الموسمية .

ويتشكل مجتمع الظهران السكانى من الوافدين من كافة أنحاء المملكة والأقطار العربية وجاليات متعددة من البلدان الأجنبية ، وقد بلغ عدد السكان المستقرين فى الظهران فى إحصاء سنة ١٣٩٧ للهجرة ١٦٢٧٨ نسمة .

رأس تنـــورة

تقع هذه البلدة على بعد ثلاثين كيلاً من مدينة القطيف وسبعين كيلاً من مدينة الظهران تقريباً فى الشمال الشرقى من خليج تاروت (١) وتشغل أعمال شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) معظم أجزاء هذه المنطقة . فمرفأ رأس تنورة يعتبر الميناء الرئيسى لأعمال الشركة حيث يتم فيه تفريغ البضائع والمعدات الخاصة بها ، كما يتم من خلاله تصدير بلايين براميل الزيت الخام بواسطة أضخم الناقلات إلى مختلف أرجاء المعمورة ، وفى محاذاة الساحل عند مدخل رأس تنورة أقيمت هناك (٢) مصفاة لتكرير الزيت بو حداتها المختلفة وأبراجها الشامخة وصهاريجها واسطواناتها المتنوعة وأفرانها ومداخنها وأنابيبها المعقدة المتشابكة، ومعظم أقسام هذا المعمل يعمل طيلة اليوم .

وعلى مقربة من المعمل يوجد هناك حيان أحدهما لكبار الموظفين والآخر لمتوسطى العمال وبعض الوحدات السكنية والمرافق اللازمة لها .

وعلى مقربة من رأس تنورة من ناحية الغرب فى الموضع المعروف باسم رحيمة كان هناك حى لصغار الموظفين مالبث حتى صار فى سنة ١٣٧٧ للهجرة - ١٩٥٣م مدينة حديثة وذلك بفضل برنامج القروض التى تقدمها الشركة لعمالها .

وقد بلغ سكان هذه المدينة فى إحصاء سنة ١٣٩٧ للهجرة ٢١١٧٣ نسمة أكثرهم من عمال الشركة وأسرهم .

---

(١) - حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٢ ص ٧٣٣

(٢) - محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ص ٤١

بُقَيْق

بقيق اسم لمنهل (١) فى منتصف الطريق بين الهفوف والظهران ولم يكن هذا الموضع شيئا مذكوراً حتى اكتشفت فيه شركة أرامكو أحد الحقول الغنية بالزيت حيث يبلغ طوله ٥٦ كيلو مترا وعرضه ٨ كيلو مترات ، وقد ازدادت أهمية هذا الموقع بعد أن تم العثور فى سنة ١٣٤٨ للهجرة على حقل الغوار (٢) الشهير الذى يعد من أكبر حقول الزيت فى العالم ويبلغ طوله ٢٤٠ كيلومترا فى عرض يتراوح من ٢٠ الى ٢٤ كيلو مترا، ويقع الطرف الشمالى من حقل الغوار على بعد ٤٨ كيلو مترا إلى الغرب من بقيق ، لذا فقد تركزت فى بقيق حركة استخراج الزيت من الحقلين سالفى الذكر فأقيمت هناك المعامل اللازمة لذلك ، كما أنشئت المرافق والمجمعات السكنية لإقامة الموظفين والعمال .

وفى ظل عناية الشركة وتحت إشرافها قامت فى سنة ١٣٧٣ للهجرة - ١٩٥٣م مدينة حديثة لايواء العمال وأسرهم ، كما أسست الدولة فى بقيق إمارة محلية وبعض الدوائر الحكومية كالمحكمة الشرعية والبريد ومكتب لشئون العمل والعمال - الخ وقد بلغ عدد سكان بقيق فى إحصاء سنة ١٣٩٧ للهجرة ٢٤٧٩٦ نسمة .

---

(١) - حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ١ ص ٢٣٨

(٢) - محمد سعيد السلم - ساحل الذهب الاسود ص ٤٣

العضـــيلية

تقع بلدة العضيلية فى الجنوب الغربى من الهفوف على بعد ٤٠ كيلومترا وقد كانت قديماً منهلاً لآل مرة ، وبعد اكتشاف الزيت فى حقل الغوار بدأ فيها العمران فأصبحت قرية مأهولة بالسكان .

وفى سنة ١٣٧٦ هجرية - ١٩٥٦م كانت بلدة العضيلية قد استكملت عمرانها بإقامة العديد من المنازل وبعض المنشآت والأسواق حيث أصبحت من أهم المراكز التى يقطنها العاملون فى صناعة الزيت .

ويبلغ عدد سكان العضيلية فى إحصاء سنة ١٣٩٧ للهجرة ٢٨٢٢ نسمة .

عـــين دار

عين دار قرية تقع غرب بقيق يحف بها من الغرب نفوذ الحويذية وشمالاً الحويذية وشرقاً وادى الجوف .

وقد تأسست فى عين دار بعض الدوائر الحكومية والمدارس بمراحلها الثلاث للجنسين ، وقد بلغ عدد سكانها فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية ٩٦٧٨ نسمة .

وعلى مقربة من عين دار تم اكتشاف عدد من المواقع الأثرية الموغلة فى القدم مما يشير إلى وجود العمران بها فى عصور سابقة على ظهور الإسلام .

حـــرض

حرض بلدة تقع فى وادى المليح فى الشمال الشرقى من انعراج وادى السبها بعد الدهناء من ناحية الجنوب .

وحرض فى الأصل (١) اسم لماء معروف هناك أشار إليه الأزهرى فى التهذيب وبعد العثور على الزيت بقرب ذلك المنهل بدأ العمران يدب فى ذلك الموضع فأنشئت هناك محطة للسكة الحديد ، وحفر عدد من الآبار الإرتوازية استغلت مياهها لإحياء أراض واسعة وأصبحت من أوسع المراعى فى تلك المنطقة ، كما أنشئت المبانى الحديثة فأصبحت بلدة تضم بعض الدوائر الحكومية كالإمارة وبعض المدارس والمساجد وبعض المرافق الصحية وغيرها .

وقد بلغ عدد سكان حرض فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية ٩٣٨٩ نسمة .

---

(١) - حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية ص ٤٨٢ جـ٢

سـلوى

سلوى منطقة تقع على الحدود بين الأحساء وقطر وهى على بعد ١٥٠ كم من الهفوف جنوباً وعلى بعد ١٠٠ كم من الدوحة .

وتشمل منطقة سلوى رأساً من البر داخل فى البحر يعرف باسمها وقد قامت عليه بلدة تشمل المبانى الحديثة وبعض المنشآت والدوائر الرسمية والمدارس والمساجد ، ويوجد فى منطقة سلوى فى إحدى واحاتها بئر قديمة عذبة الماء مبطنة بالحجارة تقع فى وسط أطلال حصن قديم مما يؤكد أثرية هذا الموضع حيث عد بعض الباحثين هذا الموضع بين الأماكن العامرة فى إقليم هجر ، وذهب بعضهم إلى القول أنه قد يكون موضع مدينة الجرهاء الساحلية . ويقدر عدد سكان سلوى فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ٨٢٦٢ نسمة .

الحَفَرُ

الحفر لغة الموضع المحفور أو التراب الذى ينبش من الحفرة وجمعه أحفار ، وقد أطلق الاسم على ثلاثة مواضع فى شبه الجزيرة العربية . فقد جاء عن الأزهرى فى التهذيب قوله «الأحفار المعروفة فى بلاد العرب ثلاثة منها حفر أبى موسى وهى ركايا احتفرها أبو موسى الأشعرى على جادة البصرة إلى أن قال عذبة الماء ومنها حفر ضبة وهى ركايا بناحية الشواجن بعيدة القعر عذبة الماء ، ومنها حفر سعد بن زيد مناة بن تميم وهى بحذاء العَرَمة وراء الدهناء يستقى منها بالسانية عند حبل من حبال الدهناء يقال له حبل الحاضر »

وأشهر هذه الأحفار حفر أبى موسى الواقع فى وادى فلج «الباطن» على طريق المواصلات من القصيم وجبلى شمر حتى الكويت والبصرة ، وقد أطلق الاسم على هذا الموضع منذ استنبط فيه الماء بأمر من أبى موسى الأشعرى أمير البصرة فيما بين سنة ١٧ و ٢٩ هجرية وقد بلغ عدد الآبار فى الموضع المذكور زهاء سبعين بئراً ، لذا أخذ العمران يدب فيه منذ ذلك التاريخ حيث تأسست هناك قرية مالبثت حتى صارت مدينة على مايفهم من كلام صاحب المناسك عندما ذكر بأن بها منبراً ومسجداً وآباراً مما يعنى أنها أصبحت مدينة تؤدي فيها صلاة الجمعة ، وكان سكانها آنذاك من بنى العنبر من تميم وقد أسند أبوموسى الإمارة فيها لسمرة العنبرى (١) إلا أن هذه المدينة منيت بالضعف والتلاشى فى أول القرن الرابع الهجرى .

ويرجع الشيخ حمد الجاسر (٢) السبب فى ازدهار هذه البلدة إبان الثلاثة قرون الهجرية الأولى ثم أفول نجمها بعد ذلك إلى كونها واقعة على طريق الحجاج القادمين من جنوب العراق وما وراء ذلك من البلاد الإسلامية ، فلما استولى القرامطة على البحرين فى آخر القرن الثالث الهجرى وأخذوا فى التعرض للحجاج بالنهب والقتل تعطل سير الحجاج . ومن هنا بدأ الضعف يدب فى هذه القرية حتى اضمحلت وبقى منها الحفر ترده البادية التى تحل فى تلك الجهات مستدلاً على ذلك بما جاء عن الأزهرى فى وصف الحفر حيث ذكر أن الحفر آبار مسنوية (٣) دون الإشارة إلى وجود قرية هناك .

---

(١) – هو صحابى جليل ترجم له ابن حجر فى الاصابة فذكر أنه سمرة بن عمرو بن قرط العنبرى ولاه خالد بن الوليد اليمامه بعد فتحها إثر حروب الردة واستعمله عثمان بن عفان على ضوال الإبل

(٢) – حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقسة جـ٢ ص ـ ٥٢٠

(٣) – مسنوية : ترفع مياهها بواسطة السوانى لعمقها .

ومن المعلوم أن الأزهرى كان ضمن من أسرهم القرامطة فى سنة الهبير ، وقد ظل الموضع بعد خراب القرية ردحاً من الزمن مجرد منهل شهير يرده من يحل هناك من البادية ، فقد أشار لوريمر (١) فيما أضفاه على الحفر من الوصف إلى أنه كان فى أيامه محطة مهمة على مسافة ١٦٠ ميلاً من الكويت وأن عدد آباره ٤٠ بئراً منها إحدى عشرة ماؤها صالح وهى تقع فى سهل واسع تترواح المسافة بين تلك الابار من ربع ميل إلى مائة ياردة ، أما عمق مياهها فنحو ٣٠ قدماً

وترد الآبار المذكورة قبيلتا الظفير ومطير وربما غيرهما .

ونظراً لموقع الحفر فى ملتقى الطرق التجارية بين المملكة والكويت فقد أنشأت الدولة فيه مركزاً لخدمة القوافل المارة عبره ، وحين اخترقته أنابيب الزيت المتجهة إلى الشام وكذلك العثور على حقول الزيت على مقربة منه أخذ العمران يزداد فيه نمواً وازدهاراً فأصبح مدينة متطورة تضم عدداً من المرافق الهامة إلى جانب مدينة عسكرية ومطار ، كما توجد به أيضاً إمارة تتبعها إدارياً ست قرى وثمانية من موارد البادية .

وقد قُدر عدد السكان فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ٢٣٤٢٢ نسمة .

---

(١) – لوريمر : دليل الخليج – القسم الجغرافى جـ٢ ص ٧٦٦

السـفانية

السفانية اسم يطلق على مدينة واكب ظهورها اكتشاف الزيت فى البلاد ، وهى تقع على ساحل الخليج شمال الجبيل ، ويوجد فى البحر على مقربة منها حقل زيت يعد أكبر الحقول البحرية فى العالم ، ويعتبر اكتشاف هذا الحقل من أهم الأسباب فى النمو السريع لهذه البلدة .

واسم السفانية يوحى بأن الموضع كان قديماً مكاناً لصنع السفن أو إصلاحها أو أن الموضع منسوب فى الأصل إلى إمرأة تدعى سفانة إذ هذا الاسم من الأعلام النسائية المعروفة عند العرب ومنهن على سبيل المثال سفانة بنت حاتم الطائى .

ويتبع السفانية إدارياً أربع قرى واثنان وثلاثون مورداً .

وقد بلغ عدد سكان السفانية فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية ٧٠١٤ نسمة .

الخَفْقِى

الخفقى وتنطق بالعامية الخفجى وهذا الاسم يشمل منطقة ساحلية فى الطرف الشرقى الشمالى من المنطقة الشرقية بإزاء الحدود مع الكويت التى لاتبعد عنها أكثر من ٢١ كيلا تقريبا .

وكان الاسم فى الأصل يطلق على رأس ممتد من الأرض داخل مياه الخليج وكان به آبار ذات مياه عذبة وكان يعد مرسى للسفن ، وقد قامت شركة الزيت العربية المحدودة بالتنقيب هناك عن الزيت ، وبعد العثور عليه هناك قامت باستثماره تجارياً فنجم عن ذلك إنشاء مدينة حديثة متطورة ضمت المنشآت اللازمة لأعمال الشركة ومنازل مريحة للعاملين بها وكذلك العديد من المرافق الحيوية اللازمة للحياة العصرية من مساجد ومدارس ومراكز صحية إلى غير ذلك ، وقد قامت إدارة العلاقات العامة فى الشركة السالفة الذكر بإصدار مجلة شهرية حملت اسم الخفقى تسير على منوال مجلة قافلة الزيت وقد صدر العدد الأول منها فى صفر سنة ١٣٩١هجرية – مايو ١٩٧١م والمدينة بصورة عامة تتمتع الآن بكل ماتتمتع به المدن الحديثة من مظاهر التقدم والرقى .

ويقدر عدد سكان الخفقى فى إحصاء سنة ١٣٩٧ للهجرة بـ ١٣٥٥٠ نسمة ويتبعها إدارياً ثلاث قرى وعشرة موارد .

قَرْيَةُ

يطلق هذا الاسم على قريتين واقعتين شرق الصمان وإلى الغرب من مرتفعات الطف ، الكبرى منهما تسمى قرية العليا وأما الصغرى فتسمى قرية السفلى ، وقد أقيمتا على أنقاض قريتين قديمتين كانت الكبرى منهما تسمى النباج والصغرى تعرف باسم ثيتل وقد تقدم الكلام عنهما وقد كانتا من المناهل المشهورة فى بلاد العرب ، وللمنهلين المذكورين ذكر فى أيام العرب قبل ظهور الإسلام بين بنى بكر بن وائل ومن يتبعهم من فروع ربيعة وبين بنى تميم ، وقد ظلت بطون من بنى تميم فى تلك الجهات حتى انتشرت فيها قبيلة مطير فى الآونة الأخيرة حيث اندمج الفريقان .

وقد استقر فى قرية العليا ابن شقير وجماعته من مطير حيث اتخذوها هجرة لهم وذلك فى سنة ١٣٣٨ هجرية ، ثم تلا ذلك عمران قرية السفلى وقد سكنها الصهبة من مطير برئاسة شيخهم الفُغمُ .

وتعد قرية العليا الآن من المدن الواسعة حيث دب فيها العمران وأصبح فيها من المرافق الحيوية مافى نظائرها من المدن ، ويتبعها إدارياً إثنان وعشرون مورداً .

وقد بلغ عدد سكانها فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية ١٠٩٣٩ نسمة .

خُرَيْصُ

خريص بلدة حديثة أنشئت بعد العثور على الزيت بقربها حيث يوجد حقل يعرف بهذا الاسم «خريص» وهى تقع شرق الدهناء وشمال غرب الأحساء ، وقد نما فيها العمران وأنشئت فيها المرافق العامة كما أنشئت فيها إمارة من إمارات المنطقة الشرقية وألحق بها عدد من موارد البادية .

ويقدر عدد سكان خريص فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ٥٦٦٩ نسمة .

الرَّقْعِىَ

الرقعى اسم لبلدة تقع على حدود المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية مع الكويت وقد أنشئت لتتخذ مركزاً حكوميا هناك ، وقد كانت فى بداية أمرها قرية صغيرة ملحقة بالقيصومة إلا أن العمران دب فيها بسرعة فنمت وكثر سكانها . وللحكومة الكويتية فى الجانب المتاخم لحدودها بعض المبانى ، وكان الرقعى قديماً اسماً للآبار الواقعة فى وادى الباطن «فلج قديماً» والذى يظهر على حد قول الشيخ حمد الجاسر (١) أنه كان يعرف باسم الرقيعى بالتصغير .

واسم الرقعى يطلق أيضا على آبار قريبة المدى تقع على بعد ٦ أكيال إلى الجنوب من القرية السالفة الذكر فى جانب منخفض من الوادى ، وهذه الآبار مهجورة الآن ويوجد على مقربة منها قصر متهدم مما يشير إلى أن هذا الموضع كان مركزاً حدوديا فى الماضى .
ويقدر عدد سكان الرقعى فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ٣١٨٢ نسمة .

---

(١) – حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ ٢ ص ٧٥٦

نِطـــاعُ

نطاع على وزن قطاع غير أن البناء على الكسر فيه جائز، حيث يجوز إعراب آخره ، كما أن النون فيه مثلثة الحركة ، ويطلق الاسم الآن على قرية تقع فى الضفة الغربية من وادى المياه بين جبلين يدعى الشمالى منهما أم الرداف والجنوبى أبو ميركه ، وفى الناحية الجنوبية الشرقية من القرية على الضفة الشرقية من الوادى هناك سبخة واسعة يوجد إلى الشرق منها قرية تعرف باسم (١) عُتيد (عتيق)

وقد عدت نطاع فى جملة القرى الكثيرة المنبثة فى وادى الستار ، وقد ورد أبو منصور الأزهرى منهل نطاع فذكر أن هناك بهاركية عذبة الماء غزيرته ، وقد كانت المياه فى تلك الناحية تجرى على وجه الأرض ينهل منها الناس والوحش على السواء الأمر الذى حمل بعضهم على اعتبارها من مرابى الوحش ومسارح الظباء .

بيد أن أغلب مياه وادى الستار قد طرأ عليها الضعف فى الآونة الأخيرة فانخفضت عن مستوى سطح الأرض وذلك بعد حفر الآبار الإرتوازية ، ولاتزال آثار المياه الجارية بادية للعيان فى بعض العيون والمستنقعات التى تغلب على مياهها الملوحة وقد كانت نطاع قبل ظهور الإسلام من بلاد بكر بن وائل من ربيعه وقد نزلها منهم بنوقيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل كما نزلها أيضاً بنو رزاح من تغلب أبناء عمومتهم ، بيد أن تميم قد أرغمت الجماعتين على الخروج من نطاع ومن بعض المواضع القريبة منه فحلت أفخاذ منها محل الجماعتين وذلك حين أغارت تميم على بنى رزاح هناك فى يوم من أيامهم ، وربما خالطت تميم فى المواضع المذكورة جماعة من ضبة ، كما قامت تميم فى نطاع بالإغارة على قافلة كان عامل الساسانيين فى اليمن قد وجهها إلى كسرى فانتهبتها وكانت تلك القافلة تسير بخفارة هوذة ابن على الحنفى رئيس اليمامة مما حمل الفرس على الانتقام من تميم فى اليوم المعروف بيوم الصفقة وسيرد الحديث عنه فى موضعه .

وقد كانت نطاع فى أول القرن الرابع عشر الهجرى قرية كبيرة كانت محاطة بسور من الطين يبلغ إرتفاعه اثنى عشر قدماً وسمكه من قدمين إلى ثلاثة أقدام ، كما يوجد فيها أربعة

---

(١) – حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ ٤ ص ١٧٤٠

مساجد ومدرسة صغيرة وسوق مكون من عشرة دكاكين ، كما يوجد بها بساتين تضم قرابة ثلثمائة نخلة وبجانبها مزارع القمح والشعير والذرة والبرسيم وتعتمد فى ريها على آبار القرية .

وسكان نطاع من الحضر الذين ينتمون إلى قبائل مختلفة كالعجمان والعوازم وبنى خالد ومطير والرشايدة وشمر ، ويعتمد السكان فى معيشتهم على ممارسة الزراعة والغوص على اللؤلؤ ومزاولة بعض الحرف كالخياطة والنجارة والحدادة وتصنع فيها الأوانى الخشبية بنموذج خاص ، وقد اعتاد البدو أن يودعوا التمر عند سكان نطاع ويأخذون منه حسب الحاجة نظير مبلغ يدفعونه لهم .

وكانت رئاسة نطاع فى أول القرن السالف الذكر لمحمد بن حبيب من الطوالة من شمر ، كما نزلها فى آخر العقد الرابع أو أول العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجرى سلطان بن حثلين ومن يتبعه من العجمان وقد وافاه الأجل فى سنة ١٣٤٦ هجرية فآلت رئاسة جماعته لابن عمه خالد بن محمد بن حثلين ، وبعد اندلاع فتنة الإخوان خرج خالد بمن معه من نطاع والتحق بجماعته فخليت القرية وأقيم فيها قصر من الطين بأمر من الملك عبد العزيز قدر طوله بأربعمائة ذراع وعرض ثلثمائة وقد وضعت فيه حامية مكونة من سبعين رجلاً عليهم أمير ، وقد زارها الشيخ حمد الجاسر (١) فذكر من مشاهداته فيها أن القصر السالف الذكر صار خاليا وقد دب فيه الخراب لكونه مبنى من الطين ، كما شاهد فى القرية بساتين نضرة ومياه صافية وحركة عمران تدل على مستقبل حسن ، وكانت القرية قد شملها العمران فاستعملت فيها الآلات الزراعية الحديثة والمرافق الحيوية وربطت بأمهات المدن بواسطة الطرق المعبدة وقدر عدد سكان إمارة نطاع فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ٨٧٦٠ نسمة ويتبعها إدارياً خمس عشرة قرية وستة وخمسون مورداً للبادية .

---

(١) – حمد الجاسر المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ ٤ ص ١٧٤٥

القيصــومة

القيصومة كما يذكر الشيخ حمد الجاسر (١) على لفظ واحدة القيصوم وهو نبات قريب الشبه بالشيح شجيرته ذات أغصان دقيقة ترتفع عن الأرض قدر ذراع ولونها أشهب وورقها صغير ورائحتها طيبة .

واسم القيصومة يطلق على مواضع ولعله من صفات الأمكنة التى تنبت القيصوم ثم أصبح علماً لتلك المواضع ومنها مانحن بصدده فالاسم يطلق على بلدة حديثة الظهور تقع فى شرق الدهناء فى الجنوب الغربى من بلدة الحفر وتقع فى الضفة الشرقية من وادى فليج الجنوبى.
فهى لذلك تقع على طريق خط ضخ الزيت المتجه إلى بلاد الشام « التابلاين »
وكانت فى أول أمرها روضة وقد حفرت بها بئر إرتوازية بعد مد الخط المذكور فما لبثت حتى أصبحت بلدة عامرة بجميع مرافق الحياة الضرورية حيث أسس بها مركز يتم من خلاله الإشراف على خط أنابيب الزيت ، وهى تتبع إداريا إمارة الحفر كما تتبعها هى الأخرى بعض القرى .
وقد قدر عدد سكانها ومايتبعها من القرى فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ٣٦٢٢ نسمة .

(١) حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ ٤ ص ١٤٩٨

مَعْقُلَة

معقلة هى إحدى رياض الصمان بقرب الدهناء على مقربة من الصلب وقد اعتبرها بعض الباحثين جزءاً منه ، وقد سميت بهذا الاسم لامساكها الماء مدة طويلة ومياهها من مياه الامطار ، ولعل صلابة أرضها تساعد على الاحتفاظ به اطول فترة ممكنة ، ويوجد فيها اكواز رمال متفرقة يقال لها الشماليل ومن نباتها السدر وقد عدها كل من الاصمعى وابومسحل وابوزيد الانصارى والازهرى جزءا من ارض الدهناء .

ويتساءل الشيخ حمد الجاسر (١) عما اذا كانت رمال الدهناء قديماً تصل الى هذا الموضع ثم انحسرت بفعل الرياح أم ان الخطأ وقع من واحد فسار عليه من أتى بعده ؟

وكانت معقلة وماحولها من بلاد ذى الرمة وقد ورد ذكرها فى كثير من شعره ومن ذلك قوله :

غراء آنسة تبدو بمعقلة   الى سويقة حتى تحضر الحفرا

ويقال معقلات وهى الان تطلق على ثلاثة مواضع :كالاول يقع فى شرق الدهناء فى الطرف الشمالى الغربى من عرق حُزوا .

وتقع معقلة الثانية الى الشمال من الاولى وتسمى روضة معقلة .

أما الثالثة فتقع فى الشمال الشرقى من الاولى ويفصل بينها دحل ابى سديرة وتبلغ المسافة بين كل منها زهاء عشرة اكيال .

والشرقية من معقلات اصبحت قرية عامرة تتبع فى الادارة امارة قرية وقد حفرت فيها بئر إرتوازية فى اول العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجرى ، وكان موقع القرية هذه يعرف أولاً بالشملول وقد غلب عليها اسم معقلة لشهرته .

وتقع معقلات فى منطقة تكثر فيها الرياض والدحال كما تكثر فى أرضها الاكام والتلاع والشعاب وهى تختلف عن ارض الدهناء من الناحية الطوبوغرافية .

وقد نبه الشيخ حمد الجاسر على الخطأ الشائع فى نطق هذا الإسم حيث ينطقه العامة بلفظ ام عقلا ومعقلا وام عقلة .

ويقدر عدد سكان معقلة فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ١٧٢١ نسمة

---

(١) - حمد الجاسر - المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية جـ٤ ص ١٦٦٧

النُعَيْرِيَّةُ

النعيرية اسم يطلق على قرية نشأت فى إثر إكتشاف الزيت وهى تقع غرب ساحل الجبيل وشرق إمارة نطاع فى الناحية الشمالية من وادى المياه .

وكانت النعيرية فى الأصل مورداً ينهل منه العابرون فى تلك الجهة ، وكانت فى أول نشأتها أكثر عمراناً حيث تسرب إليها الضعف بعد تقلص أعمال التنقيب عن الزيت فى تلك النواحى، وهى الآن إحدى إمارات المنطقة الشرقية ، وبها من المرافق العامة مابمثيلاتها من القرى من المنطقة ، ويتبعها من موارد البادية ٥٣ مورداً .

وقد قُدر عدد السكان فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية بـ ٨١٢٩ نسمة .

الْحَنِىّ

الحنى اسم يطلق على قرية معروفة تقع فى الطرف الجنوبى الغربى من الصلب فى منخفض شرق طرف الملسونية ، وكانت تلتقى فى الحنى عدة دروب منها درب مزاليج وطريقان آخران يتجه أحدهما إلى إمارة معقلة والآخر يتجه إلى مشاش الظعينى .

وقد كان الحنى من منازل بنى عوف بن كعب بن سعد وهو الآن قرية معروفة وبها إمارة وبلغ عدد سكانها فى إحصاء سنة ١٣٩٧ هجرية ١٩٠٧ نسمة .

الصَّقَيْرِى

يطلق اسم الصقيرى على إحدى الهجر التى نشأت حديثا وتقع على بعد زهاء ثمانية عشر كيلاً إلى الشمال من مدينة الحفر ، وكانت فى الأصل بئراً إرتوازياً حفرت عند مد خط أنابيب الزيت وكان يتولى حراستها رجل يدعى الصقيرى فعرفت بنسبتها إليه ، وسكانها من قبيلة الظفير حيث طلبها شيخهم عجمى بن صويت من الملك عبد العزيز لتكون هجرة لجماعته فأجابه إلى ماطلب وذلك فى العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجرى .

حَنيذْ

حنيذ قرية فى وادى المياه « الستار قديماً» وهى تقع على الطريق بين عريعرة والنعيرية بقرب خط الطول ٣٥َ - ٤٨ وخط العرض ٣٥ْ-٢٦

وقد كانت حنيذ قديماً من منازل بنى سعد من تميم ، وقد ذكر الأزهرى حين وردها أن بها عيناً ماؤها حار وبالقرب منها أشجار نخيل وقصور من قصور مياه العرب وهى الآن قرية معروفة وأكثر سكانها من قبيلة العجمان .

﴿ الفصل الثامن ﴾

الزراعة

﴿ الزراعة فى هجر ﴾

كانت أراضى هجر من اقدم مواطن الاستيطان البشرى منذ العصور السحيقة ، وقد كان العمل فى حراثة الارض وزراعتها وتملك الحقول الزراعية فيها من أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى اهلها حيث كان القسم الاكبر منهم يعمل فى هذا القطاع ، وقد كانت الزراعة تشغل فيما مضى من السنين اغلب اجزاء هذه المنطقة ويؤكد ذلك ما اسفر عنه المسح الاثرى فى اراضيها حيث اشار الى مايربو على ثلثمائة موقع استيطانى قديم هذا الى جانب ماتحفل به المصادر من اسماء القرى التى درست وعفا عليها الزمن وكذلك مئات العيون التى مافتىء عمال الحفر يعثرون عليها من وقت الى آخر تحت كثبان الرمال ، هذه الكثبان المتحركة التى يرجع اليها السبب فى شطب العديد من القرى والواحات من خارطة العمران فى هجر وبالرغم من ذلك فقد ظلت هذه المنطقة الى عهد قريب تمثل سلة الغذاء الرئيسى لسكان وسط الجزيرة وغربها وذلك بما تجود به واحاتها على هؤلاء من المنتجات الزراعية الوفيرة وفى مقدمتها التمور التى لاتضاهى فى جودتها وغزارتها .

الواحات :

يوجد فى هجر « البحرين » عدة واحات زراعية او صالحة للزراعة منها واحة يبرين وواحة الخن فى الجنوب ، وواحة الجوف وواحة عقلة فى الشمال وواحتا الاحساء والقطيف وهما أهم هذه الواحات واغناها بخصوبة التربة ووفرة المياه ولذا سيكون الحديث عن الزراعة هنا مركزا على هاتين الواحتين .

أولا : واحة الاحساء :

تقع واحة الاحساء(١) على بعد اربعين كيلا من ميناء العقير غربا على مساحة تقدر بخمسة وثلاثين ميلاً من الشمال الى الجنوب وعشرين ميلاً من الشرق الى الغرب ويحدها من الشرق والشمال صحراء البياض ومن الغرب صحراء الغوار ومن الجنوب صحراء خرمة وتشغل مدينتا الهفوف والمبرز الجزء الغربى من الواحة .

وتتركز الزراعة فى الجنوب الى الشرق من المدينتين المذكورتين وهى لاتكاد تتجاوز المبرز

---

(١) - لوريمر - دليل الخليج القسم الجغرافى جـ ٢ ص ٨١٩

فى الشمال والهفوف من ناحية الجنوب ، والزراعة فى الجزء الجنوبى من الواحة تنتهى عند الجفر وطولها من الغرب إلى الشرق لايتجاوز عشرين كيلاً ، وتوجد بعض المناطق الزراعية المنفصلة عن الواحات وأقرب هذه المناطق إلى الواحة تلك التى تتصل بالطرف الغربى لقرية الشعبة ويفصلها عن الأراضى المزروعة فى الجنوب حزام صخرى ضيق كانت مياه الرى فيما مضى تعبر من خلاله فى قنوات عميقه وتقع على بعد ثلاثة أكيال ونصف من مدينة المبرز وتمتد إلى مايماثل هذه المساحة فى نفس الاتجاه بعد المدينة سالفة الذكر . وتوجد منطقة أخرى أكثر اتساعا وتضم قرى المطيرفى وجليجلة والقرن والقرين وتشكل أراضى مدينة العيون الكائنة شمال المبرز أكبر الأجزاء الزراعية المنفصلة عن الواحة وتقدر مساحتها بسبعة أكيال مربعة تقريبا ، كما أن هناك بقعة زراعية فى الموضع المعروف بقطار الواقعة على بعد عشرة أكيال من مدينة العيون .

ثانياً : واحة القطيف :

تقع هذه الواحة فى الجهة الشمالية الشرقية من الأحساء (١) ويحدها من ناحية الشمال والغرب صحراء البياض ومن الجنوب بر الظهران ويبلغ طولها سبعة وعشرين كيلاً تقريبا وعرضها خمسة أكيال ، وتقع مدينة القطيف فى وسطها ويبلغ ارتفاع الواحة عن سطح البحر بضعة أقدام ، والجزء الأعظم من أرضها رملى مشبع برطوبة ينابيع المياه العديدة فيها ، أما القسم المزروع فينتهى بعشرة أكيال إلى الجنوب من المدينة القديمة ، علاوة على وجود مناطق مزروعة غير متصلة ببعضها البعض .

نظام الرى الزراعي :

يعتمد الرى الزراعى الرئيسى فى أراضى هذه البلاد على مياه العيون المتدفقة من جوف الأرض وذلك من عهود موغلة فى القدم حيث ينسب حفر هذه العيون إلى العمالقة أبناء الكنعانيين وذلك فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وتعد هذه العيون إحدى روائع الفن الهندسى وتتخذ فى الغالب شكلاً مربعاً وهى متفاوته الاتساع ويتراوح عمقها بين مائة ومائتين قدم وتشبه إلى حد كبير بركاً كبيرة واسعة تتدفق منها المياه الصافية النقية وتتخذ أعلاها أشكالا متفاوتة فمنها المربع والمدور والمستطيل وتحف بعضها المصاطب والمدرجات

---

(١) - عمر رضاكحالة : جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ٢٤٥

للجلوس فى الماء أثناء الاستحمام ، ويشتمل بعضها على حمامات خاصة للنساء ، وهذه العيون كثيرة تنتشر فى واحة الاحساء وواحة القطيف وجزر البحرين ومياه بعضها معدنى مرتفع الحرارة تُقصد أحياناً للاستشفاء من الامراض الروماتيزمية او لغرض الاستحمام والاستجمام فى أيام الشتاء ، ومن أمثلة تلك العيون عين نجم وام سبعة وعين منصور والحويّرات فى واحة الاحساء وعين الحمام الكائنة فى القطيف .

ولعل من المفيد أن نسلط بعض الاضواء على أهم العيون فى كل من واحة الاحساء وواحة القطيف مع القاء بعض الاضواء على طرق الاستفادة منها فى مجال الرى وبخاصة أن معظمها قد أصبح الآن جزءاً من الماضى وذلك بعد إنشاء مشاريع الرى الحديثة .

ومن أهم تلك العيون فى واحة الاحساء نذكر على سبيل المثال :-

١ - عين الخدود : تعد هذه العين من أقدم الينابيع وأشهرها وقد سميت بهذا الاسم لخدها الأرض (١) ، وتقع هذه العين شرق مدينة الهفوف على مقربة من قرية بنى نحو (٢) وهذه العين واسعة يتجاوز عرض مجراها (٣) عشرين متراً ، وقد قدر بعض الخبراء كمية المياه المتدفقة منها فى الدقيقة الواحدة بـ ٣٠,٠٠٠ جالون ، ويتفرع منها خمسة أنهار هى الجارى والنقبة وجر العباسية وجر حديد وجر النهرين ويتفرع منه نهران هما ظويغط وجر بني نحو .

٢ - عين الحقل : وتقع شرق الهفوف على مقربة من عين الخدود ، وهى عريضة المجرى وكان بها فوهات كثيرة تسمى العقاقير (٤) ويتفرع منها ستة أنهار هى المازنى والسقوفى والبدن والحريثى والدباغي والخريمى .

٣ - عين برابر : وتقع على بعد بضع مئات من الامتار شرق مدينة الهفوف وقد اشتهرت بصفاء مائها وعذوبته وبرودته وتخرج من طرف الزبدا وتجرى مياهها فى مجرى واحد حتى قرية الطرف .

٤ - عين اللويمى : وتقع الى الشرق من عين برابر وتسقى مياهها بساتين النخيل المحيطة بقصر اللويمى .

---

(١) - الفيروزبادى - القاموس المحيط م١ص ٢٩٠ ، ٢٩١

(٢) - بنى نحو بطن من إياد

(٣) - محمد آل عبد القادر - تحفة المستفيد - ص٤٦

(٤) - لوريمر - دول الخليج القسم الجغرافى جـ ٢ ص ٨٣١

٥ – عين غُصيبة : وتقع الى الشمال مباشرة من عين اللويمى وتجرى مياهها فى نهر واحد .

٦ – عين التعاضيد : وتجرى مياهها فى نهرين هما البدع والنيلية .

وتوجد حول العيون السالفة الذكر مجموعة من ينابيع صغيرة يبلغ عددها نيفاً وثلاثين ينبوعاً مياهها جارية وتنضم فضلات مياهها إلى فضلات عينى الخدود والحقل حيث تصب فى النهر المعروف بسليسل ويبدأ هذا النهر من على بعد ميل واحد شرقى الهفوف فى الطرف الشمالى من قرية بنى نحو مبتدئاً بمجرى واحدٍ فى اندفاع شديد ويتراوح عرضه بين ٣٠-٤٠ قدماً وهو بالغ العمق ، وعندما يجتاز قرية بنى معن عند الموضع المعروف بغزالة ينقسم الى فرعين يحتفظ احدهما باسم سليسل ويختص بثلثى الماء ويسمى الاخر الدوغانى ويختص بالثلث المتبقى من الماء ويمر بقرى بنى معن والشهارين والمنيزلة وعندما يصل الى الموضع المعروف بالجسيم ينقسم إلى نهرين يعرف الأول منها باسم الدوغانى والثانى باسم الحيادى ويسقيان بساتين النخيل التابعة للجفر والجشة .

أما سليسل فيجرى فى مجرى واحد حتى يصل الى الموضع المسمى التغامة فينقسم الى ثمانية أنهار هى :

١ – نهر ابن راضى ٢ – الجروانى ٣ – الحد ، وهذه الأنهار تسقى بساتين النخيل التابعة لطرف قرية الجبيل .

٤ – نهر النعيمى ويسقى بساتين النخيل التابعة لقرية الحليلة .

٥ – نهر أبى الثيران وتروى مياهه بساتين النخيل التابعة لقريتى الدالوة والتيمية .

٦ – نهر سياح ويسقى بعض بساتين قرية الطريبيل ويتفرع منه نهر يعرف باسم المويلح تروى بمياهه بعض بساتين قرية الجشة .

٧ – نهر محمد ويسقى بساتين السيايرة ويتفرع منه نهران هما نهر الخويس ونهر الأسود وتروى مياههما بساتين قرية الرميلة .

أما أصل سليسل الذى تفرعت منه هذه الأنهار فيسقى بساتين قرية القارة والتويثير وقسماً من نخيل الجبيل ، وتجتمع الفضلات فى نهرين الأول نهر الشيبانى ويتفرع منه فرعان أحدهما يسقى بساتين قرية التويثير ، والآخر يسقى بساتين قرية المقدام . وينقسم إلى ثلاثة أنهار الأول النجوى والثانى المصدر ويسقيان بساتين طرف قرية العمران وبعض بساتين قرية التويثير ، والثالث نهر التويثير ويتفرع منه نهران يسمى الأول حواش ويسقى بساتين الكتيب والمركز والثانى نهر ابن عبيد الله وهو يسقى قسماً من بساتين قرية الجبيل ، ويتفرع من

نهر ابن عبيد الله نهر يسمى الخديد تروى مياهه قسما من بساتين قرية المنيزلة .
كما يتفرع من فضلات نهر الدوغانى نهر يسمى دريك ويروى قسما من نخيل قرية المنيزلة وبعض بساتين قرية الجفر . وتنتهى فضلات مياه هذه الأنهار إلى البحيرة المعروفة باسم الأصفر الكائنة فى أقصى الواحة من ناحية الشرق وتبلغ مساحة هذه البحيرة ثلاثة أميال فى مثلها وماؤها مر زعاق ، وبها وبالبحر الأخضر «الخليج» سميت هذه البلاد باسم البحرين على مايرى بعض المؤرخين (١) وقد زالت هذه البحيرة بعد إنشاء مشروع الرى والصرف ولم يعد لها وجود .
كما يتفرع من عين الحقل المذكورة آنفا أربعة أنهار تتجه فى ناحية الشمال هى :-
١ - نهر البدن ٢ - نهر الحريثى وتروى مياههما بساتين النخيل التابعة لطرف الحقل
٣ - نهر الخريمة ويسقى نخيل طرف العمار .
٤ - نهر الدباغى ويسقى بساتين طرف الشهيبى . وتصب فضلات نهر البدن والحريثى فى نهرين هما نهر الخسيف ونهر غزوى ويسقيان بساتين طرف الشهيبى .
أما فضلات نهرى الخريمة والدباغى فتصب فى نهر مسيكين ، ثم الدويدى ونعيسان ويرويان بساتين طرف الشهيبى .
كما توجد فى هذا الطرف عين تعرف باسم باهلة وماؤها عذب ويروى كثيراً من المزارع وحقول النخيل .
أما العيون الموجودة فى شمال الواحة فهى :
١ - عين الحارة : وتقع فى مدينة المبرز ويتسم ماؤها بالدفء والعذوبة وتصب فى نهر واحد ينتهى إلى موضع يعرف بالمفترق حيث يتفرع إلى فرعين يعرف الأول باسم مغيصيب ويختص بخمسى الماء ، ويسمى الثانى الشمالى ويستأثر بثلاثة أخماس الماء ، ثم يتفرع عنه خمسة أنهار هى :-
١ - نهر الصليب - ٢ - نهر أبا العباس ٣ - نهر الحصان ٤ - نهر قريبة ٥ - نهر العمار وتجتمع فضلات مياهها فى نهرين أحدهما يسمى المعبر ، والثانى قريبة ، أما مغيصيب فينقسم الى سبعة أنهار هى .
١ - القريش ٢ - الكليبى ٣ - الدلامى ٤ - القبلة ٥ - الشرفية ٦ - البدن ٧ - العمارى وتصب فضلات مياه هذه الأنهار فى خمسة أنهار هى :-
١ - البريكى ٢ - الثبير الجنوبى ٣ - الثبير الشمالى ٤ - العسافى - ٥ - القنطرة ويتفرع منه نهر يسمى الدبّاغ .

(١) - ياقوت الحموى معجم البلدان جـ١ ص ٣٤٧

ومياه الأنهار المتفرعة عن عين الحارة تروى بساتين طرف شراع المقابل وشراع الشعبة وشراع العيونى وقسماً من بساتين نخيل الشهيبى ، وجميع فضلات مياه هذه الأنهار تصب فى نهرين هما الدغيمى وأبو جمل ويرويان بساتين قرية الحليلة ثم تنتهى فضلاتها إلى بحيرة الأصفر سالفة الذكر

٢ - عين الجوهرية : يتسم ماؤها بالعذوبة والصفاء وتقع بالقرب من قرية البطالية ويصب ماؤها فى أربعة أنهار هى :

١ - نهر الشمالية ٢ - نهر الجنيبية ٣ - نهر المقاصب ٤ - نهر المعمورة ، وجميعها تروى بساتين نخيل قرية البطالية وتتصرف فضلاتها فى ثلاثة أنهار هى الحسى ، الرقطانية نهر أبى غصيبة ومياه هذه الأنهار الثلاثة تسقى بساتين قرية الكلابية ثم تنتهى فضلاتها إلى نهر قريمط فتروى قسما من بساتين قرية الشعبة ويمتد حتى يصل إلى قرية جليجلة حيث يتفرع إلى فرعين يسمى الأول الفويرغى ويعرف الثانى باسم الأسود ثم تصل فضلات هذين النهرين إلى نهر يعرف باسم المسيح .

٣ - عين أم سبعة : وقد سميت بهذا الاسم لكون مائها يجرى فى سبعة أنهار ، وقد طمرت الرمال أحدها ، وماؤها بالغ الحرارة والعذوبة والصفاء وقد كانت غزيرة الماء قوية الجريان تحف بها كثبان الرمال الحمراء الناعمة غرباً وشمالاً والنخيل شرقاً وجنوباً ، ويقصدها الناس من كل اتجاه فى فصل الشتاء للاستحمام والنزهة وأنهارها كالتالى :

١ - نهر الغدير ويجرى فى ناحية الشمال ٢ - نهر نهيضة ويجرى فى ناحية الشرق ٣ - نهر الحار ، أما الرابع والخامس والسادس فيحمل كل منها اسم مروان وكلها فيما عدا الأول والثانى تجرى من الناحية الجنوبية للعين وجميع فضلات هذه الأنهار تصب فى عشرة أنهار هى :-

١ - نهر خياط ٢ - نهر المرزوقى ٣ - نهر شيبانى ٤ - نهر أبى القرب ٥ - نهر الخولانى ٦ - نهر أبى الأجمال ٧ - نهر أبى الوادى ٨ - نهر أبى الشكالى ٩ - نهر العمار ١٠ - نهر البارد - ، وتتضافر جميعها فى رى بساتين طرفى السحيمية والقرين .

٤ - عين منصور : وتقع فى وادى يعرف باسم الصليب على الطريق المتجه لعين أم سبعة ويتصف ماؤها بالحرارة والعذوبة ويصب فى ثلاثة أنهار هى المزيرع والبارد وأبو شعلان وفضلاتها تصب فى نهرين هما أبو الربايح والبارد ، كما توجد فى ناحية المطيرفى مجموعة عيون تبلغ زهاء خمس عشرة عينا جارية تعرف أكبرها باسم الحويرات ومياه هذه الينابيع

تسقى بساتين المطيرفى والشقيق وتجرى فضلاتها فى نهر أبى الرمل حيث تسقى بعض نخيل قرية الشقيق ونخيل قرية جليجلة ومن ثم تلتقى بفضلات مياه عين أم سبعة وذلك فى نهر الويسود الذى يتفرع إلى فرعين الأول الويسود والثانى نهر خليفة ويتفرع منه نهر يعرف باسم أبى جنيب حيث يتفرع منه نهر يسمى البويرد ، وكلها تروى بساتين قرية العيون ، ثم تنتهى فضلات هذه الأنهار إلى نهر يسمى وجاج يروى الآجام ومن ثم ينتهى إلى بحيرة يطلق عليها اسم المسفلة وهى تمتد إلى أبى الحمام الواقع فى طريق القطيف .

وفى طرف العيون يوجد زهاء ثلاثين ينبوعاً جارية الماء ، بيد أنها صغار وهى متفاوته فى العمق ، كما يوجد فى المنطقة المعروفة بالقطار ثلاثة ينابيع ، وفى الكلابية مثلها كما يوجد فى مدينة الهفوف عدد من العيون منخفضة عن سطح الأرض وترفع مياهها بواسطة السوانى والغرف اليدوى وهى عين البحيرية وعين البحير وعين أم نسيم وعين أم خريسان . أما مدينة المبرز فيوجد فيها من العيون إلى جانب الحارة السالفة الذكر مجموعة عيون منها عين الزواوى وعين مرجان ، كما يوجد إلى الغرب منها عين نجم المشهورة وقد سبق الكلام عنها .

وفى واحة القطيف يوجد مايربو على مائة وخمسين عينا من أهمها (١) داروش فى صفوى والربيانه والمحارق فى العوامية ، والغرى وساداس فى القديح ، والحمام والقصارى والرواسية فى البحارى ، والمربعة والقصير فى التوبى والقشورية فى الجارودية ، والمروانية وأم عمار فى حلة محيش ، والحمام فى جزيرة تاروت ، والدبابية فى ناحية الدبابية ، وتصل المياه من هذه العيون إلى الأراضى الزراعية عبر عدد من الجداول والأنهار تعرف فى القطيف باسم سيبان واحده سيب لكل منها اسم خاص به وأشهرها ساب والدويج وساب أبو خمسة فى قرية الشويكة ويعتمد رى أكثر الأقسام الشرقية من الواحة على تلك الأنهار حيث تقدر نسبة ماترويه من تلك الاراضى بزهاء ١٥٪ من مجموع أراضى الواحة .
وفى جزر البحرين توجد عيون مماثلة من أهمها عين عذارى والكرش وأبوزيدان .

---

(١) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الاسود ص ٢٠٩

النظام المتبع فى الرى :

يعتبر النظام المتبع فى الرى من أهم المؤشرات الحضارية والتقدم فى مضمار الشئون الزراعية واستغلال الثروة المائية لما ينطوى عليه ذلك النظام من دقة وتعقيد ، وقد تعارف الأهالى منذ وقت بعيد على نظام يكفل رى الأراضى والحقول الزراعية بصورة ثابته وعادلة حيث تم قصر مياه كل عين على رى مجموعة من الحقول تقسم عليها المياه وفق ترتيب زمنى متناهى فى الدقة ، فقد كانت مياه النهر الواحد تركز على أحد الحقول التابعة له فى وقت معين لذا قسمت المياه على مدار الأسبوع إلى أربعة عشر قسماً تعرف لدى المزارعين باسم الأوضاح على اعتبار أن الأسبوع ينقسم إلى سبعة أيام ، كما يتألف اليوم الواحد من قسمين هما الليل والنهار وقد قسم كل منهما على أجزاء هى نصف وثلث وربع وخمس وسدس .... الخ

ويعتمد الفلاحون فى تقسيم ذلك إبان النهار على مراقبة امتداد الظل وتقلصه ، فهم يستدلون بقياس سبعة أقدام للظل من جهة الغرب على مرور ربع النهار أما إذا بلغ الظل سبعة أقدام من ناحية الشرق فهذا يعنى فى عرفهم مضى ثلاثة أرباع النهار ومابعد ذلك يعنى الربع الأخير من النهار ، أما فترة الزوال فيسمونها الوقفة ، وفى الليل يتم تحديد الوقت بمراقبة النجوم أو بواسطة الساعة بعد استحداثها .

وكانت أوراق ملكية كل عقار زراعى تتضمن مقدار حصته من مياه النهر الذى يتبعه ولرى الأرض الزراعية طريقتان :

الأولى:سيحاً وهى وصول المياه إلى الأراضى الزراعية بدون مساعدة من آلات الضخ وذلك إما من قنوات الرى الرئيسية مباشرة ويعرف الماء فى هذه الحالة بالماء الحر ، أو من خلال الجداول التى تتألف مياهها من مصارف فضلات مياه المزارع وتعرف هذه المياه فى الأحساء باسم الأطباع أو مياه الطوائح ، كما تسمى جداولها فى الأحساء باسم أثبار وفى القطيف والبحرين باسم السيبان وقد يطلق عليها أنهار وقد بلغ عددها فى الأحساء فى تقدير الألوسى بنحو ٨٠٠٠ نهر (١)

الطريقة الثانية:الرى بواسطة الضخ إما عن طريق السوانى التى تستخدم فيها الحمير أو الضخ اليدوى الذى يقوم به الإنسان نفسه ويقتصر استعمال هذه الطريقة فى رى الحيازات الزراعية الصغيرة المتواجدة فى ضواحى المدن .

---

(١) - الالوسى : تاريخ نجد ٣١

مصطلحات الرى :

للرى عند المزارعين عدة مصطلحات متعارف عليها بينهم منذ القدم منها (١) :-

١ - العائة والمراد بها حق المزارع من المياه المخصصة لرى مزرعته .

٢ - الوضح . وتعنى رى نهار كامل لمزرعة بعينها .

٣ - الجراب . ويقصد به الماء الجارى فى مجرى ماء متفرع من مجرى ماء آخر ويسقى أراضى معينة

٤ - الحومة . وهى عبارة عن حفرة واسعة تنشأ عن تقاطع مجرى نهرين .

٥ - الصاع . ويراد به السماح للمزارع بفتح المجرى فى الوقت المخصص وليس للمزارع الذى يليه فى الدور حق فتح ذلك المجرى حتى تنتهى المدة المقررة له .

٦ - الفوهة . وهى مدخل الماء إلى البستان أو حوض الزراعة الذى يعرف محليا باسم الشرب

٧ - الخطف . وهو ممر ماء يتقاطع مع ممر آخر يأتى من فوقه وكان يبنى لرفعه حاجز من الجص الحكرى .

٨ - الفريض . وهو تضييق فتحة الماء بواسطة بعض الألواح .

٩ - المحاضاة . ويراد بها إقفال مجرى الماء المتفرع من المجرى الرئيسى بواسطة وضع حشائش بين جذوع النخيل ، وقد جرت العادة أن يأتى أحد الأشخاص فينزع الحشائش وينصرف ثم يأتى بعده من يسدها وهكذا تستمر العملية دون اعتراض من أحد .

١٠ - الشخل . وهو الماء المتسرب طبيعيا بين فتحات جذوع النخل والحشائش والذى لايمكن التحكم فى إيقافه .

١١ - الغب . وهو اصطلاح يطلق على عملية رفع الماء بواسطة جذوع النخل حتى يرتفع الماء إلى المستوى المطلوب ، وعندما ينتهى رى تلك الأراضى يفتح الغُب وذلك بنزع الجذوع لينساب الماء إلى الأراضى المساوية أو الأدنى من تلك الأراضى التى استخدم الغب من أجل ريها .

---

(١) - د / عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص ٨٣ - ٨٧ - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٧هـ

١٢ – المثابر . وهى عبارة عن مجارى مياه تستخدم خصيصاً لسقى ضواحى الأرز والتى تحتاج إلى غمرها بالمياه باستمرار ، ولايمكن إيقاف الماء لأن هناك مخارج عادية يخرج منها الماء إلى مجرى آخر ويعتبر هذا حق من حقوق المزارعين فى رى أراضيهم .

١٣ – السحب . وهو عبارة عن فتحة لمجرى ماء مقسمة إلى نصفين أو ثلثين وتبنى من الجص ويكون الماء فى كلا الفتحتين على مستوى واحد وتدفقه بنفس المستوى وكل مجرى يخص مزارعاً .

١٤ – الحالة . وتشبه السحب إلى حد كبير إذ يتم تقسيم مجرى إلى مجريين أو أكثر

١٥ – الحملة . وهى إيصال عدة مجارى مياه من مجرى رئيسى واحد وبخاصة فى فصل الشتاء حيث تقل الحاجة إلى الماء لرى المزروعات ولذلك توجه المياه إلى مزارع القمح .

١٦ – المقاد . ويطلق على نوع خاص من أنواع الرى المتعارف عليها فى الأحساء وذلك حين يقع أحد الحقول بين حقلين يسقيان من مجرى واحد يقع كل منهما على طرف من ذلك المجرى وعند انتهاء رى هذين الحقلين يصرف الماء الزائد المحصور بين الحقلين إلى الحقل الواقع بينهما .

١٧ – الجصة (١) وهى عبارة عن غرفة تبنى من الجص وتصب فيها مياه أحد الأنهار لتنقل بواسطتها إلى مجرى نهر آخر أقل إنخفاضاً .

١٨ – الركبة . وهى تضييق مجرى أحد الأنهار بحيث يكون مخرج الماء منه بقدر ركبة الرجل .

١٩ – الضراب . عبارة عن تنظيف مجارى المياه فى الأنهار والسيبان ليظل تدفق الماء منها مستمراً .

الآبار الإرتوازية :

فى ظل التغيير الشامل الذى طرأ على البلاد بعد اكتشاف الزيت والعمل على تصديره باتت الحاجة فى البحث عن المزيد من مصادر المياه واستخراجها لغرض الشرب وسقيا المواشى ورى المزروعات من الضرورات الملحة . لذا دأب الجيولوجيون إبان المسح والتنقيب عن الزيت على جمع المعلومات الخاصة بتحديد مكامن المياه فى المنطقة وذلك بتكليف من الملك عبد العزيز الذى كان البحث عن مصادر المياه واستغلالها من أجل اهتماماته ، وقد كانت هذه البلاد تضم

---

(١) – مقابلة شخصية مع الشيخ عبد اللطيف عبد الرحمن آل عرفج ١٤٠٧/٩/١٢هـ

قدراً كبيراً من مخزون المياه فى سبع طبقات يرجع عهدها إلى مابين العصر الطباشيرى الأدنى والعصر النيوجينى (١) بحيث تحتوى كل طبقة منسوباً محدداً من المياه يأخذ فى الانخفاض بالتدريج فى اتجاه الشرق والشمال وذلك تبعاً لانحدار الصخور الرسوبية فيما عدا المواضع ذات التكوينات المحدبة والمسامية والنفوذية التى تحدث جانبياً ورأسياً وتتشبع من السيول المنحدرة من الوديان الكبرى ، كما يلاحظ أن نسبة الملوحة تتدرج فى زيادتها من مياه عذبة فى ناحية الغرب إلى مياه تأخذ ملوحتها فى التزايد كلما اتجهت شرقاً وشمالاً ، وقد حفر أول بئر إرتوازى (٢)سنة ١٩٣٦م تلاه بعد سنة حفر بئر فى الدمام ثم حفر آخر بها ايضا سنة ١٩٣٩م وفى سنة ١٩٤٠م حفرت عدة آبار فى كل من الضبطية وأبو حدرية وبقيق وعريعرة وجودة.

وقد أفضى تزايد الاكتشافات الجيولوجية فى مناطق واسعة قبل ١٣٦٠ هـ إلى رواج أعمال حفر الآبار الإرتوازية فى كافة أرجاء البلاد فنجم عن ذلك عواقب وخيمة على التوازن الذى كان سائداً بين مصادر المياه واستخدامها وذلك لأن المياه الجوفية تكمن بين طبقتين جيولوجيتين إحداهما صخرية صلبة تحول دون تسرب المياه وهى قاعدة الحوض الإرتوازى وهى ليست فى العادة على مستوى واحد فى البعد من سطح القشرة الأرضية . لهذا فإن استخراج مياه نفس الحوض الإرتوازى أسهل فى منطقة معينة منه فى نقطة أخرى ومن هنا يكون حفر الآبار الإرتوازية بصورة عشوائية فى الحوض الإرتوازى يؤدى إلى اختلال التوازن فى منسوب مياه الحوض الذى يتم الحفر فيه بتلك الطريقة .

ومما زاد الطين بلة والحالة سوءاً أنه منذ سنة ١٣٦٠هجرية أخذ أصحاب المزارع يتنافسون فى حفر الآبار الإرتوازية فى مزارعهم . بيد أن ذلك لم يتم ضمن ضوابط محددة أو توجيه سليم ، فقد كان أكثر الحفارين على غير دراية بالأساليب الفنية للحفر ، وكانوا يكتفون بغرس قطع صغيرة من الأنابيب فى البئر المحفور دون تغليفه بالإسمنت وكان استخراج المياه يتم بصورة خاطئة ، كما أقيم على بعض تلك الآبار آلات ضخ حديثة تستخرج مقادير هائلة من المياه ، ولم يكن تركيب صمامات التحكم فى المياه معمولا به فى جميع الحالات فكان الماء الزائد عن الحاجة يفيض فى المصارف ويذهب سدى، وكانت سبل الصرف بدائية وغير قادرة على امتصاص وتصريف المياه الفائضة فنتج عن ذلك تشبع الأراضى بالمياه فارتفعت نسبة

---

(١) – د / عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص ٢٢١

(٢) – د / عبد الله ناصر السبيعى : المرجع السابق ص ٢٢٣

الأملاح فيها مما أدى إلى تحلل التربة الزراعية وضعفت قدرتها على الإنتاج فأخذت المحاصيل الزراعية فى التدنى سنة بعد أخرى وبخاصة فى منطقة القطيف . لذا قامت الحكومة منذ سنة ١٣٦٧ هجرية بمراقبة حفر الآبار الإرتوازية فوضعت بعض الضوابط والتعليمات الخاصة بهذا الشأن ، غير أن أصحاب الآبار القديمة لم يتم إلزامهم بتركيب أنابيب التغليف وتثبيتها بالإسمنت واستعمال صمامات التحكم فى المياه ، كما أن الآبار التى استجد حفرها لم تنفذ بصورة مطابقة للمواصفات الفنية فكانت المياه المتدفقة فيها تذهب عبثا فكان من جراء ذلك انخفاض ملحوظ فى منسوب المياه الجوفية وبخاصة فى واحة القطيف ، فقد أوضحت الدراسات التى أجريت بهذا الخصوص أن المياه الكامنة فى الطبقة الجيولوجية المعروفة باسم الخبر بواحة القطيف قد انخفضت بسبب تلك الظاهرة من + ٣٦,٦ قدماً فى عام ١٩٤٦ م الى +٢٩,١ قدماً فى عام ١٩٦٠م ، وقد بلغ متوسط ذلك الانخفاض نصف قدم فى السنة خلال الأربع عشرة سنة الماضية فتوقف تدفق المياه فى الكثير من الآبار القديمة وبخاصة تلك التى تقع فى الأماكن المرتفعة فبات من الواجب التدخل (١) لغرض إيجاد توازن بين حاجة الإنسان إلى المياه وتوفرها فى مصادرها .

---

(١) – د / عبد الله ناصر السبيعى – اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص ٢٦١

إنشاء مشاريع الرى والصرف الحديث :

فى إطار السيطرة على مشكلة نقص المياه الناشئة عن سوء الاستخدام وتصريفها قامت الدولة بإنشاء مشروعين للرى والصرف أحدهما فى واحة القطيف والآخر فى واحة الاحساء .

١ - مشروع الصرف فى القطيف :

بعد وضع الدراسات لمشكلة المياه الفائضة فى القطيف وصعوبة تصريفهاوما نجم عن ذلك من المشاكل المتمثلة فى ضعف التربة الزراعية فى الواحة وتحول الأرض إلى مساحات شاسعة من السباخ والمستنقعات مما أدى إلى تردى المحاصيل الزراعية قامت وزارة الزراعة والمياه سنة ١٣٧٥ هجرية ١٩٥٥م بإنشاء مشروع للصرف فى القطيف تم تنفيذه على أربع مراحل (١) بتكلفة قدرها ٦,٥٠٠,٠٠٠ ريال وقد شمل المشروع مايزيد على أربعين ميلاً من قنوات الصرف التى يبلغ عمقها ستة أقدام وتخدم مساحة من الأرض تقدر بـ ١٥,٠٠٠ هيكر وقد كان من نتائج ذلك المشروع استصلاح مساحات واسعة من الأراضى الزراعية بعد أن تخلصت من المياه الزائدة والمستنقعات التى كانت مكمناً لتوالد البعوض المسبب لانتشار الأمراض وبخاصة الملاريا .

٢ - مشروع الرى والصرف فى الاحساء :

فى سنة ١٣٧٨ هجرية قامت وزارة الزراعة بتنفيذ مشروع للرى والصرف فى واحة الأحساء بهدف الحد من المشاكل الناجمة عن سوء تصريف المياه وتخليص التربة من الأملاح المتزايدة ورفع قدرة الأرض على الانتاج واستصلاح مساحات زراعية جديدة تقدر بـ ١٢,٠٠٠ هكتار تضاف إلى المساحة الأصلية التى تبلغ زهاء ٨٠٠٠ هكتار . وقد تم تنفيذ المشروع بإنشاء ثلاث محطات رئيسية لضخ الماء تبلغ طاقتها ٧٥ مليون جالون

---

(١) - عمر رضاكحاله - جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ٢٤٥ - ٢٤٦ وايضا د / عبد الله ناصر السبيعى المرجع السابق .

يوميا (١) وتشتمل كل محطة على عدة وحدات لضخ الماء بالتناوب على مدار السنة ، وهذه الوحدات ذات محور عمودى تعمل بالكهرباء ويتم التحكم فيها تلقائياً من خزان تجميع المياه بواسطة صمامات هيدروليكية تتحكم فى كمية الضغط فى الخزان وذلك بإيقاف إيصال الماء إليه أو الإبقاء عليه متدفقا .

كما يشمل المشروع ثلاثة خزانات كبيرة الأول لتأمين استمرار رى مساحة زراعية تقدر بزهاء ١٤٠٠ هكتار « ١٤ ألف دونم » ويبلغ طول هذا الخزان ٥٥ متراً فى عرض مماثل فى ارتفاع ستة أمتار يتسع لـ ١٥٠٠٠ متر مكعب من المياه ، ويستمد مياهه من مجموعة عيون أهمها عين برابر وعين اللويمى وعين طالب وعين مانع .

وهناك خزان مماثل للخزان السالف الذكر فى السعة والمساحة والارتفاع ويستمد مياهه من عين الحارة .

أما الخزان الثالث فيبلغ طوله ٤٠ متراً وارتفاعه خمسة أمتار وتبلغ سعته ٧٥٠٠ متر مكعب من المياه ويستمد مياهه من عين الحويّرات . لذلك فإن المشروع يقوم على استغلال مياه إثنتين وثلاثين عيناً تصب فى ست عشرة قناة رئيسية و ٢٣٣ قناة شبه رئيسية إلى جانب العديد من القنوات الفرعية المصنوعة جميعها من الخرسانة المسلحة علاوة على قناتى التوصيل الرئيسيتين اللتين تسمحان للمياه الفائضة بالانتقال من الواحة الشرقية إلى الواحة الغربية ، وقد تضمنت هذه المرافق أيضاً بوابات رئيسية تتحكم فى مستوى منسوب المياه و ١٥ قناة صرف رئيسية و ١٧٠ قناة شبه رئيسية بالإضافة إلى قنوات فرعية يبلغ مجموع أطوالها نحو ٨١٠ كم بحيث يكون مجموع أطوال القنوات جميعها ٣٠٠٠ كم تنتشر حولها مزارع النخيل وأشجار الفاكهة والخضروات المختلفة . كما أنشىء فوق هذه القنوات العديد من الجسور والعبارات والمصافى والمحابس التى تنظم عملية توزيع المياه على المزارعين .

وقد أسندت مهام إدارة هذا المشروع وتشغيله إلى هيئة مستقلة هى هيئة إدارة تشغيل مشروع الرى والصرف بالأحساء ، ومن أبرز الأعمال التى نفذتها هذه الهيئة إنشاء جهاز مستقل للإرشاد الزراعى يقوم بمهمة إرشاد المزارعين لاتباع أفضل الأساليب والطرق الزراعية بهدف استصلاح أكبر مساحة ممكنة من الأراضى واستغلالها على أفضل صورة لاستكمال الفائدة المرجوة من إنشاء هذا المشروع الذى يهدف فى الأصل إلى زيادة مساحة الأراضى

---

(١) مجلة قافلة الزيت : ربيع الأول ١٣٩٦ هـ - مارس ١٩٧٦م ص٢٥

الصالحة للزراعة والاستفادة الكاملة من مياه الرى الواردة من الينابيع والسيول والآبار الإرتوازية بطرق اقتصادية ، وإلى إيجاد نظام سليم لتصريف المياه الفائضة .

وبالرغم من تلك الجهود فإن منسوب المياه الجوفية آخذ فى التناقص سنة بعد أخرى . ونظراً لعدم وجود دراسة دقيقة وحاسمة لمعرفة الأسباب الكامنة وراء ذلك فإن تفسير هذه الظاهرة لايزال يدور فى إطار فرضيات لايمكن القطع بصحتها تماماً فمن الناس من يزعم أن المياه المخزونة فى مختلف طبقات هذه الأراضى قد نشأت منذ العصر الطباشيرى الأدنى وهى محدودة الكمية ويعود نقصها إلى الزيادة الحادة فى استهلاكها . على حين يرى آخرون أن المياه فى المنطقة تنشأ عادة مما ينحدر إليها من سيول الأمطار التى تهطل على أعالى نجد وأن ندرة نزول هذه الأمطار فى السنوات الأخيرة من ناحية وانتشار ظاهرة حفر الآبار الإرتوزاية العميقة فى تلك الجهات وإقامة العديد من السدود هناك من أهم أسباب تناقص المياه الجوفية فى شرق الجزيرة .

المحاصيل الزراعية

نظرا لخصوبة الأراضى الزراعية فى هجر ووفرة مصادر المياه فيها تمت زراعة معظم المحاصيل المألوفة زراعتها فى المناطق ذات المناخ الحار أو المعتدل ، وقد ألف أهل هذه البلاد منذ أمد بعيد زراعة عدة أصناف تشمل الحبوب والفاكهة والخضروات إلى جانب التمور التى تبلغ أصنافها حوالى ثمانين نوعاً .

وقد احتلت زراعة النخيل فى هذه البلاد مركز الصدارة فى النشاط الاقتصادى لما ينطوى عليه هذا النوع من الميزات الحياتية المتعددة التى تكمن فى كل جزء من أجزائها . فمن ثمارها يحصلون على أهم العناصر الغذائية ، ومن جذوعها تتخذ الأسقف والجسور وتصنع الأبواب والأدوات ، ومن سعفها تصنع الحصر والأوعية المختلفة والأطباق والمراوح اليدوية ومن أليافها تصنع الحبال والحقائب ، ومالم يستخدم من أجزائها فى الصناعة يستعمل كوقود إلى غير ذلك من الفوائد التى لاتقع تحت حصر . لذا فقد تبوأت شجرة النخيل مكانة خاصة فى نفس إنسان هذه المنطقة ، فقد رافقت استيطانه بها منذ أقدم العصور . فلا غرو إذاً أن تصبح فى نظره ونظر كثير من الشعوب سيدة الشجر ، فقد أحاطها الساميون منذ فجر التاريخ بهالة من الإجلال والتعظيم ، فزخرفوا معابدهم بصورها ، كما استعمل سعفها الأخضر فى استقبال الأعياد والأبطال وكبار الضيوف كتعبير عن الغبطة ودلالة على السعادة واليمن ، ولايزال هذا التقليد متبعاً فى تجميل الشوارع وتزيينها بالسعف أثناء المناسبات العامة حتى يومنا الحاضر ، كما رُسمت صورها وصور سعفها على النقود القديمة ومن ضمنها نقود الفينيقيين والعبرانيين حيث كان هؤلاء يحترمون النخلة احتراماً كبيراً يؤكده ذكرها فى الكتب السماوية والآثار الدينية والتاريخية ، وكانت رهبة إجلال هذه الشجرة إلى عهد قريب (١) تسيطر على عقلية الفلاحين ، فكانوا يترددون فى قطع شجرة نخل وهى فى عنفوان شبابها لاعتقادهم بأن لها شأناً عند الله.وغنى عن البيان أن هذه البلاد قد اشتهرت بإنتاج أجود التمور وأحسنها منذ أقدم العصور ، فقد صارت جودة تمرها وكثرته مسرى الأمثال لا بين أهلها وسكان شبه الجزيرة فحسب بل حتى فى أكثر البلاد انتاجاً للتمور كالعراق . فقد جاء فى أحد نصوص

(١) – محمد سعيد المسلم – ساحل الذهب الاسود ص ٢٠٦

قرابين معبد مدينة الوركاء (١) مايشير إلى خصوصية تمر دلمون كنذور تقدم فى المعابد حيث يقول ماترجمته « وألف ومئتان من الزيت يوضع أسفل التمر العادى وأسفل تمر أرض دلمون ... »

« كل يوم من أيام السنة ، ومن أجل الواجبات اليومية الأربع يوضع مقاس ١٤٨ سات من التمر ومن تمر أرض دلمون .... »

ففى هذا النص دلالة واضحة على مايحظى به تمر هذه البلاد فى نفوس سكان بلاد الرافدين من منزلة متميزة ، حيث نصت تعاليم المعبد على إعطاء تمر دلمون نوعاً من الامتياز واعتبرت ماعداه تمراً عادياً .

أنواع التمور :

عرفت هذه البلاد عدداً كبيرا من التمور من أشهرها :

التبى وهو الغالب على تمرها ، وطاب والبرنى والمكرى والأزاد وقد وصفها ابن الفقيه بأنها من أجود تمور البحرين .

والتعضوض وهو تمر أسود شديد الحلاوة ، قال الأزهرى « أكلت التعضوض فى البحرين فما علمتنى أكلت تمراً أحمت حلاوة (٢) منه ومنبته هجر وقراها .

وفى حديث عبد الملك بن عمير (٣) « والله لتعضوض كأنه أخفاف الرباع أطيب من هذا» وتحمل شجرة هذا النوع من النخيل ألف رطل بالعراقى .

النباجى ومن هذا النوع يستخرج النبيذ ، والصرفان وهو من أجود التمور وأوزنها .

الخصاب وهو الدقل ، العرف الباهين التى وصفها ابن سيدة بأنها نخلة بهجر لايزال عليها السنة كلها إلا شهراً واحدا طلع جديد وكبائس مبْسرة وأخرى مرطبة ومثمرة ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا النوع من التمر غير معروف الآن ، ويوجد بستان نخيل بقرية التيمية بواحة الأحساء يسمى الباهينة ولعله كان من بقايا الأماكن المعروفة بزراعة هذا النوع من النخيل ، علاوة على أن معظم أنواع التمور السالفة الذكر قد تبدلت أسماؤها ومن ذلك التعضوض ويعرف الآن بالرزيز والبرنى ويعرف الآن باسم الخلاص وهو أجود الأنواع وألذها رطباً وتمراً وهو أبيض اللون إذا كان رطبا وأصفر اللون إذا أصبح تمراً ، وقد وصفه قدماء اللغويين بأنه تمر ضخم كثير اللحاء أحمر

---

(١) – سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربى خلال الالفين الثانى والأول قبل الميلاد ص ٨٣

(٢) – أحمت حلاوة : أشد حلاوة

(٣) – عبد الرحمن عبد الكريم النجم : البحرين فى صدر الإسلام وأثرها فى حركة الخوارج – ص٨٢

مشرب بصفرة ، وتبلغ أنواع التمور المعروفة فى الوقت الحاضر بضع وسبعين نوعا من أشهرها (١) الأشهل والطيار والمجناز والغر والحليلى والخنيزى والخلاص والرزيز والشيشى والشبيبى والحاتمى والخصاب والتناجيب والبرحى والصيوى والكُباب والحلاوى والهلالى وام رحيم ومرزبان البحرين ومرزبان الأحساء والكاسبى والوصيلى والزاملى والحريزى ونبتة سيف والمحمى والسكيملى والزنبور واللؤلؤى والبكيرة والدعالج والجبيلى والخداج والبصو والعذابى والزرعي والخواجى .

ويبدأ موسم إرطاب النخيل فى شهر يوليو - «تموز» حيث ترطب بعض أصنافه فى أول برج السرطان (٢) ومن هذه الأصناف الطيار والكاسبى والمجنار والحليلى والبريكى والغر ، ثم يتتابع إرطاب الأصناف الأخرى وتستمر حتى شهر ديسمبر «كانون الأول» . ومن الأنواع التى يتأخر إرطابها أم رحيم والأشهل والتناجيب والبرحى ، وهذه الأصناف يبدأ إرطابها من أول برج السنبلة حتى برج القوس . ويعتبر الصنف المعروف بالرزيز المحصول الرئيسى من إنتاج النخيل فى الأحساء حيث تشكل نسبة إنتاجه ٥٠٪ من جملة محصولها من التمور ويرجع ذلك إلى كون هذا النوع من النخيل يتميز بوفرة الإنتاج وغزارة المحصول من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الإقبال على شراء الرزيز يفوق كثيراً الإقبال على شراء الأصناف الأخرى وبخاصة من قبل رجال البادية .

أما واحة القطيف فإن أشهر أنواع التمور فيها هى (٣) الماجى والبكيرة والغرى والخنيزى والخلاص والبصو والحلاو والخواجى والهلالى وخصاب العصفور ، ومن التمور مايقتصر استعماله على الاستهلاك المحلى وهى الخلاص والغرى والحلاو والشيشى ، أما البكيرة والخنيزى والأصناف المندرجة تحت اسم الأبيض فأغلبها يصدر إلى خارج البلاد ، كما يصدر أيضا السلوق المتخذ من بسر الخنيزى بعد سلقة وتجفيفه وكذلك الدبس وهو عسل التمر .

وأكثر أصناف التمور المار ذكرها لها نظائر فى جزر البحرين ، وقد كان الفائض من تمور الأحساء والقطيف يصدر إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار كالهند . وقد أورد لوريمر (٤) بعض الجهات التى تصدر إليها هذه التمور ومقاديرها بالأطنان على الشكل التالى :-

---

(١) حمد الجاسر : مجلة العرب الربيعان ١٣٩٩هـ ص٧٧٥ ومقابلة شخصية مع الشيخ عبد اللطيف عبد الرحمن العرفج فى ١٤٠٧/٩/١٢هـ

(٢) محمد آل عبد القادر : تحفة المستفيد ص ٥٢

(٣) محمد سعيد المسلم ساحل الذهب الاسود ص ٢٠٧

(٤) لوريمر : دليل الخليج ص ٨٧٣

٣٠٠٠ طن من التمور كانت تصدر إلى جدة عن طريق ميناء العقير
١٠٠٠ طن من التمور كانت تصدر إلى جدة عن طريق ميناء البحرين
٥٠٠٠ طن من التمور كانت تصدر إلى البحرين
٢٠٠٠ طن من التمور كانت تصدر إلى قطر
٤٠,٠٠٠ طن من التمور كانت تستهلك محليا ويباع قسم للبدو أو يصدر إلى نجد والكويت .

محاصيل زراعية أخرى :

وإلى جانب التمور تنتج هذه البلاد العديد من المحاصيل الزراعية ومن أهمها الأرز والحنطة والشعير والبصل والثوم والسمسم والقطن ، كما تنتج من الفواكه الرمان والعنب والتين والخوخ والتفاح والتوت والمشمش واللوز والموز والبوبى والبطيخ والشمام ، وفيها من الحمضيات الليمون والإترنج والبرتقال ، وفيها من الخضروات الطماطم والبامية والفاصوليا واللوبيا والخس والزهرة «القرنبيط» والملفوف والبقدونس والنعناع والفجل والجرجير والقثاء والبطاطس واللفت والبنجر وغيرها من أنواع البقول والفواكه والخضروات وإلى جانب ذلك يزرع البرسيم والدُّخن لعلف الماشية .

وتعد المحاصيل الزراعية فى هذه البلاد من أجود الأصناف وأثمانها فى الأسواق تفوق كثيراً أثمان نظائرها من الخضروات الوافدة من الخارج على عكس ماذكره لوريمر (١) حين وصف خضروات هذه البلاد بالرداءة .

وقد عد محمود شكرى الألوسى (٢) فى منطقة الأحساء مايزيد على أربعة عشر ألف بستان من النخيل والأشجار المتنوعة ، وثلاثة آلاف وخمسمائة مزرعة أرز ومائة مزرعة للحنطة ومن مزارع الأرز هناك أربعمائة مزرعة تزرع حنطة .

وكانت زراعة الأرز قاصرة على واحة الأحساء ، وقد بلغت زكاة الأرز فيها (٣) فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى زهاء سبعة آلاف موسمية أرز ، وقد قدرت المحاصيل الزراعية والمساحات المزروعة فى الأحساء ومقاطعاتها فى سنة ١٣٨٢-١٣٨٣ هجرية بما يلى(٤)

---

(١) لوريمر : دليل الخليج ص ٨٣٦
(٢) – محمود شكرى الالوسى : تاريخ نجد – ص ٣١
(٣) إفادة من الشيخ عبد العزيز احمد العتيق فى ١٤٠٧/٩/١٠هـ
(٤) عمر رضاكحالة : جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ٢٤٠

عدد الحيازات الزراعية = ٩٠٩٨ حيازة

عدد أشجار النخيل = ٣٢٢٢٠٠٠ نخلة

المساحات المزروعة بالنخيل وأشجار الفاكهة = ٩٦٣٦٩ دونم

المساحات المزروعة بالمحاصيل الحقلية = ٢٣٦٧٤ دونم

المساحات المزروعة بالخضروات = ٨٩٨٦ دونم

المساحات المزروعة فى مواسم مختلفة = ١٢٩٣٢٠ دونم

تقهقر الإنتاج الزراعى :

فى ظل التبدل الشامل الذى طرأ على الحياة فى البلاد فى كافة مضاميرها منذ أصبح الزيت يشكل حجر الزاوية فى اقتصادها دخلت الزراعة فى طور من التراجع والانحدار ، حيث فقد العمل فى هذا القطاع أهميته كأحد المصادر الأساسية للدخل القومى ، فأخذت الرقعة الزراعية فى التضاؤل والانحسار ، فقد استحالت أجزاء من المساحة المزروعة فى الأحساء والتى كانت تبلغ زهاء ثمانية آلاف هكتار إلى يباب وأحراش ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من أهمها :

١ - إن التمور وهى من أهم المحاصيل الزراعية لم تعد تمثل الغذاء الرئيسى للسكان حيث ظهرت على موائدهم عناصر غذائية جديدة ومتنوعة ، كما منيت أسعار التمور فى الأسواق العالمية بالانخفاض الحاد .

٢ - إن توفر فرص العمل فى صناعة الزيت والأعمال المساندة له أغرت كثيرا من العاملين فى الزراعة بالانخراط فى تلك الأعمال لما يتوفر فيها من ظروف مريحة وأجور مجزية ، فأفضى ذلك إلى تناقص عدد العمال الفنيين العاملين فى الزراعة وارتفاع أجور من ظل منهم يعمل فى هذا القطاع ، علاوة على تقلص ساعات العمل فبعد أن كان العامل يعمل طيلة ساعات النهار أصبحت ساعات العمل لاتتجاوز سبع ساعات فى اليوم الواحد مما أدى إلى تدنى مستوى الإنتاج . وقد حاول بعض المقتدرين ماليا من أصحاب المزارع التعويض عن هذا النقص باستيراد بعض الآلات والمعدات الزراعية الحديثة ، غير أن تلك المحاولات كانت محدودة الفائدة لاسباب منها :-

صغر المساحات الزراعية وغرس النخيل بشكل متقارب مما يتعذر معه دخول الآلة إلى الحقل .

٣ - إن فتح باب الاستيراد على مصراعيه أمام التجارة الخارجية قد أغرق الأسواق المحلية بأصناف غذائية متنوعة وبأسعار زهيدة لم تستطع المنتجات المحلية منافستها والصمود

أمامها . الأمر الذى حد من طموح المزارع وثبط من عزيمته فى الإقبال على الزراعة ، حيث فاق الصرف عليها مردود محاصيلها ، وقد بدا ذلك واضحاً فى انخفاض إنتاج التمور والأرز بصورة خاصة فأصبحت زراعة الأرز محدودة النطاق .

المنتجات الحيوانية :

وكما أمدت خصوبة التربة ووفرة المياه فى هذه البلاد السكان بالمحاصيل الزراعية المتنوعة فقد ساعدتهم أيضا على إنتاج وتربية المواشى والدواجن والطيور ويحدثنا محمود شكرى الألوسى أن فى الأحساء أحسن الخيل وأحسن الحمر البيض وأحسن البقر وفيها الإبل والغنم ، وفيها الحيوانات الوحشية كالغزلان والأرانب وقد كانت تربية الإبل والخيول والجزء الأعظم من قطعان الأغنام تتم فى البادية حيث توجد المراعى الجيدة فى وادى المياه بالشمال ورياض الصمان فى الغرب والواحات من ناحية الجنوب .

أما الأبقار والدواجن وبعض قطعان الأغنام فإن تربيتها تتم فى المزارع أو الزرائب الملحقة ببعض المنازل فى القرى والمدن .

وقد أورد لوريمر (١) إحصاء تقديرى لعدد الخيول والحمير فى الأحساء جاء فيه قوله أن هناك نسبة معينة من الحمير الممتازة فى واحتى الأحساء والقطيف تنتمـي للنوع الأبيض الجيد الذى يوجد فى البحرين أيضا ، ويبلغ عدد الحمير من هذا النوع الجيد ٣٢٠٠ حمار أما الحمير الأقل جودة فيبلغ عددها ١٠٦٥٠ حماراً .

كما يذكر أن عدد الخيول فى الأحساء باستثناء خيول الحكومة حوالى ١٥٠ رأسا معظمها من الإناث وبينها النوع العربى الأصيل الذى يصعب الحصول عليه بسبب ارتفاع ثمنه .

أما الجمال فهى كثيرة ولم يذكر عددها .

ونتيجة للنمو السكانى السريع وتحسن الأحوال المعيشية وتعدد مناطق الاستهلاك أصبحت الحاجة إلى توفير اللحوم والمنتجات الحيوانية كالألبان والبيض تزداد يوماً بعد آخر . وقد رأى بعض المستثمرين فى هذه الظروف المستجدة مجالا خصباً لاستثمار جزء من مدخراتهم فأقبلوا على تربية الدواجن والأبقار فى حظائر خاصة بها فى مزارعهم ، كما استوردوا لذلك أجهزة التفريخ ومعامل الألبان ومشتقاتها وقد أسهمت الدولة فى تشجيع هذا النوع من الإنتاج عن

---

(١) لوريمر – دليل الخليج ص ٨٤٦

طريق دعم المستثمرين فى هذه المشاريع بالقروض والإعانات وتوفير الإشراف البيطرى والعلاج مما أدى إلى تحقيق الإكتفاء الذاتى فى هذا المجال . وكان التوجه فى إنشاء هذه المشاريع قد بدأ فى ستينات القرن الرابع عشر حين قام عدد من المستثمرين فى الأحساء ومقاطعهاتها بانشاء حظائر لتربية الدجاج فى مزارعهم ، كما أسهمت الدولة فى إقامة مشاريع تجريبية لتربية الأبقار والمواشى والدواجن فى كل من المزيرع بالهفوف ومنطقة حرض .

جهود الدولة فى تحسين الأوضاع الزراعية

نظراً لأهمية القطاع الزراعي في ميدان التنمية الاقتصادية أولت الدولة هذا القطاع قدرا من الاهتمام ، فجاءت أولى الخطى فى هذا السبيل سنة ١٩٤٨م حين نفذت شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو» (١) فى الهفوف فى ذلك العام مشروعا زراعياً على حساب الحكومة وبتكليف منها ، تم التركيز فيه على زراعة الخضر وتوزيع البذور على المزارعين وإرشادهم لاتباع الأساليب الزراعية الحديثة .

وقد بدأ المشروع بست حراثات واكتمل فى شهر فبراير - شباط ١٩٤٩م ، وفى عام ١٩٥٠م بوشر فى إنشاء مشروع زراعى تطبيقى فى الهفوف كان الهدف منه إرشاد المزارعين وتعريفهم بالأساليب الزراعية الحديثة وزراعة محاصيل زراعية جديدة لم تكن معلومة لديهم ، كما أسهمت إدارة الزراعة فى الشركة بدور جيد تمثل فى تسيير وحدات إرشادية لزيارة المزارعين فى حقولهم وإطلاعهم على الوسائل والطرق المستجدة فى الزراعة وتدريبهم على مكافحة الآفات الزراعية وبخاصة فى واحة القطيف ، كما أقامت حقولاً إرشادية تطبيقية منها مزرعة فى قرية القرن بواحة الأحساء ، كما زودت المزارعين ببعض المساعدات الزراعية كالبذور الجيدة والأسمدة الكيماوية وإعارتهم بعض الآلات الزراعية والتدريب عليها .

وقد بدأت التغيرات فى الأساليب الزراعية تظهر بوضوح فى المنطقة الشرقية منذ عام ١٩٥١م فقد زاد الإقبال على استعمال السماد الصناعى ، كما زرعوا محاصيل جديدة واستعملوا الآلات والمعدات الحديثة فى حراثة الأرض وبذر البذور وحصد المحاصيل مما حد من الاعتماد على العمل اليدوى فى مجال الزراعة إلى حد كبير ، فكان من نتائج ذلك تحسن واضح فى نظام الزراعة وتنميتها وقد بدأ أثر المجهود الحكومى فى تحسين الأحوال الزراعية فى المنطقة أكثر وضوحاً منذ سنة ١٣٧٤ هجرية - ١٩٥٥م عندما أنشىء فى شهر شعبان من هذه السنة وحدة زراعية فى منطقة الهفوف تابعة لوزارة الزراعة .(٢)

وقد اتخذت وزارة الزراعة عدداً من التدابير التى من شأنها تنمية القطاع الزراعى ودعمه

---

(١) - عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط واثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية - الطبعة الاولى ص٢١٠

(٢) - إفادة خطية من ابراهيم عبد العزيز الشعيبى مساعد مدير مديرية الزراعة بالأحساء

كان من أبرزها إيجاد الأقسام الإرشادية والبيطرية وتوزيع الأراضى الزراعية على المزارعين ومدهم بالقروض والإعانات المالية . لذا فإن الوحدة الزراعية فى الأحساء مالبثت حتى تحولت إلى مندوبية زراعية وذلك فى أوائل عام ١٣٧٨ هجريا تحت اسم مندوبية الزراعة بالمنطقة الشرقية ، ثم تم تطويرها وتحولت إلى مديرية عامة للزراعة والمياه وذلك إعتباراً من ١٣٨٣/١/٢٠هـ تحت اسم المديرية العامة للزراعة والمياه بالمنطقة الشرقية . وفى ١٤٠٤/٧/١ هـ تم تبديل اسمها إلى المديرية العامة للزراعة والمياه بمنطقة الأحساء وذلك بعد أن تم فصل فرع الزراعة والمياه بالدمام وتحويله إلى مديرية مستقلة عن مديرية الأحساء

ويتبع هذه المديرية أربعة فروع ومحجر زراعى وبيطرى أما الفروع فهى :

١ - فرع الزراعة والمياه بالهفوف : ويخدم منطقة الهفوف والمبرز وقراهم ومايتبع المنطقة من هجر ، وقد تم إنشاؤه فى ١٤٠٢/٧/١هـ .

٢ - فرع الزراعة والمياه بالصرار : وتم إنشاؤه عام ١٣٩٣هـ ويخدم هجر الصرار والتى تبعد عن الهفوف حوالى ٢٥٠ كم والهجر القريبة منها بوادى المياه .

٣ - فرع الزراعة والمياه بقرية العليا : وقد أنشىء عام ١٣٩٧هـ ، ويخدم قرية العليا التى تبعد عن الهفوف حوالى ٤٠٠ كم والهجر القريبة منها .

٤ - فرع الزراعة والمياه بمليحة : وتم إنشاؤه عام ١٤٠١هـ ويخدم مليحة التى تبعد عن الهفوف حوالى ٢٧٥كم والهجر القريبة منها بوادى المياه .

٥ - المحجر الزراعى والبيطرى بسلوى : وتم إنشاؤه عام ١٤٠٣هـ، ويقع بمنفذ سلوى على حدود المملكة مع قطر ، ويبعد عن الهفوف ١٥٠ كم ، ويقوم بالكشف وفسح الإرساليات الزراعية والحيوانية الصادرة والواردة من وإلى المملكة

وقد بلغ عدد القطع الزراعية الموزعة كأراض زراعية فردية أو مشاريع حوالى أربعمائة وأربع وستين قطعة ، ومجموع مساحتها حوالى ١١٢٤٥٠ دونم ، وبلغ مجموع الإعانات خلال الثلاث عشرة سنة الماضية المصروفة والمقدرة للتمور وفسائل النخيل والمواشى والقمح والأرز حوالى ٨٠,٠٧٧,٦٤٦ ريالاً .

وإلى جانب ماتقوم به مديريتا الزراعة فى كل من الهفوف والدمام من خدمات متنوعة للمزارعين ، فقد قامت وزارة الزراعة بإنشاء عدد من المشاريع والمراكز الحيوية فى المنطقة من أهمها :-

١ - مشروع تثبيت الرمال : فقد كانت الرمال المتحركة تكتنف واحة الأحساء من ناحيتى الشرق والشمال ، بيد أن الرمال الزاحفة من صحراء الجافورة فى الشمال تعتبر من أعنف الموجات الرملية التى اجتاحت الواحة وأشدها خطورة لما تشكله من تهديد للمدن والقرى والمناطق الزراعية والمنشآت الاقتصادية حيث أفضى ذلك إلى تقلص الرقعة الزراعية وإلى هجرة سكان بعض القرى إلى أماكن أخرى . ولدرء هذا الخطر (١) قامت وزارة الزراعة والمياه بتنفيذ مشروع لحجز الرمال بواحة الأحساء سنة ١٣٨٢ هجرية - ١٩٦٢م وهو خط الدفاع الأول بطول ٢٠ كم وعرض يتراوح من ٢٥٠- ٧٥٠ متراً ويشغل مساحة ٥٠٠ هكتار وتم ذلك بتسوية الكثبان الرملية وحفر الآبار الإرتوازية لعمليات الرى ثم زراعة عقل الإثل المحلى وبعض الأنواع الأخرى من الأشجار المستوردة التى تناسب البيئة الصحراوية وتساعد على تثبيت الكثبان الرملية ، ثم أجريت تجارب عدة تهدف إلى زيادة رقعة المشروع بطرق سريعة التنفيذ وأقل تكلفة وجهداً ، منها زراعة الكثبان الرملية بالطريقة الجافة ، وقد أثبتت هذه الطريقة جدواها فتم تنفيذ وإقامة أربع مصدات أخرى بهذه الطريقة التى تعتمد على تثبيت الكثبان الرملية بصورتها الطبيعية تثبيتاً ميكانيكياً باستخدام سعف النخيل ثم زراعتها بعقل الإثل وبعض الأصناف الأخرى على عمق يبلغ متراً واحداً أو أكثر ، وقد بلغت مساحة هذه المصدات ١٠٠٠ هكتار بطول ٢٠ كم وعرض ٤٠٠ متر ، وقد بدأ العمل فى تنفيذها اعتبارا من عام ١٣٩٤-١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٤-١٩٧٥م . كما تم تنفيذ مشروع آخر بشمال الواحة بمنطقة العيون بطول ٥ كم وعرض ٤٠٠ متر وبمساحة ٣٠٠٠ متر لحماية قناة الصرف والمزارع الموجودة شرقها وذلك بطريقة الزراعة الجافة وقد كان لتنفيذ هذا المشروع الذى تبلغ مساحته ٤٠٠٠ هكتار منها ١٨٠٠ هكتار مشجرة بحوالى ٦٠٠٠٠٠٠ شجرة متنوعة يشكل الإثل المحلى نسبة ٩٠٪ منها . بالغ الأثر فى حماية الواحة وقراها ومناطقها الزراعية البالغة ٨٠٠٠ هكتار من زحف الرمال .

٢ - المركز الإقليمى للأبحاث الزراعية فى الأحساء ويقوم بالتجارب والأبحاث التطبيقية ذات المساس المباشر بمشكلة المزارع فى القطاع الزراعى بشقيه الحيوانى والنباتى ، ويشتمل المركز على ثلاثة أقسام رئيسية :-

---

(١) - مشروع حجز الرمال بالأحساء - إعداد الأستاذ يوسف أحمد العبد الواحد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

ا - قسم الإنتاج النباتى وبه عدة وحدات هي :-

١ - وحدة المحاصيل العلفية

٢ - وحدة المحاصيل الحقلية وإنتاج البذور

٣ - وحدة أبحاث وتصنيع التمور

٤ - وحدة التربة والمقننات المائية .

٥ - وحدة إرشاد زراعية

ب - قسم الإنتاج الحيوانى وبه عدد من الوحدات هى :

١ - وحدة أبحاث الأغنام

٢ - وحدة أبحاث الأبقار

٣ - الوحدة البيطرية

جـ - قسم الهيدرولوجيا . ويقوم هذا القسم بتسجيل المعلومات الخاصة بالأرصاد الجوية حيث يشرف هذا القسم على ٢٩ محطة أرصاد لتسجيل مياه الأمطار ودرجات الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح ، كما يشرف هذا القسم على ٦١ بئراً اختباريا لقياس ارتفاع وانخفاض مستوى المياه الجوفية فى تكوينات المنطقة حيث يقوم العاملون فى هذا القسم بزيارات شهرية لقياس مستوى المياه فى هذه الآبار .

د - مركز التدريب الزراعى . يقوم هذا المركز بتدريب أبناء المزارعين فى دورات متخصصة مدتها ستة أشهر يتخرج بعدها عامل زراعى والهدف من هذا التدريب الحصول على عمالة وطنية مدربة تدريباً عملياً على استخدام التقنية الحديثة فى الزراعة .

أنواع الملكية الزراعية

تعود ملكية معظم الأراضى الزراعية فى واحتى الأحساء والقطيف لملاك محليين من سكان المدن والقرى وبعض رجال البادية من عشيرة بنى خالد على وجه الخصوص .

والملكية إما فردية بحيث يمتلك الفرد الواحد مزرعة خاصة به يستثمرها لحسابه الخاص أو ملكية مشتركة كأن يمتلك المزرعة الواحدة عدة أفراد بأسهم متساوية أو متفاوته ، وفى هذه الحالة يتم وضع المزرعة تحت إشراف أحد الشركاء لإدارتها والعناية بها ، كما يتم توزيع المصاريف والمحاصيل على الشركاء بما يتناسب مع نصيب كل منهم فى ملكيتها .

وقد ألف الناس فى الأحساء ثلاثة أنواع من الملكيات الزراعية(١) :

الأول الملكية المطلقة . وهى التى يكون للمالك فيها حق الانتفاع والتصرف فى الأرض بمختلف الوجوه .

الثانية ملك الأصل والعرق « وتسمى الصبره » وهى التى تكون ملكية الأرض فيها منفصلة عن حق الانتفاع بثمار النخيل والمحاصيل الزراعية ، كأن تكون ملكية الارض وماعليها من أصول الشجر الدائم لشخص يعرف بالأصَّال أو صاحب الأصل ، فى حين تكون ملكية الثمار وزراعة المحاصيل الموسمية لشخص آخر يلتزم بدفع الحصة المقررة من التمور أو الأرز للأصال ، وهذه الحصة قابلة للتعديل متى طلب أحد الطرفين ذلك عندما تتغير ظروف الإنتاج وليس للعرَّاق «مالك المحصول» حق التصرف فى الأرض بالبيع أو التأجير مطلقاً ، كما أنه ليس له حق فى إقامة منشآت غير زراعية عليها إلا بموافقة من صاحب الأصل ، وليس له أيضا أن يتصرف فى الفسائل التى تنشأ فى المزرعة بصورة تلقائية ، واذا ماتت شجرة نخل فإنها تؤول لصاحب الأصل ، حيث لايجوز للعراق حق الانتفاع بأى جزء منها إلا فى نطاق حاجة المزرعة لذلك الجزء .

الثالثة : ملكية الدفن – وهو نوع من ملكية الأراضى يعرف بهذا الإسم ، وصفته أن يكون لمالك الأرض حق التصرف فيها وفيما عليها من الغرس بكافة الوجوه والأحوال نظير مقدار محدود وثابت من التمر أو الأرز يدفعه سنوياً لمالك سابق ، وهذا النوع من الملكية قليل ومحدود النطاق .

---

(١) مقابلة مع الشيخ محمد عبد الرحمن آل ملا رئيس هيئة النظر فى المحكمة الشرعية الكبرى بالأحساء فى ١٤٠٧/٧/١٠هـ

وقد درجت الحكومات المتعاقبة على مر العصور فى هذه البلاد على امتلاك عدد من حقول النخيل ومزارع الأرز فى الواحتين ، وكانت على الأغلب تسند إدارتها واستثمارها لأحد المستثمرين نظير مبلغ مالى معلوم أو مقدار من المحصول يتعهد هذا المستثمر بتسليمه لبيت المال طيلة سنوات العقد المبرم بين الطرفين .

العمل الزراعى :

يتيح العمل فى القطاع الزراعى فرصاً كثيرة ومتنوعة لعدد كبير من السكان فى الواحتين ومن هذه الفرص ماهو ثابت ومستمر طيلة أيام العام ، ومنها ماله ارتباط بمواسم زراعية معينة كموسم تشذيب النخيل وإصلاح أصولها وموسم تأبيرها وصرام ثمارها ، وموسم بذر الأرز والحبوب وحصادها ، وموسم حراثة الأرض وعمارتها . ولأن بعض هذه الأعمال تتطلب مهارة خاصة وجهداً أكثر فقد تخصصت فئات من العمال الزراعيين فى تلك الأعمال وكانت أجورها أعلى من أجور الفئات الأخرى من العاملين فى هذا القطاع ، ومن هؤلاء فئة تعرف باسم البطاطه جمع بطاط وهو الذى يتولى تشذيب شجرة النخيل بإزالة مايزيد فيها عن الحاجة من الكرانيف والسعف ، وفئة أخرى تسمى الندارة جمع ندار وهو الذى يقوم بحراثة الأرض وتقليب التربة وإعدادها للغرس .

أما العمال الثابتون بصورة دائمة للعمل اليدوى فى البساتين والمزارع فهم يعرفون باسم الشركاء واحده شريك ، ويتم التعامل معهم وفق نظامين مختلفين :

يتمثل النظام الأول فى قيام الشريك بعمل واحد معلوم أو مجموعة أعمال معينة ففى حالة قيامه بأعمال الرى فحسب يكافأ فى أيام جنى المحصول بكمية معلومة من التمور يتفاوت مقدارها بتفاوت مقدار المساحة التى يتم ريها ، وإذا كان يقوم بتأبير النخيل إلى جانب الرى فإنه يحصل فى مقابل ذلك على نصف عشر المحصول ، وإذا كان يلتزم إلى جانب العملين السابقين بحراثة الأرض وإعدادها للزراعة وصرام النخل وجنى المحاصيل فإنه يأخذ فى مقابل ذلك عشر الثمار .

أما النظام الثانى فيعرف بالتقبيل . ويتمثل فى نهوض الشريك بجميع الأعمال التى تتطلبها عمارة المزرعة واستمرار صلاحيتها للغرس والإنتاج مع الالتزام بتأمين الأسمدة اللازمة لهذا الغرض وذلك نظير مقدار عينى معلوم يأخذه المتقبل من محصول المزرعة إبان جنى المحصول . وقد جرت العادة أن يلتزم الشريك فى هذه الحالة بتأمين وجبتى العشاء والغداء لصاحب الملك أثناء موسم صرام النخيل ، كما يلتزم بتأمين عدد من المراوح اليدوية والزنابيل والطيور للمالك أيضا،كما ساد العرف أن يقوم المالك بمكافأة الشريك وأولاده فى المناسبات كالأعياد بالملابس وبعض النقود .

البنك الزراعي بالهفوف والهدف من إنشائه (١)

جاء إنشاء البنك الزراعى العربى السعودى ليكون مركزاً إئتمانياً حكومياً متخصصاً فى تمويل مختلف مجالات النشاط الزراعي . وتتلخص أهداف البنك الرئيسية فى تقديم القروض مستهدفا بذلك رفع معدلات التنمية الزراعية وزيادة التوسع الأفقى والرأسى بالزراعة ، حيث يقوم البنك فى إطار الدور المنوط به بتقديم القروض لمختلف مجالات النشاط الزراعى ولايتقاضى أى فوائد مقابل الإقراض ، كما يقوم بصرف إعانات للأعمال الزراعية بهدف تخفيض التكلفة ورفع الكفاءة الإنتاجية ، وبالتالى زيادة العائد الزراعى وقيام الكثير من المشاريع الزراعية المتخصصة على اختلاف أحجامها وأنواعها .

أنواع القروض التى يقدمها البنك إلى المزارعين :

١ - القروض الزراعية العادية :

ا - قروض قصيرة الأجل : وتشمل أجور الحراثة وقيمة البذور وقيمة الأسمدة ، وتعامل قروض هذه المجالات على أنها قروض قصيرة الأجل تسدد فى مدة أقصاها سنة .

ب - قروض متوسطة الأجل : وتشمل تكلفة حفر الآبار الإرتوازية ، وحفر وطى الآبار العادية والمكائن والمضخات وأجهزة الرى والآلات الزراعية كالحراثات والحصادات والدرايات واللبانات وآلات رش المبيدات وتمديدات مواسير المياه للرى ، وإقامة مصدات الرياح والصوامع والبيوت البلاستيكية غير المكيفة ، وقوارب ومعدات صيد الأسماك ، وخلايا ومعدات تربية النحل . وتعامل قروض هذه المجالات على أنها قروض متوسطة الأجل ، وتسدد فى مدة أقصاها ١٠ سنوات

٢ - قروض المشاريع الزراعية المتخصصة وتشمل :

إنشاء مزارع الدجاج البياض واللاحم ، إنشاء مزارع إنتاج الألبان وتصنيعها ، إنشاء المشاريع الزراعية فى البيوت المحمية ، ومشاريع زراعة الحبوب والمحاصيل الزراعية . وكذلك مشاريع تربية الماشية ، وصيد الأسماك . وتعتبر هذه القروض متوسطة الأجل .

---

(١) إفادة خطية من الأستاذ / أحمد إبراهيم الحسين مدير عام البنك الزراعى بالهفوف .

الإعانات الزراعية :

ا - إعانة المكائن والمضخات الزراعية بنسبة ٥٠٪ من قيمتها طبقا للتسعيرة الرسمية .

ب - إعانة الآليات الزراعية وهى الحراثات وملحقاتها والحصادات والتركتورات واللبنات، وتصرف هذه الإعانة بنسبة ٤٥٪ من قيمتها طبقا للتسعيرة الرسمية .

جـ - إعانة معدات إنتاج الألبان ومعدات الدواجن وتصرف بنسبة ٢٠٪ من القيمة إذا كان المشروع ممولا بقرض من البنك أو أى جهة حكومية أخرى ، أو بنسبة ٣٠٪ من القيمة إذا كان المشروع غير ممول بقرض من البنك الزراعى أو أى جهة حكومية أخرى .

د - إعانة نقل الأبقار وتصرف بكامل التكلفة .

ومن واقع الإحصائيات يتضح أن الفترة من عام ١٤٠١ هـ حتى ١٤٠٨ هـ تعتبر تجسيداً واضحاً لنشاط الفرع فى التركيز على قطاع المستثمرين لإنشاء المشاريع بمختلف أحجامها وأنواعها التى أدت إلى زيادة الإنتاج الزراعى وتنويعه لتوفير السلع الإستراتيجية الغذائية الرئيسية كالبيض واللحوم والألبان ومنتجاتها والخضروات والقمح والأعلاف والتى وصل بعضها إلى مرحلة الاكتفاء الذاتى .

وقد مول فرع البنك الزراعى بالمنطقة الشرقية من خلال مكاتبه الثلاثة بالهفوف والقطيف وحفر الباطن المشاريع التالية التى تستخدم فيها أحدث أساليب التربية والإنتاج المتطورة .

عدد ٢٩ مشروع لإنتاج بيض المائدة بطاقة قدرها ٣٩٠ مليون بيضة سنويا

عدد ٢٩ مشروع لإنتاج الدجاج اللاحم بطاقة قدرها ١٥ مليون دجاجة سنويا .

عدد ٢٦ مشروع لإنتاج القمح والأعلاف على مساحة قدرها ٥٥٥٦ هكتار .

عدد ١٥ مشروع لتسمين الأغنام لإنتاج حوالى ٢٩٠,٥٧٢ رأس فى السنة .

عدد ٦ مشاريع لتربية أبقار الحليب لإنتاج ١٨,٠٦٠ طن حليب سنوياً .

عدد ١٥ مشروع لإنتاج الخضروات فى البيوت المحمية لإنتاج ١١,٥٧٨ طن سنوياً

عدد ٤ مشاريع لإنتاج الصيصان لإمداد مشاريع الدجاج اللاحم فى المنطقة بالصيصان اللازمة بطاقة قدرها ١٢ مليون صوص فى السنة .

عدد ١ - مشروع لإنتاج التمور والحمضيات لإنتاج ١٤٤٧ طن فاكهة فى السنة .

جملة القروض منذ إنشاء الفرع وحتى نهاية العام المالى ١٤٠٩/١٤٠٨هـ

بدأ فرع البنك الزراعي فى الهفوف عمله عام ١٣٨٤ هـ ، وقد بلغت جملة القروض التى قدمها الفرع إلى مزارع المنطقة الشرقية من خلال مكاتبه الثلاثة فى الهفوف والقطيف وحفر الباطن منذ إنشائه وحتى نهاية العام المالى ١٤٠٩/١٤٠٨هـ كما يلى :

٥٢٧٩ قرضاً قصير الأجل قيمتها ٣٣,١٩٧,٠٦١ ريال

١١,٥٨٣ قرضاً متوسط الأجل قيمتها ١,١٩٥,٥٢٣,٩٨٩ ريال .

الإجمالى ١٦,٨٦٢ قرضاً قيمتها ١,٢٢٨,٧٢١,٠٥٠ ريال .

وقد شملت تلك القروض تقديم التسهيلات الإئتمانية لتمويل مستلزمات الإنتاج ، وكذلك توفير التمويل اللازم لإقامة المشاريع المتخصصة ، كما منح الفرع إعانات لمزارعى المنطقة الشرقية من خلال مكاتبه الثلاثة السابقة الذكر خلال ١٥ عاماً ، من عام ١٣٩٥/١٣٩٤ هـ حتى عام ١٤٠٩/١٤٠٨هـ بلغ ٥٣٩,٦٧٦,٠٦٧ ريال . وهذه الخطوات التنموية الزراعية جزء من التنمية الشاملة بالمملكة

﴿ الفصــــل التاســــع ﴾

الصــيد والغــوص عــلى اللــؤلؤ

﴾ الصــــيد الــبرى ﴿

كان الصيد من أقدم الوسائل التى مارسها إنسان هذه البلاد فى الحصول على طعامه وكان ذلك منذ الأيام الأولى للاستيطان البشرى فيها ، حيث كانت براريها وأجوائها آنذاك مسرحاً لأنواع كثيرة من الحيوانات والطيور ، ففيها الغزلان وحُمر الوحش والأرانب وأسراب الحمام والطير ، وفيها السباع وبعض الضوارى كالذئب وابن آوى والسنور البرى .

فمها يبرين ونعامها وآرام الستارين وأسراب القطا فى كاظمة مما تغنى به الشعراء منذ العصر الجاهلى ، ولعل أدوات الصيد البدائية المصنعة من الحجر الصوان التى عثر عليها فى العديد من المواقع الأثرية بهذه البلاد من أكثر المؤشرات دلالة على ممارسة أهلها لهذه الحرفة من عهود موغلة فى القدم ، وإذا كان الصيد آنذاك ضرورة اقتضتها طبيعة الحياة البدائية فإنه لم يلبث حتى استحال فى العصور التالية إلى هواية ولع بممارستها كثير من أهل البلاد بادية وحاضرة حتى أن أشخاص وأسر كاملة قد اشتهرت بهذه الهواية وعرفت بها ، ومن هؤلاء على سبيل المثال أسرة آل رحال فى القرن العاشر الهجرى ، وقد عرف بين أمراء بنى خالد من حكام هذه البلاد فى القرن الثانى عشر الهجرى من يمضى الأشهر الطوال فى الصيد والقنص ويصل فى طلبه إلى أطراف الشام .(1)

أما فى إطار الحفاظ على هذه الثروة الحيوانية وحمايتها من الانقراض فقد سجلت المصادر بين أمراء العيونيين ممن حكموا هذه البلاد فى القرن الخامس الهجرى من بلغت عنايتهم بهذا الأمر حداً لم تبلغه دعاة حماية الحياة الفطرية وجمعيات الرفق بالحيوان فى العصر الحديث ، فهذا شارح ديوان ابن المقرب يحدثنا أن الأمير أبو مقدم شكر العيونى (2) كان يمنع الصيد والقنص فى سنى الجدب ، وكان يأمر بأن ينثر للفواخت والطيور فى مواطن وقوعها من الطعام مايناسب كلاً منها ، وفى ذلك يقول ابن المقرب :-

وَمُطعم الطير عام المحل فاسم به   منا إذاً صر خلف الغيث فانصرما

---

(1) حسين خلف خزعل - تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٥٧

(2) هو الامير ابو مقدم شكر بن ابى على الحسن بن عبد الله بن على - شرح ديوان ابن المقرب ص ٥٤٤

وقد ظلت فيافى هذه البلاد وصحاريها عامرة بما سلفت الإشارة إليه من أنواع الحيوان وذلك إلى عهد قريب ، حيث كان الصيد يتم بالوسائل التقليدية المعروفة المتمثلة فى القوس والصقور والكلاب المدربه ، وعندما ظهرت وسائل الصيد الحديثه وأخذ الهواة يجوبون بسياراتهم أرجاء الصحراء لمطاردة الصيد ليصبوا حمم بنادقهم على كل طائر وساع ، صوحت مرابع البلاد ومغانيها من قطعان المها والحُمر الوحشية والنعام ، كما أوشكت أنواع عديدة أخرى على الانقراض ، ولعل فى التدابير والضوابط التى تتخذها الدولة فى الوقت الحاضر لترشيد الصيد والقنص حماية كافية للبقية الباقية من هذه الثروة .

الصيد البحرى

وكما وجد الإنسان بغيته من اللحوم الطرية فى مروج هجر ومغانيها منذ فجر تاريخ استيطانه بها وجد فى بحرها أيضاً الأسماك المتنوعة والربيان الممتاز فاقتات منه إلى أن أصبح هذا النوع من اللحوم من أهم عناصر الغذاء فى حياة سكان هذه البلاد ، كما أصبح صيده حرفة يمارسها قطاع كبير منهم ومازالت خبرتهم فى صيده تنمو مع الأيام حتى عرفوا أنواع الأسماك وخصائص كل نوع منها ومكان تواجده وأنسب الأوقات والوسائل لصيده .
ولعل دفء مياه الخليج وضحالتها خاصة من ناحية سواحله الغربية من أهم الأمور التى ساعدت سكان تلك السواحل على معرفة الصيد وممارسته منذ العصور المبكرة ، كما أن تفاوت أعماق الخليج وتنوع نباتاته وارتفاع نسبة الملوحة فى مياهه قد ساعدت هى الأخرى على إثرائه بالعديد من أصناف الأسماك الجيدة .

فقد أشارت دراسة أجرتها فى مياه الخليج بعثة دنماركية متخصصة إلى أن فى هذه المياه مايربو على مائتى صنف من الأسماك التى يصلح أكثرها للأكل (١) ومن أشهر أنواع الأسماك الكنعد والسكن والقد والجباب والشقرة والحف والشعرى والعندق والسبيتى والهامور ، وتتواجد هذه الأنواع فى أغلب مناطق الخليج ، وتتكاثر فى فصلى الشتاء والربيع .
أما فى فصلى الصيف والخريف فتتكاثر أنواع أخرى منها الشعوم والصافى والعراض والقرقفان والحاقول والسبيطى والبدح والخضرة ، كما يتكاثر الربيان أيضاً ، ومن أهم المناطق الغنية بالأسماك الريافة وحسينة والباطنة وأم صفيحة ومشغلة والتناقيب وعنزى

---

(١) مختارات قافلة الزيت العدد الثامن سنة ١٣٧٦ هـ ص ١٠٥

وتقع هذه المناطق فى محاذاة الساحل الممتد من مدينة الجبيل حتى مدينة تاروت (١) وقد استعمل الصيادون فى اقتناص فرائسهم من الأسماك والربيان عدة وسائل من أهمها :

١ - الحضرة . وهى حظائر من جريد النخيل أو القصب تركز فى القاع ويشد بعضها إلى بعض بواسطة الحبال لتتخذ شكل أقفاص مفتوحة من الأعلى بحيث تحبس داخلها جميع ماتحمله إليها مياه البحر من السمك فى حالة المد ، وقد تستعمل الحجارة فى إقامة هذه الحظائر كما هو الحال فى الجبيل حتى الآن ، وتعرف هذه الحظائر باسم المساكر وقد كانت معروفة بهذا منذ زمن بعيد ، وقد ورد ذكرها فى سياق المعاهدة المبرمة بين الأمير ماجد ابن أحمد العيونى وأمير جزيرة قيس.

٢ - الشباك . وتعتبر من أقدم وسائل الصيد وأهمها نوعان .

الأول يعرف باسم شباك الشقة . وهى عبارة عن نسيج من الخيوط القوية تتخللها فتحات ضيقة وتنتهى أطرافها بأحجار ، وتستعمل لصيد الربيان بصورة خاصة حيث تنشر على سطح الماء فى أماكن تواجده فتساعدها الأحجار على الرسوب فى الأعماق ، ثم تجذب من وسطها فتحمل معها جميع مايعرض لها من الربيان .

وأما النوع الثانى من الشباك فيسمى السارية وهى شبيهة بالأولى بيد أنها أصغر منها حجماً وتتسم فتحاتها بالاتساع وتستخدم لصيد الأسماك فى المناطق القريبة من الساحل .

٣ - القراقير . وهى عبارة عن أقفاص كبيرة تتسع لكمية من الأسماك تتراوح من ٥٠ كجم - ٢٥٠ كجم وفى أسفلها فتحة تسمح للأسماك بالدخول فى جوفها حيث لاتستطيع الإفلات بعد ذلك منها ، وكانت فى الماضى تصنع من قنوان النخيل ، وتستخدم للصيد فى المياه العميقة حيث يتم إنزالها فى الأماكن المنتخبة للصيد بواسطة حبل طويل ينتهى طرفه العلوى بعوامة من كرانيف النخل حيث تظل طافية على سطح الماء وبواسطتها يستدل على موقع القرقور الذى قد تستغرق مدة مكثه هناك أسبوعاً كاملاً وبعد ذلك يتم رفعه على سفن الصيد بواسطة رافعات خاصة .

٤ - الحنية : وهى عبارة عن مجموعة كبيرة من سنانير الصيد يلغم كل منها بطعم خاص ويتم إنزالها إلى الأعماق بواسطة خيط قوى يتراوح طوله من ٦٠ الى ٧٠ متراً يربط طرفه الأعلى فى حافة السفينة ، ويظل الصياد واضعاً يده على الخيط حتى إذا شعر باضطراب السنانير بادر إلى جذبها بما تحمل من الصيد .

---

(١) - د / عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص١٢٧

وإلى جانب هذه الوسائل يوجد نوع خاص بالصيادين الهواة ويعرف بينهم باسم الشص أو المداد ، وهو عبارة عن خيط طويل ينتهى أحد طرفيه بسنار يقوم الصياد إبان ممارسته لهذه الهواية بإسقاطه فى الماء بعد تزويده بالطعم المناسب فى حين يظل هو فى القارب أو على الساحل ممسكا بالطرف الآخر من الخيط ، ومتى أحس بأى اهتزاز فيه سارع إلى جذب السنار محملاً بالصيد المرتقب .

ونظراً لبعد بعض مراكز تسويق الربيان عن مصادر إنتاجه ، فقد عمد الصيادون إلى طريقة تضمن استمرار صلاحيته للأكل أطول فترة ممكنة ، فكانوا يقومون فور استخراجه من البحر بسلقه فى الماء ثم يضيفون إليه مقدار من الملح ويضعونه فى أوعية خاصة به ويترك حتى يجف ومن ثم يحمل إلى مختلف المدن فى شرق الجزيرة ووسطها ، ومنه مايباع منزوع الملح مقشوراً ولايباع طرياً إلا فى حدود ضيقة وفى المدن الساحلية خاصة .

أما السمك فإنه يباع طرياً باستثناء أنواع قليلة منه تباع مجففة ، والردىء من هذه الأنواع كالعومة تعلف به الأبقار خاصة لما له من أثر فعال فى إدرار اللبن .

وفى ظل التبدل الشامل الذى طرأ على الحياة الاقتصادية فى المنطقة فى أعقاب اكتشاف الزيت أصبحت حرفة الصيد أكثر سهولة ويسر ، حيث سارع بعض المستثمرين فى الكويت والبحرين والمنطقة الشرقية وقطر منذ العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجرى إلى استيراد القوارب الحديثة المزودة بالأجهزة المتطورة للصيد ، كما أنشئت المعامل الخاصة بتنظيف الأسماك والربيان وتعبئتها وتجهيزها للأسواق ومراكز العرض ، فصار يستخرج من مياه الخليج يومياً مايقدر بآلاف الأطنان من الأسماك الجيدة والربيان الممتاز وذلك استجابة للحاجة المتزايدة فى الأسواق المحلية من ناحية ولشدة الطلب عليه فى الأسواق العالمية من ناحية أخرى .

ويعتبر مصنع خليفة القصيبى للأسماك أول مصنع من نوعه يتم تأسيسه فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

الغــوص

عرف الإنسان اللؤلؤ منذ أقدم العصور فعمل على استخراجه والانتفاع به فى مضمار الزينة وصناعة الأدوية وبعض الصناعات ، وهو حجر كريم يتكون داخل حيوان بحرى هلامى يعرف بالمحار له عدَّة أشكال . فهناك إلى جانب المحار العادى المألوف بعض أنواع منها :

١ - الإصديفى : وهو كبير الحجم وجميل جداً شديد اللمعان ويستعمل للزينة ويوجد فى مغاصات كل من البحرين وعمان .

٢ - عيسرين : وحجمه أصغر من الأول .

٣ - خلوق : ويوجد فيه اللؤلؤ بقلة .

٤ - زَنِّيه : وهذا نوع مستطيل الشكل ويوجد به قليل من اللؤلؤ من النوع الردىء .

وينشأ اللؤلؤ فى المحارة عندما يتسلل إلى داخلها جسم غريب يثير الحيوان الهلامى بها فيقوم هذا الحيوان بالدفاع عن نفسه بإفراز مادة لؤلؤية تتراكم حول ذلك الجسم لإكسابه شيئا من النعومة التي تمنع الأذى عن الحيوان ، ومن هذه المادة تتكون اللؤلؤة المعروفة . ويتكون اللؤلؤ من نفس المادة التى تتكون منها صدفة الحيوان الهلامى فى هيئة طبقات حول نواة هى الجسم الغريب وتتخد اللآلىء أشكالاً وألوانا مختلفة باختلاف الحيوان الرخو ونوع الجسم الغريب المتسلل إلى داخل المحارة (١) .

ويتفاوت اللؤلؤ من حيث النوع والشكل والحجم ، ففيه الكبير والمتوسط والصغير وفيه الجيد والأقل جودة والردىء ، وفيه الأبيض والأخضر والأحمر ، وأجود أصنافه الكبير الرزين البرَّاق المتميز بالاستدارة التامة ورطوبة الملمس ، وأشهر أنواعه الجيون ، الشرين والجلوار والجصط ، البدلة ، والجوهر الكبير يسمى رأساً وأشرف أنواعه الحصبانى ، والمتوسط ويسمى بطناً أما الصغير وهو القماش فيسمى ذيلاً ، ويعرف الناعم باسم سحتيت .

ويتراوح وزن الكبير منه بين مثقال ومثقال ونصف وفى الحالات النادرة يصل إلى ثلاثة مثاقيل والبحار التى يوجد فيها اللؤلؤ هى (٢) الخليج العربى وسواحل جزيرة سيلان وبعض شواطىء الهند والبحر الأحمر واليابان واستراليا وأرخبيل سولو فى شمال شرق بورينو وبعض جزر المحيط الهندى وأمريكا الوسطى والبحر الكاريبى .

---

(١) - محمد شفيق غربال : الموسوعة الميسرة ص ١٥٨٠

(٢) الوثيقة : العدد السابع شوال ١٤٠٥ هـ ص ١٣٩

وهناك لؤلؤ يستخرج من بعض الأنهار مثل أنهار بريطانيا وكندا والصين واليابان وهى أقل قيمة من اللؤلؤ البحرى ، ويعتبر الخليج العربى أفضل مواطن اللؤلؤ سواءاً فى الجودة أو غزارة الإنتاج ومرد ذلك لعدة عوامل منها . ضحالة مياهه ووجود البيئة المناسبة لنشأة المحار ، كما أن وجود الينابيع الحلوة المتدفقة من قاعه تعد سبباً فى إضفاء المزيد من الرونق والجمال على لآلئه ، وتتواجد المغاصات فى الخليج على امتداد السواحل العربية وفى محاذاتها ولايتجاوز بُعد أبعدها عن هذه السواحل أكثر من أربعين كيلاً ومن هنا قال المقدسى (المغاصات فى سواحل هجر (١) وهى كثيرة قدرها صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق بنحو ثلاثمائة موضع ، وتعرف هذه المواضع لدى سكان الخليج باسم الهيرات جمع هير وأصله بالفارسية الهار أى محل اللؤلؤ والأحجار الكريمة ومنجم الذهب (٢) ، ولكل مغاص اسم خاص به وصفاته التى ينفرد بها ويمكن ملاحظة ذلك الاختلاف فى مقدار عمق مياهه وصفائها وأنواع التربة والصخور والأعشاب بقاعه وكمية المحار به ومدى جودته ، ويتراوح عمق هذه المغاصات من خمسة أمتار إلى خمسة وعشرين متراً ، وفى بعض المواضع الموازية لساحل عُمان قد يبلغ العمق سبعة وعشرين متراً ، ومن هذه المغاصات نذكر على سبيل المثال أبو غُنامة ، والميانه ، وأبو حاقول ، وأبوعمامه ، وأبودقل ، مشبك أبوعمامه وأبولثامه وأبوصول ، وجبل الرمل ، وأبوخور ، خبابان ، فجوة الرميحى ، الواسعة ، وهير ظهر البياض، هير ظهر أبو على ، هير رأس أبو على ، هير البطن أو الباطن ، وحولى فى الكويت (٣) ومن هنا أصبح الغوص على اللؤلؤ واستخراجه وصناعته والاتجار فيه من أهم الموارد المالية لسكان هذه البلاد منذ عصور موغلة فى القدم ، وتحدثنا بعض اللوحات السومرية والأكادية بأن سفن أور كانت تجلب من دلمون «البحرين» اللؤلؤ وقد عبرت عنه بعين السمك وذلك من ثلاثة الآف سنة قبل الميلاد (٤)

كما ذكر نيركس أحد قواد الإسكندر اللؤلؤ حين رأى الغوص عليه فى الخليج أثناء عودته مع أساطيله إلى بابل بأن ذلك يذكره بصيده فى سواحل الهند (٥) كما أشار إلى لؤلؤ الخليج بعض مؤرخى الإغريق والرومان مثل بليانوس .

---

(١) – نزهة المشتاق فى اجتياز الآفاق

(٢) – عبد الوهاب العيسى القطامى : الصيد والتنقل والتجارة فى البحار الملحق فى نهاية كتاب والده دليل المختار ص ٢٠٨

(٣) – مجلة الوثيقة : العدد السابع شوال ١٤٠٥ هـ ص ١٦٤–١٦٥

(٤) – كتاب : WELCOME TO BAHREN

(٥) – ص ٤١ من كتاب : BREZUAN GALF

وقد تحدث الشعر منذ العصر الجاهلى عن اللؤلؤ والغوص عليه ، فهذا المخبل السعدى أحد شعراء هذه البلاد المخضرمين يزودنا بإحدى الصور للغوص فى مياه الخليج فيقول هذا الشاعر وهو يشبه دموعه المتناثرة لدى ذكر حبيبته بأنها كاللآلىء التى إنحل نظمها فتساقطت وأن وجه تلك الحبيبة يشبه اللؤلؤة النادرة الغالية التى ازدان بها عرش العجم وقد جاء بها من أعماق البحر غواص نحيل ماهر يشبه السهم فى الاندفاع والسرعة أثناء عمله ، جرىء لا يبالى بلخم البحر وهى من أشد الأسماك خطراً على الغاصة فهو فى ذلك يقول :

ذكر الرباب وذكرها سقم
فصبا وليس لمن صبا حلم
وإذا ألم خيالها طرفت
عينى فماء شئونها سجم
كاللؤلؤ المسجور أغفل فى
سلك النظام فخانه النظم
وتريك وجها كالصحيفة لا
ظمآن مختلج ولاجهم
كعقيلة الدار استضاء بها
محراب عرش عزها العجم
أغلى بها ثمنا وجاء بها
شخط العظام كأنه سهم
بلبانه زيت وأخرجها
من ذى غوارب(١)وسطها اللخم(٢)

وعلاوة على ماتقدم فقد تحدث عن الغوص فى الخليج عدد من المؤرخين والرحالة الذين زاروا هذه البلاد أو كتبوا عنها ومنهم على سبيل المثال أبو على بن حسين المسعودى (٣)

---

(١) - غوارب : البحر
(٢) - اللخم : نوع من السمك
(٣) - مروج الذهب : جـ ١ ص ١٤٨

المتوفى سنة ٣٤٦ هـ . والرحالة ابن بطوطة المتوفى عام ٧٧٩هـ - ١٣٧٧م (١) وأبو الريحان بن أحمد البيرونى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ - ١١٤٠م (٢) وكذلك صاحب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق .

وقد زودنا هؤلاء الكتاب بمعلومات جيدة عن الغوص وصفته وأدواته وأعرافه ومواضعه والعاملين فيه ومعاناتهم ومايتعرضون له من الأهوال ، كما زودونا بمعلومات غزيرة عن اللؤلؤ ونوادره وأثمانه ، ومن خلال هذه المعلومات يمكن ملاحظة أن الغواص ظل إلى أن لفظ الغوص أنفاسه فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى يسير سيرة آبائه وأجداده منذ أقدم العصور .

موسم الغوص وصفته :

يشغل موسم الغوص الرئيسى من السنة أربعة أشهر وعشرة أيام وذلك من شهر مايو أيار إلى سبتمبر - أيلول ، وهناك فترتان ثانويتان إحداهما فى شهر آبريل وتسمى خنجية والأخرى فى أكتوبر وتسمى الرَدَّة أو الرديدة ، والسفن التى تخرج فى هاتين الفترتين قليلة العدد ومن النوع الصغير وتمارس عملها فى المغاصات القريبة من الشواطىء ، وعائدات الغوص فى هاتين الفترتين تخص المشتغلين فيها من البحارة ولاتندرج تحت الحساب العام للغوص وقبل حلول أوان الغوص الرئيسى فى كل عام بأيام يتم التحضير والاستعداد للموسم الجديد حيث يعمل أصحاب السفن على جمع أتباعهم من الغواصين والمستخدمين فيصرف كل واحد من هؤلاء لأتباعه مبلغا من المال يسمى السلف وذلك لإصلاح أحوالهم وتأمين لوازم أسرهم طيلة فترة غيابهم ، وقد جرت العادة أن يدفعوا لهم فى فصل الشتاء قرضاً يسمى التسقام .

ومن أشهر أصحاب السفن العاملة فى الخليج فى العصر الجاهلى ابن يامين وهو يهودى ذكره كل من امرىء القيس وطرفة بن العبد فى شعرهما ، ومن عهد الغوص الأخير نذكر منهم على سبيل المثال أحمد بن عيسى الدوسرى ، وحمد بن على الدوسرى ، وعبد العزيز محمد الدوسرى ، وناصر جبر الدوسرى ، وخميس بن جبر الدوسرى ، وسعد بن محمد وربيعه ابن سنان ، وأحمد بن إبراهيم ، وحسين أبوسريح ، وأحمد بن كيان ، وخميس بن راشد (٣) وكذلك حجى محمد سوار ومهنا أبو حمود وأبو عضم ولد ماجد (٤) .

---

(١) رحلةابن بطوطة : نزهة الأبصار فى غرائب الأمصار ص ٢٧٩

(٢) الجماهر فى معرفة الجواهر ص ١٠٤ الى ١٠٦

(٣) عبد الله احمد الشباط - سلسلة هذه بلادنا الخبر ٤٨

(٤) الوثيقة العدد السابع شوال ١٤٠٥ هـ ص ١٧٩

وحين يحل اليوم المعين للذهاب إلى الغوص يخرج البحارة فى موكب مهيب من الأهل والأقارب حيث تحتشد الحشود عند موانىء الإقلاع كدارين والجبيل والبحرين وقطر والكويت وهم يرددون الأهازيج المعبرة عن المشاعر الفياضة بحرارة الوداع حيث يمتزج الأمل بالألم والخوف بالرجاء وتتصاعد الابتهالات بأن يكلأ الله المسافرين بعين رعايته ويردهم إلى ذويهم فى أوفر حظ وأحسن حال ، وفى خضم هذه المشاعر الفياضة تقلع السفن بالرجال إلى وجهتها وفى أول نقطة تتوقف عندها يقوم النوخذة بصرف مبلغ من المال للغواصين ويسمى هذا خرجية ، وقد كانت جزيرة أوال «البحرين» المركز الرئيسى للانطلاق نحو مغاصات اللؤلؤ حيث يقيم بها ويلتقى فيها كبار الغاصة وأرباب السفن والتجار ، ومن ثم تتخذ جميع الترتيبات لعملية الغوص بعد أن تكون جميع أساطيله قد وفدت إليها من مختلف موانىء البلاد ، ومن أشهر أنواع السفن العاملة فى الغوص فيما مضى من الزمان نوع يقال له دونج(١) وهو أكبر من الزورق ويقسم إلى خمسة أو ستة أقسام كل قسم منها يخص تاجراً معيناً ، ومن أنواع السفن فى الأيام المتأخرة نذكر على سبيل المثال .

١ - البتيل	٢ - بَقَّارة	٣ - سمبوك
٤ - البوم	٥ - جلبوت	٦ - شوعى
٧ - خطية	٨ - البلم	٩ - الهورى
١٠ - الدايخية	١١ - الزارومة	

وقد قَدَّر صاحب نزهة المشتاق عدد السفن المعدَّة للغوص فى البحرين إبان زيارته لها بزهاء مائتى سفينة ، وقد تضاعف هذا العدد بمرور الأيام فبلغ عدد السفن العاملة بالخليج سنة ١٩٠٧م ٤٥٠٠ سفينة يخص أهل الأحساء منها ١٦٧ سفينة يعمل عليها زهاء ٣٥٠٠ بحار(٢) أما نسبة الغواصين للقوارب فى الأحساء فتقدر بواحد وعشرين رجلاً لكل قارب.

وتقدر عدد سفن البحرين بـ٩١٧ سفينة ويعمل عليها ٧٦٣٣ رجلاً . كما تقدر عدد سفن

---

(١) - نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق جـ٣ ص ٣٨٧

(٢) لوريمير : دليل الخليج القسم الجغرافى - جـ٢ ص٨٤٧

الغوص فى قطر بنحو ٨١٧ سفينة ، وعدد البحارة ١٢٨٩٠ رجلاً أما سفن الغوص فى الكويت فتبلغ ٤٦١ سفينة ، وعدد البحارة ٩٢٠٠ رجل .

العاملون فى الغوص :

١ - ربان السفينة : ويعرف باسم ناخوذاه وينطق محلياً باسم نوخذة وجمعها نواخذة . وهى كلمة من أصل فارسى وهو المسئول الأول عن السفينة ورحلة الغوص .

٢ - الجَعدِى : وهو من ينوب عن النوخذة فى حالة غيابه كما يقوم بمساعدته .

٣ - المقدمى : وهو رئيس البحارة وهو المسئول عن العمل فى السفينة والمشرف على شئونها .

٤ - الغيص : وهو الذى يغوص فى البحر لالتقاط المحار .

٥ - السيب : وهو الشخص الذى يقوم بجذب الغيص من الماء وكان قديما يسمى المصفى .

٦ - الرديف : وهو الصبى الذى يقوم بالتدرب على العمل بالسفينة ويقوم ببعض الأعمال الخفيفة .

٧ - النَهام : وهو الذى يرفه عن البحارة بالغناء لهم .

٨ - العزّال : وهو الشخص الذى يقوم بالغوص لحسابه الخاص وله سيبه الخاص به ، وجميع مايحصل عليه يخصه بعد أن يقتطع منه خُمس محصوله لربان السفينة وكذلك حصة السيب ونفقات الطعام .

٩ - تباب : وهو الذى يقوم بخدمة البحارة ويتدرب على العمل فى البحر وليس له سهم ويحصل على مكافأة من النوخذة وبعض البحارة ، وله أن يبحث فى بقية المحار المفتوح عن صغار اللؤلؤ ليبيعها لحسابه .

أما عدد البحارة فى سفينة الغوص فيختلف باختلاف حجم السفينة حيث يتراوح بين ٣٠ إلى أكثر من ١٠٠ بحار ، وعادة يكون عدد السيوب أكثر من الغاصة وذلك للاحتياط عند الحاجة ، كما أنهم يساعدون فى التجديف وفتح المحار .

عملية الغوص :

جرت العادة أن تخرج السفن من جزيرة أوال يتقدمها دليل ماهر تسير فى إثره ولاتحيد عن طريقه ، وعندما يمر الدليل بأحد المغاصات المعروفة بوجود اللؤلؤ فيها يتجرد من ثيابه

ويغطس لينظر فيه ، ومتى وجد هناك بغيته خرج وأمر بحط قلاع دونجه ، وكذلك تفعل باقى السفن حيث يباشر كل من الغاصة عمله ، أما فى الأيام المتأخرة فإن كل ربان سفينة يعتمد فى التعرف على مواطن الغوص على خبرته الخاصة مستهديا بالنجوم والبوصلة البحرية « الديرة » وهناك حبل طويل يحمل علامات صغيرة بين كل منها مقدار ستة أقدام وينتهى أحد طرفيه بقطعة من الرصاص تسمى بلد « مرجاس » يستخدمها الغيص فى التعرف على عمق المغاص وطبيعة أرضه . وعند مواضع الغوص يأخذ الغاصة الأهبة للعمل منذ الصباح الباكر ، فيصلون الفجر ويتناولون القهوة والتمر ثم يخرج كل واحد منهم مابحوزته من أدوات الغوص وهى (١) :

١ - الشمشول : وهو سروال قصير أسود اللون ، وقد اختير اللون الأسود لكونه من الألوان التى لاتثير الأسماك الشرسة من أمثال القرش .

٢ - الخط : وهو قطعة صغيرة من الجلد يضعها الغواص على أصابع اليد للحيلولة دون تعرضها للجروح أثناء جمع المحار الخشن من نوع الفِساق .

٣ - القلطة : وهو حبل قصير يربط بطرف السفينة ليمسك به الغواص أثناء النزول منها والصعود إليها .

٤ - الإيدة : وهى حبل طويل يتراوح طوله من ٧٢ الى ٨١ متراً ويستخدمه السيب فى جذب الغيص من الأعماق .

٥ - الزبل : وهو حبل يبلغ طوله ٣٦ متراً بأحد طرفيه كتلة ثقيلة من الرصاص تساعد الغيص على الاندفاع إلى القاع .

٦ - الفطام : وهو أداة مصنوعة من عظام السلحفاة لايتجاوز طولها أصبع اليد وبها فتحة يضعها الغواص على أنفه لمنع دخول الماء إليه أو تسرب الهواء المحبوس فى جوفه .

٧ - الدنين : وهو مخلاة مصنوعة من الحبال الدقيقة بأعلاها حلقة من الخشب يعلقها الغواص فى رقبته ليجمع فيها المحار ، وإذا كان الغواص من البدو وشعر رأسه طويل فهناك الطرطور وهو قلنسوة طويلة دقيقة يضعها على رأسه حتى لايضايقه الشعر أثناء عمله .

---

(١) - عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ص ٧٥-٧٦

وحين يهم الغيص بالنزول إلى الماء يتجرد من ثيابه ويشرع فى استعمال هذه الأدوات ، فيلف أحد طرفى الإيدة على وسطه ويثبت الزبل فى رجله كما يثبت الفطام على أنفه بواسطة خيط دقيق يلفه حول عنقه ويعلق الدنين فى رقبته ثم يندفع إلى الأعماق والسيب واقف فى السفينة يرقبه ويمسك بطرفى الإيدة والزبل ، وحين يصل الغيص إلى القاع يتخلى عن الزبل فيسحبه السيب ويظل هو يجمع المحار بيده فإذا أوشك نفسه على النفاذ أو امتلأت المخلاة بالمحار هز الحبل برفق وهى إشارة الرغبة فى الخروج ، فيقوم السيب على الفور بجذبه ويتناول المخلاة منه فيفرغ مابها من المحار فى السفينة ثم يعيد الغيص الكرة من جديد مرة بعد أخرى والغطسة فى اصطلاح الغواصين تسمى تبَّة ، ويتم ضبط عدد الغطسات «التبات» بواسطة عقد منظوم من قطع خشب مستطيلة أو من فقرات ظهر إحدى الأسماك الكبيرة تعلق فى مؤخرة السفينة وبعد كل غطسة يسحب السيب واحدة منها فإذا أنهى الغيص عدد عشر غطسات أعلن السيب عن ذلك بكلمة عنها ، وبعد خمس دقائق يمضيانها فى الراحة وتناول بضع حبات من التمر يستأنفان العمل من جديد إلى أن ينهى الغيص نوبته وهى حوالى مائة غطسة فى اليوم الواحد ، والمدة التى يمضيها الغيص فى عمله تحت الماء تتفاوت من واحد إلى آخر وهى فى العادة تتراوح بين (١) دقيقة ونصف دقيقة إلا أن الغيص الممتاز يستطيع المكث تحت الماء مدة ثلاث دقائق ، فى حين أن هناك من لايستطيع البقاء فى الأعماق أكثر من دقيقة واحدة ، وربما ينتهى نفس الغيص وهو فى قاع البحر أو بين القاع وسطح الماء ويتم إنقاذه وهو فى الرمق الأخير فيقول البحارة حينئذ فلان سنا ، وربما يموت من يتعرض لهذه الحالة حين لاتتم نجدته فى الوقت المناسب ، وهكذا يستمر الغاصة فى عملهم من طلوع الشمس حتى غروبها عندئذ يقول صاحب الحملة أو من ينوب عنه اطووا أحبالكم أو يقول هلل عليهم فيقول الغاصة لا إله إلا الله فيخرجون إلى ظهر السفينة ليؤدوا صلاة المغرب ثم يتناولون طعام العشاء وهو فى العادة يتكون من الأرز والسمك يأكلونه حاراً ومن لم يجاريهم فى ذلك فسينام على الطوى بالتأكيد ، وبعد صلاة العشاء مباشرة ينامون متلاصقين على فرش فى غاية الخشونة ، حيث يكون الفراش عبارة عن سجادة مصنوعة من الحبال بطول ١٦٠ سم وعرض ٥٢ سم ولكنهم ينامون من شدة الإرهاق والتعب نوما

---

(١) مجلة الوثيقة : العدد السابع شوال ١٤٠٥ هـ ص ١٦٧

عميقاً حتى صباح اليوم التالى ، وبعد طلوع الشمس يشرعون فى فتح المحار بحثاً عن اللؤلؤ بواسطة سكين معكوفة تسمى مفلقة ، ومتى تم العثور على دانة (١) فإن السعادة تغمر الجميع فتنطلق ألسنتهم بالتهليل والثناء على الله والأهازيج المعبرة عن الغبطة والسرور بهذا الفوز العظيم ، ويتم جمع اللؤلؤ فى قماش خاص ويحفظ لدى ربان السفينة «النوخذة» حيث يتولى بدوره بيعه على التجار المتخصصين فى شراء اللؤلؤ .

ويحدثنا صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق أن تجار اللؤلؤ فى أيامه كانوا يرافقون الغواصين فى رحلة الغوص ويقيمون فى السفن معهم ، حيث يقوم المصفى (السيب) فور فراغ الغواص من عمله فى فتح المحار أمام التاجر حتى يأتى على آخره ، عندئذ يتسلم التاجر منه اللؤلؤ ويصره فى منديل يدون عليه اسم صاحبه ويطبعه بخاتم خاص ثم يحفظه معه ، وبعد انقضاء موسم الغوص ينصرف الجميع إلى جزيرة أوال ، وبعد نزولهم فيها يسلم التجار مافى حوزتهم من اللؤلؤ إلى والى الجزيرة ، فيظل فى قبضة الوالى وفى ذمته ، فإذا كان يوم البيع اجتمع التجار فى الموضع المعد للبيع وأخذ كل واحد مكانه وأحضرت الصرر ونودى على أصحابها فتفض خواتمها واحدة بعد أخرى ويصب مافى الصرة من لؤلؤ فى غربال موضوع تحته ثلاثة غرابيل ، وتلك الغرابيل لها أعين متفاوتة الاتساع بحيث يمسك كل غربال منها حجماً معيناًمن اللؤلؤ ، فيظل على الغربال الأول أكبر اللؤلؤ حجماً ، كما يستقر على الغربال الثانى اللؤلؤ المتوسط ، ويستقر على الغربال الثالث أصغر أحجام اللؤلؤ ثم يعرض كل صنف منها للبيع وينادى عليه حتى يستقر على سعر معين ، فإذا أحب التاجر شراء سلعته سجلت فى حسابه وإن شاء بيعها بيعت وتسلم ثمنها بعد حسم تكاليف الرحلة ثم ينصرف الجميع من مجلس البيع ، وقد جرت العادة أن يحتفظ الوالى بالجواهر النفيسة لحساب أمير المؤمنين،والعدل لايفارقهم فى البيع والشراء حتى لايضام منهم أحد ولايشكو ظلماً(٢)

أما فى العصور المتأخرة للغوص فإن تجار اللؤلؤ وهم الطواشون كما يسميهم أهل الخليج كانوا يتجولون فى قواربهم الصغيرة بين سفن الغوص ليشتروا مالدى أصحابها من اللؤلؤ ومن ثم يقومون من جانبهم ببيعه لوسطاء تجارة اللؤلؤ العالمية . وفور انصرام موسم الغوص وبيع اللؤلؤ تتم تصفية حسابات الرحلة فتحسم أولا الرسوم والإتاوات المقررة للسلطات الحاكمة من الغوص ، وكانت هذه الرسوم من نحو ألف عام توازى خمس محصول

---

(١) - اللؤلؤة الكبيرة وهو اسم محلى معروف عند أهل الخليج

(٢) - الإدريسى : نزهة المشتاق ص ٣٨٨

الغوص ، أما فى السنوات الأخيرة للغوص فإن مقاديرها تختلف من مكان لآخر ومن حكومة لأخرى ، فقد كان العثمانيون مثلاً يأخذون نصف ليرة عثمانية على القارب الواحد بغض النظر عن حجمه وقد بلغت الضرائب المستوفاة سنة ١٩٠٥م عن القارب مبلغ ٥٧ جنيها إسترلينياً وفى البحرين كان الحاكم يأخذ على كل سفينة غوص كبيرة ٢٠٠ روبية وتتدرج إلى الأقل حسب حجم السفينة .

وأما فى الكويت فقد كان الحاكم يأخذ مايوازى سهم غيص من كل سفينة على موجب الإيراد ، وإذا لم تحقق السفينة ربحاً لايأخذ الحاكم شيئاً ، وبعد حسم هذه الرسوم يشرع فى توزيع المتبقى على النحو التالى :

١ - خمس صافى المبلغ لمالك السفينة

٢ - النوخذة ثلاثة أسهم

٣ - الجعدى ثلاثة اسهم

٤ - المقدمى ثلاثة أسهم

٥ - الغواص ثلاثة أسهم

٦ - السيب سهمان

٧ - الرديف سهم واحد

٨ - التباب ليس له سهم حيث يحصل على مكافأة من ربان السفينة وبعض البحارة .

ويؤدى الغواصة أعمالهم وسط ظروف بالغة القسوة والمشقة لما يتعرضون له من الأخطار والأمراض وألوان المعاناة .

القفال (العودة من الغوص)

ينتهى موسم الغوص فى اليوم السابع والعشرين من شهر سبتمبر أيلول حيث يتساوى الليل مع النهار وتبرد مياه البحر ، عندئذٍ يتأهب كافة العاملين فى رحلة الغوص بالعودة إلى الديار فيقوم أحد النواخذة أو أمير الغواصين بالإعلان للجميع عن انتهاء موسم العمل فى البحر وذلك برفع علم خاص به مع إرسال طلقة نارية من بندقيته أو مدفعه الصغير ، عندئذ تنطلق كل مجموعة من السفن إلى وجهتها يحدوها الحنين للوطن والشوق للقاء الأحبة والأهل ، وفى الوقت ذاته تكون السواحل قد ازدحمت بحشود المستقبلين من الرجال والنساء حتى إذا ألقت المراكب بمراسيها عند الشاطىء غمرت الجميع موجة من السعادة الطاغية فانطلقت الألسنة بآيات الحمد والثناء على الله بسلامة العائدين وتعالت زغاريد النساء بالأهازيج المعبرة عن الفرحة الكبرى برجوع الرجال ، ثم يدخلون إلى البلاد فى موكب مهيب مشهود حتى ينصرف كل إلى منزله ، حينئذ تأخذ الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الانتعاش فتكثر الأعراس والأفراح وتنشط حركة الأسواق وتعمير المنازل والعمل فى جنى محاصيل التمور التى يكون أوان جنيها قد حان .

وصفوة القول أن الرخاء والازدهار يعم مرافق الحياة فى البلاد فى هذه الفترة بعد أن كان الركود قد ران عليها طيلة أشهر موسم الغوص حيث تكاد لاترى فى المدن آنذاك من الرجال سوى طلبة العلم وحفظة الأمن والصناع والحرفيين ممن لاغنى للحياة اليومية عن وجودهم ومن هنا نتبين أن الغوص على اللؤلؤ فى مياه الخليج كان يمثل شريانا حيوياً للاقتصاد القومى ومصدر دخل جيد لقطاع كبير من السكان من المشتغلين باستخراجه وتصنيعه وتسويقه ، وكم كانت تجارة اللؤلؤ سبباً فى ظهور أسر ثرية لعبت دوراً بارزاً فى تاريخ الخليج السياسى والاقتصادى ، ولدينا من الشواهد على ذلك الأسر الكريمة الحاكمة فى كل من البحرين وقطر والكويت وجميعها كانت فى الأصل أسر تاجرة تمكنت بفضل مااتصفت به من صفات القيادة أن توظف عائداتها التجارية التى كان يشكل اللؤلؤ الجزء الأعظم منها فى الاستئثار بولاء المجتمع المحيط بها ومحبته حتى تبوأت منه مركز الصدارة والزعامة ، كما تعتبر تجارة اللؤلؤ أيضاً من أهم العوامل التى جعلت من بعض مناطق الخليج وفى مقدمتها جزيرة البحرين مركزاً تجارياً يعج برجال الأعمال المتخصصين فى هذه التجارة من أبنائه وأبناء الأقطار الأخرى كالهند وفرنسا وبريطانيا وغيرها .

ومن تجار اللؤلؤ المحليين نذكر على سبيل المثال :-

مبارك عبد الله الخاطر ، راشد الخاطر ، أحمد بن على الخاطر ، محمد الخاطر ، عيسى العيسى ، محمد العيسى ، أحمد العيسى ، منصور العيد ، وسلطان بن راشد من أهالى الجبيل[1]
ومن دارين عبد الوهاب الفيحانى ، وراشد بن فاضل البنعلى ، ومحمد عبد الوهاب الفيحانى ومن الخبر عيسى بن أحمد الدوسرى .
ومن أشهر تجار اللؤلؤ أيضاً عبد الرحمن بن حسن القصيبى ، ومحمد على الزيانى وعبد الله ابن على الزايد[2]
ومن اشهر تجار اللؤلؤ فى الكويت حسين على آل سيف .
وقد استمر الغوص على اللؤلؤ والاتجار به منذ أقدم عصور الاستيطان فى هذه البلاد إلى أن حان أفول نجمه فى العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجرى يشكل مورداً من أهم الموارد المالية لابنائها ومجالاً خصباً لتجارتها المحلية والخارجية إلى أن زحزحت اليابان سلطان اللؤلؤ الطبيعى عن عرشه فى إثر نجاح العالم اليابانى نيكوموتو سنة ١٩١٢م فى إنتاج أول لؤلؤة مزروعة كاملة الاستدارة فأصبحت مصانعه تنتج من هذه اللآلىء ٢٠ مليون لؤلؤة سنوياً ، وقد أفضى ذلك إلى انهيار أسواق اللؤلؤ الطبيعى فصارت عائداته فى بعض المواسم لاتفى بنفقات الرحلة ، ومما زاد الطين بلة على مايذكر سيف مرزوق الشملان الركود الاقتصادى الشديد الذى ساد الأسواق فى مختلف أرجاء المعمورة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، علاوة على عدم تورع أصحاب النفوس المريضة عن الغش فى تجارتهم وذلك بخلط اللؤلؤ المزروع مع اللؤلؤ الطبيعى وقد ضبطت عدَّة قضايا من هذا النوع وجُوزِى مرتكبها بالعقاب الرادع ، كما أن عدم وجود ضوابط تحكم استخراج وبيع هذه الثروة وغياب التنسيق فى ذلك بين الجهات المحلية المستفيدة منها جعل التهافت على استخراج اللؤلؤ وطرحه فى الأسواق بكميات هائلة تعجز هذه الاسواق عن استيعابها من أهم أسباب إنهيار أسعاره مما أدى إلى كساده . جاء ذلك فى وقت لم تكن القاعدة العريضة من مجتمعه قد دار فى خلدها حلول مثل هذا اليوم فلم تعرف للمال قيمة ولا للادخار سبيلاً ، فكانت النقود لاتستقر فى يد الغواص إلا بقدر مايوصلها إلى دائنيه ، وإذا ماتبقى مع أحدهم مايزيد عن حاجته أنفقه فيما لاطائل منه . لذلك صار هؤلاء المساكين أفدح الناس مصابا بكساد اللؤلؤ وزوال مجده وقد استبدت بهم الفاقة وأرهقت كواهلهم الديون حتى صاروا فى أتعس حال ، وفى الوقت الذى تلفظ فيه تجارة اللؤلؤ أنفاسها يتدفق الذهب الأسود من هذه السواحل منهياً بذلك حياة الصراع مع البحر فى البحث عن اللؤلؤ ومبشراً بحياة الرخاء والازدهار لهذه البلاد .

---

(١) - الشيخ عبد الرحمن العبيد : سلسلة هذه بلادنا ص ٩٣
(٢) - سيف الشملان : تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت جـ ١ص٨

﴿ الفصـــل العاشـــر ﴾

التجــــــــــارة

التجـــــارة

تشغل هجر أجزاء كبيرة من الشواطىء الغربية للخليج وعدداً من جزره ، وقد أدرك سكانها منذ فجر التاريخ أهميته الاقتصادية بالنسبة لحياتهم ، فاقتاتوا من أسماكه واستخرجوا لآلئه وتطلعوا من خلاله إلى الاتصال بغيرهم من الشعوب ، وقد هون عليهم ركوبه ضحالة مياهه وتدرجها نحو العمق فاهتدوا إلى صناعة السفن ، وكانت فى أول أمرها تصنع من القصب وجريد النخل فركبوها وتنقلوا بها بين شطآن الخليج يقيمون مع سكانها أوثق الصلات التجارية عن طريق تبادل البضائع والسلع ، وبمرور الأيام تعاظمت خبرتهم فى هذا المجال فصنعوا السفن من الخشب واخترعوا لها الشراع ومخروا بها عباب البحار والمحيطات وسبروا أغوارها وعرفوا مسالكها ، واستوعبوا أسرار الرياح الموسمية التى تهب على الهند فى فصل الصيف فلا تلبث حتى تعود فى فصل الشتاء باتجاه معاكس ، فاتسعت بذلك دائرة نشاطهم التجارى حتى شملت أهم مناطق الحضارات القديمة المعروفة فى العراق وفارس ووادى الأندوس واليمن ومصر وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط .

وقد كان لإلمام أهل هذه البلاد بالمهارات الملاحية وسبقهم إلى معرفة الكتابة والحساب وموقع بلادهم فى ملتقى الطرق التجارية البرية منها والبحرية أبلغ الأثر في مساعدتهم على الاتصال بالشعوب السالفة الذكر وممارسة التجارة معها فى مختلف السلع الضرورية والكمالية كالذهب والفضة واللؤلؤ والحديد والنحاس والأخشاب ، فقد أشارت المصادر إلى ممارسة الدلمونيين لهذا اللون من النشاط الاقتصادى وذلك منذ ثلاثة آلاف ومائة سنة قبل الميلاد ، وكان من أهم مراكز التجارة جزيرة أوال وجزيرة فيلكا وجزيرة تاروت ومراكز أخرى على امتداد الساحل الغربى للخليج وقد اتخذت بها مواقع للتبادل التجارى فى أماكن مختلفة فى ساحل عُمان وجنوب العراق «أور» وجنوب شرق إيران «تب يحي» ولوثال فى جنوب وادى الأندوس وربما على سواحل البحر الأحمر ، وفى سجلات حضارة بلاد الرافدين بعض النصوص التى تتحدث عن التجارة مع دلمون ، وقد تبين من أخبار الأسرة الثانية من أسر أور أن السفن فى الفترة مابين ٢٢٠٠ إلى ٢١٠٠ ق.م كانت تقوم برحلات منتظمة مابين البحرين وأور (١) وذلك لنقل مايرد إلى هذه الجزيرة من أحجار ثمينة ونحاس وذهب وأفاوية

(١) الدكتور جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام – جـ ٥ ص ٥٤٥،٥٤٦

وأخشاب وسلع نفيسة غالية من مختلف الجهات وربما حملت تلك المتاجر بواسطة سفن تابعة لأهل أور أو غيرهم خلال نهر الفرات لنقلها من هناك إلى بلاد الشام ومنها إلى الشعوب الأخرى المطلة على البحر الأبيض كاليونان وغيرها ، كما كانت سفن دلمون حين تفرغ حمولتها فى أور تعود محملة من هناك بسلع العراق ومايرد إليها من حاصلات الأقطار الأخرى ، وقد كان هؤلاء التجار يدفعون العشر ضريبة عن تجارتهم للمعابد فى أور ، وقد عثر على نصوص اتضح من دراستها أنها عقود واتفاقيات تجارية أبرمت بين كل من تجار أور وتجار دلمون . وتشير وثيقة يرجع تاريخها إلى ١٨٠٠ ق.م أن أسطولاً تجارياً اتجه من أور إلى دلمون للحصول على النحاس كما عبرت وثيقة أخرى عن حدوث سوء تفاهم بشأن صفقة تجارية من النحاس كان التعاقد عليها قد أبرم بين تاجر دلمونى وآخر من أور يدعى أباناصر(٢) وكان رجال المجمع التجارى فى أور المعروف باسم الكاروم يطلقون على عملائهم من تجار دلمون اسم شملوم ، وكان فى جملة السلع التى تصدرها دلمون إلى العراق الفضة والذهب واللؤلؤ والتمور وبعض الحيوانات والأخشاب ، وقد كان النحاس من أهم المواد التى تعول أور على استيرادها من دلمون حيث كان يتدفق على الأخيرة من عُمان ، وقد تم العثور فى البريمى وبعض المواقع القريبة من الجبل الأخضر فى عُمان على مناجم كان يستخرج منها النحاس منذ عصور موغلة فى القدم ، وتبين أن نسبة النيكل فى نحاس تلك المناجم مماثلة لنسبته فى المسامير التى عثر عليها فى كل جزر البحرين ومدينة أور ، مما يؤكد الدور الذى لعبته هذه الجزيرة فى استيراد وتصدير النحاس . ويعد وادى الأندوس من أهم المناطق التى ارتبطت مع دلمون بصلات تجارية وثيقة منذ أوائل الألف الثالث قبل الميلاد يدعم ذلك التشابه الكبير فى عدد من آثار المنطقتين ، ومن تلك الآثار فخار بربارى يعود للفترة القديمة لحضارة وادى الأندوس عثر عليه المنقبون فى مقابر البحرين ويرجع تاريخها للفترات ثلاثة آلاف ، وألف وتسعمائة ، وألف وسبعمائة قبل الميلاد .

كما عثر فى البحرين أيضا على أوزان شديدة الشبه بالأوزان المستعملة فى وادى الأندوس . ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن الأسطول التجارى لدلمون قد اجتاز البحر إلى مصر وتبادل التجارة معها مستشهدين بما تم العثور عليه من الجعارين المصرية فى بعض مقابر البحرين وفيلكا ، ويعود بعض هذه الجعارين إلى عهد تحتمس الثالث وأمنوفيس الثالث فى ألف وخمسمائة قبل الميلاد ، كما يرجع تاريخ الجعارين الأخرى إلى عهد السلالة التاسعة عشرة فى ألف وأربعمائة قبل الميلاد .

---

(١) تاريخ الشرق الأدنى القديم فى الألفين الثانى والأول قبل الميلاد – ص٦٩

وكما نجح الدلمونيون فى ركوب البحر والوصول عن طريقه إلى الأقطار السالفة الذكر وممارسة التبادل التجارى معها نجحوا أيضاً فى اقتحام الصحارى المحيطة ببلادهم على ظهور الجمال ، فوصلوا إلى عُمان وجنوب الجزيرة العربية وتبادلوا مع شعوبها مختلف السلع والبضائع .

وقد ظلت دلمون تمثل إحدى الدوائر التجارية المهمة طيلة ألفين وخمسمائة عام حيث لم تعد المصادر تذكر أى شىء عنها منذ سنة ١٥٤٤ ق.م

ولعل سكان دلمون شرعوا تحت وطأة الحملات الأكادية والآشورية المتكررة عليهم فى النزوح عن بلادهم والاستقرار على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، على حين أخذت موجات بشرية قادمة من بابل تشغل المواطن الأصلية للدلمونيين وتعتمد التجارة أساسا لبناء قوتها، فأنشأت المدن التى مالبثت حتى صارت من أهم المراكز التجارية الخطيرة كمدينة هجر التى عرفت فى أول أمرها باسم الجرهاء فى واحة الأحساء ، وكذلك العقير وسلوى ، وبلبانة فى منطقة القطيف ، وثاج والحناءة وغيرها من المدن والمراكز المتناثرة على امتداد ساحل هجر وفى الجزر التابعة لها وقد ذكرت المصادر أن الهجريين من أكثر الناس نشاطاً فى مضمار التجارة فقد كانوا منذ منتصف الألف الثانى قبل الميلاد سادة تجارة الاستيراد والتصدير ، وكانت أكثر السلع رواجاً فى أيامهم هى التوابل والعقاقير الطبية واللبان والمر والبخور واللؤلؤ والأحجار الكريمة إلى غير ذلك من السلع الضرورية والكمالية على السواء ، وقد اجتمعت لهم من جراء ذلك ثروة طائلة .

ويذكر إسترابوا نقلا عن أرسطو طاليس أن الجرهائيين كانوا يستوردون معظم بضائعهم على الرموث (١) إلى بابل ثم يبحرون بها إلى أعالى الفرات ، ومن هناك يحملونها بالبر إلى أرجاء البلاد .

كما ذكرت المصادر أيضا أن قوافل الجرهائيين كانت تتردد على غزة بفلسطين حيث تأخذ فى سيرها الوئيد طريق الواحات والآبار إلى دومة الجندل ومنها إلى جنوب فلسطين ، وهناك يبيعون مالديهم من السلع ويشترون ما يحتاجون إليه من حاصلات البحر الأبيض المتوسط ثم يقفلون عائدين إلى بلادهم حيث يبيعونها فى الأسواق المحلية أو يرسلونها إلى مواضع أخرى فى جزيرة العرب والبلدان الأخرى .

---

(١) – مجلة أطلال : العدد السادس – ص٩٦

كما تاجر الجرهائيون مع حضرموت فوصلت قوافلهم إليها عبر الربع الخالى فى أربعين يوماً (١) وقد بلغت الجرهاء فى الفترة من ٣٢٣ ق.م الى ٢٠٥ ق.م ذروة نشاطها الاقتصادى كأهم إمارة كانزة للمعادن النفيسة والأحجار الكريمة الغالية ، ولعل هذا الثراء من أهم الأسباب الكامنة وراء قيام الدول المجاورة لها بمهاجمتها وإخضاعها لنفوذهم حتى أفل نجمها فى القرن الثالث الميلادى حيث أصبحت مياه الخليج خاضعة للهيمنة الفارسية وأصبح الأسطول التجارى العربى يعمل فى إطار تلك الهيمنة ، كما أن الصراع الذى اندلع أواره بين الفرس والروم منذ أيام الإسكندر المقدونى - الذى لم يكن دافعه الحقيقى سوى السيطرة على نهايات طرق التجارة والتوابل التى أصبحت تساوى وزنها ذهباً إبان تلك الفترة قد ازدادت حدته ، وكان من نتائج ذلك تأرجح الميزان التجارى والملاحى بين البحر الأحمر والخليج ، فحين تكون الغلبة للفرس تنتعش الملاحة فى الخليج وتتدنى فى البحر الأحمر وعندما يكون التفوق لخصومهم يكون العكس وقد ظل هذا الوضع سائداً حتى قيام الدولة الإسلامية ونجاحها فى بسط السيطرة على هذين الطريقين الحيويين .

التجارة الهجرية بعد ظهور الإسلام :

تشير المصادر بأن التجارة فى هجر ظلت مزدهرة رغم تحديات السيطرة الفارسية على مقدرات البلاد قبل ظهور الإسلام والآثار السلبية للصراع الفارسى الرومى على مياه البحر الأحمر والخليج ، ويمكن أن نتبين قوة الاقتصاد الهجرى الذى تمثل التجارة أحد عناصره الأساسية من خلال مقدار خراجها إلى خزانة الدولة الإسلامية فى صدر الإسلام . فقد ذكر البلاذرى أن أعظم دخل للدولة الإسلامية على عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جاء من البحرين فقال (٢) بعث العلاء بن الحضرمى إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مالاً من البحرين يكون ثمانين ألف ، ماأتاه أكثر منه قبله ولابعده . كما جاء عن أبى هريرة وكان والياً على هجر من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قدم عليه من البحرين فقال:فلقيته فى صلاة العشاء الأخيرة فسلمت عليه فسألنى عن الناس ثم قال لى ماجئت به ؟ قلت جئت بخمسمائة ألف . قال هل تدرى ماتقول ؟ قلت جئت بخمسمائة ألف. قال ماذا تقول ؟ قلت مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف فعددت خمساً فقال إنك ناعس فارجع

---

(١) - دكتور جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - جـ٢ ص١٥

(٢) - البلاذرى : فتوح البلدان ص ٩٥

إلى أهلك فنم فإذا أصبحت فأتنا . قال أبو هريرة فغدوت إليه فقال : ماجئت به ؟ قلت خمسمائة ألف . قال أطيب هو ؟ قلت نعم لاأعلم إلا ذاك . فقال للناس إنه قدم علينا مال كثير فإن شئتم أن نعده عدأ وإن شئتم أن نكيله كيلاً فقال له رجل ياأمير المؤمنين إنى قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه . فقال فدّون الديوان .

فهاتان الروايتان لاتدعان مجالا للشك فى أن هجر كانت تنعم آنذاك بثراء عريض ووضع اقتصادى مزدهر عماده الثروات الطبيعية بها ونشاط أهلها فى مجال التجارة الخارجية ، ولانعدو الصواب إذا قلنا أن التجارة فى هجر وسائر المناطق المطلة على الخليج قد دخلت مرحلة جديدة من النشاط الاقتصادى بعد قيام الدولة الإسلامية ونجاحها فى بسط السيطرة على الخليج والبحر الأحمر وتأمين سبل الملاحة فيها ، كما أن الفتوحات الإسلامية الواسعة هيأت الأسباب أمام أقطار الخليج لتنمية روابطها التجارية مع فارس وبلاد السند والهند والصين وسواحل إفريقيا ، فتصاعد عدد الرحلات التجارية إلى تلك الجهات ، فكانت الأساطيل التجارية تنطلق من موانىء هجر المتعددة مثل دارين والقطيف والعقير وقطر وجزيرة أوال وفيلكا فتعبر مضيق هرمز متجهة إلى ميناء صحار (مسقط) حيث تتجمع هناك السفن الخارجة من عُمان وسيراف والبصرة للتزود بالماء والمؤن ثم الإبحار إلى مراكز التجارة المتعددة والعودة منها بمختلف البضائع النفيسة التى يدر عليهم الاتجار فيها بالأرباح الطائلة فتنسيهم مايتحملون فى سبيلها من صعاب ومايتعرضون له من أهوال ، ذلك لأن الطرق البحرية كانت كثيراً ماتتعرض للأخطار الطبيعية كالعواصف والدوامات والأسماك المتوحشة وهجمات القراصنة ، وقد كان التجار يتحاشون ذلك قدر المستطاع فكانوا يسيرون بسفنهم بالقرب من سواحل البحرين ، أو يفرغون فى مراكزها التجارية حيث ينقلونها من هناك براً إلى مختلف الأقطار (١) وبذلك اكتسبت هجر أهمية متميزة فى مجال الملاحة البحرية والنقل البرى فأصبحت القنطرة التى تصل مراكز التجارة الشرقية بمراكز التجمع التجارى داخل الجزيرة العربية ، وأقدم ماكونته البحرين من علاقات تجارية تلك التى كانت مع أقطار الجزيرة العربية .

---

(١) عبد الرحمن عبد الكريم النجم البحرين فى صدر الاسلام وأثرها فى حركة الخوارج

التجارة مع اليمامة :

تشكل التجارة مع اليمامة أقوى الروابط التجارية بين هجر وأى مكان آخر ، حيث تعتبر الموانىء الهجرية مستودع نجد التجارى الذى يمد سكان وسط الجزيرة بكل لوازم الحياة اليومية من التمور والأرز وسائر المواد الغذائية والمنسوجات والمصنوعات النحاسية والحديدية ، كما تستورد هجر من نجد السمن والأغنام والحنطة أحياناً .

ويذكر أبو الفدا أن أهل الأحساء والقطيف كانوا يجلبون التمر إلى الخرج ويشترون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة حيث كانوا يعتمدون على المقايضة فى البيع والشراء .

التجارة مع الحجاز :

كانت علاقة هجر «البحرين» التجارية مع الحجاز وثيقة قبل الإسلام وبعده وقد أشارت المصادر أن هجر قد صدرت إلى مكة التمور والمنسوجات عند ظهور الإسلام ، كما صدرت إلى يثرب فى الجاهلية وفى صدر الإسلام الثياب والمسك والقلال الفخارية ، وقد استمرت هذه التجارة قائمة بعد الإسلام بين البحرين والحجاز . ومما يذكر أن هجر المدينة كانت مركزاً أقامه الهجريون لعرض بضائعهم ومنها قلال هجر . وقد كان للتجار الداريين فى الحجاز جالية كبيرة بلغ عدد أفرادها فى يثرب زهاء أربعمائة رجل كانوا يتاجرون فى العطور ، وتذكر المصادر أن هذه الجالية قد اشتركت فى مقاومة جيش يزيد بن معاوية فى موقعة الحرة ، الأمر الذى حمل يزيد على الانتقام منهم ففرض عليهم غرامة ثقيلة بلغت أربعمائة ألف درهم عقاباً على مشاركتهم فى تلك الموقعة . ويظهر أن تجارة هجر كانت تشكل عنصرا هاما فى الحياة الاقتصادية بالحجاز ، لذا نجد أنه عندما استحكمت عقدة الخلاف بين نجدة بن عامر الحنفى وعبد الله بن الزبير سارع نجدة إلى قطع الميره من هجر واليمامه عن الحجاز ، غير أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قد التمس من نجدة إلغاء قراره هذا واستئناف إرسال الميرة إلى الحجاز مرة أخرى فأجابه إلى ماطلب ومما يذكر أن هذه التجارة لم تكن قاصرة على المواد الغذائية والمنسوجات فحسب بل شملت أنواع أخرى كالمسك والحرير والعود . فقد ذكرت المصادر أن مقرن بن زامل الجبرى كان يحمل إلى الحجاز الحرير الفاخر والعود من صنف القمرونى إلى جانب أنواع عديدة من السلع النفيسة الغالية .

التجارة مع البصرة :

كانت الأُبلّة ميناء العراق التى تستقبل السفن القادمة من البحرين ، وبعد إنشاء مدينة البصرة انتقل إليها مركز الثقل التجارى وبذلك فقدت الأبلة أهميتها ، وكان التجار الداريون يتوجهون بسفنهم شطر البصرة حيث يمارسون نشاطهم التجارى هناك ، وكان المسك يشكل أهم السلع التى يتعاملون فى الاتجار بها كما كانت الرماح الخطية والملاحف والفوط والقراطيس والمنسوجات والمصنوعات النحاسية فى جملة السلع التى صدرتها هجر إلى العراق .

التجارة مع فارس :

ارتبطت هجر «البحرين» مع فارس بعلاقات تجارية منذ عهد بعيد ، وقد توثقت تلك العلاقات إبان السيطرة الفارسية على سواحل الخليج قبل ظهور الإسلام ، فكانت القوافل التجارية تحمل متاجر فارس إلى أسواق المشقر فى هجر ومن أهم السلع التى تصدرها فارس إلى هجر الحديد وبعض المواد الغذائية والحرير والسجاد وبعض الأوانى النحاسية . أما هجر فقد كانت تصدر إلى فارس التمور والدبس وسعف النخل وبعض المنتجات الزراعية والصناعية مثل الرماح الخطية والعطور وبخاصة المسك . فهذا شاعر من سيراف يرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه متظلماً من استئثار بعض الولاة هناك بجمع الثروات والأموال فيقول :

فلا تدعن أهل السراتيق والقرى
يضيعون مال الله فى الحُمر الوفرى
نؤب كما آبوا ونغزوا كما غزوا
فأنى لهم وفرأ ولسنا أولى وفر
إذا التاجر الدارى جاء بفارة
من المسك راحت من مفارقهم تجرى

التبادل التجارى مع شرق آسيا :

عرفت هذه البلاد وسائر أقطار الخليج التبادل التجارى مع الصين والهند منذ فجر التاريخ وقد بلغت ذروة نشاطها بعد الفتح الإسلامى لبلاد السند حيث ازداد عدد الرحلات التجارية

بين أقطار الخليج وتلك الشعوب ، وقد بلغت خصوصية بعض السفن الخليجية فى التعامل مع الصين حداً جعل المؤرخين يطلقون عليها سفن الصين ، وكانت تلك السفن بعد أن تتجمع فى موانىء عُمان ويتم تزويدها بما تتطلبه الرحلة الطويلة إلى بلاد الصين من المؤن والمياه تقلع من هناك سالكة على الأغلب الطريق المباشر عبر المحيط الهندى إلى « كولم ملى» «كويلن الحالية» (١) فى جنوب الساحل الغربى للهند (جنوب مالابار) وقد فضلت هذا الطريق السفن الكبرى ، كما سلكت بعض السفن طريقا آخر بحذاء الساحل المار بأهم مراكز التجارة العربية فى بلاد السند مثل الديبل والمنصورة وهى السفن التى اعتادت التبادل التجارى مع تلك الموانىء لنقل البضائع هناك وحملها إلى الصين ، وكانت هذه السفن تسير بعد ذلك من مياه السند بإزاء الساحل الغربى للهند حتى تلتقى مع سفن الطريق الأول عند كولم ملى ومن ثم يتم الإبحار إلى الصين . وكانت أهم السلع التى حرص أبناء الخليج على حملها إلى الصين تتمثل فى منتجات بلدان الخليج كالمنسوجات الغالية من التيل والقطن والصوف والبسط والمصنوعات المعدنية وخام الحديد وسبائك الذهب والفضة ، ومن هناك تعود محملة بالمنتجات الصينية ومن أهمها الحرير والعود والمسك وأفضله ماكان يجلب من مدينة «خانقو» وكان أبناء الخليج حين يحصلون على كل مايحتاجون إليه من البضائع يقفلون عائدين إلى بلادهم فتهبط بهم السفن أثناء رجوعها فى هوادة عبر بحر الصين متبعة نفس الطريق التى جاءت منه حتى تلقى مراسيها فى قواعدها التجارية الكبرى على شواطىء الخليج العربى (٢) وقد ظل التبادل التجارى بين بلدان الخليج والصين مستمراً حتى سنة ٢٦٥هـ - ٨٧٨م عندما وقعت ثورة دامية فى بلاد الصين بقيادة «هوانج تشاو» حيث قام بغارات كاسحة على مدينة خانقو أفنى من أهلها عدداً كثيراً ، وقد أحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس ممن قتل وغرق خوفا وهلعاً مائتى ألف نسمة ، وصحب هذه الاضطرابات فى بلاد الصين اضطراب التبادل التجارى مع بلدان الخليج فتوقفت بذلك الرحلات التجارية المباشرة بين الجانبين وصارت السفن المتوجهة إلى الصين من الخليج تلقى مراسيها عند ميناء «كله» على الساحل الغربى لشبه جزيرة ملقا « الملايو» ومن ثم تنقل المتاجر بطريق غير مباشر إلى بلاد الصين (٣)

---

(١) سليمان ابراهيم العسكرى - التجاره والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى ص ١٣٢

(٢) سليمان ابراهيم العسكرى - التجارة والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى ص ١٤٤

(٣) المسعودى - مروج الذهب جـ ١ ص١٤٠

وتحدثنا بعض الوثائق الصينية عن العلاقات بين الساحل العربى من الخليج والصين منذ القرن التاسع الميلادى فتسهب فى ذكر جزيرة أوال «البحرين» فى الفترة التى حُكمت فيها الصين بسلالة «سرنج» والتى استمرت من سنة ٩٦٠م حتى ١٠٧٩م وقد أشارت إلى البحرين باسم «بالين» كذلك ورد ذكر البحرين خلال فترة حكم سلالة يوان الصينية التى امتد حكمها من سنة ١٢٨٠ إلى ١٣٦٨م وقد عرفت البحرين باسم «بهلين» وفولين (١) كما ورد أيضا اسم «يولى هيدى» فى عدد من الكتب التى تعود إلى فترة سنج الصينية ويرى بعض الباحثين أن المراد هو ميناء القطيف

الرحلات التجارية إلى بلاد الهند :

أقامت بلدان الخليج بما فيها هجر «البحرين» أوثق الصلات الاقتصادية مع بلاد الهند منذ العصور التاريخية القديمة ، حيث كانت تحصل منها على معظم ماتحتاج إليه من السلع الضرورية والكمالية لذا فقد اتسع نطاق التبادل التجارى معها حتى عد بعض الباحثين المناطق الساحلية الشمالية والغربية للهند امتدادا جغرافيا لشواطىء الخليج العربى .

وكانت السفن الخليجية بعد أن تتجمع فى عُمان ويتم تمويلها بالمياه والمؤن تنطلق من هناك حتى تدخل ميناء الديلم ، وكانت تلك الرحلات التجارية قد اتخذت من الديلم مركزاً تمارس من خلاله التجارة مع المراكز التجارية لإقليم السند ، ويعتبر ميناء المنصورة (٢) أهم تلك المراكز .

وقد تابعت سفن الخليج نشاطها التجارى مع إقليم السند رغم ماكانت تتعرض له من الأخطار الطبيعية والبشرية لأن ماتجليه من البضائع هناك يتضاءل أمام النفقات التى تتطلبها أعمال الحراسة والدفاع ضد متلصصة البحر ، وكانت مراكز التجارة فى بلاد السند تزود الرحلات التجارية الخليجية بمنتجات قلب آسيا وبخاصة فى بلاد الترك والتبت حيث فضل تجار تلك المناطق نقل سلعهم إلى السند استكمالاً للرحلة مع سفن الخليج وأصبحت مدينة الديلم على وجه الخصوص المركز الرئيسى لتسويق المسك المستورد من بلاد الترك والتبت ، وقد يسرت المراكز التجارية فى الديبل والمنصورة لتجار الخليج مهمة الاتصال بالمراكز التجارية داخل المناطق الهندية التى لم تدخل فى نطاق الدولة الإسلامية .

وقد حظيت الرحلات التجارية الخليجية إلى تلك المناطق بترحيب ملوك الهند فقدموا لها جميع التسهيلات لما لها من أثر كبير فى تنمية اقتصاديات الهند وتصريف منتجاتها فى سائر أرجاء

---

(١) – مجلة الوثيقة – العدد الثانى ربيع أول سنة ١٤٠٣هـ ص ١٧٨

(٢) تقع المنصورة فى مقاطعة حيدر أباد الحالية ، وهى مدينة يحيط بها خليج من نهر مهران وأهلها مسلمون .

العالم المعروف آنذاك عندما كان أبناء الخليج العربى ينفردون بنقل التجارة الشرقية فى العصور الوسطى والمهيمنين وحدهم على مقاليد التجارة العالمية . وقد وجدت الرحلات التجارية إلى بلاد الهند أسواقاً تجارية فاقت ماوجدته فى بلاد السند نفسها ، وكانت أرض جوجرات «كجرات» (١) وموانيها أول ماتقابله تلك الرحلات القادمة من الخليج بعد مغادرتها بلاد السند ، وكان العرب ينزلون بحُرية تامة فى جميع الموانىء الهندية ويصلون بسفنهم إلى المحيط الهادى حتى ساحل الصين ، وكانوا يحصلون على تسهيلات تجارية واسعة هناك، كما نعموا بحرية الإقامة فى الموانىء الهامة حتى صارت للمسلمين جاليات كبيرة فى بعض مدن الهند وكانت تمارس شعائرها الدينية بطمأنينة وحرية كاملة .

يقول المسعودى «وقد حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من أرض مملكة البهرا وذلك فى سنة أربع وثلثمائة هجرية وبها يومئذٍ من المسلمين نحو عشرة الآف قاطنين ، بياسرة (٢) وسيرافيين وعُمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن قد تأهل وقطن فى تلك البلاد وفيهم خلق من وجوه التجار مثل موسى بن إسحاق وعلى «الهزمة» (٣) يومئذٍ أبو سعيد معروف بن زكريا .

---

(١) سليمان إبراهيم العسكر : التجارة والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى ص ١٥٣

(٢) من ولدوا من المسلمين فى بلاد الهند وواحدهم بيسر وجمعهم بياسرة - المسعودى - مروج الذهب جـ ١ ص ٢١٠

(٣) الهزمة : يراد به رئاسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون أحكامهم معروفة إليه - المسعودى المرجع السابق .

مايستورد من الهند :

كانت أهم السلع التى يتم استيرادها من الهند تتألف من خشب الساج وأخشاب شجر النارجيل وكذلك الأثاث المصنع من خشب الساج وغيره من الأخشاب الجيدة كالصناديق الأنيقة والأبواب والشبابيك المزخرفة والأوانى النحاسية ، ويعتبر العود من أهم البضائع التى يجلبها تجار الخليج من الهند وقد كانوا على خبرة واسعة بأنواعه وألوانه وأماكن إنتاجه (١)
ويذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ثمانية عشر نوعا من العود رتبها حسب جودة كل نوع وأجود تلك الأنواع على حد قوله «ماكان صلباً رزيناً ظاهر الرطوبة كثير المائية والدهنية الذى له صبر على النار وغليان وبقاء فى الثياب»
ومن أشهر أنواعه المندلى والقمرونى ويجلب من إقليم قمرون بالهند .
ومن السلع التى يتم استيرادها من الهند أيضاً الأحجار الكريمة كالزمرد وكذلك الكبريت الأبيض والأصفر والحديد الخام والذهب والفضة والتوابل والعطور والهيل «الحب هان» وورق التنبول وحب الفوفل ، كما جلبوا بعض الحاصلات الزراعية من الهند وقاموا بزراعتها فى بلادهم مثل شجر النارنج والإترنج ومن بلدان الخليج نقلت إلى العراق والشام ، وكذلك بعض المصنوعات كالأحذية الهندية المعروفة باسم «نعال كنباية» وكانت تعتبر هدية فاخرة من العشاق لعشيقاتهم ، وطيور الزينة وبعض الحيوانات .
على حين كانت السلع التى حملتها الرحلات التجارية من الخليج إلى الهند تتمثل فى التمور من هجر واللبان من جنوب الجزيرة ، والخيول علاوة على مايرد إلى الخليج من حاصلات شرق إفريقيا . وظل الميزان التجارى فى صالح الهند لكثرة صادراتها فى حين عوض أبناء الخليج هذا الفارق بانفرادهم بالنقل البحرى وامتلاكهم السفن التجارية الكبرى ، حيث كانت السفن الهندية قليلة العدد صغيرة الحجم اقتصرت على النقل المحلى بجوار الساحل ، بينما اضطلعت سفن الخليج بنقل صادرات الهند شرقاً إلى الصين وغرباً إلى بلاد العرب ، وقد ظلت سفن الخليج تواصل نشاطها حتى عصر الكشوف الجغرافية وظهور البرتغاليين فى مياه المحيط الهندى والخليج العربى محاولاتهم المعروفة لضرب التجارة العربية وأصحابها فى المحيط الهندى . إذ من تلك الفترة أصبحت رحلات السفن الخليجية تتم فى إطار هيمنة المتغلبين على تلك البحار .

---

(١) - سليمان إبراهيم العسكر : التجارة والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى ص١٩٣

العلاقات التجارية مع شرق أفريقيا :

كانت بلدان شرق إفريقيا تمثل مجالاً واسعاً للرحلات التجارية المنطلقة من هجر «البحرين» وسائر بلدان الخليج ، فأقطار شرق إفريقيا على مايرى الباحثون تعد منذ القدم من أهم مجالات التبادل التجارى لما تنفرد به من منتجات متميزة ، وكانت تلك الجهات من شمال إفريقيا تشمل الأجزاء المعروفة باسم القرن الإفريقى والتى تطل بحكم موقعها الجغرافى على خليج عدن وقد سلكت إليها سفن الخليج نفس الطرق المؤدية إلى الشرق الأقصى ، فهى فى نظر الملاحين العرب جزء لايتجزأ من عالم المحيط الهندى وميدان أساسى للتكامل الاقتصادى بين أقطاره .

وقد أبدى تجار الخليج براعة فى معرفة الأقسام الطبيعية لساحل إفريقيا الشرقى وطبيعة سكانه ونوع البضائع التى تلقى رواجاً تجارياً فتضافرت جهود تجار الخليج فى نقل منتجات شرق إفريقيا إلى بلادهم وبلدان شرق آسيا ، واستلزم ذلك إيجاد مراكز تجارية على الساحل الممتد من الحبشة إلى الجهات الجنوبية المواجهة لجزيرة مدغشقر للنزول بها والاتصال عن طريقها بعملائها داخل إفريقيا فأحيوا بذلك مراكز قديمة منيت بالركود والإهمال وشيدوا مراكز جديدة كانت نواة لقيام مدن بالغة الأهمية ، وكانت بلاد الصومال من أوائل الجهات التى حظيت بكثير من الرحلات الخليجية وماقترن بها من ظهور مراكز تجارية هامة ، تذكر المصادر أن أول من أسس مدينة مقديشو وقام بتعميرها ستة إخوه أحسائيين (١) اعتادوا ممارسة التجارة مع شعوب تلك الجهات وقد عقدوا العزم على الاستقرار هناك بعد ان تغلب القرامطة على بلادهم فى القرن الرابع الهجرى ، ولم تلبث تلك المدينة حتى تطورت وصارت من أجمل مدن إفريقيا .

وقد وصف ابن بطوطه مدينة مقديشو واهتمام المسئولين فيها بالتجارة وعنايتهم بمن يفد إليهم من التجار فذكر أن تلك المدينة متسعة الأرجاء ، ومن عادات سلطاتها أنه متى وصل مركب يصعد إليه صنبوق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ؟ ومن صاحبه ؟ ومن ربانه ؟ ومن قدم فيه من التجار وغيرهم ؟ فَيُعْرفُ بذلك ، وكان أهالى مقديشيو يبادرون بدورهم باستقبال (٢) التجار وتيسير أعمالهم ، فكان من عادتهم أيضاً أنه متى وصل مركب إلى المرسى تستقبله الصنابق وهى القوارب الصغار

---

(١) مجلة المنهل جـ٣ ربيع الأول ١٣٩٣ هـ ص ١٩٤

(٢) - ابن بطوطه - تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الاسفار - بيروت ١٩٦٤م ص٢٥٤

وعلى متن كل صنبوق جماعة من شباب أهلها ومع كل واحد منهم طبق مغطى فيه طعام فيقدمه لتاجر من تجار المراكب ويقول هذا نزيلى ، ولاينزل التاجر من المركب إلا دار نزيله من هؤلاء الشباب إلا من كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة أهله فإنه ينزل حيث شاء ، فإذا نزل عند نزيله باع له ماعنده واشترى له .

ولعل من المؤشرات الدالة على قدم الصلات التجارية بين بلاد البحرين وإقليم الصومال إطلاق اسم «عدولة» الميناء الصومالية المعروفة على نوع من سفن الخليج . فقد جاء فى شعر طرفه بن العبد قوله .

عدولية أو من سفين بن يامن

يجور بها الملاح طورا ويهتدى

وقد امتد النشاط التجارى لأبناء الخليج حتى موزنبيق وقد عرفت عندهم باسم سفالة وكانت مركزاً مهماً لتجارة الذهب المستورد من مناجم إفريقيا ، وسكنت جاليات من مختلف أقطار الخليج فى تلك المراكز التجارية على ساحل شرق إفريقيا على غرار ماقاموا به فى سواحل الهند والصين . وقد أسهمت تلك الجاليات بدورها فى النشاط التجارى ونشر الإسلام فى تلك الربوع .

التبادل التجارى :

شمل التبادل التجارى بين أقطار الخليج والشعوب الإفريقية مختلف السلع الضرورية والكمالية ، فحملت سفن الخليج إلى بلاد الزنج التمور من البحرين والبصرة وكرمان ، وقد كان الإقبال على شرائها كبيراً لما حظيت به من استحسان سكان هذه البلاد .

ويذكر الإدريسى أن الزنج كانوا يعظمون العرب ، واذا رأوا تاجراً عربياً سجدوا له وعظموا شأنه وقالوا بكلامهم هنيئاً لكم ياأهل بلاد التمر .

وتعد المصنوعات وبخاصة المنسوجات القطنية واللؤلؤ فى جملة السلع التى حملتها سفن الخليج إلى بلاد الزنج .

أما صادرات شرق إفريقيا فمن أهمها جلود النمور الحمر «والزبل» وهو ظهور السلاحف وقد كان الغواصون فى الخليج يتخذون من الزبل أغطية تقىرؤوسهموأجسادهم أثنا الغوص - وكذلك الذهب والعاج والعنبر والحديد والرقيق .

ولم يكن اتصال سكان هجر وسائر أقطار الخليج بأفريقيا قاصراً على الرحلات البحرية فحسب فقد دلت المصادر على أن هؤلاء السكان كانوا يذهبون إلى مصر عن طريق البر فى قوافل كبيرة

فقد ذكر القلقشندى أن أهل البحرين من بنى عقيل كانوا يصلون إلى باب السلطان (١) بمصر وصول التجار ، وقد كانوا موضع عناية وتكريم من السلطات هناك ويكتب لهم بالمسامحة فيما يصدرون ويستوردون ، فكانوا يحملون إلى مصر جياد الخيل وكرام المهارى واللؤلؤ وأمتعة العراق والهند ، ويعودون من هناك محملين إلى بلادهم بالسكر والأقمشة .

ومما تقدم يمكن القول أن أقطار الخليج التى تمثل هجر «البحرين» جزءاً منها قد لعبت دوراً بارزاً فى ميدان الاستيراد والتصدير والتبادل التجارى بين مراكز التجارة المهمة فى الشرق الأوسط ، وقد هيأ لها الاضطلاع بهذا الدور الهام فى ميدان التجارة عدة خصائص تميزت بها هذه البلاد منها :

خصوبة أرضها ووفرة مياهها وكثرة موانيها وموقعها فى ملتقى طرق التجارة البرية والبحرية وقربها من مغاصات اللؤلؤ الفاخر فقد ساعدها هذا كله على قيام مجتمع اقتصادى فعال ينتج ويتاجر فى جميع مايحتاج إليه سكان الجزيرة العربية من محاصيل زراعية ومنتجات صناعية كالملابس والأسلحة وغيرها من المواد المصنعة الأخرى .

ومن هنا ظلت تجارة الهجريين نشيطة قبل الإسلام وبعده ، وقد تعددت مراكزهم التجارية واشتهر كلٌ منها بالتخصص فى سلعة معينة ، فقد اشتهرت «دارين» بالمسك كما اشتهر «الخط» بالرماح «وهجر» بالتمور .

لذا يمكن القول أن تنوع مصادر الدخل فى هجر ووعى أهلها وسبقهم فى ميدان الملاحة والاتصال بمختلف الشعوب للتبادل التجارى معها أفضى إلى قيام مجتمع حضارى مستقر استقطب العديد من الأيدى المنتجة فى مختلف ألوان النشاط الاقتصادى فتأسست فى هجر المصانع وتنوعت المحاصيل الزراعية ونشطت بها التجارة الداخلية والخارجية . وقد ظلت التجارة إحدى الوشائج التى تربط بين أبناء هجر حتى بعد انفصال بعض أجزائها وظهور تلك الأجزاء فى صور كيانات سياسية مستقلة وهى ماتعرف الآن بإمارات كل من :

البحرين والكويت وقطر . فالتعامل التجارى للسكان فى الأحساء وفى هذه البلدان كان ولايزال قويا ومستمراً ، ففى الوقت الذى تزود به الأحساء تلك البلدان بمنتجاتها الزراعية ومن أهمها التمور كانت تستقبل من إمارة البحرين وإمارة الكويت معظم ماتحتاج إليه من السلع والبضائع الواردة إلى تلك الجهات من كافة أرجاء المعمورة وبخاصة قبل أن تنشأ الموانئ الحديثة فى المنطقة الشرقية كميناء الدمام ورأس تنورة .

---

(١) السلطان ناصر بن قلاوون

وكان مرفأ العقير قبل إنشاء الموانىء السالفة الذكر يعتبر البوابة الواسعة التى تعبر من خلالها أكثر السلع التجارية التى تلبى متطلبات الحياة فى شرق الجزيرة ووسطها ، وكان حجم التجارة المارة عبر العقير يتراوح بين مائتين إلى ثلثمائة جمل فى كل أسبوع محملة بالبضائع كما كانت تصدر من خلاله الصادرات إلى مختلف الجهات .

التجارة المحلية :

قامت فى هذه البلاد إلى جانب الأسواق الدائمة الثابته أسواق أخرى يومية وسنوية وموسمية وذلك منذ أمد بعيد وحتى العصر الحاضر ذكرت منها المصادر عدة أسواق منها :

١ - سوق هجر : وكانت تقام فى شهر ربيع الآخر من كل عام ، وتؤم هذه السوق جميع القبائل العربية ، كما تقصدها القوافل التجارية القادمة من فارس محملة بأنواع البضائع والسلع ، وكان يعشر التجار فيها إبان ظهور الإسلام المنذر بن ساوى .

٢ - سوق المشقر : وهى سوق سنوية كانت تقام طوال شهر جمادى الآخرة من كل عام وتقصدها القبائل العربية وبعض الفرس حيث كان التجار يدفعون العُشر للمنذر بن ساوى أيضا .

٣ - سوق الأحساء : وكانت تعقد على الكثيب المعروف باسم الجرعاء تتبايع عليه العرب وقد ظل هذا التقليد سائداً حتى العصر الحاضر حيث يوجد فى جميع مدن الأحساء وقراها إلى جانب الأسواق الثابته أسواقاً أسبوعية عامة يقصدها الناس من جميع أنحاء البلاد بادية وحاضرة لعرض منتجاتهم وسلعهم فيبيعون ويشترون فى كل مايحتاجون إليه ، ومن هذه الأسواق سوق الخميس ، ويعقد فى مدينة الهفوف أسبوعياً وفى مدينة القطيف سوق مماثل يحمل ذلك الاسم كما كان يقام فى مدينة المبرز يوم الجمعة من كل أسبوع سوق عام آخر يقصده الناس بسلعهم من مختلف القرى وقد استبدل يوم الجمعة بيوم الأربعاء وصار يعرف باسم سوق الأربعاء .

وهناك أسواق أخرى مثل سوق الأحد بقرية القارة ، وسوق الإثنين بقرية الجفر ، وسوق الجمعة بقرية الطرف .

أما الأسواق الثابته المستمرة فكان أهمها السوق العام ، بالهفوف ، وهو عبارة عن مجموعة أسواق منها مايقتصر على الاتجار بسلعة معينة كسوق التمور وسوق اللحوم وسوق الذهب ، على أن أشهرها سوق القيصرية التى تشكل بدورها مجموعة أسواق يختص كلٌ منها بمزاولة نمط تجاري متميز .

أما تجارة الجملة فكانت تمارس على الأغلب فى منازل التجار أنفسهم وكان لهذه الأسواق نظائر فى مدينة القطيف ، وقد ظلت جميع هذه الأسواق حتى السنوات الأولى من استخراج الزيت وإستغلاله تجارياً توفر لسكان المدينتين ومن يفد إليهما من سكان البوادى والقرى والمدن الناشئة جميع مايحتاجون إليه من السلع الضرورية والكمالية ، وكانت المنتجات المحلية تمثل الجزء الأعظم من تلك السلع والمبيعات وبخاصة المواد الغذائية . غير أن سرعة النمو والازدهار فى المدن الناشئة قرب منابع الزيت وإدارة أعماله كالخبر والدمام والظهران ورأس تنورة والجبيل وبقيق جعل الثقل الاقتصادى ينتقل إليها ويتركز على وجه الخصوص فى مدينتى الخبر والدمام . فمنذ سنة ١٣٦٠هـ أخذ رجال المال والأعمال فى التوافد على هذه المدن لاستثمار أموالهم بها فى مختلف النشاطات الاقتصادية وفى مقدمتها التجارة ، فأسسوا لذلك المؤسسات التجارية ومراكز التوزيع والمعارض والمخازن وتنافسوا فى استيراد جميع مايتطلبه النمط الاستهلاكى الجديد من المواد الغذائية والإنشائية والملابس والأجهزة الكهربائية والآلات والمعدات ووسائل النقل الحديث من مختلف مراكز التصنيع والإنتاج العالمية ، ومنهم من قام بالوكالة عن تلك المراكز وتمثيلها فى تصريف منتجاتها فى أسواق المنطقة .

ومن هنا أخذت تظهر فى هذه الأسواق من سنة ١٣٧٠هجرية – ١٩٥٠م السيارات والأجهزة الكهربائية المتنوعة وقطع الأثاث الفاخرة والأطعمة المعلبة والملابس الجاهزة وقد أشارت دراسة اقتصادية (١) أجريت سنة ١٣٨٠ هجرية – ١٩٦٠م إلى مدى تقدم النشاط الاقتصادى فى الأسواق المحلية وازدهار حركة الاستيراد حيث عرضت المحلات التجارية أكثر من ألف وخمسمائة صنف من البضائع والسلع قامت بعرضها أكثر من مائتى مؤسسة تجارية محلية كما أنشىء حوالى خمسة وثلاثون مستودعاً لخزن المواد بما فى ذلك المواد المبردة والمجمدة وغيرها .

وقد اقتضى هذا التحول قيام العديد من المؤسسات المالية الحكومية والأهلية فقد صدر المرسوم الملكى برقم ٣٠ / ٤ / ١ / ١٠٤٦ والصادر فى شهر إبريل ١٩٥٢م القاضى بإنشاء مؤسسة النقد العربى السعودى فى كل من الرياض والدمام وذلك لتنظيم الشئون النقدية والعمل على تدعيم قيمة الريال فى الداخل والخارج وتأمين السيولة النقدية ، كما أخذت

---

(١) – الدكتور / عبد الله ناصر السبيعى : إكتشاف الزيت وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص٢٠١

البنوك والمصارف المالية فى الظهور فى مدن المنطقة وكان أسبقها إلى الظهور البنك العربى ثم تلاه كلٌ من البنك الأهلى وبنك الأندونشين وبنك الرياض وبنك السويس والقاهرة والبنك البريطانى .

وقد استأثرت مدينة الخبر بالنصيب الأوفر من هذه البنوك بما لها من مركز متميز فى أعمال الصرافة والنشاط التجارى ، فقد افتتح فيها فروع لبنكي الأندونشين والسويس عام ١٣٦٧ هجرياً – ١٩٤٨م ، والبنك البريطانى للشرق الأوسط عام ١٣٧٠هـ – ١٩٥٠م ، والبنك الأهلى التجارى خلال نفس العام ، والبنك الهولندى سنة ١٣٧٥ هجرية – ١٩٥٥م ، وبنك الرياض سنة ١٣٧٦هجرية – ١٩٥٦م والبنك العربى وبنك القاهرة .

كما تأسست فى مدينة الدمام (١) فروع لبنوك كلٍ من الرياض – والأهلى التجارى والعربى .

كما أنشىء فى مدينة الهفوف فروع لكل من : البنك الأهلى التجارى ، بنك الرياض ، بنك القاهرة ، وذلك منذ سنة ١٣٧٧ هجرية – ١٩٥٧م

أما فى مدينة القطيف فقد افتتحت فروع للبنك الأهلى التجارى ، وبنك القاهرة والبنك العربى، وبنك الرياض وكان لوجود البنوك فى هذه المدن أكبر الأثر فى تشجيع الاقتصاد المحلى عن طريق تقديم القروض وفتح الاعتمادات التجارية والتحويلات المالية وتنمية الادخار ورؤوس الأموال .

كما قامت الدولة بفتح فروع تابعة لوزارة التجارة فى المدن الرئيسية بالمنطقة وكذلك إنشاء الغرف التجارية لتنظيم وضبط الأعمال التجارية ومراقبتها بما يحقق المصلحة العامة ويساعد على ازدهار ونمو النشاط الاقتصادى فى هذه المنطقة .

---

(١) – جريدة أخبار الظهران : العدد السابع ٥ رمضان سنة ١٣٧٤هـ

الأوزان والمقاييس

استعمل سكان هذه البلاد الأوزان منذ أمد بعيد ، فقد اكتشفت البعثة الدانمركية بجزيرة البحرين نوعاً من الأوزان من حجر الصوان على شكل مكعبات وهى قريبة الشبه بالأوزان المستعملة فى وادى الأندوس ، ويعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، وحجم أصغرها لايزيد عن ٤مم لكل جانب ، ومنها مايبلغ مقاس جوانبه ٢سم ، وهى كما ترى البعثة الدانمركية وثيقة الصلة بحضارة هارابا [١] ، وكان نقل الأوزان الحجرية من مقاييس ٣٧٠ غراما و ٦٨٥ غراماً و ١٧٠ غراماً ، ١٣,٥ غراماً و ١,٧ غرام ، ٢٧ غراماً وكان أصغر هذه الأوزان ١/٢ ، ١/٨ ، ١/١٥ ، ١/١٠٠ ، ١/٨٠٠ إلى الأكبر منها ، وهى بذلك تتطابق مع الأوزان المتداولة فى مدن الأندوس تماماً بفروق تبلغ أقل من واحد فى المائة .

وأقل وزن لموازين دلمون يسمى « ميناء » هو ١٣٢٩ غراماً وأكبرها وزناً هو ١٤١١ غراماً ومتوسطها ١٣٧٠ غراماً ، وأن متوسط الثقل لكافة الأوزان لمثل هذا الحجم التى عثر عليها فى وادى الأندوس هو ١٣٧٦ غراماً .

وقد شاعت بعد ذلك فى البلاد عدة أوزان ومقاييس تنوعت بتنوع الأغراض التى استخدمت لها وهى :-

أوزان الأطعمة والحبوب : وقد عرفت وحدة الوزن للأطعمة فى الأحساء باسم القياسة [٢]وهى زهاء ١٠,٦٧٣ كجم ، وهناك الرُبعة : وهى تعادل ٣٣٥ غراماً تقريباً ، والثمين ويساوى أربع ربعات ويراد به ثمن قياسة ، والأقة وهى تساوى ثمن قياسة أيضاً ، والصاع ويساوى ثمان ربعات أوربع قياسة ، والمد ويساوى ثلث صاع ، والرطل ويساوى ١,٣٣ من الرُبعة ، والموسمية وتساوى عشر قياسات أو ١١٠ كجم وتستخدم لوزن الأرز ، [٣] والجُلَّة وتزن ست قياسات ، والنوط وهو جلة صغيرة ويساوى ٦٤ ربعة ، والمن وهو أربع جُلال ويستخدم لوزن التمر بالجملة فى الأحساء .

أما المن فى القطيف فلا يقتصر استعماله على وزن التمور وهو أقل منْ مَنْ الأحساء ويساوى ١٦ كجم وهناك الوزنة وتستخدم فى وزن التمور أيضاً وتساوى سُبع قياسة أو سُبعى رطل إنجليزى .

---

(١) - على أكبر بوشهرى : التاريخ القديم البحرين والخليج العربى - ص٤٦

(٢) - ج - ج لوريمر : دليل الخليج - القسم الجغرافى جـ ٢ ص ٨٤٨

(٣) - وعاء ينسج من الخوص لحفظ التمور

ومن الأوزان المستعملة فى القطيف المن : وهو وحدة الوزن الرئيسية فى البيع بالمفرق ويساوى ١٦ كجم ، والقياس ويساوى ١,٠٧ رطل انجليزى ، والألف يساوى قياسين أو ٢,١٤ رطل إنجليزى ، والأوقية وتساوى ٦٨, رطل إنجليزى أو رُبعة واحدة او ١/٣ أقة ١/٣٢ قياسة .

أما أوزان المجوهرات فهى :

المثقال الشيرازى ويساوى ٧٢ جنيه أو ٣,٥ تولة هندى

التولة الهندية تساوى ٠٦٦, من الأونص .

مثقال أو مشخص أحمر ويساوى ٥٤ غرام أو ٠٢٢, من الأونص ، ومثقال محلى ويعادل ٧٢ غراماً .

ومن الموازين مايعرف باسم خمسين يساوى ١٠ مثاقيل شيرازية أو ١,٦٥ أونص .

كذلك من الأوزان مايسمى مية وتساوى إثنين خمسين أو ٠,٣٣ أونص ، ومن الملاحظ أن القياسة فى الأحساء تختلف عن القياس فى القطيف ، ولكن الرُبعة المستعملة فى الأحساء تساوى الأوقية المستعملة فى القطيف وتساوى كلٌ منها ١/٦ رُبعة البحرين .

المقاييس :

يستعمل الذراع فى الأحساء والقطيف والبحرين كوحدة قياس طولية ، والذراع فى كل من الأحساء والبحرين يساوى ١٨,٧٥ بوصة ، أما الذراع المستعمل فى القطيف فيبلغ طوله ١٩,٧٥ بوصة [١] .

ومن المقاييس المستعملة أيضا الوار ويساوى ٠,٧٥ من الذراع ، وكذلك المغرس ويستخدم فى قياس المساحات الزراعية وهو عبارة عن مربع طول ضلعه يساوى ١٥ ذراع أو ٧,٦٤م .

---

(١) ج . ج لوريمر دليل الخليج القسم الجغرافى جـ٢ ص٨٥٠

العملات النقدية :

تمثل العملات والمسكوكات النقدية حجر الزاوية فى مختلف ألوان النشاط الاقتصادى وبخاصة التجارة ، ونظراً لاشتغال هذه البلاد بالتجارة منذ زمن بعيد فقد عرفوا العملة وسكوها فى بلادهم ، كما استعملوا مسكوكات الشعوب التى ربطتها بهم صلات اقتصادية وتجارية منذ العصور المبكرة .

وقد كان التبادل التجارى فى الألف الثالث ق . م يتم فى هذه البلاد عن طريق المقايضة بالبضائع ، ثم استعمل النحاس والحديد والذهب والفضة كمواد أساسية يتم بواسطتها التبادل التجارى وذلك حتى ظهور بعض العملات .

ومن أقدم ماعثر عليه من النقود التى سكت فى هذه البلاد قطع معدنية تم العثور عليها فى ثاج بينها قطعتان تعادل إحداهما أربعة دراهم ظهر على أحد وجهيها رأس هرقل مرتدياً جلد أسد والرأس متجه ناحية اليمين ، وعلى الوجه الآخر شكل لزيوس وهو جالس ممسكا بزهرة فى يده اليمنى متجهاً ناحية الشمال وممسكا بصولجان فى يده اليسرى وقد ظهرت ألف جنوب الجزيرة العربية على اليسار ، بينما ظهر نقش قصير يقرأ أبيطع من الحروف العربية الجنوبية على الجانب الأيمن ، كما يمكن قراءة النقش على أنه أبياطع ، وقد يكون هذا هو اسم الملك الذى سكت النقود فى عهده .

وتحمل القطعة الثانية من ثاج أيضاً رأس هرقل مرتدياً جلد أسد ولكنه متجهاً ناحية الشمال (١) محاطاً بدائرة من النقط ، وعلى الوجه الآخر شكل زيوس جالساً على العرش متجهاً ناحية الشمال وعلى نصفه الأسفل سترة من الجوخ واضعاً إحدى ساقيه على الأخرى واليسرى متقدمة ويمسك بيمناه الممتدة مقدمة رأس الحصان . وقد وجدت لهذه القطع النقدية نظائر فى أماكن أخرى كجزيرة فيلكا والبحرين وسوسة وأم القوين بالإمارات العربية المتحدة . ومن منظور دراسة هذه المسكوكات فإن «مورخولم» يرجح أنها قد سكت فى هجر الواقعة فى واحة الأحساء ، كما يرجح الباحثون أن تاريخ هذه القطع يعود إلى الفترات ٢٢٠ - ٢٠٠ و ١٨٠ - ١٦٠ و ١٥٠ - ١٤٠ ق.م .

---

(١) - اطلال : حولية الآثار العربية السعودية - العدد السابع ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ ص ٧٥

كما عُثر فى فيلكا على نقود سكت من النحاس تبين أن قطعة منها ضربت فى عهد « سلق يوس » الأول ضربها باسم الأسكندر الأكبر فى حوالى ٣١٠ - ٣٠٠ ق.م كما عُثر على نقد آخر ضرب فى عهد «انطيوخس» الثالث الذى آل إليه حكم الإمارة السلوقية ٢٢٣-١٨٧ ق.م من بين تلك القطع درهمان نحاسيان ودرهم يرجع تاريخه إلى ٢١٢ق.م إلى جانب دراهم فضية حمل بعضها اسم «ابياتيع» أحد ملوك مَعين ، كما تبين أن بعض الدراهم تم سكها فى الجرهاء ، كما يورد الباحثون احتمال سك بعض تلك النقود فى فيلكا نفسها (١).

وأهمية هذه النقود على مايرى الباحثون تكمن فى إيضاح مدى سيطرة اليونان على شئون الخليج وحكمهم لسواحله العربية من الجرهاء حتى جنوب العراق (٢) كما أنها ستساعد على تثبيت تواريخ حكمهم فى هذه المنطقة .

وفى الموضع المعروف بالراكة فى الظهران تم العثور على دراهم فضية ساسانية ، كما عثر فى جزيرة دارين سنة ١٤٠١هـ على مجموعة دراهم فضية ساسانية فى حرز من الفخار . وقد قام الاستاذ على المُغنم بدراسة ١٦ قطعة من تلك (٣) الدراهم ، منها درهم يرجع لعهد «هرمز» الرابع سنة ٥٧٩ - ٥٩٠م على أحد وجهيه صورة الملك هرمز الرابع ، والتاج يشبه تاج فيروز الأول ، على الصدر الحلى ، وحلية الأذن ، والكل فى إطار دائرى واحد ، وعلى الخلف حلقة دائرية واحدة وسطها المعبد الزرادشتي على ثلاث درجات تتدرج فى الصغر إلى أعلى ، وعلى الجانبين كاهنان ، وفى الجهة اليمنى ختم العملة ، وفى الجهة اليسرى التاج المتعلق بسنة السك .

وهناك ١١ قطعة ترجع إلى عهد كسرى الثانى سنة ٥٩٠ م - ٦٢٨م وهى مختلفة من حيث دور السك ، وواحد من هذه المجموعة ربما يعود إلى عهد يزدجرد الثالث لتماثل تاج الملك المجنح على العمامة .

وأما الأربع قطع الباقية وهى تماثل المجموعة الثانية من حيث صورة الحاكم ويتماثل التاج

---

(١) ابو حاكمة : تاريخ الكويت - جـ١ص٨٩

(٢) د/ جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٢ص ٣٣

(٣) مجلة الوثيقة : العدد السابع ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ - ص٨٩

بهذه المجموعة وتاج يزدجرد الثالث ٦٣٢-٦٥١م وتوجد كتابة خارج طوق العملة فى الجزء الأيمن السفلى ويتماثل من حيث الكتابة مع قطعة سكت فى عهد عبد الله بن زياد ، ويرجح أن الحرز الذى وجدت به تلك القطع وضع فى ذلك المكان فى صدر الإسلام .
ومن الجدير بالذكر أن الجزيرة العربية قد تعاملت بهذه الدراهم فى تلك الفترة التاريخية وكانت متداولة بين العرب ، ووجود تلك الدراهم الساسانية لا يثبت تبعية الجزيرة للساسانيين ولكنه يبين الصلات التجارية بين بلاد العرب وبلاد الفرس .

كما اكتشف فى أماكن متفرقة من الأحساء والكويت وجزيرة البحرين وقطر مجموعة قطع من المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية يعود تاريخها إلى فترات إسلامية مختلفة ، وفى المتحف الوطنى بالبحرين مجموعة نقود قرمطية بعضها من ضَرْب أبى سعيد الجنابى ، وكذلك نقود سلغرية عَثرت عليها فى البحرين البعثة الدانماركية بينها قطعة من الرصاص تعود إلى عهد الأتابك أبى بكر ، بيد أن مكان الضرب أو تاريخه غير واضح عليها ، ويرى «لويد» أن هذه العملة قد ضربت فى جزيرة البحرين . غير أن الدكتور عبد اللطيف الحميدان يرى أن ذلك مجرد احتمال تأسيساً على كون جزيرة البحرين قد خرجت من دائرة النفوذ السلغرى فى عهد أبى بكر السالف الذكر ، علاوة على أنه لو كانت هذه النقود قد ضربت فى عهد السيطرة السلغرية على الجزيرة لظهر اسم الخليفة العباسى إلى جانب الأتابك حيث أن الأخير يعترف بتبعيته للخلافة العباسية ، ولما كان اسم الخليفة غير وارد على هذه العملة فمن المحتمل أنها قد ضربت بعد سقوط بغداد وزوال السيطرة السلغرية على الجزيرة مما يدعو إلى الاعتقاد أن تلك النقود لم تضرب بالجزيرة .

وقد اكتشفت فى جزيرة البحرين نقود مصنوعة من النحاس تحمل اسم «افشى خاتون» بنت الأتابك سعد بن أبى بكر السلغرى فى سنة ١٢٦٤-١٢٨٦م وهى آخر حكام السلغريين .

كما وجدت أيضاً عملة برونزية سلغرية فى البحرين وليس عليها مايدل على تاريخ سكها أو اسم الحاكم الذى ضربت باسمه . ولاشك أن وجود هذه النقود فى جزيرة البحرين يدل على قيام صلات كثيرة وربما سياسية بين إمارة العصفوريين وبلاد فارس ، وهناك نقدان فضيان عثر عليهما ضمن حدود هجر «البحرين» تم ضرب النقد الأول منهما فى برقان (١) قرب الكويت سنة ٣٥٤هـ باسم الحاكم البويهى « عضد الدولة» ، وضرب الثانى فى تيمار سنة ٧٠٠هـ باسم السلطان «غازان الإيلخانى» ، وتيمار كما يظن ياقوت الحموى جبل فى نواحى البحرين ، وهناك نقد ثالث ضرب باسم السلطان الإيلخانى أبى سعيد

(١)الوثيقة العدد الرابع - ربيع الآخر ١٤٠٤هـ ص١٤١

سنة ١٣١٦-١٣٣٥م وقد جاء على هذا النقد مكتوباً على الوجه الأول السلطان الأعظم أبوسعيد خلد ملكه أما الظهر فقد كتب عليه ضرب البحرين ، وقد أجرى الدكتور/ محمد باقر الحسينى على هذا النقد دراسة خلص منها إلى أنه يعد نوعاً من النقود الإعلامية لامن نقود التعامل والتبادل التجارى ، وأنه لاينبغى الاعتقاد بأن البحرين كانت تابعة للدولة الإيلخانية لأن أحداث العصر تؤكد أن البحرين لم تكن تابعة للسيادة الإيلخانية حيث لايوجد فى المصادر مايشير إلى تبعية البحرين لدولة الإيلخان بدءاً من الأحساء وانتهاءاً بالكويت ، وإنما أراد أبوسعيد من هذا النقد تغطية حالته السياسية السيئة وشخصيته الضعيفة وراء هذا النقد وإظهارها بمظهر القوة تجاه أعدائه ، علاوة على انتهازه لظروف التقارب بين دولته فى أواخر أيامها وبين القبائل العربية للتعبير عن النقص السياسى الذى كان يعانى منه حيث أكدت المصادر أن موقف القبائل فى أوائل عهد الإيلخانى كان يحيطه الغموض ، ولعل نوعاً من العلاقة السياسية قد نشأت بين الطرفين مؤخراً بعد زوال الخلاف بينهما .

فهذا النقد على مايعتقد الكاتب السالف الذكر ألقى الضوء على علاقة هذا السلطان مع القبائل ومحاولته تمويه الحقائق التاريخية ليستر عيوبه بهذه الوسائل الإعلامية ويعلن سيادته على هذه المنطقة العربية ، وإلى جانب هذه العملات التى عثر عليها فى هذه البلاد أشارت المصادر إلى استعمال الذهب كعملة يتم بها البيع والشراء فى العقارات ومختلف السلع ، فقد بيع أحد العقارات الكائنة فى طرف الرقيات بالأحساء وهو مجموع الخمس الشائع من عامة الملك المسمى بالغدانى ومجموع الخمس الشائع من عامة الشرب المعروف بشرب الشعيبى الكائن بطرف الرقيات بثمن ١٤ مثقالاً من الذهب الأحمر الخالص (١) وكان هذا النوع من النقد الذهبى يطلق عليه الأحمر ، وهناك نوع آخر يسمى المشخص . وكان الأحمر يساوى نصف ليرة ذهبية عثمانية أو خمسين قرشا عثمانيا ٢٠٠ محمدية و ٧ روبيات أو ١٦,٩ من دولار «ماريا‌تريزا» (٢) وذلك إلى جانب العملات العثمانية التى شاع استعمالها فى الأحساء فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ومنها قرش كان يسمى عثمانيا .

وقد جاء فى إيضاح الجراية التى تصرف للدارسين بمدرسة القبة أنه يصرف لدارس الفقه ثلاثة عثامنة ، ولدارس النحو عثمانيان (٣) .. الخ

---

(١) - وثيقة شرعية مؤرخة فى سنة ١٠٨٠ هـ صادرة عن محكمة الأحساء تحت ختم القاضى بها آنذاك صفى الدين بن سلمان

(٢) - أبوعلية ص١٨

(٣) - رزنامة على باشا لمدرسة القبة المؤرخة سنة ١٠١٩هـ

كما راج استعمال الليرة الذهبية العثمانية وتساوى مائة قرش عثمانى أو ١٠ شلن إنجليزى ، وإلى جانب الليرة والقرش العثمانيين الذهبيين هناك البارة وهى تساوى ٠,١ من القرش ، ٠,٠٠١ من الليرة .

كما شهد التداول بالجنيه الذهبى الإنجليزى والريال المجيدى العثمانى بنصفه وربعه وثمنه، كما استعمل دولار مارياتريزا (١) النمساوى ويعرف محليا بالريال الفرنسى ويساوى ١ شلن و ١/٤ ١٠ بنسات .

ومن أكثر العملات رواجاً فى الأسواق الروبية الهندية وتساوى ١/٢ ٥ قرش ذهبى ، كما تتداول أوراق النقد الهندية فى مدينتى الهفوف والقطيف ، كما شاع استعمال البيزة الحمراء التى سكها السلطان العمانى فيصل بن تركي وكان قد حكم عُمان سنة ١٨٨٨م وتعادل الطويلة بيزتين ومن العملات التى راج استعمالها محليا وسك بعضها فى الاحساء :

١ – عملة تعرف باسم «زرْ» وقد استمر استعمالها حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى .

٢ – مَردوف . ويعادل ١/١٦٠٠ من الليرة العثمانية او ١/١٦ من القرش الذهبى (٢).

٣ – طويلة . وهى عملة قديمة يتعامل بها الأهالى فى الأحساء وهى من النحاس طولها ١/٢ ١ بوصة ، وهى عبارة عن شريط معدنى مزدوج فى الوسط تدور حوله قطعة معدنية أخرى وتسك محليا من النحاس وقد تسك من الفضة وتوجد عليها كتابة بالخط الكوفى من الصعب قراءتها ، ويذكر أن الطويلة من أصل فارسى ، وقد حدد العثمانيون إبان سيادتهم على الأحساء قيمة الطويلة بما يوازى ١/٧٥ من الدولار النمساوى أو ١١/١٤٢ من القرش الذهبى .

٤ – محمدية وتساوى ١/٤ قرش ذهبى أو ١/٣٠ من الريال .

٥ – البنتو : عملة فرنسية تم تداولها فى الأحساء وتساوى ٠,٢٥ – ٠,٧٥ محمدى وقد ظل معظم هذه العملات مستعملاً حتى السنوات الأولى من استيلاء الملك عبد العزيز على مقاليد الحكم فى الأحساء إلى أن سك الريال العربى السعودى من الفضة ومايتبعه من الوحدات القرشية ، ثم الجنيه الذهبى السعودى وماتلاه من إصدارات بفئاتها المختلفة .

---

(١) ج – ج لوريمر : دليل الخليج – القسم الجغرافى جـ ٢ ص ٨٥٠

(٢) – لوريمر : دليل الخليج – القسم التاريخى ص ١٠١٧

المسكوكات والنقود الورقية السعودية :

انطلاقا من رغبة الحكومة السعودية فى تأكيد استقلالها وممارسة سيادتها ولما تطلبته الظروف المستجدة من الحاجة للمزيد من العملات فى التبادل التجارى فقد بادرت الدولة إلى إصدار عملات وطنية خاصة فى أعقاب انضواء الحجاز تحت السيادة السعودية سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٤م فقد أمر الملك عبد العزيز آنذاك بسك عملة نحاسية من فئة القرش ونصف قرش وربع قرش وقد دون على أحد وجهيها عبارة ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود كما دون على الوجه الآخر قيمتها وتاريخ سكها . وقد استعملت إلى جانب ذلك سلة من العملات المختلطة التى كانت مستعملة فى البلاد آنذاك قبل الحكم السعودى بعد أن ضرب عليها كلمة الحجاز .

وفى ٢٤ يناير كانون الثانى ١٩٢٨ م الموافق ١٣٤٦ هـ صدر أول نظام نقدى سعودى أساسه الريال الفضة وكانت قيمته تساوى ١/١٠ من الجنيه الذهبى الإنجليزى (١) وفى سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م صدرت مجموعة من فئات الريال ونصفه وربعه وكانت من الفضة وكان وزن الريال يساوى ١١,٦٦ جراماً ، وكان الريال آنذاك يساوى ٣٠ سنتاً أمريكيا .

وفى سنة ١٩٤٨م قامت مؤسسة السك الأمريكية بضرب « بسك » عدة ملايين من الريالات السعودية بناء على تكليف من الحكومة السعودية وكانت قيمتها مساوية لما فيها من فضه.

وفى سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م تم إصدار الجنيه الذهبى وكان مماثلا للجنيه الإنجليزى فى القيمة والشكل والوزن ، وحددت قيمته فى التداول بـ ٤٠ ريالا سعوديا أى ما يعادل ١١ دولارا امريكيا .

وفى سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م تم إصدار جنيه سعودى جديد كالجنيه السابق فى حجمه ووزنه ولكنه يختلف عنه فى الشكل (٢)

وفى شهر يناير كانون الثانى ١٩٦٠م أصدرت الحكومة تعديلا على قيمة الريال حيث أصبح يتكون من ٢٠ قرشاً بدلاً من ٢٢ قرشا ، والقرش يعادل ٥ هللات وبذلك أصبح الريال يعتمد على القاعدة العشرية وعملة قابلة للتحويل ، وذلك حين بلّغت مؤسسة النقد العربى السعودي عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م عن سعر الصرف الجديد والبالغ ٤,٥ ريال للدولار الامريكى .

(١) مختارات قافلة الزيت ١٣٨٢ - ١٣٩٢هـ ص٧٧

(٢) د / عبد الله ناصر السبيعي : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص ٢٠٤

إصدار العملة الورقية :

كانت سندات الحج أول العملات الورقية السعودية التى ظهرت على ساحة التبادل النقدى فى الأسواق وكان ذلك سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م ، وأول إصدار من هذا النوع كان يعرف بالإيصال الأبيض وهو من فئة العشرة ريالات والخمسة ريالات وكانت مغطاة بالريالات الفضية ، وكان الغرض من إصدارها التخفيف على الحجاج وتوفير الراحة لهم من مشقة حمل مبالغ كبيرة من العملات الفضية الثقيلة (١) وفى سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م أصدرت المؤسسة إيصالا من فئة الريال الواحد وقد شهدت هذه التجربة رواجاً فى التبادل التجارى حيث أقبل السكان على استخدامها لما وجدوا فيها من سهولة فى الحمل والتداول والخزن مما حمل الحكومة على إصدار دفعة جديدة من تلك السندات الورقية عام ١٩٥٤م تختلف فى تصميمها وعباراتها عن الإصدار الأول حيث حذفت عبارة الإيصال الأبيض وفى ١٣٧٩/٧/١هـ - ١٩٦٠م صدر المرسوم الملكى رقم ٦ باستبدال إيصالات الحج بعملة ورقية رسمية من فئات الريال والخمسة والعشرة والخمسين والمائة ريال ، وقد حملت تلك العملة التى تعتبر أول عملة ورقية رسمية للبلاد تأكيداً بدفع قيمتها نقداً من العملة المعدنية وقد دونت المعلومات والأرقام الخاصة بهذه العملة باللغتين العربية والإنجليزية . ثم توالى بعد ذلك إصدار العملات الورقية السعودية من مختلف الفئات الخمسة والعشرة والخمسين والمائة ثم الخمسمائة .

---

(١) - د / عبد الله ناصر السبيعى - اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص٢٠٥

﴿ الفصـل الحـادى عشـر ﴾
المواصـــــــــــلات

﴿ المواصلات والاتصالات ﴾

الطــرق

تمثل هذه البلاد البوابة الشرقية الواسعة للجزيرة العربية ، فهى ملتقى الطرق البرية والبحرية التى تخترقها القوافل القادمة من العراق ونجد وعمان وجنوب الجزيرة العربية ، كما كانت موانيها على امتداد الساحل الغربى للخليج تموج بالسفن التى تمخر عباب الخليج ذهاباً وإياباً ، الأمر الذى جعل من هذه البلاد همزة وصل تربط مراكز التجارة فى أنحاء الجزيرة العربية بمراكز التجارة فى مختلف أقطار العالم القديم .

لذا فقد اكتسبت هذه البلاد موقعاً متميزا فى مجال المواصلات التجارية براً وبحراً .

الطرق البرية :

وقد كانت تستخدم لنقل البضائع والسلع كما يسلكها الحجاج فى الوصول إلى الأماكن المقدسة .

وقد ذكرت المصادر أبعاد هذه الطرق بالمراحل والفراسخ والأيام ، ومن أهم الطرق التى ذكرتها المصادر :

طريق هجر «البحرين» البصرة : وقد جاء ذكر أبعاد هذا الطريق فى المصادر أحيانا بالفراسخ أو المراحل أو الأيام . فقد ذكر ابن الفقيه أن بين هجر والبصرة مسيرة ١٥ يوماً على الإبل ، ويذكر الإصطخرى أن بين البحرين والبصرة نحو ١٥ مرحلة ، ويذكر ناصرى خسرو أن بين الأحساء والبصرة ١٥٠ فرسخاً ويرجح الباحث عبد الرحمن عبد الكريم النجم ماذكره الإصطخرى .

ويعد وصف « لُغدة » للطريق بين الأحساء والبصرة أقدم وأوسع وأدق وصفاً لهذا الطريق فقد قال (١) إنه بعد الخروج من الأحساء تأتى الأجواف وهى قرى ومياه ، ثم بطن غر فيه قرى وماءتان ثبآت وكنهل ، ثم الستار وفيه أكثر من مائة قرية منها ثاج ، وملج ، ونطاع ، وبعد الستار تأتى قاعة بنى سعد وفيها مياه كثيرة ، ثم ماء العتيد ، بعده ماء الطريفة ، ثم طويلع وفيه قريتان ثيتل والنباج ، وبعد طويلع الشيطان وهما واديان ، فإذا انحدر المسافر من الشيطين يسير فى طرق سهلة بين جبال شبه القرون وبعد الشيطين تأتى الوريعة وهى جبل معترض وقبل أن يصل المسافر الوريعة على الطريق إن شاء وطئه أو تيامن عنه الشبكة ربما وجد فيه ماء

---

(١) – عبد الرحمن عبد الكريم النجم : البحرين فى صدر الإسلام وأثرها فى حركة الخوارج ص ٩٠

أولم يجد ، وبين الوريعة وطويلع ليلة ، وبعد أن يجتاز المسافر الوريعة يستقبل الدو . وبعد الدو كفة العرفج ، وفى منقطع الدوحين يجوزه وهو يريد البصرة وادى السيدان ، أما القاصد منها للطريق فماء النحيحية ، وعن يمينها ماء الرباطية ، وبعد أن يجوز المسافر السيدان منحدراً يريد البصرة يكون عن يمينه مياه من ثماد أحدهما ثمد الرقاعى ، أما إذا اجتاز النحيحية منحدراً إلى البصرة فعن يمينه جبل تياس ، وقريباً منه ثمد الفارسى وعليه قبتان مبنيتان ، وعن يمين ذلك الجبل جبل الرحا ، وعن يمين الطريق إذا اجتاز المسافر هذا كله الرقاعى ، وقريبا منه ثمد الكلب ، ثم يقطع المسافر إلى موضع يسمى المخارم حتى يهبط إلى كاظمة وبعد كاظمة يصعد فى النجفة ، ثم يجتازها إلى الصليب «الصليف» ثم يهبط من الصليب فى أودية سهلة حتى ينتهى إلى إيرمى الركبان وهو علم مبنى من الحجارة للطريق وهو شبه إنسان ، فإذا اجتاز إيرمى الركبان عن يمينه ماءة المعرقبة إن شاء وردها أو لم يردها وهى لعيسى بن سلمان وعليها قصر مبنى وإثلتان كبيرتان ، ثم يمضى فى الحزيز حتى يهبط إلى ماء سفوان ، وفيه بيوت مبنية وتجار ، وبين سفوان والبصرة بياض يوم أو أقل ، ثم يخرج فيعبر رميلة له وطريقا نهاما فيه محاج كثيرة ، حتى يهبط الأحواض وهو ماء وضع للسانية عليه قصر وقبتان ، ثم يخرج من الأحواض منحدراً فى الطريق وهو ينظر إلى البصرة حتى يدخلها .

طريق البحرين - اليمامة - مكة :

يذكر ابن الفقيه الهمذانى أن بين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام ، ويقول فى وصفه (ثم تصعد منها قاصداً اليمامة فيكون من عن يمينك خرشيم وهى هضاب وصحراء مطرحة إلى الحفرين وإلى السلحين ، والحفران هما حفر الرمانتين وهن مياه العرفة ، وأمام وجهك وأنت مستقبل مغرب الشمس مطلعك من الجيش فالحابسية ثم مزلقة ثم الموارد ثم الفروق الأدنى ثم الفروق الثانى ثم تطلع من الفروق فى الخوار التلع ثم الصليب ، وعن يمينك الصلب صلب المعى والبرقة برقة الثور ثم الصمان . ثم ترجع إلى طريق زرى قاصداً إلى اليمامة) فمن عن يسار المسافر ماء الدبيب وهو يجتاز الصحصحان ، ومن عن يمينه ماء الدحرض ثم يقطع المسافر بطن قوثم السمراء وهى أرض شهب ، ثم يأخذ فى الدهناء ، وهى هناك مسيرة يوم ، ثم ينثنى من طريق زرى ويأخذ على الشجرة وهى شجرة ذى الرقة التى مات تحتها وكتب فيها شعره ، ثم يخرج من الجبال والشقاق إلى العثاعث وهى السلاسل والمسافر فى ذلك يأخذ طريق الخل وهو خل الرمل ، وأول ماء يرده من العرمة من عن يساره ماء

قلت هبل ، ومن عن يمينه قلات يقال لها نظيم الجفنة . ومن عن يمين ذلك مسيرة شباك العرمة والغرابات ، ثم يقطع العرمة فيرد وسيعاً وهو من مياه العرمة ثم يسير فى السهباء ثم يقطع جبيلا يسمى أنقذ ثم الروضة ثم يرد الخضرمة جو الخضارم مدينة وقرى وسوق وهى أول اليمامة من قصد البحرين .

ويذكر ناصرى خسرو أن المسافة من اليمامة إلى الحسا أربعين فرسخاً ، ويذكر أبو الفدا أن الحسا والقطيف شرق اليمامة على نحو أربع مراحل ، ولايتيسر الذهاب من اليمامة إلى الحسا إلا فى فصل الشتاء إذ تتجمع مياه الأمطار فيشرب الناس منها ، أما فى الصيف فتنعدم المياه .

الطريق من الهفوف إلى القطيف :(1)

يسير الطريق من الهفوف الى القطيف فى اتجاه شمال الشمال الغربى ويبلغ طولها ١٠٥ أميال ، واهم الاماكن التى تمر بها بعد الخروج من مدينة الهفوف هى :

قرية الكلابية وتقع على بعد ٦ اميال من مدينة الهفوف ، آبار كنزان وتقع على بعد ٤ أميال من الكلابية ، آبار غويج وتقع على بعد ٨ أميال من كنزان ، آبار أبو الحمام وتقع على بعد ٢٣ ميلا من غويج آبار أبو الحياة وتقع على بعد ١٦ ميلا من أبو الحمام ، آبار زغيل وتقع على بعد ٦ أميال من أبو الحياة ، آبار جيعوى وتقع على بعد ١٦ميلا من زغيل ، قرية الآجام وتقع على بعد ٢٠ ميلا من جيعوى ، مدينة القطيف وتقع على بعد ٦ أميال من الآجام .

الطريق من الهفوف إلى ميناء العقير .

يسير اتجاه هذا الطريق بين الشمال الشرقى وشرق الشمال الشرقى ويبلغ طوله ٥٠ ميلا ويمر الطريق بقرية الجشة فى واحة الحسا على بعد ٩ أميال من الهفوف ثم إلى آبار شاطر على بعد ١٢ ميلاً وبريمان «١٤ ميلا» وكلاهما فى البياض ، وتمر الطريق بين الهفوف وقرية الجشة فوق سهل حجرى وهى واضحة المعالم ، ثم بأرض زراعية فى الأميال الثلاثة او الأربعة الأخيرة ، ويوجد بين الجشة وآبار شاطر سهل حجرى طوله ميلان وتتبعه ٦ اميال بين التلال الرملية ثم ٤ اميال ضمن سبخة شاطر وهى خالية من الرمال ولكن السير على بقية الطرق شاق جداً بسبب نعومة الرمال وكثافتها ، وكثيرا ماتمحو الرياح آثار الطريق تماما وتقع الأماكن المذكورة أعلاه فى البياض .

وهناك مسلك بديل بعد قرية الجشة وهو يمر بخوينيج ٢٣ ميلاً ، وموية ٥ اميال والستين ميلان والعقير ١١ ميلاً ، ويوجد الماء بالأماكن الثلاثة المذكورة قبل العقير ، وتعتبر خوينيج محطة التوقف على هذا الطريق .

---

(١) - ج - ج لوريمر - دليل الخليج - القسم الجغرافى - جـ٢ ص ٨٥٢ - ٨٥٥

الطريق من الهفوف إلى الدوحة فى قطر :

الاتجاه العام لهذا الطريق هو شرق الجنوب الشرقى ، ويبدو أن بعض القوافل تسلك اتجاها دائريا لتجنب عبور صحراء الجافورة ولذا فهى تمر بحمرور وبعيج وكلاهما فى بر القارة ، ولكن الطريق العادى يمر فى منعاية والبحث فى الجافورة وهناك طريق أكثر قرباً ويمر فى البعيج عن طريق الغياثين فى الجافورة ، وتبلغ المسافة من الهفوف إلى منعاية حوالى ٣٥ ميلا وإلى البحث ٤٥ ميلاً وإلى بعيج ٦٥ ميلاً أو ٣٥ ميلاً إلى الغياثين و ٥٥ ميلاً إلى بعيج ، وتصل القافلة إلى دوحة سلوى بعد البعيج بحوالى ١٠ أميال وهناك تبدأ أراضى منطقة قطر ، والماء على هذا الطريق ردىء ولايوجد مكان يمكن أن تتزود منه القوافل بالطعام .

الطريق من الهفوف إلى مدينة الكويت :

تمر الطرق المؤدية إلى الحدود الكويتية عبر عدد من المقاطعات الصحراوية من الحسا وهى تمر بالقرب من جبل النعيرية ، ولاتوجد على الطريق محطات توقف ثابتة وتسلك القوافل طرقاً تؤدى إلى الآبار وذلك حسب الموسم والحالة السياسية بين البدو .

وتعتبر نطاع القرية الوحيدة ذات الأهمية على الطريق ، وهى تقع فى منتصف المسافة تقريبا وتبلغ المسافة بين الهفوف ومدينة الكويت أقل من ٣٠٠ ميل بقليل وذلك فى خط مستقيم ، ولكن طول الطريق الذى تسلكه القوافل لايقل عن ٣٦٠ ميلاً وذلك نتيجة لاضطرارها أحيانا للانحراف فى اتجاهاتها للوصول إلى الآبار ، وهذه المقاطعات بعد مغادرة واحة الحسا هى البياض وأبو الدلاسيس ثم الجوف أوجو السعدان وحبل ووادى المياه وصنفان الحنة ، وربما تقوم القوافل باجتياز صنفان الحنة بين مقاطعتى حبل ووادى المياه ، وتسود نفس الظروف الجانب الكويتى من الطريق ، وتجتاز القوافل هنا مقاطعات سودة وهزيم وسلو وعدان وقراعة على التوالى وهى مقاطعات ساحلية فى الكويت ولكن هذه المقاطعات لاتشكل صعوبات للقوافل فى الفصول العادية .

الطريق من مدينة القطيف إلى مدينة الكويت :

يشبه طريق الهفوف الكويت من حيث اتجاهه وعدم وضوحه ، ولكنه يتجه إلى الغرب قليلاً عن شمال الشمال الغربى ويبلغ طوله ٢٣٠ ميلاً ولكن التعاريج التى تضطر القوافل سلوكها فى الانتقال من بئر إلى بئر تجعل طول الطريق الحقيقى ٣٠٠ ميل ، ولابد للمسافرين أن يمروا على آبار أبو معن وتل المباركيه فى مقاطعة البياض ثم بآبار المستنه التى هى نقطة التقاء مقاطعتى الرديف والحزوم .

الطريق من الهفوف إلى الرياض :

لايتبع المسافرون من واحة الحسا إلى جنوب نجد طريقاً مباشراً من الهفوف بل يسلكون اتجاهاً شمالياً غربياً ليصلوا إلى آبار جودة فى مقاطعة الطف ، أو يسلكون طريقاً جنوبياً يؤدى إلى آبار العويسة فى خرمة وهما طريقان متباعدان ولكنهما يلتقيان فى سعد بجوار أُبوجفان .

الطرق الحديثة :

بعد اكتشاف الزيت وتصديره تجاريا ومانجم عن ذلك من تغيير فى وسائل المواصلات ووسائل النقل وإنشاء العديد من المدن والمراكز الآهلة بالسكان ومراكز العمل المنتشرة فى أرجاء المنطقة ، اقتضت الضرورة إنشاء العديد من شبكات الطرق الحديثة الواسعة والممهدة لربط تلك المدن والمراكز بعضها ببعض من ناحية ولربط البلاد بما يجاورها من الأقطار من ناحية أخرى .

وأول طريق أنشىء فى هذا الإطار طريق قامت شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو» بإنشائه بين مراكز أعمالها بجبل الظهران ومرفأ الخبر ، وقد تم تمهيده ورشه بالزيت سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٨م .

وفى سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٣٩م قامت الشركة أيضا بتمهيد عدة طرق هى :-

١ - طريق الظهران أبوحدرية .

٢ - طريق الظهران رأس تنوره .

٣ - طريق الظهران الجبيل .

٤ - طريق الظهران معقلا .

وقد رشت هذه الطرق بالزيت الخام ، وقد استفادت من هذه الشبكة المدن والقرى الواقعة على مقربة منها كالدمام وسيهات والقطيف وقراها .

وفى سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٤٦م تم تحسين الطريق بين الظهران وبقيق وذلك بوضع طبقة من الكلس فوق الرمل ، كما استغل إنشاء خط نقل الكهرباء بين الظهران ورأس تنورة بتمهيد طريق مواز له واستخدامه لمرور السيارات ، وقد بلغ مجموع ماتم إنجازه من الطرق الممهدة حتى عام ١٩٤٨م حوالى ٨٧ ميلاً مسطحاً بالتراب الجيرى .

كما تم فى نهاية عام ١٩٥١م تعبيد جزءٍ كبيرٍ من طريق بقيق الهفوف ، وهو الجزء الواقع بين مدينة بقيق ومركز الجديدة قرب مصنع الإسمنت الحالى .

وفى عام ١٩٥٨ تم تمهيد الطريق الواقع بين محاسن فى حقل الغوار وخريص وتعبيده بطول ١٢٩كم . أما فى عام ١٩٥٩م فقد تم تعبيد طريق يبلغ طوله ١٨٨كم يمتد من شمال القطيف إلى النعيرية ، ويتفرع جزء منه إلى أبو حدرية والخرسانية .
وفى أوائل سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م تم إنشاء الطريق بين مدن المنطقة الشرقية والرياض مما أدى إلى تسهيل حركة السفر وتنشيط التجارة ، كما أن الطريق الذى أنشأته شركة التابلاين سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١م بمحاذاة خط أنابيب الزيت من أبوحدرية إلى لبنان من أهم الطرق التى ربطت الدول العربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط بمدن المنطقة الشرقية وإمارات الخليج العربى ، كما أسهم فى إنعاش الحياة الاقتصادية بالمدن والمراكز التى أنشئت على مقربة منه وبخاصة المشتغلين بتربية المواشى والاتجار فيها .
ومع استمرار النمو الاقتصادى وازدهاره قامت وزارة المواصلات بإنشاء شبكة واسعة من الطرق المعبدة بالإسفلت ، ففى سنة ١٣٩٢هـ قامت بتنفيذ طريق الهفوف قطر بطول ٢٦٠كم ، وفى سنة ١٤٠١ هـ تم تنفيذ طريق أبوحدرية الكويت بطول ٦٥٠كم .
وفى سنة ١٤٠٤هـ تم تنفيذ طريق الدمام الرياض بطول ٣٩٠كم ، وفى سنة ١٤٠٥هـ تم تنفيذ طريق الهفوف العقير بطول ١٠٠كم .

الموانىء البحرية :

لعبت الموانىء البحرية دوراً بارزاً فى الحياة الاقتصادية بهذه البلاد منذ أقدم العصور حيث جعلت من هذه المنطقة المعبر الرئيسى الذى يصل بين مراكز الحضارات فى الشرق وقد كثرت الموانىء وتعددت على امتداد سواحل هذه البلاد وفى جزرها ، ويمكن ملاحظة ذلك فيما تم الإشارة إليه أثناء الحديث عن بعض المواضع المار ذكرها .
وقد مرت تلك الموانىء عبر تاريخها الطويل فى أطوار مختلفة ، فمنها ماقد درس وعفا عليه الزمن كمرفأ دارين وسلوى والعقير والقطيف ، ومنها ماأعيد إحياؤه ليواصل نشاطه التجارى فى النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى ، ولم يلبث حتى تسلل إليه الإهمال بالاستغناء عنه كمرفأ الخبر ، ومنها مالم يزل يواصل دوره فى النشاط التجارى فى مجال التصدير والاستيراد كمرفأ الدمام ورأس تنورة والجبيل ، ويعد اكتشاف الزيت واستغلاله تجارياً من أهم العوامل التى أعادت رسم خرائط المواصلات البحرية فى سواحل هذه البلاد .
وفى سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٨م أنشأت شركة الزيت العربية الامريكية «أرامكو» فرضة بحرية بالخبر لتحصل من خلالها على ماتحتاج إليه من المعدات والمؤن ، وقد استمرت تزاول

نشاطها فى خدمة المسافرين إلى البحرين والتبادل التجارى معها حتى وضع جسر العزيزية البحرين فى الخدمة سنة ١٣٠٥هـ حيث استغنى من هذا التاريخ عن فرضة الخبر . ونظراً لنمو حركة التجارة وازدياد حجم التصدير والاستيراد فى مختلف السلع واتساع دائرة الاتصال بمراكز التجارة العالمية جعل الاعتماد على استيراد البضائع من خلال موانىء البحرين والكويت أمراً يتعذر معه الحصول على متطلبات النمو الاقتصادى فى المملكة العربية السعودية مما حمل الحكومة على الإسراع فى إنشاء مرفأ خاص بها فى مدينة الدمام وذلك لقربها من مراكز أعمال الزيت وتوسطها بين المدن الناشئة والمزدهرة بالنشاط التجارى ، وقربها النسبى من العاصمة ، وقد تم تنفيذ ذلك المرفأ سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م ، وكان فى بدء أمره مكون من فرضة ورصيف صغير ، وقد رست أول سفينة فيه فى جمادى الأولى سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م وفى سنة ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م تم توسعته استجابة لزيادة الضغط عليه ، حيث شملت تلك التوسعة طريقا مرصوفا بالحجارة بطول ٨كم يمتد من الشاطىء والفرضة ، وخط سكة حديد ، وإقامة جزيرة صناعية يبلغ طول رصيفها ٩٠٠م وعرضه ٢٠٠م ، وقد زود بثمان رافعات ضخمة تستطيع تفريغ أربع سفن فى آن واحد ، وقد افتتح الملك سعود رحمه الله تلك التوسعة يوم الاربعاء ٥ ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ - ١٦ أغسطس ١٩٦٠م وقد أطلق على هذا الميناء اسم الملك عبد العزيز .[١]

وقد كانت الموانىء تمثل المنفذ الرئيسى الذى يتم من خلاله السفر إلى البلاد الأخرى ولم تكن هناك قبل عهد اكتشاف الزيت وثائق رسمية للسفر ، وبعد أن تسلم الملك عبد العزيز مقاليد الحكم فى الحجاز تم إصدار وثائق رسمية للسفر عرفت باسم الورقة الخضراء أصدرتها وزارة المالية وتختم بختم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وقد استمر الحال كذلك إلى سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م حين فصلت الجوازات عن المالية وذلك بتأسيس دائرة الجوازات بالأحساء ، فقد بدأت من ذلك التاريخ بصرف دفاتر جوازات شبيهة بالجوازات الحالية بيد أنها لاتحمل صورة فوتوغرافية لصاحب الجواز .

---

(١) - قافلة الزيت - محرم ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ص٢

النقـــل :

لم تكن هذه البلاد فى طليعة الشعوب التى استخدمت وسائل النقل التقليدية فحسب بل ان المصادر نسبت إليها السبق فى تسخير بعض تلك الوسائل فى خدمة البشرية منذ أقدم العصور فقد أشارت نصوص حضارة وادى الرافدين إلى أن الحمار وهو اول الحيوانات التى استخدمت فى مجال النقل والمواصلات تم تدجينه لأول مرة فى شرق الجزيرة العربية وذلك قبل ظهوره فى العراق وبادية الشام وقد كانت المصادر تطلق عليه اسم حمار البحر مما يشير إلى قدومه من المنطقة السالفة الذكر ، كما أشارت المصادر إلى أن الجمل ذا السنام الواحد «الهجين» تم تدجينه هو الآخر فى واحة يبرين وذلك فى حدود النصف الأخير من الألف الثانى قبل الميلاد ، وإلى جانب تلك الحيوانات فقد استعمل سكان هذه البلاد الخيول أيضا .

وقد ظلت هذه الوسائل تمثل وسائل السفر والنقل البرى إلى عهد قريب وقد نالت الحُمر الأحسائية البيضاء شهرة واسعة فى كثير من الأقطار ، وقد كان الطلب عليها شديدا فى العراق والشام ومصر وغيرها من البلدان المجاورة ، وكان ذلك الصنف يشبه الى حد كبير الخيول (١) فى الحسن والارتفاع ، وكانت قيمة بعضها تقدر فى سنة ١٩٠٥م بـ ٣٢٠٠ ريال نمساوى من مسكوكات مارياتريزا ، وتستخدم الحُمر بجانب النقل والمواصلات فى أعمال الرى بواسطة السوانى ، وفى مستهل عصر الزيت صنع الأهالى عربة نقل من الأخشاب تسير بواسطة الحُمر وقد أطلق عليها « قارى » وهى فيما يظهر تحريف لكلمة « كارو » كما أخذت السيارة فى الظهور بالمنطة كنتيجة طبيعية لدخول هذه البلاد عصر إكتشاف الزيت ومارافقه من تغيير شامل فى كافة مظاهر الحياة بها .

وكانت أول سيارة (٢) تشاهد فى البلاد تلك التى أحضرها كارل توتشل من جدة للجبيل لاستقبال الطليعة الأولى من جيولوجيي النفط فى منتصف عام ١٩٣٣م وقد اشترت شركة الزيت أول ثلاث سيارات تمتلكها من طراز فورد من البحرين وشحنتها على قارب كبير إلى ميناء العقير ، وقد أخذ الاهالى بعد ذلك فى استخدام السيارات على نطاق محدود ، وكانت أول سيارة خاصة تستخدم فى واحة الأحساء هى سيارة السيد / سعد القصيبى وكانت من طراز هدسن ، وقد أخذت السيارات فى التزايد فى هذه الواحة حتى بلغ عددها سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م

---

(١) - لوريمر - دليل الخليج - القسم الجغرافى - ج ٢ ص٨٤٧

(٢) - د / عبد الله ناصر السبيعى - اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص ٢٣٠

مايتراوح بين ١٥٠-٢٠٠ سيارة أما فى واحة القطيف فقد كانت سيارة مدير مالية القطيف حسن أفندى أول سيارة خاصة يشاهدها سكان الواحة .
وفى الجبيل كانت السيارة التى تملكها أسرة آل عبد الله أول سيارة خاصة فى تاريخ المدينة .
وبعد توفر الأموال وازدياد حركة النقل وكثرة المترددين على مناطق العمل ومدنه بدأ تمهيد بعض الطرق خاصة بين المدن الرئيسية ، وشرع بعض السكان فى استثمار جزء من مدخراتهم فى شراء سيارات وتخصيصها لنقل البضائع والأفراد التى أخذت تحل محل الجمال والحمير تدريجياً .

السكك الحديدية :

رغبة من الملك عبد العزيز فى تحديث وسائل النقل والاتصال بين الرياض والساحل الشرقى للجزيرة العربية « المنطقة الشرقية » باعتبار هذا الساحل الشريان الحيوى الذى يغذى قلب الجزيرة بكل ماتحتاج إليه من المؤن والسلع التجارية ، فقد تحدث فى شهر شعبان سنة ١٣٦٥هـ - يوليو ١٩٤٦م (١) مع بعض رؤساء العمل فى شركة بكتل فى شأن اعتزامه إنشاء خط سكة حديدية بين الرياض والساحل الشرقى للجزيرة العربية ، وكلفهم بدراسة المشروع حيث تولى المتخصصون وضع الدراسات والخطط وتقدير النفقات ومباشرة بدء العمل ، وقد اختيرت الدمام كنقطة بداية انطلاق لذلك الخط . وفى سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م وصل الخط إلى الظهران فبقيق فالهفوف ، وفى يوم السبت ١٩ محرم سنة ١٣٧١هـ - ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥١م وصلت أول قاطرة سكة حديدية إلى مدينة الرياض ، ويبلغ طول السكة ٥٥٦كم إبتداءً من الدمام على الخليج العربى متجهة إلى حقول الزيت فى الجنوب والغرب وتمتد إلى مدينة الهفوف حيث يسير الخط جنوباً إلى عين حرض ، ومن عين حرض يتغير الاتجاه إلى الغرب مخترقا رمال الدهناء حتى يصل إلى الرياض مرورا بالخرج .
وقد تكلف مشروع السكة الحديدية هذه مبلغ ٢٠٠ مليون ريال سعودى وقد تولى الإشراف على عمليات التصميم والإنشاء والإدارة بميناء الدمام والسكة الحديدية خبراء أمريكيون استقدموا عن طريق شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكوا» التى تولت تشغيله حتى تم تأسيس مصلحة سكة حديد الحكومة السعودية التابعة لوزارة المواصلات وذلك فى شهر ربيع الثانى

---

(١) - خير الدين الزركلى - شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ص٨٤٢

سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥١م .

المطارات :

كانت الجبيل أول مدينة فى المنطقة تشهد هبوط أول طائرة تحلق فى أجوائها (١) حيث نزلت هناك على مدرج ترابى أقامته شركة أرامكو ، وكانت هذه الطائرة من طراز Fairchild M كانت الشركة قد اشترتها لغرض المسح الجيولوجى ، وقد تم هبوطها لأول مرة فى الجبيل فى تمام الساعة العاشرة من صباح الخميس ١٢ أبريل نيسان ١٩٣٤م .

وفى سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م أعدت فى كل من رأس مشعاب والجبيل ورأس تنوره مهابط للطائرات لاستخدامها عند الطوارىء لهبوط الطائرات التى تعبر أجواء المملكة .

وفى أول عام ١٩٤٣م تم إنشاء مطار الظهران ، وكان فى البداية عبارة عن عشة ، وأول طائرة هبطت فيه كانت حكومية من طراز داكوتا .

وفى عام ١٩٤٦م أصدر الملك عبد العزيز (٢) أمراً بإنشاء إدارة للطيران بلغ عدد طائراتها فى فترة وجيزة ١٣ طائرة ، وقد الحقت تلك الإدارة بوزارة الدفاع تحت اسم إدارة طائرات الخطوط السعودية .

وكان مطار الظهران يمثل همزة الوصل فى ربط المنطقة الشرقية بمدن المملكة والعالم الخارجى ، وكانت أول شركة عالمية للطيران تهبط طائراتها فيه شركة خطوط T.W.A ، وقد تطور مطار الظهران بسرعة حيث بوشر فى إنشاء مبانيه الجديدة فى شهر صفر سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م ويقع على بعد ٣ كم من مدينة الخبر ، وقد جاء إنشاؤه على الطراز الشرقى مزيجا من الفن العربى والقوطى فى تصميم رائع جميل ، ويعتبر من أجمل المطارات العالمية وأكبرها وأكثرها نبوضاً بالحركة ، وقد أفتتح هذا المبنى رسمياً فى أواخر عام ١٣٧٩هـ ، وهو مجهز بكافة الوسائل والأجهزة الفنية اللازمة لأحدث المطارات ، وبه مركز يتلقى فيه الطلبة السعوديون تدريبهم على إدارة المطارات وصيانة الطائرات ، ففى سنة ١٣٩٨هـ أقيم به عدد من المنشآت بينها قاعتان للسفر الداخلى والخارجى .

---

(١) - د / عبد الله ناصر السبيعى - اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص٢٣٨

(٢) - خير الدين الزركلى - شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ص٧٥٦

مطار الهفوف :

يقع مطار الهفوف على بعد ٣كم من المدينة القديمة فى موقع جامعة الملك فيصل الحالى وقد بدىء فى استخدامه فى سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٧م ، وكان عبارة عن خيمة يقوم على إدارته ثلاثة من الموظفين وعامل واحد ، وكانت معداته عبارة عن سيارة صغيرة ، وفى سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م أنشىء به مبنى خاص من الطين والجص واشتمل على صالة لاستقبال المسافرين ومكتب للإدارة إلى جانب مدرجين ، وقد استخدمته الخطوط السعودية للطيران بمعدل رحلتين أسبوعياً ، وكان مسار الرحلة كالاتى :

جدة - الرياض - الهفوف - الظهران والعودة من الظهران - الهفوف - جدة . وكانت حركة السفر خلال موسم الحج تتطلب رحلة إضافية خاصة ، كما افتتح خط جوى جديد لربط جده - الرياض - الهفوف - البحرين - والعكس .

وقد توقف نشاط ذلك المطار اعتباراً من عام ١٣٩٤هـ ، وفى عام ١٤٠٠ هـ شرعت الدولة فى إنشاء مطار جديد بالهفوف على بعد ٢٠ كيلو متر إلى الغرب من المدينة . وقد اشتمل على عدة منشآت منها مبنى للإدارة وقاعات للمسافرين ، ٣ مدرجات واسعة تستطيع استقبال الطائرات الضخمة مع تجهيزه بكامل المعدات الفنية .

الاتصـــــالات :

الخدمة البريدية : ليس فى المصادر المتاحة مايشير إلى النمط الذى تسير عليه الخدمات البريدية فى البلاد فى الأزمنة الماضية ، ولابد أنها كانت تجرى على نحو ماهى عليه فى الأقطار المجاورة بحيث يكون للسلطة الحاكمة جهازها الخاص بها فى حين تتم المراسلات التجارية والشخصية بواسطة الجمالين وربابنة السفن ، أو المسافرين من بلد إلى آخر ، وأقدم خبر يصل إلينا عن هذه الخدمة يرجع لعام ١٩٠٥م حيث كانت البلاد فى تلك الفترة خاضعة للسيادة العثمانية .

وقد ذكر ج - ج لوريمر (١) أنه لم يكن فى الأحساء آنذاك مكتبا للبريد أو التلغراف . وقد كان البريد الشخصى يرسل بالوسائل الخاصة ، أما الرسمى فيحمله ساعى يعين من رجال

---

(١) لوريمر : دليل الخليج - القسم الجغرافى جـ٢ - ص٨٥٩

القبائل التى تتلقى الإعانات من الحكومة التركية ، حيث يذهب ذلك الساعى كل يوم إلى مكتب المتصرف لجمع البريد ويذهب فى رحلة من الهفوف إلى القطيف مرة كل أسبوع ، وإلى الدوحة فى قطر مرة كل شهر ، ويرسل البريد الرسمى بين الهفوف والبصرة عن طريق البحرين ، وقد عمل بهذا النظام منذ عام ١٨٧١م حتى عام ١٩٠٥م وقد ظل الأمر كذلك فى السنوات الأولى من تسلم الملك عبد العزيز لمقاليد الحكم فى الأحساء حتى مستهل عصر اكتشاف الزيت حيث افتتح فى الخبر (١) مكتب بريد ، وقد اقتصر عمله فى أول الأمر على نقل الرسائل إلى البحرين ومن ثم إرسالها إلى جهاتها ، غير أنه فى سنة ١٣٦١هـ - ١٩٤١م بدأت الخدمات البريدية بين هذه البلاد والعالم الخارجى تتم بصورة مباشرة من مكتب بريد مدينة الخبر .

وفى سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م افتتح بمطار الظهران مكتباً للبريد الخارجى ، وكان أول نقل جوى للبريد فى تاريخ المنطقة تم بواسطة إحدى طائرات الشرق الأوسط اللبنانية فى مطار الظهران يوم ٦ يوليو تمور ١٩٤٦م - ١٣٦٦هـ .

أما أول طوابع بريدية سعودية استخدمت فى المنطقة الشرقية فكانت تحمل نموذجاً لتوقيع الملك عبد العزيز ، وبدىء فى تداولها بالتدريج فى الفترة مابين عام ١٩٣٤ وعام ١٩٥٧م وقد أخذت بعد ذلك مراكز البريد فى الظهور بالمدن الرئيسية حتى شملت خدماتها كافة المدن والقرى والمراكز المأهولة بالسكان فى المنطقة ، ولم تزل تلك الخدمة فى التحسن والتنوع حتى شملت إلى جانب نقل الرسائل الشخصية والمكاتبات التجارية نقل الكتب والمطبوعات والمجلات والصحف .

الاتصالات البرقية والهاتفية .

جاء استخدام أول جهاز للبرق تعرفه البلاد فى شهر اكتوبر سنة ١٩٣٠م ، فقد أقيم فى ذلك التاريخ جهاز برقى فوق البوابة الغربية بالكوت وذلك ضمن إطار شبكة اتصالات قام بتأسيسها الملك عبد العزيز لربط المدن الرئيسية بشبكة اتصال حديثة لتسهم فى تيسير الأعمال الحكومية واستتباب الأمن ، وقد كان لذلك الحدث صدى طيب فى نفوس الأهالى مما حمل شاعر الأحساء الشعبى عبد اللطيف الجفرى على نظم قصيدة شعبية إبان تلك المناسبة

---

(١) - د/ عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص٢٥٥

استشعر فيها إطلالة أحداث قادمة وبشائر مستقبل يضع البلاد فى مسار جديد فى التقدم والرقى وقد انطوت على كثير من التوقعات التى لم تدر قط فى خلد أحد ، وكان هذا الشاعر من المترددين على الهند حين كان يرى هناك من مظاهر الحضارة الحديثة مالم يستبعد وقوع مثلها فى بلده ، وقد جاء فى تلك القصيدة قوله (١)

وسط البراحة يدق التيل (٢)

وزمر (٣)بلندن تسمعونه

وتيجى الشراكة تجر الريل(٤)

والبر كله يحفرونه

يا أهل الجزيرة أهيلوا الهيل (٥)

هذا الفقر عاد تنسونه

بعد السواحل (٦) تلبسوا الويل (٧)

وتوال (٨) شعر تمشطونه

وكانت محطة برق أخرى قد أنشئت فى القطيف أيضاً . ويتم الاتصال بالعالم الخارجى من خلال المحطة الرئيسية فى جدة أو البحرين أو الكويت .

وبعد اكتشاف الزيت ونشأة المدن الحديثة اتسع نطاق هذه الخدمة فانتشرت مراكز البرق فى كافة المدن والمراكز الرئيسية لتيسير الأعمال الحكومية والتجارية والشخصية .

أما الهاتف فقد تم إدخاله فى الخدمة بالأحساء منذ عام ١٩٤٨م حيث استخدمته شركة أرامكو فى دوائر عملها .

أما الحكومة فقد أدخلت الهاتف فى مدينة الهفوف سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م ، وكانت خدمات الهاتف آنذاك قاصرة ومحدودة الفاعلية حيث يكون الاتصال بين الطرفين عبر مأمور الهاتف

---

(١) جمهرة من ثقات رواد الشعر فى الأحساء منهم الشيخ / محمد عبد الرحمن الجعفرى

(٢) جهاز اللاسلكى

(٣) الزمر : الموسيقى «المزمار»

(٤) الريل : القطار

(٥) الهيل : الحب هان

(٦) السواحل : ضرب من الاثواب الغليظة كان استعمالها سائداً

(٧) الويل نوع من القماش الخفيف الجيد

(٨) نوال شعر : الشعر الطويل

الذى يقوم بتوصيل جهازى كل منهما بواسطة السنترال ، وقد تأسست أجهزة مماثلة فى المدن الرئيسية بالمنطقة ، إلا أنه [1]فى ١٢ ربيع الأول ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م تم افتتاح مركز الهاتف اللاسلكى فى الدمام وشمل جهاز إرسال واستقبال أوتوماتيكى «تليتايب» وقد ربط بمراكز الرياض وجدة

وفى سنة ١٣٩٠ هـ أخذت شبكة الهاتف الآلى فى الظهور فى مختلف مدن المنطقة ، ولم تزل فى التطور والانتشار حتى عمت جميع المدن ومعظم القرى بها .

---

(١) د / عبد الله ناصر السبيعى - اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص٢٥٨

﴿ الفصــل الثــاني عشــر ﴾

الصنـــاعة

الصـــــناعة

كانت هذه البلاد من أهم المراكز الصناعات فى جزيرة العرب ، فقد نشأت فيها الصناعة المتنوعة منذ عصور موغلة فى القدم ، ويعد المؤرخون ذلك دليلاً على عراقة الحضارة فيها وهذا ماعبر عنه ابن خلدون فى مقدمته فيقول (١) «وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وإن مَلَكَه العرب إلا أنهم تداولو ملكه آلافا من السنين فى أمم كثيرة منهم واختطوا أمصاره وبلغوا من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والأزد ، وقد طال أمد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت فلم تبلى ببلى الدولة فبقيت مستجدة واختصت بذلك للوطن كصناعة الوشى والعصب ومايستجاد من حوك الثياب والحرير فيها»

وتعد الأدوات وكسر الفخار المنتشرة فى المواقع الأثرية بالبلاد بما تنفرد به من خصائص متميزة فى تصميمها وتشكيلها وزخرفتها من أهم المؤشرات دلالة على عراقة الصناعة فيها ، ومرد ذلك إلى امتلاكها لمقومات هذا النوع من النشاط الاقتصادى ، ففيها المواد الأولية كالطين الأخضر المناسب لصناعة الفخار ، وكذلك القطن والصوف والأخشاب وشجرة النخل التى كان كل جزء منها مادة أساسية لنوع أو أكثر من المصنوعات ، وفيها الطاقة البشرية المنتجة والمنبثقة من مجتمعها المتحضر والذى تنحدر بعض عناصره من شعوب لاتزدرى الصناعة ولاتستنكف من ممارستها ، وفيها أسواق رائجة ونشاط تجارى تعول عليه مناطق كثيرة فى الحصول على ماتحتاج إليه من السلع والمنتجات الصناعية بمختلف أنواعها . ومن هنا قامت فى هجر «البحرين» حركة صناعية نشطة وفرت لسكانها وسكان المناطق الأخرى جل ماتحتاج إليه من المنتجات الصناعية سواءً الضرورية كالملابس والأثاث ولوازم الزراعة والصيد والحرب ، أو الكمالية ، كصناعة المجوهرات والحلى وأدوات الزينة .

وقد شملت الحركة الصناعية جميع المدن وبعض القرى فى هذه البلاد ، فأسهم كل موضع بإنتاج المصنوعات التى تلائم ظروفه من حيث الموقع وتوفر الخامات اللازمة لتلك الأنواع من المصنوعات .

ويتخذ الباحثون من تعدد مراكز الصناعة فى هجر وتخصص كل مدينة فى إنتاج نوع من المصنوعات وحمل بعض تلك المصنوعات لأسماء المدن التى تنتجها دليلاً على رسوخ الصناعة وازدهارها فى هذه البلاد .

---

(١) – مقدمة ابن خلدون – دار الكتاب اللبنانى بيروت ص ٧٢١

أنواع المصنوعات :

شملت الحركة الصناعية إنتاج كل ماتحتاج إليه البلاد على اختلاف مجتمعاتها بادية وحاضرة ومن أهم تلك الأنواع :

١ - صناعة السفن : تعد هذه الصناعة من أهم الحرف التى مارسها السكان منذ أقدم العصور ، وقد أصبحت لهم على مدى العصور المتعاقبة فى ذلك خبرة مكنتهم من تصميم كل سفينة طبقاً للمواصفات التى تلائم ظروف استخدامها والغرض الذى صنعت من أجله . لذا فقد تنوعت السفن لديهم وتعددت أشكالها وأحجامها . فهناك السفن التجارية كالبوم وسفن الغوص كالسنبوك والشوعى وقوارب الصيد ، وكانت السفن فى بداية أمرها تصنع من الجريد والقصب (١) أو الأخشاب المحلية يشد بعضها إلى بعض بواسطة الحبال وتستخدم فيها الأشرعة وكان استعمالها قاصراً على الخدمة فى نطاق الخليج والموانىء القريبة منه .
ولما اتسعت دائرة الملاحة وصار اقتحام المحيطات ممكناً أصبحت السفن فى هذه البلاد تصنع من أخشاب الساج والنارجيل والتى يتم استيرادها من الهند ، كما تستعمل فى صناعتها المسامير النحاسية والحديدية والحبال والمواد الأخرى .

وتتكون السفينة (٢) من أجزاء خارجية هى البيص ويعتبر الأساس ، وميل الصدر فى المقدمة وميل التفر فى المؤخرة . أما الأجزاء الداخلية فهى الصارى والمشايات وألواح السطحة .

ويتكون جوف السفينة من أضلاع خشبية تسمى «الشلمان» وعليها يقوم هيكل السفينة من الخارج .

وأما آلات السفينة فتتكون من :-

الدفة والدقل الكبير والدقل الصغير والفرمن والعبد والمرساة وخزان مياه الشرب وسارية العلم والكانة والأشرعة والحبال والدستور والبوية ، وللأشرعة أسماء خاصة منها العود وهو الكبير ، والوسطى ويسمى شراع السقديرة ، والتركيت وهو الأصغر ، والجيب والقلمى والمربع والجانبية والبومية والكوش .

---

(١) - مجلة الوثيقة : العدد السابع شوال سنة ١٤٠٥ هـ من ص ١٩٨ — ٢٠٠

(٢) - عبد الرحمن عبد الكريم العبيد : هذه بلادنا الجبيل ماضيها وحاضرها ص٤٣

وتعد جزيرتا أوال ودارين ومدينة الجبيل من أهم المراكز التى تبنى فيها تلك السفن .

٢ - صناعة الأسلحة والمعدات الحربية .

تعتبر الصناعة من أقدم الحرف التى عرفتها هذه البلاد ومنها صناعة السيوف والحراب والرماح ، وكانت مدينة الخط أهم مراكز إنتاج الرماح ، فقد بلغت شهرة الرماح الخطية حداً اصبح معها اسم الخط علماً على الرمح ذاته ، ويقول الخليل بن أحمد بهذا الصدد (١) «إذا أردت نسبة الرماح إلى الخط قلت خطية بفتح الخاء ، أما اذا اردت أن تجعل الخط علماً على الرمح ذاته قلت خِطية بكسر الخاء» وتذكر المصادر أن أول مَن ثقف القنا بالخط هو (٢) هزيز ابن شن بن أفصى بن عبد القيس .

كما تذكر المصادر أيضاً أن كلا من الرمح السمهرى والرمح الردينى وهما من أشهر الرماح التى شاع ذكرها فى الشعر العربى إنما استمدا اسميهما من اسمي صانعيهما وكلاهما من أهل الخط.

وهناك رمح قصير يسمى الخرصان (٣) تخصصت فى إنتاجه قرية بهجر تحمل هذا الاسم ، وقد أشارت المصادر إلى أنواع أخرى من الأدوات الحربية أنتجتها مراكز الصناعة فى هذه البلاد ، منها الدروع الحطمية المنسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمر بن وديعه بن عبد القيس ، والدبابة والمنجنيق وكرات النفط التى شاع استعمالها فى المعارك الحربية .

٣ - صناعة الأثاث والأوانى والأدوات :

تكفلت الحركة الصناعية بتأمين جميع مايحتاج إليه المجتمع من لوازم الحياة اليومية كالمواد الإنشائية والأثاث المنزلى وأوانى الطهى والأكل والشرب والمعدات اللازمة للزراعة والصناعة والصيد والغوص ، وقد اعتمدت هذه الحركة على قاعدة عريضة من الحرفيين المهرة الذين تنوعت اختصاصاتهم فاضطلعت كل فئة منهم بامتهان نوع معين من الصناعة ظل متوارثا فيها جيلاً بعد آخر ، وقد حرص كل من هذه الفئات على استغلال الخامات المحلية المتاحة كلما أمكنها ذلك ، فقد قام النجارون باستغلال سيقان الأشجار المحلية كالإثل وجذوع النخل فى صناعة الأبواب والنوافذ والصناديق ، وقد أظهروا فى تصميمها وزخرفتها مهارة

---

(١) - ياقوت الحموى - معجم البلدان - جـ ٢ ص ٣٧٨

(٢) - خير الدين الزركلى - الاعلام جـ ١٠٠٩

(٣) - عبد الرحمن عبد الكريم النجم - البحرين فى صدر الإسلام وأثرها فى حركة الخوارج - ص ٨٤

فائقة ، كما صنعوا الأسرة والكراسى والدواليب والسرج والأكوار ، كما قام الخزافون بصناعة مختلف الأوانى الفخارية وفى مقدمتها جرار الماء وأكواز الشرب والمباخر والأفران وأوانى حفظ الأطعمة .. الخ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الخزّاف لايزال حتى الوقت الحاضر يسير فى صنع الأدوات الفخارية سيرة أسلافه منذ فجر التاريخ حيث يعتمد فى صنعها على دولاب يديره بقدميه فى حين يستخدم يديه فى إكساب الآنية الشكل الذى يريده لها ومن أهم مراكز صناعة الفخار قرية القارة حيث تستغل مغارات الجبل هناك لصنعها ، كما تعد قرية عالى البحرين من المراكز المعروفة بهذه الصناعة .

وتعتبر المواد الجلدية من أهم الخامات التى أجاد الصناع استثمارها فى سد ثغرة واسعة من لوازم الحياة اليومية وكانت تتم دباغتها فى مواضع خاصة بمواد كيماوية من صنع محلى حيث تتم معالجتها على أيدى متخصصين فى هذه المهنة ومن ثم تحمل إلى معامل الخرازة ليتخذ منها الإسكافيون مادة لصنع القرب والروايا والأسقية والدلاء والحقائب والمحافظ والأحزمة والسيور وغمد السيوف والأحذية البديعة المزخرفة وغيرها من أنواع الأمتعة ، كما يتم تصدير بعض تلك الجلود المدبوغة إلى خارج البلاد .

أما النخلة فإنها عماد العديد من المصنوعات ، فمن جذوعها تصنع بعض الأبواب ، كما تصنع من أليافها وخوصها الحبال والحصر والزنابيل وغيرها من الأوعية ، ومن جريدها تصنع الأقفاص والأسرة ، كما أسهم الحدادون بمهاراتهم فى صنع معدات الصناعة ولوازم الزراعة والبناء كالمحاريث والفئوس والمناقيش والسلاسل والمناشير والمساحى ، كما صنع النحاسون (١) الأوانى والقدور ودلال القهوة المصنوعة من صفائح النحاس والقصدير ، كما قام الصفارون فى الأحساء بتلميع القدور والدلال والأوانى النحاسية .

كما برع صناع المجوهرات فى الأحساء فى صناعة أنواع من الحلى الذهبية والفضية المطعمة بالجواهر والأحجار الكريمة التى كان لبعضها شهرة واسعة فى أنحاء الخليج .

٤ - المنسـوجات :

أشارت المصادر التاريخية إلى أنواع متعددة من المنسوجات عرف كل منها باسم البلد التى يتم فيها نسجها ، منها الثوب الهجرى نسبة إلى هجر ، والظهرانى نسبة إلى الظهران

---

(١) لوريمر - دليل الخليج - القسم الجغرافى جـ ٢ ص ٨٤٧

والقطرى نسبة إلى قطر وكذلك معقدة البحرين ، وقد اشتهرت هذه المدن بإنتاج هذه المنسوجات حتى أصبح اسم المدينة علماً على الثوب ذاته (١) وبذلك صارت التسمية على الثوب فى العصور المتأخرة لم تعد تدل على مكان الصنع بل أصبحت تقوم على أساس الصفات المميزة للثوب ، فعندما يقال ثوب هجرى يقصد بها ثوب ذو ميزات خاصة به وهو مرتبط بهجر ، ونسبة نسيج ما إلى بلد تدل على أنه ذو ميزات خاصة معينة لا لمادة صنعه بل لطريقة نسجه أو تلوينه وهو بالتالى دليل على وجود تقاليد صناعية صلبة بطيئة التغيير ويعد ذلك سبباً فى تمييز ذلك النسيج واحتفاظه بطابعه الخاص مما يشير إلى وجود معامل ومتخصصين فى تلك الصناعة ، وقد كانت تلك المنسوجات سالفة الذكر تسوّق على مستوى الجزيرة العربية مما يشير إلى كثرة المصانع القادرة على إنتاج كميات وفيرة تفيض عن حاجة الاستهلاك المحلى ، ولعل دارين كانت إحدى أماكن تلك المصانع ، فهذا جرير يقول وهو يهجو البعيث :-

وتؤخذ من عند البعيث ضريبة ويترك نساجاً بدارين مسلماً

وقد ذكرت المصادر فى مواضع كثيرة أسماء المنسوجات الصادرة من مختلف مدن هجر إبان العصر الإسلامى الأول حيث كانت هذه البلاد آنذاك من أهم المصادر التى تعتمد عليها الجزيرة فى الكثير من وارداتها ، فقد ذكر ابن سعد أن هوذة بن على الحنفى كسا سُليط بن عمر العامرى أثواباً من نسيج هجر ، وجاء عن ابن سلام الجمحى أن أولاد عامر بن عوف أهدوا الحطيئة حللاً من بزهجر .

كما جاء عن عبد الله بن معاذ أن سويد بن قيس ومخرمة العبدى جلبا بزاً إلى مكة فاشترى الرسول صلى الله عليه وسلم منها سراويل .

ويروى ابن سعد أن عمرو بن سلمه الجرمى كان يؤم قومه فى الصلاة فكسوه قميصا من معقد البحرين ففرح بها فرحاً شديداً .

وقد روى عن ابن سيرين أن أبا موسى كسا فى كفارة اليمين ثوبين من معقدة البحرين وتعد الأقمشة القطرية من أهم صادرات البحرين ، فقد استعملت فى الحجاز والعراق بكثرة ، وقد وصفت بأنها خُمر لها أعلام (٢) وفيها بعض الخشونة ، كما وصفها آخرون بالجودة .

---

(١) - عبد الرحمن عبد الكريم النجم : البحرين فى صدر الإسلام وأثرها فى حركة الخوارج - ص٨٢

(٢) - اعلام : مخططة - ياقوت الحموى - معجم البلدان جـ٤ ص ٣٧٣

وقد ذكرت المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم (١) لبس الثوب القطرى ، وكذلك أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تلبس درعاً من منسوجات قطر قُدر ثمنه بخمسة دراهم على ماتذكر المصادر .

كما لبس عمر بن الخطاب رضى الله عنه إزاراً قطرياً (٢) ، كما لبس من أثواب قطر أيضا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد خلع المأمون على أبى العتاهية أردية قطرية وفى هذا دلالة على استمرار صناعة هذه المنسوجات فى قطر حتى العصر العباسى وفى المنسوجات القطرية يقول الشاعر .

كساك الحنظلى كساء صوف   وقطرى فأنت به تفيد

ومن المنسوجات التى عرفت البحرين «هجر» بنسجها وتصديرها الملاحف التى استعملت فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما كانت الأحساء إحدى مراكز النسيج المعروفة فكان ينسج بها نوع من الفوط وصفت بأنها ثياب قصيرة غليظة مخططة ، ويبدو أن صناعة الفوط هذه قد طرأ عليها كثير من التحسين فوصفت فى القرن الرابع الهجرى (٣) بأنها من النوع الممتاز ، وقد كانت تصدر للبصرة ، كما كانت القراطيس الجيدة تصنع فى الأحساء وتصدر إلى البصرة أيضا .

وقد أسهمت النساء فى صناعة النسيج بصنع الجوارب الصوفية والطواقى والكوفيات وبخاصة فى قريتى العيون والكلابية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن معامل النسيج فى مدينة الأحساء ظلت إلى عهد قريب تزود الأسواق المحلية بعدة أصناف من المنسوجات وبخاصة حين يصبح الاستيراد صعباً او متعذراً وذلك فى حالة نشوب الحروب أو الأزمات السياسية التى تحد من قدرة البلاد على الحصول على ماتحتاج إليه من البلاد الأخرى .

وقد حدثنى عدد من المسنين الثقاة أنه إبان الحربين العالميتين الماضيتين أنتجت معامل النسيج فى الأحساء أصنافاً من الأقمشة القطنية وأن من بينهم من ارتدى أثوابا من تلك الأقمشة . بيد أن أهم الشواهد الدالة على مدى أهمية مراكز إنتاج النسيج فى الأحساء ماورد فى مقال للدكتور /محمد بن عبد الله آل زلفة من أن الإمام سعود الكبير حين بسط نفوذه على

---

(١) - لسان العرب جـ ١ ص ١٠٥

(٢) - طبقات ابن سعد جـ ٣ ص٢٣٨

(٣) - رحلة ناصرى خسرو

الحجاز كسا الكعبة (١) بكسوة حساوية قيلانية استناداً على ماورد فى « درر نحور الحور العين» للمؤرخ اليمنى جحاف والذى يقوم الدكتور زلفة بتحقيقه . ونظراً لما تتطلبه صناعة كسوة الكعبة من دقة وإتقان ومهارة فى الصنع فإن صناعة هذه الكسوة فى معامل النسيج بالأحساء دليل كافٍ على تقدم تلك المعامل ومهارة العاملين فيها آنذاك .

وإذا كانت صناعة النسيج قد تلاشت فى الآونة الأخيرة حيث أخذت واجهات المحلات الأنيقة المنتشرة فى مدن هذه البلاد تزخر بأحدث مادارت به عجلة الصناعة العالمية من الأقمشة الفاخرة فإن صناعة المشالح «العباءات» التى امتازت بها هذه البلاد لاتزال تحوز قصب السبق بين الصناعات المنافسة لها فى أسواق مدن الخليج والجزيرة العربية .

وقد تخصصت فى حياكة هذه المشالح والعباءات وكذلك تطريزها بالقصب والخيوط الذهبية والفضية أسر توارثت هذه المهنة جيلا بعد جيل ، ومنها من حقق فى إجادتها وإتقانها مهارة فائقة ، ومن بين هذه الأسر نذكر على سبيل المثال :-

أسرة أبى على ، والهلال ، والعلو ، والحرز ، والبنى خضر ، والبنى شيخ (٢) والمزايدة .

ورغبة من محترفى هذه المهنة فى الاحتفاظ بها والعمل على تطويرها فقد قام بعض القادرين منهم ماليا فى سنة ١٣٨٣هـ بإنشاء معمل لحياكة العبى والمشالح تحت اسم (٣) شركة النسيج الوطنية بالأحساء ، وقد بدأ إنتاجه سنة ١٣٨٤هـ ، ويشتمل هذا المعمل على ١٨ آله نسيج ، وثلاث الآت تحضيرية تعمل جميعها بصورة تلقائية ، كما يشتمل على آلات لتجفيف الأقمشة وكيها ومكابس ضخمة لضغط الأقمشة التى تنسج من الصوف أو الوبر ، وتبلغ الطاقة الإنتاجية القصوى للمصنع ٥٢,٠٠٠ عباءة إلا أن إنتاجه فى سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م كان حوالى ٣٠,٠٠٠ عباءة سنوياً . ويعتبر هذا المصنع الفريد من نوعه فى المملكة العربية السعودية والخليج ، ويتم تصدير إنتاجه إلى دول الخليج والعراق ، وتتميز العباءة العربية الجيدة عن سواها بجودة صوفها ووبرها وخفة وزنها ومتانتها وبما تزدان به ياقتها وجانباها من تطريز جميل بالخيوط الذهبية والفضية .

وقد اشتهرت فى إتقان وإجادة هذا التطريز أسر منها : الخرس ، والبقشى ، (٤) والرشيد ، والسماعيل ، والبنعلى ، والشواف ، والعومى .

ويعتبر مشغل عبد الله القطان وأولاده من أشهر مشاغل مدينة الهفوف لخياطة العباءات وتطريزها .

---

(١) د / محمد بن عبد الله آل زلفه : جريدة الجزيرة - السبت ٥ رجب عام ١٤٠٩هـ العدد ٩٥٧

(٢) - قافلة الزيت : العدد الثامن المجلد الرابع شعبان ١٣٧٦هـ مارس ١٩٥٧م ص٢٩

(٣) - قافلة الزيت العدد الثالث مجلد ٢٤ص٢٩

(٤) - مجلد قافلة الزيت : العدد الثالث المجلد الرابع - شعبان ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م ص٢٩

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

الزيت

الزيـــــت

كانت سواحل الخليج العربى من أقدم المناطق التى تم البحث فيها عن الزيت واستخراجه ولعل الطبيعة الطوبغرافية والتركيب الجيولوجى لهذه الأراضى من أهم المؤشرات التى لفتت أنظار المهتمين بصناعة الزيت إلى هذه المنطقة ، ففى سنة ١٩٠١م فازت الشركة الإنجليزية الفارسية بامتياز التنقيب عن الزيت واستخراجه لمدة ٦٠ عاماً فى منطقة عبدان فى الساحل الشرقى للخليج وقد نجحت فى العثور عليه واستغلاله تجارياً سنة ١٩٠٨م ، وفى سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م بعث المتصرف العثمانى فى الأحساء طالب باشا النقيب برسالة إلى المسئولين فى الشركة البريطانية الفارسية يدير فيها رؤوسهم شطر الساحل الغربى للخليج بغية البحث عن هذه الثروة وذلك إثر مشاهدة بقع من الزيت فى أراضى القطيف ، ومن الطريف أن هذه الشركة رغم عدم إكتراثها برسالة الباشا فى حينها لما علمت بما يدرور بين الملك عبد العزيز والشركة الأمريكية حول حصول الأمريكيين على امتياز التنقيب عن الزيت سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م سارعت إلى الاتصال بالعاهل السعودى وأبرزت له صورة تلك الرسالة زاعمة أنها حجة تخول لها حق الامتياز فكانت نكتة الموسم فى القصر على حد قول خير الدين الزركلى(١)

وكان البحث عن الزيت أملاً سعى الملك عبد العزيز إلى تحقيقه فور نجاحه فى توحيد أجزاء المملكة وإرساء دعائم الاستقرار فيها ومد رواق الأمن عليها لشعوره بالحاجة المتزايدة للموارد المالية التى تمكنه من تحقيق طموحاته فى بناء الدولة الناشئة والتخفيف من معاناة وبؤس سكان بلاده القاحلة الجرداء . لذا فقد كلف عبد العزيز الدكتور / «اليكس مان» بمفاتحة شركات البترول حول إمكانية قيامها بالتنقيب عن الزيت فى الجزء الشرقى من المملكة واستخراجه ، وعلى الفور قام الدكتور اليكس مان بعرض الأمر على الشركة الإنجليزية المعروفة بالنقابة الشرقية فصادف ذلك هوى فى نفس الشركة ، فاوعزت إلى ممثلها فى البحرين الميجور «فرانك هولمز» باصطحاب الدكتور /مان فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢م إلى الرياض للاتصال بالملك عبد العزيز والبحث معه فى إمكانية حصول الشركة على حق امتياز التنقيب عن الزيت فى بلاده ، فأخذ هولمز يعد العُدة للقيام بتلك المهمة والفوز بها ، وفى خريف سنة ١٩٢٢م اتجه إلى الرياض فقابل الملك عبد العزيز وتحدث معه فى شأن المهمة المناطة به . بيد أن تلك المحاولة لم تسفر عن نتيجة حاسمة فى هذا الموضوع .

---

(١) - شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز جـ ٢،١ ص٦٩٨

وفى شهر نوفمبر - تشرين الثانى سنة ١٩٢٢م حضر هولمز إلى مدينة الهفوف لاستئناف الاتصال بالعاهل السعودى الذى كان آنذاك يتهيأ لحضور مؤتمر العقير مع السير / بيرس كوكس المعتمد البريطانى فى العراق آنذاك ، وقد افتتح المؤتمر فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢م وهناك حظى هولمز بمقابلة الملك عبد العزيز فعرض عليه مقترحات الشركة التى يمثلها فوعده بدراسة هذا العرض وإحاطته بالنتيجة .

وفى سنة ١٩٢٣م عاود هولمز الاتصال بالملك عبد العزيز فى الرياض وتوصل معه فى شهر مايو سنة ١٩٢٣م إلى اتفاق تستطيع بموجبه النقابة الشرقية التنقيب عن الزيت فى منطقة الأحساء فى مساحة تقدر بـ ٦٠,٠٠٠ ميل مربع وقد حددت مدة الامتياز بـ ٧٠ عاماً شريطة أن تدفع النقابة إيجاراً سنوياً قدره ألفا جنيه ذهب تدفع مقدماً فى بداية كل عام .

وقد قامت النقابة الشرقية بمحاولة التنقيب عن الزيت فى منطقة امتيازها بنفسها بعد فشلها فى محاولات بيع ذلك الامتياز إلى أطراف أخرى ، فبادرت بإرسال فرقتين من المهندسين الجيولوجيين البلجيكيين لمسح منطقة الامتياز والبحث عن الزيت فيها وذلك سنة ١٩٢٣م ويبدو أنها لم تلمس للوهلة الأولى مايشجعها على مواصلة البحث والمضى فى تنفيذ الاتفاق المبرم . لذا فإنها بعد دفع إيجار عقد إمتياز عن السنة ١٩٢٤م توقفت عن دفع إيجار السنة التالية وبناءً على ذلك فقد فقدت النقابة حقها فى ذلك الامتياز . بيد أنها حاولت تعويض تلك الخسارة بالحصول على حق امتياز التنقيب عن الزيت فى الأراضى الكويتية وذلك عام ١٩٢٤م ، وكذلك فى البحرين عام ١٩٢٥م ، وقد جدد عقد البحرين عام ١٩٢٧م بيد أن النقابة قامت فى نوفمبر تشرين الثانى عام ١٩٢٧م ببيع امتياز التنقيب فى البحرين إلى شركة إيسترن جولف أويل نظير مبلغ ٥٠,٠٠٠ دولار (١) فسارعت الشركة المذكورة على إثر ذلك الاتفاق بإرسال أحد جيولوجيها السيد/ رالف رودس إلى البحرين لدراسة طبوغرافية الجزيرة ووضع خرائط جيولوجية أولية لها ، بيد أنها اضطرت بسبب مشاكل ناشئة عن وضعها القانونى إلى بيع حق امتيازها للتنقيب عن الزيت فى البحرين فى أغسطس عام ١٩٣٠م إلى شركة أويل أوف كاليفورنيا المعروفة باسم سوكال ، والتى عرفت فيما بعد باسم «بابكو» شركة نفط البحرين ، وعلى الفور قامت هذه الشركة بالتنقيب عن الزيت فى جزيرة البحرين حيث نجحت فى اكتشافه فى ١ يونيو سنة ١٩٣٢م ، وكان أول ممثل عنها يتم تعيينه فى البحرين هو الميجور فرانك هولمز .

---

(١) د/ عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية ص٣٨

هذا وكان كل من الملك عبد العزيز وشيخ الكويت أحمد بن جابر قد منحا معاً فى سنة ١٩٢٤م امتياز استخراج الزيت للشركة الشرقية العامة ومقرها لندن على أن يكون هذا الامتياز خاص بالمنطقة المحايدة بين الدولتين . بيد أن ذلك الامتياز سقط لأنه لم يوضع موضع التنفيذ .
واستمراراً للجهود الرامية إلى البحث عن الزيت فى هذه المناطق فقد تحدث وزير الخارجية (١) آنذاك الأمير فيصل إلى بعض الإنجليز حين كان يزور لندن على رأس بعثة سياسية سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م فى احتمال وجود الزيت على الشاطىء الغربى للخليج ، وأن فشل الشركة الأولى لايجوز أن يكون باعثاً لليأس ، بيد أنه لم يجد أذناً صاغية لأن الشركات الإنجليزية لم تشأ الإقدام على المجازفة مرة أخرى فى البحث عن الزيت فى أراضى شرق الجزيرة ، ومن ناحية أخرى فقد كلف الملك عبد العزيز (٢) المهندس الجيولوجى «كارل توتيشل» وكان آنذاك يقوم بمسح جيولوجى للبحث عن مصادر المياه بالمملكة « أن يسعى للحصول على المال من بعض الشركات الأمريكية وذلك لتمويل مشاريع التنقيب عن الزيت فى بلاده . وقد سافر كارل توتيشل لهذه الغاية فاصطدم أول الأمر بإعراض الشركات عن تبنى هذا المشروع خوفاً من الإخفاق فى العثور على الزيت من ناحية ، ونظراً للصعوبات الناشئة عن بعد المملكة عن أمريكا ووعورة الصحراء إلا أن مسعاه كلل بالنجاح فيما بعد ، فقد وافق مدير شركة استاندارد أويل كومبانى أوف كاليفورنيا على أن تتبنى شركته ذلك المشروع ، وقد لعب المستر/ «جون فيلبى» دوراً هاما فى إذكاء جذورة التنافس فى الحصول على امتياز التنقيب عن الزيت فى منطقة الأحساء بين الشركات الأمريكية والإنجليزية ، حيث اتصل بالشركة الإنجليزية الفارسية وشركة النقابة الشرقية لإغرائهم بالدخول فى حلبة التنافس على ذلك المشروع إلى جانب الشركة الأمريكية إستاندارد أويل كومبانى كاليفورنيا ورغبة من الأمريكيين فى إتقاء مناورة فيلبى عمدوا لاستمالته إلى جانبهم فعرضوا عليه العمل ضمن فريقهم المفاوض فأجابهم إلى ذلك ، كما قبل العمل فى خدمة الشركة بعد حصولها على الامتياز وذلك حتى منتصف عام ١٩٤٠م .

نتائج المفاوضات :

لم تكن الشركة الأمريكية «ستاندارد أويل كومبانى أوف كاليفورنيا» الشركة الوحيدة التى سعت للفوز بامتياز التنقيب عن الزيت فى منطقة الأحساء فقد نافستها فى ذلك النقابة الشرقية

---

(١) - خير الدين الزركلى : الوجيز فى تاريخ الملك عبد العزيز ص١٤٩

(٢) - خير الدين الزركلي - تاريخ شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ص ٦٩٦

وقد بذل الجانب السعودى فى المفاوضات كل ما فى وسعه للفوز بأفضل العروض آخذاً فى الاعتبار استثمار التنافس بين هاتين الشركتين لمصلحة السعودية . فكان فى مقدمة الشروط المطروحة دفع مبلغ مائة ألف جنيه إسترلينى «ذهب» كسلفة على العائدات التى ستحقق فيما بعد إثر اكتشاف الزيت ، وقد ترددت الشركة البريطانية فى قبول ذلك على حين بادرت الشركة الأمريكية فى الاستجابة لهذا الشرط وأعلنت وضع نصف هذا المبلغ تحت تصرف الملك عبد العزيز فى أحد المصارف ، وبذلك حسمت الأمر لصالحها ففازت بحق الامتياز .

وفى ٤ صفر سنة ١٣٥٢ هـ - ٢٩ مايو آيار ١٩٣٣م تم توقيع الاتفاقية الأولى للزيت (١) بين الحكومة العربية السعودية والشركة الأمريكية ، وقد وقعها عن الحكومة السعودية الشيخ عبد الله بن سليمان وزير المالية ، وعن الشركة المستر/"هاملتون"، وسرى مفعولها فى ١٤ يوليو .

وإلى جانب الشروط التى تحدد أعمال الشركة بصورة عامة كانت الاتفاقية الرئيسية للزيت تنص على مايلى :

أولاً : يسرى الامتياز مدة ٦٠ سنة اعتبارا من عام ١٩٣٣م وفى نهاية هذه المدة تصبح جميع المنشآت التى تبنيها الشركة فى المملكة العربية السعودية ملكاً للحكومة العربية السعودية .

ثانياً : حددت مساحة منطقة الامتياز فتتألف أساساً من الجزء الشرقى للمملكة العربية السعودية الذى يمتد إلى الطرف الغربى للرقعة الرملية الطويلة المعروفة باسم « الدهناء » وقد أصبحت مدة الامتياز فيما بعد ٦٦ عاماً وبعد ٤٠ يوماً من توقيع هذه الاتفاقية صدر مرسوم ملكى فى الرياض تحت رقم ١١٣٥ ليضعها موضع التنفيذ وهذا نصه (٢) :-

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بعد الاعتماد على الله تعالى وبعد الاطلاع على الاتفاقية الموقع عليها فى جدة فى اليوم الرابع من شهر صفر عام ألف وثلثمائة واثنين وخمسين هجرية بين وزير ماليتنا وبين المستر/ل . ن . هاملتون ممثل شركة إستاندارد أويل كومبانى أوف كاليفورنيا ، وبناءاً على موافقة مجلس الوكلاء أمرنا بما هو آت :-

المادة الأولى : يرخص لشركة إستاندرد أويل كومبانى أوف كاليفورنيا باستثمار البترول ومستخرجاته فى القسم الشرقى من مملكتنا العربية السعودية ضمن الحدود بمقتضى الشروط

---

(١) - صلاح الدين المختار - تاريخ المملكة العربية السعودية مجلد ٢ ص ٤٧٧

(٢) - محمد سعيد المسلم - ساحل الذهب الاسود - الطبعة الثانية ص ٢٣٥

والأحكام الواردة فى الاتفاقية الموقع عليها بين وزير ماليتنا وبين ممثل الشركة المذكورة فى اليوم الرابع من شهر صفر عام ألف وثلثمائة واثنـين وخمسين هجرية .

المادة الثانية : نصادق على هذه الاتفاقية المشار إليها أعلاه الملحقة بمرسومنا هذا ونأمر بوضعها موضع التنفيذ إعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة الثالثة : نصادق على الاتفاقية الخاصة الملحقة بالاتفاقية الأصلية ونأمر بإنفاذها .

المادة الرابعة : على وزير ماليتنا تنفيذ أحكام هذا المرسوم .

صدر هذا فى قصرنا بالرياض فى اليوم الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ الموافق ٧ يوليو سنة ١٩٣٣م .

نائب جلالته / فيصل   عبد العزيز

وقد بدأ التنقيب عن الزيت فى شهر آب من السنة ذاتها وعثر على حقل الدمام فى مارس «آذار» سنة ١٩٣٨م ، وفى ١٦ أكتوبر أعلن عن إنتاج الزيت بكميات تجارية فكان ذلك بداية عهد جديد وضع هذه البلاد فى مسار حضارى متقدم شمل جميع نواحى الحياة فيها .

وفى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ٣١ مايو سنة ١٩٣٩م جرى تعديل (١) إلحاقى للاتفاقية قام بتوقيعه نيابة عن الجانب السعودى وزير المالية الشيخ عبد الله الحمد السليمان والمستر /"وليم – ج لينهان" نيابة عن شركة كاليفورنيا أربيان ستاندر أوف أويل ، وصدر المرسوم الملكى بتاريخ ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨هـ الموافق ٢ يوليو سنة ١٩٣٩م بالموافقة عليه وإلحاقه بالاتفاقية الأولى . ومن أهم ماجاء فيه .

إضافة بعض الأماكن وتوسيع المنطقة التى مُنحت الشركة حق استثمار الزيت فيها « بيانه فى المادة الخامسة ، وحساب ريعه فى السادسه» ويستمر العمل فى الأماكن المضافة إلى منطقة الإمتياز مدة ست سنوات بعد إنتهاء الستين سنة المتعلقة بالأولى .

تعديل ماجاء فى المادة ١٩ من الاتفاقية الأولى بشأن ماتقدمه الشركة للحكومة من البنزين والغاز من دون مقابل بحيث تصبح كميته بعد مرور سنة على عقد هذه الاتفاقية «الثانية» مليونين وثلثمائة ألف جالون أمريكي من البنزين « غير معبأةٍ » ومائة ألف جالون من الغاز غير معبأة أيضاً ، وفى السنة التى تليها تقدم مليونين وثلثمائة ألف جالون بنزيناً ومائة ألف جالون من الغاز

(١) – خير الدين الزركلى – شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز جـ ٢.١ ص ٦٩٩

وفى ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ – الموافق ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٥٠ م تم التوصل إلى تعديل آخر للاتفاقية من أهم ماجاء فيه

ا – إخضاع شركة النفط «أرامكو» لضريبة الدخل والزكاة وغيرها من الضرائب الحكومية التى تقرها حكومة المملكة العربية السعودية على أن لايتعدى مجموع الضرائب ومايضاف إليها من استحقاقات للحكومة عن ٥٠٪ من مجموع دخل شركة النفط بعد خصم مصاريف التشغيل والاستهلاك والصيانة والخسائر وخلافها .

ب – زيادة ماتقدمه الشركة إلى الحكومة سنويا دون مقابل من وقود السيارات والكيروسين .

وبموجب هذا التعديل تصبح مدة الامتياز ٦٦ سنة على اعتبار أن الاتفاقية الأولى فى ١٥ يوليو سنة ١٩٣٣م ، ومدة امتياز المنطقة الإضافية ٦٦ سنة إبتداءاً من ٢١ يوليو سنة ١٩٣٩م .

كما يشمل إلى جانب الجهة الشرقية من المملكة العربية السعودية التى تمتد إلى حافة الدهناء غربا وهى ماتضمنته الاتفاقية الأصلية مناطق أخرى شملت توسعة الأجزاء الشمالية والجنوبية من منطقة الامتياز وكذلك المنطقتين المحايدتين التى تتقاسم فيها المملكة العربية السعودية حقوقا بالتساوى مع العراق والكويت ، فبلغت مساحة الامتياز المشمولة فى الاتفاقيتين زهاء ٤٠٠,٠٤٠ ميل مربع وتمتد هذه المساحة على طول الساحل الشرقى بما فى ذلك الربع الخالى جنوباً كما أعطيت للشركة ذاتها أيضاً حق الأفضلية فى المنطقة الواقعة غرب خط الطول الشرقى ٤٦ من أراضى نجد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن دول المحور (١) وهى ألمانيا وإيطاليا واليابان حاولوا كثيراً الفوز بنيل ذلك الامتياز الإضافى البالغ مساحته ٨٩,٠٠٠ ميل مربع ولكن الملك عبد العزيز لم يوافق على الاستجابة لدول المحور مع أن ماعرضته شركات هذه الدول من المال قبل الشروع فى التنقيب أكثر مما قدمته شركة إستاندرد ، ويعود رفض الملك عبد العزيز لذلك العرض لكونه لم يشأ أن يجعل من بلاده حلبة للصراع بين أطماع هذه الدول .

ومن الجدير بالذكر أن شركة أرامكو قد تخلت عن امتيازها فى بعض المناطق تنفيذاً لبنود الاتفاقية حيث تخلت عن (٢)– حق الأفضلية فى نجد فى سنة ١٩٤٧م .

– وعن المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية فى سنة ١٩٤٨م .
– وعن مساحة ٣٦ ألف ميل مربع من الجزء الجنوبى الغربى من نجران سنة ١٩٤٩م
– وعن مساحة ٣٤ ألف ميل مربع من الجزء الشمالى الغربى سنة ١٩٥٢م
– وعن مساحة ٣٤٨ ألف ميل مربع تشمل قطعتين الأولى فى الجهة الشمالية الغربية .

---

(١) – خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز جـ١،٢ ص ٧٠٠

(٢) – محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود – الطبعة الثانية ص ٢٤٠، ٢٤١

والثانية فى الجهة الجنوبية الغربية فى سنة ١٩٥٥م .

- وعن مساحة ٣٣ ألف ميل مربع فى شهر يوليو سنة ١٩٦٠م ، بحيث أصبح امتياز أرامكو منحصرا فى مساحة لاتتجاوز ٣٠٧ آلاف ميل مربع .

وكانت شركة إستاندرد أوف كاليفورنيا حين تمكنت من اكتشاف الزيت فى منطقة الأحساء ووجدت أنه من الضخامة بحيث يتعذر عليها النهوض باستخراجه وتسويقه بمفردها ، لذا عمدت إلى إدخال شركة تكساس أويل سنة ١٩٣٦م وجعلت حقوق الامتياز مناصفة بينهما حيث أطلق على الشركة الجديدة إسم فريق كالتكس .

وفى سنة ١٩٤٦م باعت شركة أرامكو حصة قدرها ٣٠٪ إلى شركة إستاندرد أويل أوف نيوجرسى ، وحصة أخرى قدرها ١٠٪ إلى شركة سوكوبى فاكوم والتى عرفت لاحقاً «بسوكونى موبيل للزيت» فأصبحت الحصص موزعة بين هذه الشركات على الشكل الآتى .

إستاندرد أوف كاليفورنيا ٣٠٪	تكساس أويل ٣٠٪
إستاندرد نيوجرسى ٣٠٪	سوكونى موبيل ١٠٪

ونتيجة للاتفاقيات الخاصة بالاكتتاب بالأسهم زادت حصة موبيل إلى نسبة ١٥٪ بينما انخفضت حصص الشركات بنفس القدر ، وقد أطلق على التشكيل الجديد اسم شركة الزيت العربية الأمريكية « أرامكو »

وفى سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م (١) عرضت شركة «باسفيك وسترن كوربوريش» على حكومة المملكة العربية السعودية مشروع للبحث عن الزيت تحت الماء فيما يسمى « بالمنطقة المحايدة» ففازت بحق الامتياز فى ذلك وباشرت العمل ، وفى أواخر سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م تم العثور على الزيت بكميات وافرة فى حقل السفانية على منتصف الطريق بحراً بين شواطىء المملكة وشواطىء الكويت ، وتم الاتفاق بين الحكومتين السعودية والكويتية على اقتسام ايراداته .

وفى سنة ١٣٩٣هـ حصلت حكومة المملكة العربية السعودية على ٢٥٪ من ملكية المرافق والإنتاج لأرامكو .

وفى سنة ١٣٩٤هـ زادت الحكومة هذه الحصة إلى ٦٠٪

وفى سنة ١٤٠١هـ حصلت الحكومة على الحصة الباقية وهى ٤٠٪ وبذلك أصبح إنتاج الزيت ومرافقه ملكاً خالصاً للمملكة العربية السعودية .

---

(١) - خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ص ١٥٢ وأيضا قافلة الزيت - شعبان ١٤٠٤هـ ص٦

المسح والتنقيب والإنتاج :

في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٣م وصلت إلى مدينة الجبيل الطليعة الأولى من جيولوجي الشركة على متن قارب بخاري يقل /ر . ن ميلر و س . ب . هنرى ويصحبهما كارل . س . توتيشل وكان قد قدم من جدة براً إلى الجبيل ومن ثم أبحر إلى جزيرة البحرين لمرافقة هذه البعثة

وفي ٢٨ سبتمبر بدؤا استكشاف الأراضي الواقعة في نطاق الامتياز يساعدهم فريق من الأدلاء السعوديين أمثال خميس بن روثان فتكونت لديهم القناعة الكافية باحتمال وجود الزيت في تلك المنطقة . وفي صيف سنة ١٩٣٤م بدأ العمل بوضع الدراسات والخطط اللازمة لإجراء الاختبار الأول في بئر رقم ١ الواقع غرب انحدار جبل الظهران إلى الشمال من المنطقة السكنية ، ثم تلاه حفر ٩ آبار دون العثور على مايبشر بوجود الزيت هناك ، وكاد الشعور بالإخفاق يستبد بنفوس المسئولين عن الشركة ، بيد أنهم عقدوا العزم على القيام بتجربة أخيرة فركزوا الحفر في البئر رقم ٧ بجبل الظهران فتم العثور فيه على الزيت بكميات تجارية على عمق ٤٧٢٧ قدماً وذلك في ١١ محرم سنة ١٣٥٧هـ - ٢٣ مارس - آذار سنة ١٩٣٨م ، فكان ذلك بداية عهد جديد في مستقبل الشركة ، فشرعت على الفور في إقامة المكاتب والأحياء السكنية بجبل الظهران وكذلك إقامة المنشآت الصناعية كخزانات التجميع ومرافق نقل الزيت ، وفرضة صغيرة بالخبر ، وقامت بمد خط أنابيب قطره ٦ بوصات إلى تلك الميناء لشحن الزيت بواسطة المراكب إلى البحرين ، وكانت أول شحنة جرى نقلها في يوم الأحد ١٠ رجب سنة ١٣٥٧هـ - أغسطس سنة ١٩٣٨م وتبلغ زهاء ٤٥٠طناً .

وفي أواخر عام ١٩٤١م تم إنشاء ميناء العزيزية الواقع جنوب الخبر فتحولت عمليات شحن الزيت إليها ، بيد أنها هجرت فيما بعد . وفي سنة ١٩٣٩م تم إنشاء ميناء رأس تنورة ليتم عن طريقه نقل الزيت ، حيث ربط بمراكز الإنتاج في الظهران بخط أنابيب طوله ٦٣,٣ كم وقطره ١٠ بوصات وبطاقة ضخ قدرها ٤٥,٠٠٠ برميلٍ يومياً ، وفي ١١ ربيع الأول سنة ١٣٥٨هـ ١ مايو سنة ١٩٣٩م تم شحن البترول الخام على أول ناقلة زيت تلقى بمراسيها في تلك الميناء وهي المسماه د . جي . سكوفيلد والتابعة لشركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا

كما تم حفر بئرين في أبو حدريه وعدة آبار في بقيق ، كما حُفر في كل من العلاة ومعقلا بعض الآبار التي لم يعثر فيها على الزيت .

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م تعثر سير العمل في إنتاج الزيت وذلك لصعوبة النقل والتمويل وجلب المواد اللازمة للعمل بحيث أصبح التنقيب عن الزيت واستخراجه والاستمرار في إقامة المنشآت اللازمة له أمراً في غاية الصعوبة ، فانخفض مستوى العمل تدريجياً حتى أوشك على التوقف كلياً سنة ١٩٤٢م ، ومما زاد الحالة تدهوراً

قيام إحدى الطائرات التابعة للسلاح الجوى الإيطالى بإسقاط مازنته ٥٠ رطلا من القنابل الحارقة على مقربة من آبار الزيت بجبل الظهران ، مما تسبب فى إحداث شىء من التلف فى بعض الأنابيب ، وقد أحدثت تلك الغارة موجة من الذعر فى نفوس العاملين بآبار الزيت، فبادرت الشركة إلى وضع خطة للطوارىء تمثلت فى بناء ملاجىء لحماية المعدات الثمينة والآبار والمخازن ، كما تم ترحيل العائلات الأمريكية وبعض العاملين الأمريكيين وكان آخر فوج يغادر الظهران فى مايو سنة ١٩٤١م ، وبالتالى وصلت أعمال التنقيب والاستكشاف إلى مرحلة الجمود ، واكتفت الشركة باستغلال الآبار الجاهزة للإنتاج ولم يبق على رأس العمل سوى مائة فرد أمريكى وزهاء ٢٠٠٠ فرد عربى ، وقد استمر الحال على هذا الوضع حتى سنة ١٩٤٣م ، بيد أنه فى أواخر ذلك العام استؤنف العمل من جديد وسرعان ما أخذ التنقيب والإنتاج فى التصاعد بشكل مذهل ، حيث اكتشف إلى جانب حقول كل من الظهران وأبوحدريه وبقيق عدة حقول أخرى ، ففى سنة ١٩٤٥ م اكتشف حقل القطيف ، وفى سنة ١٩٤٨، اكتشف حقل الغوار وهو أكبر حقل فى العالم ويبلغ طوله ٢٤١ كم وعرضه ٤٨ كم ويوجد به الزيت على عمق ٦٨٠٠ قدم تقريباً .

وفى يناير سنة ١٩٤٩م اكتشف حقل الفاضل الكائن بين حقل القطيف وأبوحدريه .

وفى أغسطس عام ١٩٥١م اكتشف حقل السفانية ويبلغ طوله ٢٦ كم وعرضه ٩ كم ، ويوجد به الزيت على عمق يتراوح بين ٥٣٠٠ - ٦٠٠٠ قدم ، وهو أكبر الحقول المغمورة وزيته من النوع الممتاز .

وفى يوليو سنة ١٩٥٦م اكتشف حقل الخرسانية وهو على بعد ١٢٨ كم إلى الشمال الغربى من الظهران بين الفاضلى وأبوحدريه ، ويوجد به الزيت على عمق ٥٩٥٠ قدماً .

وفى سنة ١٩٥٧م اكتشف حقل خريص ويقع فى شريط الدهناء على بعد ١٥٠ ميلاً جنوبى الظهران إلى الغرب ، ويوجد به الزيت على عمق ٤٧٦٠ قدماً .

كما تم اكتشاف الحقل المعروف باسم منيفة وهو ثانى حقل تحت الماء ويقع على مسافة ٢٤ كم من الشاطىء ، ويوجد به الزيت على عمق ٧٤١٠ أقدام .

واستمراراً لحركة التنقيب عن الزيت تم اكتشاف المزيد من الحقول فبلغ عدد ماتم العثور عليه منها فى سنة ١٤٠٣هـ ٤٨ حقلا منها ٣١ حقلاً على اليابسة و١٤ حقلا فى المنطقة المغمورة من الخليج ، و ٣ حقول هى البرى والقطيف ومنيفة تشمل اليابسة والمغمورة .

وكان من نتائج التنقيب الواسع والحفر التحديدى (١) الذى تم إجراؤه فى سنة ١٤٠٣هـ

---

(١) قافلة الزيت - شعبان ١٤٠٤ هـ - مايو ١٩٨٤م ص٩

أن زاد الاحتياطى الثابت من الزيت فبلغ فى امتياز أرامكو وحدها ٣,٣ بليون برميل وبذلك يقدر احتياطى الزيت فى المملكة بـ ٢٥٪ من الاحتياطى العالمى .

الإنتاج :

كان إنتاج الزيت فى نهاية سنة ١٣٥٧هـ يسير بمعدل ١٣٥٠ برميلاً يومياً ثم استمر حتى سنة ١٣٦٣ هـ يسير بمعدل أقل من ٢٠ ألف برميل فى اليوم ، غير أنه بنهاية سنة ١٣٦٨ هـ صار ٥٠٠,٠٠٠ برميل فى اليوم ، وظل يتزايد بمعدل ١٠٪ فى السنة من سنة ١٣٦٩هـ إلى نهاية ١٣٨٣هـ ، وفى سنة ١٣٩٠هـ كان معدل الإنتاج قد بلغ ٣,٥٤٨,٨٦٥ برميل فى اليوم ثم تضاعف ثلاث مرات تقريبا خلال السنوات الإحدى عشرة التالية فوصل فى سنة ١٣٩١هـ إلى زهاء ٩,٦٢٣,٨٢٨ برميلا فى اليوم ، وقد بلغ الإنتاج الإجمالى للمملكة منذ عام ١٣٥٧هـ حتى عام ١٤٠٢هـ « ٤٤,١ بليون برميل » وبذلك تعد المملكة أول الدول المصدرة للزيت فى العالم حسب إحصائية سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . وقد أصبح البترول يمثل ٩٠٪ من دخل المملكة و ٩٧٪ من قيمة الصادرات تقريباً .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه إلى جانب شركة أرامكو توجد هناك شركات أخرى تعمل فى مجال التنقيب عن الزيت واستخراجه هى شركة الزيت العربية اليابانية وأوكسيرات الفرنسية وشركة جتى .

صناعة الزيت وتطويرها : [١]

لقد مرت صناعة الزيت عبر نصف قرن من عمرها فى هذه البلاد بعدة مراحل من التطور والنمو فى جميع المجالات وبخاصة فيما يتصل بالتنقيب والحفر وإنتاج الزيت والغاز الطبيعى والتكرير ومعامل الغاز ومد خطوط الأنابيب ومرافق التصدير إلى غير ذلك .

وغنى عن البيان أن المعدات والأدوات التى بدأت أرامكو بها العمل كانت بسيطة ومتواضعة ، لم تلبث مع تقدم العمل حتى تطورت وازدادت تنوعاً وتعقيداً وبخاصة فى السنوات المتأخرة حيث حققت التكنولوجيا أوسع الخطى فى التقدم والازدهار ، وقد حرصت أرامكو على الإفادة من هذا التقدم فأدخلت أحدث الأجهزة والمعدات فى مراكز عملها بهذه البلاد ، كما عمدت إلى إعداد برامج تدريبية مكثفة لموظفيها السعوديين بغية إكسابهم الخبرة والمعرفة التى تمكنهم من النهوض بهذه المسئولية الجسيمة ، ففى مجال التنقيب عن الزيت وتطوير وسائله نلاحظ أن هذا العمل كان فى العقدين الأولين من عمر هذه الصناعة من أكثر الأعمال مشقة وعناءً ، ويدرك مدى ذلك من جرب مشقة الحياة فى الصحراء حيث لم تكن توجد آنذاك طرق ممهدة لنقل المعدات اللازمة للتنقيب والمسح حيث لم تتوفر بعد وسائل نقل سريعة لدى الشركة لاسيما فى السنوات الأولى من التنقيب الجيولوجى ، فقد كانت تستخدم الجمال فى كثير من الأحيان لنقل المعدات والمؤن لصعوبة الانتقال بين كثبان الرمال .

ومن هنا كانت وسائل العمل فى البداية محدودة الفاعلية ثم أخذت فى التطور بسرعة مذهلة بفضل استخدام أحدث ماتوصلت إليه التكنولوجيا من المعدات والأجهزة المتطورة كالحاسبات الإلكترونية وغيرها التى تستخدمها أكثر البلاد تقدما ، ومن تلك الوسائل دراسة الدلائل الطبيعية الموجودة على سطح الأرض واستعمال المسح الفوتوغرافى من الجو لتجميع الصور وإعداد الخرائط الجيولوجية التى تساعد على إظهار طبوغرافية الأرض بوضوح وكذلك المسح السموغرافى أو طريقة التفجير الزلزالى التى تعد من أفضل الطرق للبحث عن المصائد البترولية الخازنة للزيت ، وقد أدى اتباع هذه الوسائل المتطورة فى مجال التنقيب إلى ارتفاع احتياطى الزيت بالمملكة خلال سنة ١٤٠١هـ إلى أكثر من ٣ بلايين برميل ، وتم حفر ٥٨ بئراً تجريبية أسفرت عن اكتشاف ثلاثة مكامن زيت جديدة قريبة من السطح فى حقلى جريد والظلوف فى المنطقة المغمورة ، علاوة على اكتشاف مكمن عميق فى حقل بقيق

---

(١) - قافلة الزيت : شعبان ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م ص ٢٠،٢١،٢٢

وقد عثر على مناطق أخرى تبشر بوجود الزيت فى الحريرى بالمناطق المغمورة وفى العمد على اليابسة .

كما أسفرت أعمال الحفر إلى الطبقات العميقة عن زيادة مساحة تجمعات الغاز المعروفة فى حرض وشدقم . وفى نهاية سنة ١٤٠١هـ بدأت أعمال تجهيز المعلومات فى مركز الكمبيوتر التابع لمركز التنقيب وهندسة البترول .

وفى مجال الحفر والإنتاج كانت جميع الأعمال فى بدء أمرها يدوية تعتمد على أصحاب الأجسام القوية والعضلات المفتولة ، فكان أولئك الحفارون الأوائل يقضون الشهور فى تمهيد الطرق ومواقع الحفر ونصب أبراجها وتجهيز الآلات ومضخات الدفع ونقل أنابيب الحفر والتغليف والمثاقب ثم يعيدون فكها بعد إنجاز حفر البئر لاستئناف العمل فى مكان آخر جديد ، وكل ذلك كان يتم فى ظروف عمل صعبة وفى أحوال جوية متقلبة براً وبحراً .

ونتيجة لما طرأ على معدات الحفر من تحسينات هامة فى ظل التطور التكنولوجى الحديث ، فقد أصبحت عملية حفر آبار الزيت أكثر يسراً وسهولة وذلك باستعمال مايسمى بالحفر الرحوى وهو أكثر الأساليب شيوعاً فى هذا العصر ، فقد أفادت التقارير أنه خلال سنة ١٤٠١هـ شغلت أرامكو ١٦ جهازا من أجهزة الحفر على اليابسة ، و ١١ جهازاً من أجهزة الحفر فى المنطقة المغمورة لأعمال الاستغلال والتنقيب ، كما شغلت ١٧ جهازاً من أجهزة صيانة الآبار وجهازاً واحداً للحفر تحت ضغط عال على اليابسة ، وثلاثة أجهزة لصيانة الآبار فى المنطقة المغمورة ، وقد أنجزت هذه الأجهزة ١٨٠ بئراً لإنتاج الزيت وحقن الماء وتصريف المياه المالحة بالإضافة إلى حفر ١٠١ بئرٍ تنقيبية . أما فيما يتصل بإنتاج الزيت فقد أنشأت أرامكو معامل لفرز الغاز من الزيت فى المناطق التى اكتشفت الزيت فيها علما بأن معظم الزيت كان يتدفق من الآبار فى هذه البلاد تلقائياً بفعل قوة الدفع الناتجة عن الغاز المذاب وهو مايعبر عنه بمرحلة الاستخلاص الأولى ، وطبيعى أن قوة الدفع هذه تقل باستمرار الاستعمال ، لذا لجأت الشركة للمحافظة عليه باعتماد مرحلة الاستخلاص الثانوية المتمثلة فى الحقن بالغاز أو الماء (١) . لذا فقد أنشأت أرامكو عددا من المعامل لحقن الغاز والماء التى تساعد على دفع الغاز والماء تحت ضغوط المكامن لاستمرار تدفق الزيت من الآبار ورفع معدلات الإنتاج فيها وقد بدأ برنامج المحافظة على الضغط لأول مرة فى حقل بقيق سنة ١٣٧٠هـ

---

(١) قافلة الزيت : شعبان ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م ص ٢٨

كما تم التوسع فى استخدام آلات الضغط اللاسلكى من بعيد لتسيير المعامل النائية لفرز الغاز من الزيت ومرافق الضخ .

وفى مجال تكرير الزيت (١) استخدمت الشركة أحدث الأجهزة المتطورة ، فمنذ تم اكتشاف الزيت بكميات تجارية فى الظهران عمدت أرامكو إلى إنشاء معمل لتكرير الزيت فى رأس تنوره بدأ إنتاجه سنة ١٣٩٥هـ بمعدل ٥٠ ألف برميل فى اليوم من مختلف أنواع الوقود ، ثم أخذ هذا المعمل يتسع بالتدريج بإضافة وحدات جديدة إليه لإنتاج المزيد من المشتقات الهيدوكربونية التى تستخدم فى الأغراض المنزلية والصناعية وبخاصة الصناعة البتروكيمائية وقد وصل إنتاج هذا المعمل حاليا زهاء ٧٥٠,٠٠٠ برميل يوميا من مستلزمات الزيت الخام ، ويقوم بإدارته وتشغيله موظفون أكفاء يجرى تدريبهم وتزويدهم بالخبرات والمهارات الفنية بصورة مستمرة مع وضع الدراسات والأخذ بأحدث الوسائل المتطورة للتكرير ، وهذه الوحدات متنوعة الأغراض تغطى جميع مايتطلبه هذا العمل من كفاءة ودقة ومهارة .

وفى مجال نقل الزيت قامت الشركة بتأسيس عدد من المنشآت من أهمها مد شبكات الأنابيب وساحات الخزانات ومحطات الضخ ومحطات توليد الكهرباء ومرافق الشحن ، ولكون الأنابيب تمثل الشرايين التى يتم بواسطتها نقل الزيت من أفواه الآبار إلى مراكز التصدير ، فقد قامت أرامكو بمد شبكة واسعة من الأنابيب تتراوح أقطارها من ٢٥سم الى ١٤٢سم ، ومن بين هذه الأنابيب مايعرف بخطوط الجريان التى تصل الآبار بمعامل فرز الغاز ، كما توجد خطوط رئيسية لنقل الزيت الخام وسوائل الغاز الطبيعى إلى معامل التكرير وإلى مرافق التصدير فى كل من رأس تنورة والجعيمة وينبع على البحر الأحمر ، وقد بلغ المجموع الكلى لهذه الأنابيب فى نهاية سنة ١٤٠١هـ ١٢٩٩١ كم .

ومن أهم ماتم إنجازه فى هذا المضمار مد خطين (٢) تحت الماء لضخ الزيت إلى جزيرة البحرين لتكريره فى مصفاة سترة وذلك فى سنة ١٩٤٥م والسنة التى تليها ، وفى شهر يوليو ١٩٤٧م بوشر فى إنشاء خط التابلاين (٣) الذى ينقل الزيت من منابعه فى شرق الجزيرة العربية حتى منطقة الزهرانى قرب صيدا بلبنان على مسافة ١٧٢٠كم ، وقطره ٣٠-٣١ بوصة

---

(١) قافلة الزيت : شعبان ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م ص ٢٩

(٢) - ساحل الذهب الأسود : ص ٢٤٣

(٣) - التابلاين : هى إحدى الشركات المتخصصة فى نقل الزيت فقط ، وتعود ملكيتها لشركات الزيت الأربع الكبرى التى تملك أرامكو ، وهى بدورها مع التابلاين ملكا لزهاء ٧٠٠ ألف شخص من المساهمين

وطاقته نحو ٤٣٥ ألف برميل يومياً وهو أضخم خط أنابيب فى العالم .

ويبدأ خط الأنابيب الخاص بشركة التابلاين من محطة القيصومة الواقعة فى القسم الشمالى من المملكة العربية السعودية ويمتد مسافة ١٢٠٥ كم حتى ينتهى إلى ميناء الزهرانى بلبنان وفى القيصومة يتصل خط التابلاين بشبكة الأنابيب (١) المجمعة الخاصة بشركة أرامكو حيث يتم تحويل جزء من الزيت هناك ومن ثم تضخه التابلاين فى أنابيبها إلى ميناء الزهرانى المذكور ، ومن هناك يتم شحن الزيت بالناقلات إلى أوروبا ومختلف دول العالم ، وقد تم ضخ الزيت عبره لأول مرة فى ١٠ نوفمبر « تشرين الثانى » سنة ١٩٥٠م ، أما أول شحنة تصدر منه فكانت فى ديسمبر « كانون الأول » سنة ١٩٥٠م .

وآخر ماتم إنجازه من خطوط الأنابيب هو خط نقل الزيت الخام (٢) من شرق المملكة إلى غربها وهو يمتد من حقلى الغوار وبقيق فى المنطقة الشرقية إلى مرفأ ينبع على البحر الأحمر

ويبلغ طوله ١٢٠٠كم أما قطره فهو ٤٨ بوصة ، وتبلغ الطاقة الأولية له ١,٨٥ مليون برميل يومياً مع إمكان زيادة طاقته إلى ٢,٣٥ مليون برميل يومياً ، وتوجد على امتداده ١١ محطة ضخ . وفى رمضان سنة ١٤٠٢ هـ تم تصدير أول شحنة منه على متن الباخرة المعروفة باسم ينبع الفخر . أما فيما يتصل بمرافق التصدير فإن أول فرضة أنشأتها أرامكو لأعمالها هى فرضة صغيرة للتخزين والشحن فى الخبر وذلك فى أعقاب فوزها بإمتياز التنقيب عن الزيت فى هذه الأراضى ، ولكن تلك الفرضة هجرت لتحل محلها فرضة أخرى فى العزيزية بالخبر أيضاً ، وقد استغنى عنها هى الأخرى حيث تم إنشاء مرفأ رأس تنوره ، وقد ظل هذا المرفأ المصدر العام الذى يتم من خلاله شحن الزيت بالناقلات العملاقة إلى مختلف أنحاء العالم . ونتيجة للتوسع فى إنتاج الزيت وتصديره فقد طرأ على هذا المرفأ الكثير من التحسين والتطوير ، فقد كان قبل سنة ١٣٧٧ هـ يتكون من ثلاث ساحات للخزانات الخاصة بالزيت الخام ومنتجات البترول وغاز الزيت السائل ، و٨ مراسى لشحن الناقلات ، وأقصى ماتستطيع أرصفته إستقباله ٨ ناقلات فحسب بحيث لاتزيد حمولة الناقلة الواحدة عن ١٠٠,٠٠٠ طن وكان أقصى حد لطاقة شبكة تحميل الزيت الخام ٣٠,٠٠٠ برميل فى الساعة .

وفى سنة ١٣٩٣هـ أنشأت أرامكو فرضة الجعيمة فى عرض البحر على بعد ٢٤كم إلى الشمال الغربى من فرضة رأس تنورة ، وتتكون من ساحة خزانات كبيرة للزيت الخام يتسع الخزان

---

(١) صلاح الدين المختار - تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها جـ٢ ص٤٩٠

(٢) - قافلة الزيت - شعبان ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م ص٢٩

الواحد لـ ١,٥ مليون برميل ، كما أنشئت خزانات أخرى للغاز الطبيعى بلغ قطرها ٢٨٨ قدماً وسعتها ٩٠٠,٠٠٠ برميل ، إلى جانب ٦ عوامات و ٤ شبكات تحميل كانت طاقتها عند إنشائها ٣٠,٠٠٠ برميل فى الساعة وقد زادت إلى ١٣٥,٠٠٠ برميل فى الساعة .

وبفضل هذا التحسين أصبح هذا الميناء يستقبل ٢٤ ناقلة فى وقت واحد وتحميلها بسرعة وكفاءة وأمان ، حيث جهز هذا المرفأ بأحدث الأجهزة والمعدات المتقدمة منها شبكة اتصالات حديثة فى فرضة رأس تنورة تدعمها الحاسبات الإلكترونية لمراقبة حركة الناقلات وضمان سلامتها .

استغلال الغاز الطبيعى :

بدأت فكرة استغلال الغاز الطبيعى والاستفادة من مكوناته منذ سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م حين كان ينبعث من آبار الزيت آنذاك مايزيد عن ٤٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعى المعروف بكبريتيد الهيدروجين البالغ ٧ الى ١٥٪ من حجم الغاز (١) على اعتبار أن تلك المادة الكبريتية يمكن استخلاصها من الغاز نفسه واستهلاكها فى صناعات كبريتية مختلفة ، كما أن من السهل تحويلها إلى حامض كبريتيك ولهذا الحامض شأن كبير فى الصناعات الكيماوية وقد فكرت الحكومة فى استثماره وقدر مايحتاج إليه من المال بـ ٥٠ مليون دولار أمريكى ولأجل ذلك بعث قسم المؤن والخامات فى منظمة الأمم المتحدة أحد الأخصائيين هو المستر / هومر أستوفر لدراسة المشروع ، فكان من نتائج تلك الدراسة قوله : إن استغلال هذا الغاز سيسهم فى حل أزمة الأسمدة حيث يوفر زهاء ٨٠٠ ألف طن مترى من سماد كبريتات النشادر سنوياً ويعتبر هذا النوع من أفضل أنواع الأسمدة وتلح على طلبه زهاء ٢٠ دولة فى مقدمتها دول الشرقين الأوسط والأقصى .

وقال المستر / هومر أستوفر أيضا فى تقريره إلى قسم المؤن والخامات « إن مما يشجع على المضى فى العمل لتحقيق المشروع بسهولة تموين الشرق من البلاد العربية السعودية لقرب المواصلات منها ، ويقدر أدنى حد للربح السنوى المنتظر من أول سنة يبدأ فيها إنتاج السماد ١٥٪ »

بيد أن استغلال هذا الغاز لعدة سنوات ظل قاصرا على استعماله كوقود فى مرافق

---

(١) – خير الدين الزركلى . تاريخ شبه الجزيرة العربية ص ٧١٣

الزيت (١) والأغراض المنزلية ، وفى محاولة للمحافظة على الضغط فى بعض مكامن الزيت من ناحية والاحتفاظ بجزء من الغاز الذى يتم حرقه من ناحية أخرى ، وقد أنشىء معملان لحقن الغاز فى كل من بقيق وعين دار بحقل الغوار .

وكانت أرامكو قد بدأت فى استغلال صناعة الغاز الطبيعى « البترول السائل لديها» سنة ١٣٨١هـ وذلك بإنشاء معمل فى رأس تنوره بلغت طاقة إنتاجه ٤٥٠٠ برميل من الغاز يوميا

وفى سنة ١٣٨٢هـ ارتفعت طاقته إلى نحو ١٢ الف برميل يوميا وذلك للمعالجة وتصنيع الغاز الخام فى معامل تسييل الغاز فى بقيق حيث بدأ فى تشغيله فى تلك الفترة ، وقد تعرضت تلك المرافق لكثير من التوسع والتحسين حتى وصلت طاقتها التصميمية فى أواخر صفر سنة ١٤٠١هـ الى ٣٢٥,٠٠٠ برميل من سوائل الغاز يومياً .

وفى سنة ١٣٩٧هـ بدأ تشغيل مرافق تسييل الغاز فى معمل البرى ، وفى نهاية ذي الحجة سنة ١٣٩٤ هـ اتخذت الحكومة قراراً يقضى باستغلال جل الغازات المرافقه لإنتاج الزيت والتى كانت تحرق كلما أمكن ذلك اقتصاديا .

وفى محرم سنة ١٣٩٥هـ أسندت حكومة المملكة إلى أرامكو مهمة القيام بتصميم وإنشاء وتشغيل مشروع لتجميع ومعالجة الغاز (٢) المرافق للزيت المستخرج من مناطق أعمالها ، وقد صممت شبكة الغاز الرئيسية لتجميع نحو ثلاثة بلايين قدم مكعب فى اليوم من الغاز المرافق مع إمكان رفع طاقتها فى المنطقة المغمورة فى المستقبل .

كما سعت أرامكو إلى تطوير حقل الغاز غير المرافق للزيت بغية تأمين كميات كافية من الغاز المرافق وتوفير وقود إضافى للتنمية الصناعية . لذا حفرت عددا من الآبار التجريبية حيث يوجد احتياطى ثابت من الغاز .

وفى سنة ١٤٠١هـ بدأ تصميم برنامج لتوسعة شبكة الغاز الرئيسية وذلك بتجميع مزيد من الغاز معظمه من حقول المنطقة المغمورة لمعالجته فى معامل الغاز الحالية ، وثمة مشروع طويل الأمد يهدف إلى تطوير منطقة رأس التناقيب الواقعة على بعد ١٥٠ كم إلى الشمال من رأس تنوره لتصبح مركزاً رئيسيا لتوزيع الزيت والغاز فتكون بذلك خامس المراكز الرئيسية لأعمال أرامكو وهى :

بقيق - الظهران - العضيلية - رأس تنورة .

---

(١) - قافلة الزيت : شعبان ١٤٠٤هـ مايو ١٩٨٤م ص ١٠

(٢) - قافلة الزيت : شعبان ١٤٠٤هـ مايو ١٩٨٤م ص٣٧

وحين يتم استكمال هذا المشروع ستتمكن المملكة من الاستفادة من نحو ٩٥٪ من كميات الغاز التى تنتج بمرافقة الزيت الخام .

ويستعمل الغاز بعد إزالة الكبريت منه ومعالجته كوقود فى المجمعات الصناعية فى الجبيل وينبع وغيرهما من المرافق الصناعية فى المملكة ، وكذلك لتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة للأغراض المختلفة .

ويتم تصدير سوائل الغاز على شكل بروبان - وبيوتان - وبنزين طبيعى ، وقد شملت شبكة الغاز إنشاء خط أنابيب يمتد من حقول الزيت فى المنطقة الشرقية حتى ميناء ينبع على البحر الأحمر وذلك لنقل سوائل الغاز الطبيعى والميثان حيث أقيم هناك معمل لتجزئة الغاز ، ومرافق أخرى بينها فرضة للتصدير ، ويبلغ طول هذا الخط زهاء ١١٧٠ كم وقطره ٦٦-٧١-٧٦سم وقد بدأ العمل فى إنشائه فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٩٨هـ ، وقد أنجز وجرى تشغيله فى سنة ١٤٠١هـ ، وفى ١٤ من ذى الحجة سنة ١٤٠٢هـ تم تصدير أول شحنة من سوائل الغاز الطبيعى من ينبع على متن الناقلة كافندش .

مركز التنقيب والهندسة البترولية :

لقد دأبت أرامكو عبر نصف قرن من عملها فى هذه البلاد على اتباع أفضل الأساليب وأكثر الوسائل تطوراً فى التنقيب عن الزيت واستخراجه وتصنيعه وتصديره ويعتبر مركز التنقيب وهندسة البترول المعروفة إختصاراً بكلمة «إكسبك» (١)والذى تم انشاؤه مؤخراً فى الظهران أهم مشروع جرى إنجازه فى مضمار صناعة الزيت فهو يمثل ذروة التقدم التكنولوجى فى حقل التنقيب وهندسة البترول لما يشتمل عليه من أجهزة بالغة التطور والتعقيد ، فهو واحد من أكبر المرافق المتقدمة فى العالم ، والأول من نوعه فى الشرق الأوسط ، وقد أقيم على مساحة ٣٠,٦٥٨م٢ ، ويتكون من سبعة طوابق يتبعه مبنى للكمبيوتر يتألف من ثلاثة طوابق ويشتمل على اربع حاسبات الكترونية كبيرة من طراز I-B-M ورقمه ٣٠٣٣ الى جانب حاسب الكترونى I-B-M طراز ٣٧٠ و ١٢٨ وأجهزة أخرى .

ومن أهم الأعمال التى يؤديها الكمبيوتر معالجة المعلومات السسموغرافية الهامة المستعملة فى تحديد التكوينات الجوفية التى تخزن الزيت والغاز ، كما تستطيع أجهزة المركز محاكاة المكامن لمعرفة مستوى أداء الحقل وتحديد أفضل الطرق لاستخلاص المواد الكربوهيدراتية

---

(١) - قافلة الزيت : شعبان ١٤٠٤ هـ - مايو ١٩٨٤م ص١٣

منه ، ويشتمل « إكسبك » على مبانى المختبرات المساندة لمركز التنقيب وهندسة البترول ، وكذلك مرفقاً لمعالجة وتحليل وتخزين عينات الصخور إلى جانب المكاتب والمرافق الأخرى اللازمة للأبحاث البترولية المتنوعة وبذلك يوفر المركز للشركة الدراسات المتصلة بالمواد الهيدروكربونية وبرامج إدارة المكامن داخل نطاق الشركة بحيث أصبحت المعلومات تنقل من الحقل مباشرة إلى مركز الكمبيوتر على أشرطة مغناطيسية تخزن لتكون فى متناول أيدى الأخصائيين فى الظهران عند الحاجة إليها ، على حين كانت المعلومات الأولية فى الماضى ترسل إلى مراكز علوم الأرض وهندسة البترول خارج المملكة . فعن طريق مركز التنقيب وهندسة البترول هذا تستطيع إدارة التنقيب الحصول على أفضل الفرص لمعالجة المعلومات الضخمة بكفاءة عالية تعزز قدرتها على النهوض بجميع أعمالها فى أسرع وقت ممكن ، كما توفر الخدمات المساندة كإعداد الخرائط والأماكن والمعدات اللازمة للقيام بالأعمال المتزايدة على أفضل صورة ، كما يُمكن إدارة هندسة البترول من وضع برامج لإنتاج الحقول ومعالجة مشكلة الإنتاج واستخدام التكنولوجيا المتاحة ، ويساعد فى عملية التنسيق مع إدارة التنقيب ، ويقوم بإدارة هذا المرفق وتشغيله خبراء بارزون فى علوم الارض وهندسة البترول والكمبيوتر ، وقد تم افتتاحه رسميا فى ٤ شعبان سنة ١٤٠٣هـ ١٦ مايو سنة ١٩٨٣م .

ويعتبر الخبراء هذا المركز القناة الرئيسية التى ستنتقل عبرها التكنولوجيا المتطورة الى المملكة مما سيمكنها من الاضطلاع بدور قيادى فى مجال صناعة البترول .

التوظيف والتدريب :

كان توظيف العمال وتشغيلهم فى جهاز شركة الزيت من أول الأعمال التى سعت إليها أرامكو منذ وصول الفريق الأول من الجيولوجيين التابعيين لها إلى هذه البلاد للتنقيب عن الزيت سنة ١٩٣٣م ، فقد عمدت الشركة آنذاك لفتح باب التوظيف أمام كل من توفرت لديه الرغبة فى الالتحاق للعمل بها ، ونظرا لعدم توفر الأيدى المدربة محلياً فقد قامت باستقدام العاملين من جهات أخرى ، فاستقدمت الكتبة والسائقين من الحجاز والبحرين ، كما استقدمت المترجمين من الهند وباكستان وكذلك آلاف العمال من الأقطار العربية والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وغيرها من البلدان الأخرى ، وفى الوقت ذاته أخذ النمو العددى للعمال السعوديين بالشركة يتضاعف سنة بعد أخرى ، فقد قفز عددهم من ١١٥ عاملا فى سنة ١٩٣٥م ليصل الى ١٤,٨١٩ عاملا فى سنة ١٩٥٢م ، ولم تزل أعداد العمال فى تصاعد مستمر

حتى أصبحت فى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م أكثر من ٥٧ ألف موظف ، منهم مايقارب ٣٣ ألف سعودى .

ونظرا لانعدام الخبرة لدى الموظفين السعوديين فى صناعة الزيت عند اكتشافه فى البلاد فقد كان عملهم آنذاك قاصراً على بعض الأعمال البسيطة كالحراسة وقيادة السيارات وإرشاد الطرق والمواقع بيد أن هؤلاء العمال لم يلبثوا حتى اكتسبوا بما جبلوا عليه من ذكاء فطرى الخبرة والمهارة فى صناعة الزيت وذلك عن طريق المشاهدة والملاحظة والمران والاستفادة من برامج التعليم والتدريب التى أعدتها الشركة لعمالها مما أفضى إلى بروز كوادر عماليه مؤهلة للنهوض بكافة المسئوليات والأعمال فى صناعة الزيت ، فكان من ثمرة ذلك شغل عدد كبير من الموظفين الوطنيين لما يقدر بنحو ٤٥٪ من المناصب الرئيسية والإدارية بالشركة فى مقدمتهم السيد / على ابراهيم النعيمى(١) أول رئيس سعودى لشركة الزيت العربية «أرامكو» .

ونظرا لتشعب صناعة الزيت وما تتسم به من تعقيد ودقة وما تتطلبه من مهارات مختلفة وتخصصات متنوعة فإن وجود برامج للتأهيل والتدريب وتنمية الكفاءات العلمية والمهارات الفنية أمرٌ تفرضه هذه الصناعة لذا فقد سعت الشركة منذ عدة سنين إلى توفير الفرص أمام السعوديين من موظفيها وتدريبهم أكاديميا ومهنيا وإداريا حيث يتلقى المتدربون من خلال تلك البرامج دروساً وثيقة الصلة بأداء الوظائف المناطة بهم بغية تأهيلهم للوصول إلى الوظائف الإدارية والمهنية العليا ، لذا فقد استمرت برامج التدريب والتعليم لتحقيق ذلك الهدف ، ومن المعلوم أن الكفاءات الوطنية والأيدى المدربة كانت فى الأيام الأولى للتنقيب عن الزيت نادرة إن لم تكن معدومة ، غير أن الأمر أخذ فى التبدل تدريجيا فى ظل اكتشاف المزيد من الزيت ووضع برامج التدريب للعمال السعوديين .

وفى سنة ١٣٥٨هـ أختير ٢٢ موظفا سعودياً ليتلقوا التدريب فى الظهران ، كما أرسل ٢٦ آخرين إلى البحرين للتدريب غير أن الحرب العالمية الثانية أثرت على أعمال التنقيب وبالتالى على برنامج التدريب حيث اقتصر على دورات توجيهية وتدريب أولى يتم فى إطار أماكن العمل .

وفى سنة ١٣٦٩هـ كان وضع الشركة يسير نحو الاستقرار بعد انتظام تدفق شحنات الزيت الخام إلى الأسواق العالمية ، وعندئذ التحق بالشركة عدة آلاف من الموظفين السعوديين

---

(١) قافلة الزيت : شعبان ١٤٠٤هـ مايو ١٩٨٤م ص ٣٥

فعمدت إلى وضع برنامج للتدريب التحق به ٤ آلاف متدرب سعودى . وعندما فتحت الشركة ٣ مراكز للتدريب الصناعى فى بقيق والظهران ورأس تنورة ومثلها للتدريب المهنى ازداد برنامج التدريب نمواً واتساعاً .

وفى سنة ١٣٧٥هـ افتتح مركزان كبيران للتدريب الصناعى فى كل من الظهران ورأس تنورة يستوعبان ١٢٠٠ متدرب ، كما فتحت وحدة للتدريب الحرفى فى رأس تنورة أصبحت تقدم مختلف أنواع التدريب كصيانة الآلات والأدوات والمعدات والأجهزة الميكانيكية والكهربائية وغيرها من الأعمال الحرفية .

وفى رجب سنة ١٣٩٠ هـ تبنت الشركة مايعرف باسم برنامج التدرج ، وكان الغرض منه تدريب الملتحقين الجدد من السعوديين الذين أكملوا دراستهم الإبتدائية والمتوسطة على حرف صناعية ، ثم تحول برنامج التدرج إلى برنامج التدريب الصناعى وازداد عدد الملتحقين به حيث بلغ فى بضع سنوات حوالى ١٤٠٠ متدرب كما تأسست عدة مراكز تدريب أخرى تلاها فى السبعينات فتح مركز تدريب صناعى وآخر حرفى فى كل من الدمام والمبرز يستوعبان ١٢٥٠ متدربا .

وفى سنة ١٣٩٥ هـ أعيد افتتاح مركز التدريب الصناعى فى بقيق ، كما افتتح إلى جانبه فى العام التالى مركز للتدريب الحرفى ، وفى أثناء ذلك أجريت عدة توسعات على مركز التدريب الصناعى والحرفى التى كانت قائمة فقفز عدد الملتحقين بمراكز التدريب الصناعى إلى ٥٥٠٠ متدرب منهم ١٤٠٠ متدرب يتلقون تدريباً بدوام كامل ، أما عدد الملتحقين بمراكز التدريب الحرفى فقد بلغ ١٣٥٠ متدرباً وبالإضافة إلى ذلك كانت البعثات مستمرة سواء للدراسات الجامعية أو للتدريب لاكتساب المزيد من الخبرة فى مجال العمل .

وفى سنة ١٤٠١هـ استحدثت إدارة جديدة تعنى بتطوير الكفاءات السعودية والإشراف على تأهيلها فنياً ومهنيا وإدارياً مع العناية الخاصة بحملة الشهادات الثانوية والجامعية ، وفى هذا الإطار حرصت أرامكو على نشر الوعى البترولى وبلورته بين المواطنين وذلك عن طريق الاتصال بالجمهور من خلال معارض الزيت والنشرات الإعلامية وبرامج الزيارات المفتوحة لمن يرغب التعرف على مرافق الزيت من مختلف قطاعات المجتمع وبرامج التدريب الصيفى لطلاب الجامعات .

أثر الزيت على الحياة الاقتصادية :

مما مضى يتبين أن صناعة الزيت قد هيمنت على كل ماعداها من الأنشطة الاقتصادية بحيث أصبحت تشكل مانسبته ٩٠٪ من إيرادات البلاد . لذا فقد أخذت خطط التنمية الاقتصادية فى الاعتبار كل مامن شأنه تخفيف تلك الهيمنة وذلك بإيجاد توازن بين مختلف القطاعات الاقتصادية عن طريق تنمية مصادر الثروات الأخرى كالزراعة والثروة الحيوانية والمائية والصناعية وبخاصة فيما يتصل بتصنيع مشتقات الزيت والغاز والثروة المعدنية على اختلاف أنواعها والأخذ بيد الصناعات القائمة وتوسيع قاعدة الإنتاج فيها ، وسعيا وراء تحقيق هذا الهدف قامت الحكومة فى ٣ رجب سنة ١٣٨٢ هـ - ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٢م بإنشاء المؤسسة العامة للبترول والمعادن « بترومين » للمساهمة فى مختلف أوجه النشاط الصناعى والتجارى الخاص بالزيت والمعادن وذلك بهدف تنمية وتحسين وتطوير هاتين الصناعتين ، وفى هذا المجال أسندت الدولة إلى أرامكو مهمة القيام بمشروعين هامين هما :

مشروعا تصنيع الغاز الطبيعى السالف الذكر ، وشركة كهرباء المنطقة الشرقية ، ففى ٢٢ محرم سنة ١٣٩٨هـ شرعت الشركة بتكليف من الحكومة فى تخطيط وإنشاء وإدارة وتشغيل مشروع كهرباء المنطقة الشرقية الموحدة المعروفة بـ « سكيكو » التى تؤمن الطاقة لمدن المنطقة الشرقية وقراها ، كما تؤمن الطاقة اللازمة لمشروع الغاز والصناعات الأخرى ، وفى سنة ١٤٠٣هـ (١) وصلت طاقة التوليد المركبة حوالى ٤٤٠٠ ميغا واط ، كما تم أيضا إعداد وتدريب الكوادر البشرية التى تتولى تشغيل صيانة أجهزة هذه الشركة وشبكة حمل الطاقة كما قام القطاع الحكومى بتأسيس عدة مشاريع صناعية هامة منها مشروع المجمع الصناعى للبتروكيماويات فى الجبيل وينبع ، ويعتبر هذا المشروع من أهم الصروح الصناعية فى هذه البلاد ويقوم على قاعدة ثابته وتشمل الصناعات الأساسية والهيدروكربونية والمعادن الثقيلة منها ٤ مصانع بتروكيماوية ومصنع للبوليسوبرين والبتروبرتين والميثانول ومصانع الأسمدة والألمونيوم والحديد والصلب إلى جانب مصافى لتكرير الزيت وزيت

---

(١) - قافلة الزيت - شعبان ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م ص١١

التشحيم ، وكذلك وحدة لتخزين المواد البترولية السائبة ، وتتولى مؤسستان حكوميتان كبيرتان هما :

المؤسسة العامة للبترول والمعادن « بترومين » والشركة السعودية للصناعات الأساسية « سابك » مسئولية تطوير هذه الصناعات وذلك بالتضامن مع القطاع الخاص بحيث تقوم بترومين بمشاريع مشتركة مع الشركات المتخصصة فى تكرير الزيت وزيوت التشحيم على حين تدخل سابك بصفة شريك فى كل من المشروعات الصناعية الأساسية الأخرى ويتولى التنسيق بين الشركتين الهيئة الملكية التى تم إنشاؤها سنة ١٣٩٥هـ للإشراف على ذلك المشروع بغية تطوير التجهيزات الأساسية له ، ومن أهم أهدافه تأسيس قاعدة صناعية متعددة القدرات لتحويل هذه الثروات من الزيت والغاز إلى منتجات مصنعة عالية القيمة وقد أقيم هذا المجمع الصناعى فى منطقة الجبيل على مساحة واسعة فى مدينة صناعية تشمل مبانى الإدارة ومراكز التدريب والمصانع والأحياء السكنية الحديثة المزودة بجميع المرافق الصحية والتعليمية والترفيهية بالإضافة إلى ميناء بحرى ومطار .

ومن العوامل التى رشحت منطقة الجبيل لتكون مقراً لذلك الصرح الصناعى الضخم هى[١] :

- قربها من مصادر الزيت والمواد الخام وقربها من المدن الرئيسية فى المنطقة الشرقية .
- توفر المياه اللازمة لعملية تبريد تلك الصناعات .
- عمق المياه القريبة من سواحلها مما يجعلها أفضل موقع لميناء صناعى تجارى يستقبل الناقلات والسفن الضخمة .
- تمتاز الجبيل بوجود مناطق شاسعة غير مستغلة حولها .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه تم مؤخراً طرح جزء كبير من رأس مال ذلك المشروع كأسهم للاكتتاب العام .

ومن مشاريع القطاع الحكومى فى هذه المناطق مصنع تحلية مياه البحر الذى يمد مدينة الرياض بالمياه النقية عبر خطى أنابيب يمتدان من الجبيل إلى العاصمة فى المنطقة الوسطى ، كما أنشأت الحكومة عدة مشاريع منها :

مصنعين لكبس وتعبئة التمور فى الأحساء تقدر طاقة إنتاج الأول منها بألف طن سنويا ، أما الثانى فقدرت طاقة إنتاجه بـ ٢٠ ألف طن من التمور سنويا .

ومن هنا يمكن القول أن النهضة الصناعية التى شهدتها البلاد بعد أن اخرجت أرضها أثقالها قد أثرت بشكل واضح على الحرف والصناعات المحلية ، فقد تلاشت بعض المهن والصناعات على

---

(١) العبيد هذه بلادنا الجبيل ص ١١٧

حين انتعشت أنواع أخرى منها ودخلت الحياة العصرية فى ثوب جديد ، كما طرحت مقتضيات النهضة على الساحة صناعات وفرص مهنية جديدة لم تكن معروف من ذى قبل ، فقد توارت من مسرح الوجود صناعة المعدات الحربية والنحاسية والفخار ودباغة الجلود والمفروشات المصنعة من الأسل وبعض مصنوعات الخوص وصناعة الأقمشة باستثناء المشالح والعباءات ، أما النجارة فقد تطورت وصارت تتم داخل ورش تدور أجهزتها بالطاقة الكهربائية فترفد حركة العمران بكل مايلزمها من الأبواب والشبابيك وقطع الأثاث الفاخرة وقد شهد عام ١٣٨٣ هـ - ١٩٥٣م إنشاء عدد من ورش النجارة فى كل من الهفوف والدمام والخبر ، كما شمل التحديث مهنا كالخبازة والتنجيد حيث أخذت المشاغل والأفران الخاصة بذلك فى الظهور والانتشار فى مدن المنطقة سنة ١٣٧٦هـ ، فقد أسس فى الدمام لأول مرة مخبز حديث لأحمد جابر الدوسرى ، كما تأسس فى مدينة الهفوف فى شارع السويق ولأول مرة مخبز مماثل فى سنة ١٣٧٨هـ .

أما المهن والصناعات التى استجدت على الساحة فهى من الكثرة والتنوع لدرجة يصعب معها الحصر ، ومن أهمها مايتصل بخدمة السيارات وعربات النقل حيث أخذت مشارف مدن المنطقة ومداخلها تشهد قيام الورش الخاصة بإصلاح السيارات وصيانتها ومحطات الغسيل والتشحيم ومحطات الوقود وذلك منذ عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م .

واستجابة لمتطلبات حركة العمران والبناء فى البلاد نشأت عدة مصانع ومعامل لإنتاج وتصنيع المواد الإنشائية وفى مقدمتها مصنع الإسمنت ، ويعتبر مصنع الشركة السعودية للإسمنت بالهفوف الأول من نوعه فى المنطقة وقد بدأ فى الإنتاج سنة ١٣٨١هـ بطاقة قدرها ٣٠٠ طن يومياً وكان أول مصنع يعتمد على الغاز الطبيعى كمصدر للطاقة تزوده به أرامكو من منطقة شدقم عبر خط أنابيب يبلغ طوله ١١ كم واستجابة للطلب المتزايد على الإسمنت رفعت طاقة إنتاجه إلى ٤٥٠٠ طن يومياً فى سنة ١٣٩٦هـ وذلك بإضافة أفران جديدة ، كما عمل على إنتاج الإسمنت المركز المستخدم فى أعمال آبار الزيت .

وفى إطار صناعة المواد الإنشائية قام ايضاً العديد من المعامل الخاصة بإنتاج الطابوق والطوب الآجُر والرخام ومصانع الحديد والألمونيوم لتأمين كل مايلزم المبانى الحديثة من الأبواب والشبابيك والواجهات . واستجابة للنقلة الحضارية هذه فقد أخذت البلاد منذ عام ١٣٧٣هـ تشهد ميلاد العديد من المنشآت الصناعية فقد قام السيد / محمد أحمد العرفج باستحداث معمل لكبس وتعبئة التمور بالهفوف ومعمل للثلج ، كما قام السيد/ محمد حمد النعيم

بإقامة معمل للثلج واستحداث آلات لصقل وتنظيف الأرز وتهبيش البر « القمح» كما قام بعض المستثمرين فى الهفوف بإنشاء شركتين إحداهما تحت اسم « شركة التعاون الوطنى» والأخرى تحت اسم « الشركة الأهلية » فأنشأ كل منهما عدة معامل لصناعة البلاط والطابوق والثلج ، كما تأسست فى مدينتى الدمام والخبر معامل للثلج ومصانع لتعبئة المشروبات الغازية .

وفى سنة ١٣٧٦ هـ تأسس فى الدمام مصنع النسيج ، وفى السنة التالية تأسست عدة مصانع منها مصنع للورق ومصنع للأحذية ، وفى سنة ١٣٧٩هـ تأسست مصانع أخرى منها مصنع لسك المعادن وبعض المواد الإنشائية كالأبواب المعدنية وغيرها ، ومصنع لإنتاج الصهاريج والخزانات ، ومصنع خاص لسك لوحات أرقام السيارات وأنابيب الرصاص وصفائح النحاس الأصفر والأنابيب الصحية ، كما تأسست فى الخبر عدة مصانع بينها ورشة لصنع قطع الغيار وإصلاح مختلف محركات السيارات ، وكذلك إنتاج المفروشات المعدنية كالأسرة والكراسى وبعض المعدات الأخرى وذلك فى سنة ١٣٧٥هـ .

اما فى سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م فقد تأسس فى الخبر مصنع لإنتاج الغازات الصناعية .

وفى سنة ١٣٨٢ هـ تأسس فى الدمام مصنع لإنتاج الزجاج لصاحبه صالح العكاس ومع إطلالة القرن الخامس عشر الهجرى دخلت الصناعة فى طور جديد من النمو والإزدهار وذلك فى إثر الزيادة التى حققها الزيت فى الإنتاج والعائدات حيث توسع المستثمرون فى استثمار جزء كبير من أموالهم فى إقامة مشاريع صناعية كبيرة ومتنوعة شملت تصنيع بعض المواد الغذائية والصناعات البلاستيكية وصناعة المواد الإنشائية المتطورة والأجهزة كمكيفات الهواء وسخانات المياه وغيرها ، وقد ساعدهم على ذلك ماتضمنته خطط التنمية الاقتصادية من دعم وتشجيع فى هذا الاتجاه ، وقد تمثل ذلك الدعم فى تأسيس صناديق الاستثمار والتنمية التى توفر للمستثمر القروض كما تقوم أجهزة متخصصة بتزويدهم بالخبرات والدراسات اللازمة لمشاريعهم مع توفير الأرض التى تقام عليها تلك المشاريع فى المناطق المخصصة للصناعة مقابل أجر رمزى ، وكذلك تسهيل استقدام الأيدى العاملة المطلوبة من الخارج ، والتوسع فى تأسيس وتطوير المدارس والمعاهد الفنية والمهنية والكليات المتخصصة فى التقنية والأعمال الهندسية لتأهيل وإعداد الكوادر الصناعية المحلية ، كما عملت الدولة على قيام شركات مساهمة للإستثمار فى العديد من المجالات الاقتصادية ومن أهمها الصناعة وقد أتخذت التدابير التى تساعد على ضمان نجاحها واستمرارها وتسويق منتجاتها ومن تلك

الشركات شركة سافكو لإنتاج الأسمدة الكيماوية وشركة الصناعات الاساسية وشركة الغاز وشركة الزيت النباتى وشركة الأسماك وشركات الإسمنت كالشركة السعودية البحرينية وشركة الإسمنت السعودية الكويتية وغيرها .

ومن العوامل التى أسهمت فى نمو الحركة الصناعية إلى جانب الدعم الحكومى الذى تحصل عليه من خلال أجهزة الدولة المختلفة قيام أرامكو فى الأخذ بيد الصناعة الوطنية والإسهام فى تنمية عدد من المصانع والمعامل بقصد تنميتها لتصبح من المصادر التى تعتمد عليها الشركة فى شراء كل مايمكن توفره من المنتجات الوطنية فى مجال صناعة الزيت وغيرها من الأعمال المساندة ، وقد تمثلت تلك الجهود فى تمويل بعض المشاريع الصناعية إما بتقديم قروض نقدية مباشرة أو بكفالة قروض لدى بعض البنوك ، علاوة على المساعدات الفنية والإدارية ومد المستثمرين بالدرسات اللازمة لهم فى التعرف على الجدوى الاقتصادية من المشاريع التى يعتزمون تأسيسها .

وفى ظل النمو الاقتصادى واضطلاع صناديق التنمية والبنوك التجارية بمهمة تقديم القروض لمن يطلبها من المستثمرين وكذلك توفر الأجهزة الاستشارية تركزت جهود الشركة على تقديم الإرشادات الفنية والإدارية بقصد رفع مستوى الإنتاج وإدارة المصانع والتحكم فى جودة منتجاتها وتسويقها واستعمالها فى مشاريعها المختلفة كلما أمكن ذلك .

وفى سنة ١٤٠٢ هـ قدمت شركت أرامكو مساعدات فنية لزهاء ١٥٠ مصنعاً محليا ليصبح أحد المصادر المؤهلة للتعاون معها ، وقد وصل عدد المصانع والمعامل التى تلقت المساعدات الفنية من الشركة حتى سنة ١٤٠٢هـ ٤٧٥ مصنعاً وطنياً .

ومن المهام التى اضطلعت بها إدارة التنمية الصناعية فى الشركة قيامها بجمع المعلومات الوافية عن الأعمال والنشاطات الاقتصادية وتزويد رجال الأعمال المعنيين بها ، كما تقوم هذه الإدارة بعقد ندوات للتعاون مع الغرفة التجارية الصناعية للمنطقة الشرقية من المملكة بغية تعريف الجهات المعنية فى الشركة وخارجها بالمنتجات الوطنية ومدى جودتها وإعطاء الأولوية لها وفق قواعد أساسية محدودة . وقد بلغ عدد رجال الأعمال الذين حصلوا على المعلومات المساعدة من الشركة زهاء ٢٧٠٠ مستثمر من السعوديين وغيرهم ، وقد ساعدتهم تلك المعلومات فى اتباع أفضل السبل لمزاولة أعمالهم فى المملكة بصورة عامة والتعاون مع شركة الزيت العربية بصورة خاصة . على أن من أهم الأعمال التى قامت بها الشركة منذ سنة ١٩٤٦م إسناد بعض الأعمال فى مجالات الإنشاء والخدمات والتموين لمقاولين

ومتعهدين وطنيين (١) مقابل مبالغ مالية مجزية ومساعدتهم فى تذليل العقبات التى تعترض طريقهم ، فكانت إذا منى أحد المقاولين بالخسارة فى عملية ما من أعمالها إما نتيجة لعدم الخبرة فى المقاولة التى اختارها أو لأمور طارئة فإنها تبادر إلى تعويضه عن خسارته وتدعمه للوقوف مرة أخرى ، فكانت بذلك تفيدهم من ناحية وتضمن إتمام عملها وإتقانه من ناحية أخرى ، وقد كان من نتائج ذلك ظهور جيل جديد من المقاولين إستطاعوا بطموحاتهم وماتوفر لهم من الخبرة فى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية من الرجال البارزين فى دنيا المال والأعمال حيث أنشأو المؤسسات والشركات التى شكلت اللبنة الأولى فى مختلف ألوان النشاط الاقتصادى فى البلاد ، وقد بلغ عدد المقاولين الذين سجلت أسماؤهم لدى إدارة عرض المقاولات فى الشركة حتى سنة ١٤٠٤هـ زهاء ٥٥٠ مقاولا .

ومن المهام التى قامت بها إدارة التنمية الصناعية فى الشركة بالتنسيق مع الغرفة التجارية الصناعية عقد ندوات ومحاضرات ذات صلة بالصناعات الأساسية فى المملكة بقصد اطلاع أصحاب الإختصاص فى بعض إدارات الشركة ورجال الأعمال الوطنيين على أحدث السبل فى إنشاء المشاريع الضخمة والانتفاع من التكنولوجيا المتطورة فى إدارة أعمالهم وإنجاحها وتنمية الموارد الوطنية ، وفى هذا الإطار تم عقد ثلاث ندوات كان أولها فى لاهاى بهولندا والثانية فى بوسطن بأمريكا أما الثالثة فقد عقدت بالدمام سنة ١٤٠٣هـ ، كما تقوم الشركة من آن إلى آخر باستضافة عدد من أصحاب الخبرات والكفاءات العالية من داخل المملكة وخارجها لإلقاء المحاضرات والمشاركة فى تلك الندوات بغية إتاحة أفضل الفرص لرجال الأعمال المحليين لتقديم منتجات مصانعهم لمهندسى التصميم فى شركة الزيت والمقاولين الذين يتعاملون معها . هذا علاوة على أن تحسن الدخل وتوفر السيولة النقدية فى أيدى المستثمرين بعد اكتشاف الزيت كان من أهم العوامل التى دفعت أصحاب رؤوس الأموال إلى استثمار أموالهم فى إنشاء العديد من المصانع والمؤسسات التجارية والمشاريع الزراعية وغيرها من المجالات الاقتصادية التى كان لها أكبر الأثر فى دفع مسيرة النهضة الشاملة التى تتفيأ البلاد ظلالها فى هذا العهد الزاهر .

انتهى بعون الله الجزء الأول

عبد الرحمن بن عثمان الملا

---

(١) – قافلة الزيت – شعبان ١٤٠٤هـ مايو ١٩٨٤ م ص ٤٣

الفهرســـــت

الموضوع — الصفحة

﴿ الفصل الأول ﴾
الحياة الطبيعية لهجر

﴿ الفصل الثاني ﴾
الســـكان والهجـــرات

﴿ الفصــل الثالث ﴾
دلائــل الاســتيطان المبــكر

﴿ الفصل الرابع ﴾

الحضـــارات القديمـــة

الموضوع | الصفحة

الفصل الخامس
المدن والقرى الدارسة والمفقودة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

﴿ الفصل السادس ﴾
المدن والقرى العريقة العامرة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

﴿ الفصل السابع ﴾
المدن والقرى المحدثة

الموضوع	الصفحة

﴿ الفصل الثامن ﴾
الزراعة

الموضوع الصفحة

﴿ الفصل التاسع ﴾
الصيد والغوص على اللؤلؤ

﴿ الفصل العاشر ﴾
التجـــــارة

الموضوع	الصفحة

الفصل الحادى عشر
المواصـــــــلات

الفصل الثانى العاشر
الصنـــــــاعة

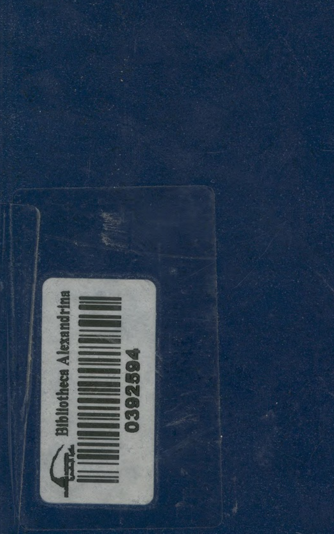
الموضوع | الصفحة

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾
الزيــــت

تصويب أخطاء الطبع

مع التحية للقارىء الكريم وردت بعض الأخطاء أثناء الطبع نأمل ملاحظتها ومنها :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الملاحظات
١٩	٥	حولِيّ	حولّي	
٥٧	١٧	كاظمه	كاظمة	
٦٣	١٩	مضمومة	مضمومتان	
١٤٧	–	العج	ألعج	انظر الحاشية
١٥٦	٩	نخل	نخلاً	
١٦٧	١٠	مناهضته	مناهضة	
١٧٨	١٠	البْحَرَة	البَحْرَة	
١٩٥	٩	الى	إلى	
١٩٩	٢٠	اداء	أداء	
٢٣٩	٩	الرَّمَيْلَة	الرُّمَيْلَة	
٢٤١	٢٠	١٩ – العيون	العيون	يحذف الرقم
٢٤٢	٢٠	٤ – قرية الفضول	قرية الفضول	يحذف الرقم
٢٩٣	٨	الحسنى	الحنى	
٢٩٤	–	الصُقيرى	الصُّفيري	
٣٠٩	–	الاحساء	الأحساء	
٣١٠	١٢	الحويًرات	الحويرًات	
٣١٤	–	ص ٨٧٣	ص٨٣٧	انظر الحاشية
٣٥٢	٤	فدّون	فدوًن	
٣٥٩	١	أفريقيا	إفريقيا	
٣٦٩	٢	عبد الله	عبيد الله	
٣٨٤	٤	اول	أول	
٣٨٧	١٥	الاتصلات	الاتصالات	
٣٨٨	٢٤	الجفرى	الجعفري	
٣٨٩	–	نوال شعر	توال شعر	انظر الحاشية
٤٠٥	٢٢	وبناءاً	وبناءً	
٤٠٦	٢	هجرية	هجرياً	
٤٠٧	٩	إبتداءاً	ابتداءً	


Bibliotheca Alexandrina
03392594